

السلسلة الذهبية
فضيلة الشيخ
محمود المصري
أبو عمار
الجزء الثالث
التقوى
www.iqra.ahlamontada.com
منتدى اقرأ الثقافي

السلسلة الذهبية

الجُزءُ الثَّالِثُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

رقم الإيداع: ٢٥٢٦ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولي: 977-6092-90-X



للطبع والنشر والتوزيع

الإدارة: ٤٤٧١٥٥٠٦ - ٠١٠٠١٦٦٨٠٦٧

١٥ ش ١٥ مايو - شبرا الخيمة

ف / ت / ٤٤٧١٥٥٠٦ - م / ٠١٠٠١٥٩٢٢٧١

٥ ش ابن البيطار خلف الجامع الأزهر

ت / ٢٥١٤١٧٠٤

موقعنا على الإنترنت:

www-daraltakoa.com

E-mail: webmaster@daraltakoa.com

التوزيع

اليقين - شبرا الخيمة: ٤٤٧٣١٨٢٤

المدينة المنورة - مدينة نصر: ٢٧٥٥٣٠٤

مكتبة الشامي - بالإسكندرية: ٠٣٤٩٦٠٦٢٠

السلسلة الذهبية

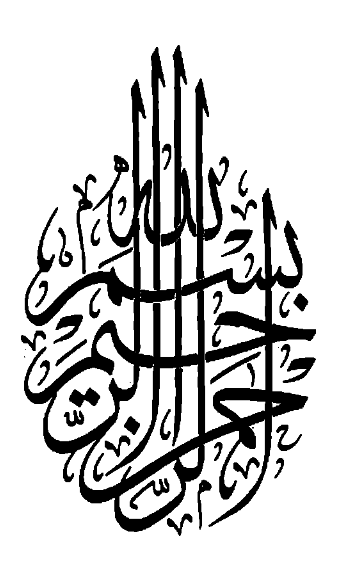
فضيلة الشيخ



أبو عمار

الجزء الثالث

دار التقوى


بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[2].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3].

أما بعد:

* فلقد قدمت لإخوانى وأخواتى فى السنوات الماضية أكثر من مائة وثمانين كتابًا - ما بين مجلدٍ وكُتيبٍ صغير - فأشار علىَّ الشيخ الحبيب الغالى الذى أحبه من أعماق قلبى... وهو فضيلة الشيخ/ وحيد عبد السلام بالي.. حفظه الله.

أشار علىَّ بأن أجمع الرسائل الصغيرة فى مجموعة من المجلدات حفاظًا

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

عليها وتيسيراً على من أراد أن يقتنى تلك المجموعة كاملة.

- وبدأت بالفعل فى جمع تلك الكتيبات فى مجموعة من المجلدات تحت مُسمًّى (السلسلة الذهبية) عسى الله أن ينفع بها وأن يجعلها فى ميزان حسناتى يوم أُدرج فى أكفانى.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)



من سيربح المليون حسنة؟

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[(١)].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[(٢)].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[(٣)].

أما بعد:

فهذا الكتيب كان عنوان محاضرة ألقيتها فى مسجد (الفتح الإسلامى) بالمعادى فأشار علىَّ بعض الإخوة الأفاضل بأن أسطِّر تلك المحاضرة فى كتيب صغير عسى الله (جلَّ وعلا) أن ينفع به كل من رام الانتفاع به.

- وكان السبب فى تلك المحاضرة - ومن ثَم ذلك الكتيب - أنى وجدت كثيرًا من الناس قد تعلقت قلوبهم بهذا البرنامج الذى يحمل نفس

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

الاسم (من سيـربح المليون) فكان لا بُدَّ أن نُـذكر قومنا بأن الدنـيا ظلٌ زائل وأنها دار فناء وليست بدار بقاء وأن العبد لا بد أن يغتنم كل لحظة من حياته فى طاعة الله وأن يفرح بذلك فقد قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾(١) .

- وقد حرصت كل الحـرص على أن تكون هذه الرسالة بسيطة جداً فى مادتها لـيسهل على كل مسلمٍ أن يقف على الكنوز الحـقيقيـة التى ينبغى أن يحرص عليها ليسعد فى دنياه وآخرته.

وصلى الله على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

---

(١) سورة يونس: الآية: (٥٨).

من سيربح المليون حسنة؟

لقد انشغل كثير من المسلمين فى هذه الأيام ببرنامج (من سيربح المليون)... وهذا إن دلَّ على شىء فإنما يدل على شدة تعلق أكثر القلوب بحطام الدنيا الزائل.

- ولقد أخبرنا الحق (جلَّ وعلا) بقدر الدنيا وقيمتها فقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[1].

بل وحذرنا منها فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[2]، فهذا تحذير لنا من الرب العظيم الجليل الذى خلق الدنيا ويعرف قدرها.

- بل لقد أخبرنا النبى ﷺ أن هذه الدنيا لا قيمة لها عند الله (جلَّ وعلا) فقال ﷺ : «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء**»[3]، وقال ﷺ : «**ألا إن الدنيا ملعونة ملعونٌ ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه وعالمًا ومتعلمًا**»[4].

---

(١) سورة الحديد: الآية: (٢٠).

(٢) سورة فاطر: الآية: (٥).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٢٠) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٠) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢٩٢).

(٤) حسن: رواه الترمذى (٢٣٢٢) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٢) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٠٩).

- وأخبرنا الحبيب ﷺ أن الزهد فى الدنيا من أعظم الأسباب للفوز بمحبة الكريم التواب (جلَّ وعلا).

- عن سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ: فقال: يا رسول الله دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله، وأحبنى الناس، فقال: «**ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**»(١).

- فمن عرف قدر الدنيا عرف قدر الآخرة ولذا قال ﷺ: «**ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع؟**»(٢).

أين السعادة الحقيقية؟

وتعالوا بنا لنسأل أصحاب الملايين ونقول لهم: هل أنتم سعداء؟ والجواب معروف: فليست السعادة فى جمع المال فلقد ظن كثير من الناس أن السعادة فى جمع المال فلما جمعوا المال وجدوا أنه كان سببًا لشقائهم؛ لأن الذى يجمع المال يتعب فى جمعه ويخشى عليه من الضياع ويحزن عليه إذا ضاع فهو يعانى فى كل هذه الأحوال.

* ومن الناس من كان يظن أن السعادة فى كثرة الأولاد وإذا به لما رزقه الله بالأولاد كانوا نقمة عليه فى الدنيا لأنه لم يأخذ بأيديهم إلى طاعة الله وطاعة رسول الله ﷺ.

فالولد نعمة إذا استعملها الوالدان فى طاعة الله فقد قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(٣).. وقال ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا**

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٠٢) كتاب الزهد، والطبرانى والحاكم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٢٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) سورة الكهف: الآية: (٤٦).

من ثلاث - وذكر منها -: أو ولد صالح يدعو له» (١).

فإذا لم يُستعمل الأولاد في طاعة الله كانوا نقمة على الوالدين كما قال ﷺ : «إن الولد مَبخلةٌ مجبنةٌ مجهلةٌ محزنةٌ» (٢).

*ومن الناس من كان يظن أن السعادة في الوصول إلى أعلى المناصب فلما وصل إلى منصبه المرموق إذا به يفسد قلبه ويصبح المنصب حائلاً بينه وبين الله (عزَّ وجلَّ).

*إذن السعادة الحقيقية لا تكون ولن تكون إلا في ظل الإيمان بالله (جلَّ وعلا) فقد قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣).

وبالمثال يتضح المقال

فها هو قارون الذي قال عنه الحق (جلَّ وعلا) في كتابه: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٤)، فما كان من قارون إلا أن قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾، فردَّ عليه الحق (جلَّ وعلا) بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٥).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١) كتاب الوصية.

(٢) صحيح: رواه الحاكم (٣/ ٣٣٥ ، رقم ٥٢٨٤)، والطبراني في الكبير، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٩٩٠).

(٣) سورة النحل: الآية: (٩٧).

(٤) سورة القصص: الآيتان: (٧٦، ٧٧).

(٥) سورة القصص: الآية: (٧٨).

* وجاء مشهد هلاكه كما أخبرنا الحق (جلَّ وعلا): ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[١]، هكذا قال أهل الدنيا الذين لا ينشغلون إلا بجمع حطامها الزائل. . . أما أهل العلم الذين عاشوا لله (جلَّ وعلا) فلهم موقف جليل سطَّره الله (عزَّ وجلَّ) في كتابه فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾[٢].

- وجاءت النتيجة: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[٣].

- وعقَّب الحق (جلَّ وعلا) بعد تلك القصة بقوله: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٤].

هذا هو سر الوهن

فإذا رجعنا إلى ما بدأناه في أول تلك الرسالة لوجدنا أن هذا البرنامج يكشف لنا عن مدى تعلق أكثر القلوب بالدنيا وحطامها الزائل. . . وهذا هو سر الوهن الذي تعيشه الأمة الآن كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ حيث قال: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قيل: يا رسول الله! فمن قلة يومئذ؟ قال: لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يجعل الوهن في قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب عدوكم؛ لحبكم الدنيا**

(١) سورة القصص: الآية: (٧٩).
(٢) سورة القصص: الآية: (٨٠).
(٣) سورة القصص: الآيتان: (٨١، ٨٢).
(٤) سورة القصص: الآية: (٨٣).

وكراهيتكم الموت»(١).

* فالركون إلى الدنيا وانشغال العبد بتحصيلها ليلاً ونهارًا يجعل قلبه لا يشتاق للآخرة ومن ثم يصبح العبد ويمسى وهو ناسٍ لتلك الغاية العظيمة التى خلقه الله من أجلها وهى أن يكون عبدًا لله وأن يسعى بكل ما يملك لنُصرة دين الله (جلَّ وعلا).

- قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (٢).

هكذا كان حال النبى ﷺ وأصحابه

ومن كان يظن أن السعادة فى جمع المال أقول له: لقد عاش النبى ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم حياة الفقر ومع ذلك كانت بيوتهم هى أسعد بيوت عرفها التاريخ لأنها كانت موصولة بخالقها (جلَّ وعلا).

- ففى الحديث الذى رواه مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أصاب الناس من الدنيا، فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوى ما يجد من الدَّقَل ما يملأ به بطنه(٣).

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: نام رسول الله ﷺ على حصيرٍ فقام وقد أثر فى جنبه، قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: «ما لى وللدنيا؟ ما أنا فى الدنيا إلا كراكبٍ استظل تحت شجرةٍ ثم راح وتركها»(٤).

- وفى الصحيحين عن عروة عن عائشة رضي الله عنها، أنها كانت تقول: والله

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٢٩٧) كتاب الملاحم، وأحمد (٢١٨٩١) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨١٨٣).

(٢) سورة الذاريات: الآية: (٥٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٧٧) كتاب الزهد والرقائق - الدَّقَل: ردئ التمر.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٧٧) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٠٩) كتاب الزهد، وأحمد (٣٧٠١) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٦٨).

يا ابن أختى إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلَّة فى شهرين، وما أوقد فى أبيات رسول الله ﷺ نار. قلت: يا خالة فما كان يُعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح وكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا [١].

- وروى البخارى عن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضي الله عنه، أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية، فدعوه فأبى أن يأكل، وقال: خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير [٢].

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان فراش رسول الله ﷺ من أدم حشوه ليف [٣].

- وفى الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: توفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى فى ثلاثين صاعًا من شعير [٤].

- وروى البخارى عن عمرو بن الحارث أخى جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها قال: «ما ترك رسول الله ﷺ، عند موته دينارًا ولا درهمًا، ولا عبدًا، ولا أمة، ولا شيئًا إلا بغلته البيضاء التى كان يركبها، وسلاحه، وأرضًا جعلها لابن السبيل صدقة» [٥].

- فكان هذا هو حال سيد الأولين والآخرين ﷺ الذى لو أراد أن تصير له جبال الدنيا كلها ذهبًا لكانت - بإذن الله - ولكنه آثر أن يكون على

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥٦٧) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، ومسلم (٢٩٧٢) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٤١٤) كتاب الأطعمة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٥٦) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٠٨٣) كتاب اللباس والزينة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩١٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٦٠٣) كتاب المساقاة.

(٥) صحيح: رواه البخارى (٢٧٣٩) كتاب الوصايا.

تلك الحالة بل كان يدعـو دائمًا ويقول: «اللهم أحينى مسكينًا وأمتنى مسكينًا واحشرنى فى زمرة المساكين»[(١)] .

* **أما عن حال أصحابه ﷺ فلنا أن نتأمل تلك المشاهد المؤثرة:**

- روى البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «لقـد رأيت سبعين من أهل الصـفة، مـا منهم رجل عليه رداء، إمـا إزار، وإما كـساء، قـد ربطوا فى أعناقهم، فمنهـا ما يبلغ نصف الساقين. ومنها مـا يبلغ الكعبين. فيجـمعه بيده كراهية أن تُرى عورته»[(٢)] .

- وفى الصحيحين عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلتمس وجـه الله تعالى فـوقع أجرنا على الله، فـمنا من مات ولم يأكل من أجره شـيئًا. منهم مصـعب بن عمير رضي الله عنه، قُـتل يوم أُحد، وترك نَمرة، فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا بها رجليه بدا رأسه، فـأمرنا رسـول الله ﷺ أن نغطى رأسـه ونجـعل على رجليـه شـيئًـا من الإذخر. ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها[(٣)] .

- وفى الصحيحين عـن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة، ونحن سـتة نفر بيننا بعـير نعتـقبه، فنقـبت أقدامنا، ونقبت قدمى، وسـقطت أظفارى، فكنا نلف على أرجلنا الخِرَق، فـسُميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب على أرجلنا من الخِرَق[(٤)] .

- ومع ذلك كـانوا أسـعـد الناس فى هذا الـكون؛ لأن قلوبهم كـانت موصولة بالله (جلَّ وعلا).. إنهم لم يـكن عندهم أى شىء من متاع الدنيا لكنهم كـانوا يعيـشون فى جنة الدنيـا.. ونحن قد امـتلأت بيـوتنا بالأثاث

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٢٦) كتاب الزهد، والطبرانى فى الكبير وعبد بن حميد وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٦١).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٤٢) كتاب الصلاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٩٧) كتاب المناقب، ومسلم (٩٤٠) كتاب الجنائز.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤١٢٨) كتاب المغازى، ومسلم (١٨١٦) كتاب الجهاد والسير.

الفاخر وبكل أنواع الكماليات ومع ذلك لم نشعر ولو بجزء يسير من السعادة التى غمرت قلوبهم وذلك لأن قلوب أكثرنا - إلا من رحم الله - أصبحت متعلقة بالدنيا ومتاعها الزائل. . أما الصحابة فلقد كانت قلوبهم موصولة بالله (جلَّ وعلا) ولذلك كانوا أسعد الناس رضى الله عنهم وأرضاهم.

دعوة إلى ملايين الحسنات

وها أنا أدعوكم جميعًا إلى الحصول على ملايين الحسنات من خلال هذا الكتيب الصغير. . إن الملايين التى أدعوك إليها - أيها الأخ الحبيب - لا تحتاج منك إلا أن تفتح هذا الكتيب لتقرأه وتعمل بما فيه لتحصل على ملايين الحسنات - بإذن الله تعالى -.

- وإذا كان المشارك فى البرنامج يأتى بصديقه أو زوجته ويتكلف مئات الجنيهات فإنك لا تحتاج إلا أن تقرأ هذا الكتيب ثم تقدمه هدية لصديقك أو جارك أو زوجتك أو إلى أى مسلمٍ ليقرأه ويعمل بما فيه ويكون فى ميزان حسناتك. . ولذلك فأنت - بإذن الله تعالى - رابحٌ فى كل الأحوال.

وسائل المساعدة الحقيقية

وإذا كان فى البرنامج يقول: لا تتعجل الإجابة فعندك ثلاث وسائل للمساعدة وهى (الجمهور - صديق - حذف إجابتين) فأنا أقول لك: إن وسائل المساعدة التى عندنا هى التى تنفعك فى الدنيا والآخرة أما وسائل المساعدة عندهم فلا تنفع أبدًا.

- فأول وسيلة عندهم (الجمهور). . والجمهور لا ينفعك فقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(١).

---

(١) سورة الشعراء: الآيتان: (٨٨، ٨٩).

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾(١).

- والوسيلة الثانية عندهم (الصديق).. والصديق سيفر منك يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾(٣).

- والوسيلة الثالثة عندهم (حذف إجابتين).. ونحن والله فى أشد الحاجة لكل إجابة لنجيب على أسئلة الملكين فى القبر ونجيب على أسئلة الحق (جلَّ وعلا) يوم القيامة.

*** إذن فما هى وسائل المساعدة الحقيقية؟**

أقول: إنها أيضًا ثلاث وسائل ألا وهى:

- إقامة التوحيد لله (جلَّ وعلا)؛ لأن التوحيد هو أصل الأصول الذى لا يُقبل أى عملٍ بدونه.

- **وأما الوسيلة الثانية:** فالإخلاص والمتابعة وهما شرطا قبول العمل الصالح كما قال (جلَّ وعلا): ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾(٤).

وكما قال ﷺ: **«إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا له وابتُغى به وجهه»**(٥). فلا بد لقبول العمل من شرطين أساسيين ألا وهما: إخلاص النية لله (جلَّ وعلا)، ومتابعة رسول الله ﷺ.

- **وأما الوسيلة الثالثة فهى:** حُسن الظن بالله (جلَّ وعلا) فلا بد أن تلقى

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (١١٦).

(٢) سورة عبس: الآيات: (٣٤-٣٧).

(٣) سورة الزخرف: الآية: (٦٧).

(٤) سورة الكهف: الآية: (١١٠).

(٥) حسن: رواه النسائى (٣١٤٠) كتاب الجهاد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٨٥٦).

الله وأنت حسن الظن به فقد قال تعالى: **«أنا عند ظن عبدى بى إن ظن خيراً فله وإن ظن شراً فله»**[(١)]، وقال ﷺ : **«لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى»**[(٢)].

فهذه هى وسائل المساعدة الحقيقية التى تنفعك فى دنياك وآخرتك.

ومن هنا نبدأ

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع خمسة عشر سؤالاً نصل من خلالها إلى ملايين الحسنات ونعيم الجنات ورضوان رب الأرض والسموات (جلَّ وعلا).

فإن كانت هواية أهل الدنيا جمع الدراهم والدنانير فإن هوايتنا جمع الحسنات التى تبيض وجوهنا عند رب الأرض والسموات (جلَّ وعلا).

فمن المعلوم أن كل بلد لها عُملة تتعامل بها.. ففى مصر نتعامل بالجنيه المصرى، وفى أمريكا يتعامل الناس بالدولار، وفى بعض البلدان يتعامل الناس بالجنيه الإسترلينى.. اليورو.. وهكذا فلكل بلدٍ عملة أما فى الآخرة فلها عُملة واحدة ألا وهى الحسنات فهذه هى العملة الوحيدة التى إذا وُضعت فى الميزان أثمرت لنا جنة الرحمن التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

* * *

(١) صحيح: رواه أحمد (٨٨٣٣) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٣١٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

السؤال الأول

أين أنت من نعمة التوحيد لله (جلَّ وعلا)؟

إن السؤال الأول عندنا أغلى من السموات السبع والأرضين السبع وما بينهما بل أغلى من الكون كله.. فالتوحيد هو الحسنة التى يغفر الله بها كل سيئة.. والشرك هو السيئة التى يحبط الله بها كل حسنة.

«قال الله تعالى: يا ابن آدم! إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى، يا ابن آدم! لو أنك أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة»(١).

*** وتأمل معى هذا المشهد المهيب لأهل التوحيد:**

- قال ﷺ: «إن الله سيُخلص رجلاً من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعةً وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتى الحافظون؟ فيقول: لا يا رب؛ فيقول: أفَلَكَ عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنةً، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك. فيقول: يا رب! وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: فإنك لا تُظلم، فتوضع السجلات فى كفة، والبطاقة فى كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شىء»(٢).

- وأنا أسألك بالله (عزَّ وجلَّ): كم تدفع من المال لتفوز بهذا المشهد المهيب؟

---

(١) حسن: رواه الترمذى (٣٥٤٠) كتاب الدعوات، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٣٣٨).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٦٣٩) كتاب الإيمان، وابن ماجه (٤٣٠٠) الزهد، وأحمد (٦٩٥٥) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٧٦).

السؤال الثانى

أين أنت من الصلوات الخمس؟

إن الصلاة عماد الدين وركنه الثانى بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ . . . ومن المعلوم أن الصلاة لا تصح بغير وضوء فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع الخير الذى يمكن أن نتحصل عليه - بإذن الله تعالى -.

*** أبواب الجنة الثمانية تفتح لك:**

- قال ﷺ : «من توضأ فأحسنَ الوضوءَ، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبدُه ورسوله، اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين، فُتحت له أبوابُ الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»[١] .

وأنا أسألك أيها الأخ الحبيب: كم يساوى عندك فتح أبواب الجنة الثمانية؟

لقد قال الحبيب ﷺ : «موضع سوطٍ فى الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها»[٢]، فتخيل معى أن موضع سوطٍ فى الجنة خير من الدنيا بكل ما فيها من أنهار وأشجار وسيارات وقصور وعمارات وذهب ولؤلؤ. . . ومع ذلك فأنت إذا توضأت وقلت هذه الكلمات فإن أبواب الجنة الثمانية تُفتح لك.

*** براءة من النفاق وبراءة من النار:**

- بل تأمل معى قول الحبيب المصطفى ﷺ : «من صلى لله أربعين يومًا فى جماعة، يدركُ التكبيرة الأولى، كُتِب له براءتان: براءةٌ من النار، وبراءةٌ من النفاق»[٣] .

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٥٥) كتاب الطهارة، والنسائى (١٤٨) كتاب الطهارة، وابن ماجه (٤٧٠) كتاب الطهارة وسننها، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٦٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٥٠) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٨٨١) كتاب الإمارة.

(٣) حسن: رواه الترمذى (٢٤١) كتاب الصلاة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٦٥).

- وأنا أكرر عليك السؤال: كم تدفع من المال لتنال براءة من النفاق وبراءة من النار؟ وأيهما أفضل عندك: أن تربح مليون ريال أو تأخذ براءة من النار؟

تذكر معى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦) يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (١).

*** بيت فى الجنة:**

قال ﷺ: «من ثابر على اثنتى عشرةَ ركعة من السُّنة، بنى الله له بيتًا فى الجنة: أربع ركعات قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الفجر»(٢).

أخى الحبيب.. أختى الفاضلة: بالله عليكم لو أراد إنسان أن يشترى ڤيلا على النيل مباشرة فكم يدفع من الأموال؟

أنا أعلم جيدًا أن هناك عمارة على النيل قد بلغ ثمن الشقة فيها خمسين مليونًا من الجنيهات!!

فلنا أن نتخيل بيتًا فى جنة الرحمن (جلَّ وعلا) لا يطل على النيل بل تجرى من تحته الأنهار (أنهار الماء وأنهار اللبن وأنهار الخمر وأنهار العسل).

- فى الصحيحين عن أبى موسى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا»(٣).**

---

(١) سورة المائدة: الآيتان: (٣٦، ٣٧).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٤١٤) كتاب الصلاة، والنسائى (١٧٩٤) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، وابن ماجه (١١٤٠) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٨٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٨٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٣٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

*** حج وعمرة مجانًا:**

قال ﷺ: «من صلى الفجرَ فى جماعة، ثم قعدَ يذكرُ الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة، وعمرة، تامة، تامة، تامة»[(١)].

- فمن المعلوم أن من فعل هذا كُتب له أجر حَجة وعمرة (نافلة).. ونحن نعلم أن المسلم إذا أراد أن يحج أو يعتمر فإنه يتكلف الكثير والكثير من نفقات المال والوقت والصحة ولكنه يحرص عليه لأنه يعلم أن حجة النافلة لا تُسقط حجة الفريضة ولا تغنى عنها.

لكن تأمل معى عظمة الأجر الذى تتحصل عليه فى ساعة من الزمن.. وكل ذلك برحمة الله (جلَّ وعلا).

*** بكل خطوة عمل سنة!!**

- **قال ﷺ: «من غسَّل يوم الجمعة واغتسل، ثم بكَّر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام، واستمع، وأنصت، ولم يلغُ، كان له بكلِّ خطوة يخطوها من بيته إلى المسجد، عمل سنة، أجرُ صيامها وقيامها»[(٢)].**

- هل تتصور أن يُكتبَ لك بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها؟.. يعنى لو كان المسجد بعيدًا عنك ومشيت على رجليك خمسة آلاف خطوة فإنه يُكتب لك أجر خمسة آلاف سنة أجر صيامها وقيامها.. هذا أفضل أم مليون ريال؟

*** وقفة يسيرة:**

وهنا نتوقف وقفة يسيرة.. للصلاة على سيد الأنام ﷺ فقد قال

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٥٨٦) كتاب الجمعة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٤٦).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣٤٥) كتاب الطهارة، والترمذى (٤٩٦) كتاب الجمعة، والنسائى (١٣٨٤) كتاب الجمعة، وابن ماجه (١٠٨٧) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وأحمد (١٥٧٢٨) أول مسند المدنيين رضى الله عنهم أجمعين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٠٥).

ﷺ : «من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحطَّ عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات» (١).

✓ فلا تغفلوا عن الصلاة على النبى ﷺ لتفوزوا بهذا الأجر العظيم ولتنالوا شفاعة النبى ﷺ يوم القيامة فقد قال ﷺ : «من صلى عليَّ حين يصبح عشراً وحين يمسى عشراً أدركته شفاعتى يوم القيامة» (٢).

السؤال الثالث:

أين أنت من قيام الليل؟

إن قيام الليل من أجلِّ وأفضل العبادات ولذا قال جبريل (عليه السلام) للنبى ﷺ : «... واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزَّه استغناؤه عن الناس» (٣).

*** النبى ﷺ يدعو لك بالرحمة:**

قال ﷺ : «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح فى وجهها الماء. رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت فى وجهه الماء» (٤).

وقال ﷺ : «من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعًا كُتبا

---

(١) صحيح: رواه النسائى (١٢٩٧) كتاب السهو، وأحمد (١١٥٨٧) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٥٩).

(٢) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير كما فى مجمع الزوائد (١٠/ ١٢٠)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٥٧).

(٣) حسن: رواه الحاكم (٤/ ٣٦٠ ، رقم ٧٩٢١)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ٣٤٩ ، رقم ١٠٥٤١)، والشيرازى فى الألقاب وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٣).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (١٤٥٠) كتاب الصلاة، والنسائى (١٦١٠) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، وابن ماجه (١٣٣٦) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وأحمد (٧٣٦٢) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٤٩٤).

ليلتئذ من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات»[(١)].

* أخي الحبيب: كم تدفع من المال لترى النبي ﷺ مرة واحدة؟ أما أنا فوالله لو أملك الدنيا كلها لدفعتها كلها من أجل أن أرى النبي ﷺ مرة واحدة وكانت تلك الرؤيا عندي أغلى من الثمن الذي قدمته.

- فما ظنك إذا كان النبي ﷺ يدعو لك بالرحمة.. فكم تدفع لتفوز بتلك الدعوة الغالية؟

*** الله يحبك ويضحك إليك ويستبشر بك:**

قال ﷺ: «ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويستبشر بهم: الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله تعالى، فإما أن يُقتل، وإما أن ينصره الله ويكفيه فيقول: انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه؟! والذي له امرأة حسنة، وفراش ليِّن حسن، فيقوم من الليل فيقول: يذر شهوته، ويذكرني، ولو شاء رقد، والذي إذا كان في سفر - وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا - فقام من السَّحَر في ضراء سرَّا»[(٢)].

* أخي الحبيب... أختي الفاضلة:

والله لو بذلنا الدنيا بكل ما فيها ما كانت تعدل لحظة من محبة الله لنا.

- إن العبد إذا فاز بمحبة الله (جلَّ وعلا) فإن تلك المحبة تثمر له الخير كله في الدنيا والآخرة.

- **قال ﷺ: «إن الله تعالى إذا أحبَّ عبداً دعا جبريل فقال: إني أحبُّ فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إنَّ الله تعالى يحبُّ فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض...»[(٣)].**

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٤٥١) كتاب الصلاة، والحاكم وابن حبان، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٠٣٠).

(٢) حسن: رواه الطبراني كما في مجمع الزوائد (١/ ٢٤٥)، والحاكم (١/ ٧٧ ، رقم ٦٨)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٦٢٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤٨٥) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٦٣٧) كتاب البر والصلة والآداب.

- بل أثبت النبى ﷺ أن الله (عزَّ وجلَّ) يضحك لبعض عباده ويستبشر بهم.. وصفة الضحك ثابتة لله (عزَّ وجلَّ) ولكنه ليس كضحك المخلوقين ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١)، فنحن نثبت لله (عزَّ وجلَّ) ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ بلا تكييف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل.. فالله يضحك ضحكًا يليق بجلاله وكماله.

- وجاء فى الحديث الآخر أن الله (عزَّ وجلَّ) إذا ضحك لعبدٍ من عباده فى موطن فلا حساب عليه يوم القيامة.

قال ﷺ: **«أفضلُ الشهداء الذين يقاتلون فى الصف الأول فلا يلفتون وجوههم حتى يُقتلوا، أولئك يتلبطون فى الغُرف العُلى من الجنة، يضحك إليهم ربك، فإذا ضحك ربك إلى عبدٍ فى موطن فلا حساب عليه»** (٢)... يتلبطون: أى: يتمرغون.

- أخى الحبيب.. أختى الفاضلة: دخول الجنة يوم القيامة بغير حساب ولا عذاب كم يساوى عندكم؟ فإذا ضحك الله (عزَّ وجلَّ) لأحدكم فلا حساب عليه يوم القيامة.

* قم بالليل واطلب مائة مليون:

قال ﷺ: **«ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضى ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذى يدعونى فأستجيب له؟ من ذا الذى يسألنى فأعطيه؟ من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يُضىء الفجر»** (٣).

- أخى الحبيب: بدلاً من أن تتطلع أنفسنا إلى المليون الذى تتطلع إليه

---

(١) سورة الشورى: الآية: (١١).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢١٩٧٠) باقى مسند الأنصار، والطبرانى فى الكبير (٣/٢٨٦، رقم ٣١٦٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٠٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١١٤٥) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، واللفظ له.

قلوب أكثر الناس.. قم بالليل بين يدى الله (جلَّ وعلا) واطلب منه مائة مليون فإنه هو الغنى الذى لا تنفد خزائنه واستعن بهذا المال على طاعة الله وعلى نُصرة دين الله (جلَّ وعلا).

قال تعالى كما فى الحديث القدسى: «... يا عبادى! لو أنَّ أولكم وآخركم، وإنسكم وجنَّكم، قاموا فى صعيد واحد، فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندى، إلا كما ينقُصُ المخيطُ إذا أُدخل البحر...»(١).

السؤال الرابع

أين أنت من الصيام؟

قال ﷺ: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»(٢).

فكم تدفع من المال ليُغفَر لك ذنبٌ واحد؟.. فكيف إذا كان الحق (جلَّ وعلا) قد وعدك على لسان نبيه ﷺ أنك إذا صمت شهر رمضان إيمانًا واحتسابًا فإن الله سيغفر لك كل ما تقدم من ذنبك.

- **وقال ﷺ: «من صام يومًا فى سبيل الله بعَّد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا»**(٣).

فإذا أنجاك الله من النار فما بقى لك إلا دخول الجنة ولذا قال ﷺ: **«من خُتم له بصيام يومٍ دخل الجنة»**(٤).

- فيا من تبحث عن المليون.... كم يساوى عندك النجاة من النيران ودخول جنة الرحمن (جل وعلا)؟

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (٣٨) كتاب الإيمان، ومسلم (٧٦٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (٢٨٤٠) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١١٥٣) كتاب الصيام.

(٤) رواه أحمد (٢٢٨١٣) باقى مسند الأنصار، والبزار (٢٨٥٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٢٤).

السؤال الخامس

أين أنت من الصدقة؟

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

وقال ﷺ: «من أنفق زوجين فى سبيل الله نودى من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير...»(٢).

وقال ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»(٣).

وقال ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يُربيها لصاحبها، كما يربى أحدكم فَلُوَّه حتى تكون مثل الجبل»(٤)... الفلُوّ: المُهر الصغير.

- بل يُسخِّر الله (عزَّ وجلَّ) ملكًا يدعو لك أيها المنفق فقد قال ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»(٥).

- بل تكون من أحب الناس إلى الله (عزَّ وجلَّ).. وحسبُك أن تفوز بمحبة الله.

قال رسول الله ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ سرور تُدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربةً، أو تقضى عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشى مع أخى المسلم فى حاجة، أحب

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٦١).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٩٧) كتاب الصوم، ومسلم (١٠٢٧) كتاب الزكاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١٧) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٦) كتاب الزكاة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١٠) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٤) كتاب الزكاة.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٤٢) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٠) كتاب الزكاة.

إلىَّ من أن أعتكف فى المسجد شهراً...»(١).

- بل إن الله (عزَّ وجلَّ) يبنى لك بيتًا فى الجنة إذا بنيت مسجدًا ولو كان صغيرًا. فقد قال ﷺ: «من بنى مسجدًا يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله فى الجنة»(٢).

- بل إن الإنفاق من أسباب العتق من النيران.

قال ﷺ: «من أعتق رقبة مسلمة، أعتق الله له بكل عضوٍ منها عضوًا من النار، حتى فرجهُ بفرجه»(٣).

- بل تكون فى ظل عرش الرحمن (جلَّ وعلا).

قال ﷺ: «من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله»(٤).

* فيا أيها المنفق والمتصدق: حسبُك أنك ينادَى عليك من أبواب الجنة وتكون الصدقة سببًا لعتق رقبتك من النار ويسخر الله لك ملكًا كريمًا يدعو لك ويبنى لك بيتًا فى الجنة وتكون يوم القيامة فى ظل عرش الرحمن بل وتظفر بأعظم شىء فىّ الدنيا والآخرة - ألا وهو محبة الله جلَّ وعلا - سل نفسك أيها الأخ الحبيب: هذا أفضل أم المليون ريال؟

*** هنا نتوقف وقفة للاستغفار:**

قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾(٥).

---

(١) حسن: رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب قضاء الحوائج (ص ٤٧ ، رقم ٣٦)، والطبرانى (١٢/ ٤٥٣، رقم ١٣٦٤٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٥٠) كتاب الصلاة، ومسلم (٥٣٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٧١٥) كتاب كفارات الأيمان، ومسلم (١٥٠٩) كتاب العتق.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٣٠١٤) كتاب الزهد والرقائق.

(٥) سورة نوح: الآيات: (١٠-١٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[(١)].

وقال ﷺ: «من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار»[(٢)].

وأين نحن من الحبيب ﷺ الذى غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر.

وعلى الرغم من ذلك يقول: «إنى لأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة»[(٣)].

وقال ﷺ: «إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أُغوى عبادك ما دامت أرواحهم فى أجسادهم، فقال الربُّ: وعزتى وجلالى لا أزالُ أغفر لهم ما استغفرونى»[(٤)].

السؤال السادس

أين أنت من تفريج كربات المسلمين؟

حسبُك أيها الأخ الحبيب أنك إذا فرَّجت كربة عن مسلم فإن الذى يتولى تفريج كرباتك هو الله (عزَّ وجلَّ).

قال ﷺ: «من نفَّس عن مؤمنٍ كربةً من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد، ما كان العبد فى عون أخيه...»[(٥)].

---

(١) سورة الأنفال: الآية: (٣٣).

(٢) حسن: رواه البيهقى فى شعب الإيمان (١/ ٤٤٠، رقم ٦٤٨)، والطبرانى فى الأوسط (١/ ٢٥٦، رقم ٨٣٩) والضياء، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٩٥٥).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٣٠٧) كتاب الدعوات.

(٤) حسن: رواه أحمد (٢٧٦٢٧) باقى مسند المكثرين، وأبو يعلى والحاكم وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٥٠).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

- بل إنك إذا فرجت كربة مسلم بأن أقرضته مبلغًا من المال فلما جاء وقت السداد عجز عن أداء الدَّين فأنظرته - يعنى أجلّت موعد السداد - فإن الله يظلك يوم القيامة فى ظل عرشه. قال ﷺ : **«من أنظر معسراً أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله»**(١).

- تخيل معى أيها الأخ الحبيب لو أنك أردت أن تقتنى قطعة أرض أو فيلا فإنك إن أردت موقعًا فريداً فإنك تدفع لتلك الشركة مالاً أكثر (نسبة التميز) ليختاروا لك موقعًا متميزاً فلك أن تتخيل أنك ستكون فى أعظم موقع فى الكون كله... ستكون فى ظل عرش الرحمن ولذلك علمنا النبى ﷺ أن نسأل الله الفردوس الأعلى لأن سقفه عرش الرحمن (جلَّ وعلا).

السؤال السابع

أين أنت من الحج والعمرة؟

ومازلنا نتابع رحلتنا الغالية للحصول على ملايين الحسنات ولنفوز بنعيم الجنات ورضوان رب الأرض والسموات (جلَّ وعلا).

- أخى الحبيب: أين أنت من الحج والعمرة؟

قال ﷺ : **«من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»**(٢).

وقال ﷺ : **«تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفى الكير خَبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة»**(٣).

وقال ﷺ : **«ما ترفع إبل الحاج رجلاً ولا تضع يداً إلا كتب الله تعالى له**

---

(١) صحيح : رواه الترمذى (١٣٠٦) كتاب البيوع، وأحمد (٨٤٩٤) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٠٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٥٢١) كتاب الحج، واللفظ له، ومسلم (١٣٥٠) كتاب الحج.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٨١٠) كتاب الحج، والنسائى (٢٦٣١) كتاب مناسك الحج، وأحمد (٣٦٦٠) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٩٠١).

بها حسنة، أو محا عنه سيئة، أو رفعه بها درجة» (١).

وقال ﷺ :«ما أهلَّ مُهلٌ ولا كبَّر مكبر قط إلا بُشِّر بالجنة» (٢).

* فكم تساوى مغفرة الذنوب، وكم تساوى البشرى بجنة علاَّم الغيوب (جل وعلا)؟

- **بل يخبر النبى ﷺ عن فضل العمرة فيقول:«العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة»** (٣).

بل يزداد الفضل عندما تعلم أن عمرة فى شهر رمضان تعدل حجة نافلة مع النبى ﷺ فقد قال ﷺ : **«عمرة فى رمضان كحجة معى»** (٤).

- **فأيهما أفضل عندك:** مليون دولار - لا أقول ريال - أم حجة مع النبى المختار ﷺ ؟

السؤال الثامن

أين أنت من القرآن؟

يا من تريدون التجارة الرابحة تعالوا إلى أعظم وأربح تجارة فى الكون كله.. تعالوا إلى كتاب الله (عزَّ وجلَّ).

قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾** (٥).. يعنى ممكن تكسب مليون ريال وتدخل بهم تجارة وتخسر كل

(١) حسن: رواه البيهقى فى شعب الإيمان (٣/ ٤٧٩ ، رقم ٤١١٦)، والبزار وابن حبان وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٥٩٦).

(٢) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط (٧/ ٣٧٩ ، رقم ٧٧٧٩)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٥٦٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٧٧٣) كتاب الحج، ومسلم (١٣٤٩) كتاب الحج.

(٤) صحيح: رواه سمويه والطبرانى (١/ ٢٥١ ، رقم ٧٢٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٠٩٨) وأصله فى الصحيحين.

(٥)سورة فاطر : الآيتان: (٢٩، ٣٠).

مالك. . . أما إذا قرأت القرآن وعملت بما فيه فتلك هى التجارة التى لن تبور.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»[1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**»[2].

- فالصفحة تحتوى على حوالى ستمائة حرف والحرف بعشر حسنات.. فذلك يعنى أن الصفحة تحتوى على ستة آلاف حسنة. . . فلو أنك قرأت فى يوم ثمانية أجزاء ونصف فإنك تتحصل على مليون حسنة فى ثلاث ساعات تقريبًا فما رأيكم؟ . . . من سيربح المليون فى ثلاث ساعات؟

* بل إنك إن أردت بيتًا فى الجنة فإنك تستطيع أن تتحصل عليه فى خمس دقائق، فقد قال ﷺ : «**من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات بنى الله له بيتًا فى الجنة**»[3].

وقال ﷺ : «**يجيء القرآن يوم القيامة، فيقول: يا رب حلِّه، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زده، فيلبس حُلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيرضى عنه، فيقول: اقرأ، وارق، ويزاد بكل آية حسنة**»[4].

---

(١) صحيح: روه الترمذى (٢٩١٠) كتاب فضائل القرآن، والبخارى فى التاريخ والحاكم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٦٩).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٤٦٤) كتاب الصلاة، والترمذى (٢٩١٤) كتاب فضائل القرآن، وأحمد (٦٧٦٠) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨١٢٢).

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٥١٨٣) مسند المكيين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٧٢).

(٤) حسن: رواه الترمذى (٢٩١٥) كتاب فضائل القرآن، والحاكم والدارمى (٣٣١١) كتاب فضائل القرآن، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٠٣٠).

- بل إن القرآن يشفع لك يوم القيامة.. وشفاعته مقبولة لا تُرد.

قال ﷺ: **«الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أى رب إنى منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه، يقول القرآن: رب منعته النوم بالليل فشفعنى فيه، فيشفعان»**(١).

السؤال التاسع

أين أنت من ذكر الله؟

كثير من الناس ينفقون أموالاً كثيرة من أجل أن يحققوا السعادة لأنفسهم ومع ذلك لا تتحقق لهم السعادة.. أما العبد المؤمن الذى يعيش وقلبه موصول بالله فإنه يسعد سعادة لا تنتهى أبداً.

قال تعالى: **﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾**(٢).. والاطمئنان أعظم أنواع السعادة ولا يتحصل ذلك إلا لمن عاش بقلبه وجوارحه مع ذكر الله (جلَّ وعلا).

* وذكر الله خمسة أنواع:

١- ذكر الله عند ورود الأمر.. وذلك بأن تمتثل أمر الله (عزَّ وجلَّ).

٢- ذكر الله عند ورود النهى.. وذلك بأن تنتهى عما نهى الله عنه.

٣- ذكر الله فى الأحوال والمناسبات.. عند دخول البيت وعند الخروج.. وعند رؤية الهلال وعند رؤية الريح.. إلى غير ذلك.

٤- ذكر الله المقيد بعدد.. كأن تقول دُبر كل صلاة: سبحان الله ثلاثًا وثلاثين والحمد لله ثلاثًا وثلاثين والله أكبر ثلاثًا وثلاثين... إلى آخر أنواعه.

٥- ذكر الله المطلق.. مصداقًا لقول الله تعالى: **﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا**

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٦٥٨٩) مسند المكثرين من الصحابة، والطبرانى فى الكبير والحاكم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٨٨٢).

(٢) سورة الرعد: الآية: (٢٨).

وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[١].

* وحسبُك أيها الأخ الحبيب أنك تفوز بمعية الله إذا كنت ذاكرًا لله (جلَّ وعلا) فقد قال تعالى: «**أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه، ذكرته فى نفسي، وإن ذكرنى فى ملإٍ، ذكرته فى ملإٍ خيرٍ منهم**»[٢].

- وإن أردت أن تُثقِّل ميزانك يوم القيامة فعليك بذكر الله. . .

قال ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الله: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»[٣].

- وقال ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكُتبت له مائة حسنة، ومُحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه**»[٤]، وقال ﷺ: «**من قال سبحان الله وبحمده، فى يوم مائة مرةٍ، حُطَّت خطاياه، وإن كانت مثل زبَد البحر**»[٥].

- وعتق الرقبة يحتاج لمائة ألف جنيه تقريبًا. . فإذا قلت هذا الذكر مائة: كنت كمن أعتق عشر رقاب - يعنى كأنك تصدقت بمليون جنيه - يا من تريد أن تربح مليونًا ها هو المليون تقدمه فى عشر دقائق. . وفوق ذلك يُكتب لك مائة حسنة وتُمحى عنك مائة سيئة ويكون ذلك الذكر حرزًا لك

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٩١).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٤٠٥) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٦٧٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٠٦) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٩٤) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٠٣) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٩١) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٠٥) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٩١) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

من الشيطان - بإذن الله -.

فالذكر من أفضل الأعمال التى تتقرب بها إلى الله تعالى.. قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟**» قالوا: بلى، قال: «**ذكر الله تعالى**»[١].

*** هل تريد نخلاً حول بيتك فى الجنة؟**

وإن أردت أن تغرس نخلاً حول بيتك فى الجنة فعليك بذكر الله فقد قال ﷺ: «**من قال سبحان الله العظيم وبحمده غُرست له بها نخلة فى الجنة**»[٢].

*** مليون حسنة بدعاء السوق:**

وها هى مليون حسنة تتحصل عليها بدعاء واحد أخبر عنه الحبيب ﷺ حيث قال: «**من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيى ويميت، وهو حى لا يموت بيده الخير، وهو على كل شىء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة، وبنى له بيتًا فى الجنة**»[٣].

- فأيهما أحب إلى قلبك: مليون حسنة أو ملايين الجنيهات؟

إنك قد تحتاج يوم القيام لحسنة واحدة لتدخل بها الجنة.. فها هى مليون حسنة نهديها إليك فى دقيقة واحدة.

---

١) صحيح: رواه الترمذى (٣٣٧٧) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٧٩٠) كتاب الأدب، وأحمد (٢١١٩٥) مسند الأنصار رضى الله عنهم، ومالك فى الموطأ (٤٩٠) كتاب النداء للصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٦٢٩).

٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٤٦٤) كتاب الدعوات، وابن حبان والحاكم وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٢٩).

٣) حسن: رواه الترمذى (٣٤٢٨) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٢٢٣٥) كتاب التجارات، والدارمى (٢٦٩٢) كتاب الاستئذان، وأحمد (٣٢٩) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٣١).

السؤال العاشر

أين أنت من بر الوالدين وصلة الأرحام؟

أخى الحبيب: ألا تريد أن تضمن بابًا من أبواب الجنة؟

تأمل معى قول الحبيب المصطفى ﷺ حيث يقول: **«الوالد أوسط أبواب الجنة»**[1]... ومن السهل أن تعرف إذا كنت بارًّا بوالديك أم لا وذلك بأن يموت الوالدان وهما فى غاية الرضا عنك.

- قال ﷺ: **«من سرَّه أن يُعظم الله رزقه وأن يمدَّ فى أجله فليصل رحمه»**[2].. وفى رواية البيهقى: **«فليبرَّ والديه وليصل رحمه»**[3].

- بل يخبر الحق (جلَّ وعلا) أن بر الوالدين سببٌ لقبول الأعمال والتجاوز عن السيئات فقد قال تعالى: **﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (15) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾**[4].

* فيا من تريد أن تربح المليون.. ها أنت بصلة الرحم وبر الوالدين يوسع الله لك رزقك ويبارك لك فى عمرك ويتقبل منك أعمالك ويتجاوز عن سيئاتك بل ويضمن لك أوسط أبواب للجنة.. فهل من مشمرٍ للجنة؟

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (١٩٠٠) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٣٦٦٣) كتاب الأدب، وأحمد (٢١٢١٠) مسند الأنصار رضى الله عنهم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧١٤٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٦٧) كتاب البيوع، ومسلم (٢٥٥٧) كتاب البر والصلة والآداب، وأحمد (١٢١٧٨) باقى مسند المكثرين، واللفظ له.

(٣) حسن لغيره: رواه البيهقى فى الشعب (٦/ ١٨٥، رقم ٧٨٥٥)، وأحمد (١٢٩٨٨) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٨٨)، وقال: حسن لغيره.

(٤) سورة الأحقاف: الآيتان: (١٥، ١٦).

السؤال الحادى عشر

أين أنت من عيادة المريض؟

وها نحن نقترب من نهاية رحلتنا للوصول إلى ملايين الحسنات ونعيم الجنات ورضوان رب الأرض والسموات (جلَّ وعلا) فأرجو ألا تنسوا وسائل المساعدة ألا وهى: إقامة التوحيد والإخلاص والمتابعة وحُسن الظن بالله.

- وهنا يأتى السؤال الحادى عشر: أين أنت من عيادة المريض؟

قال ﷺ: **«من عاد مريضًا أو زار أخًا له فى الله ناداه منادٍ: أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً»**(١).

وقال ﷺ: **«ما من مسلم يعود مسلمًا غُدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يُمسى وإن عاده عشيةً صلى عليه سبعون ألف ملكٍ حتى يصبح وكان له خَريف فى الجنة»**(٢).

* فأبشر أيها الأخ الحبيب بكل خير فإن الله (عزَّ وجلَّ) يسخر لك سبعين ألف ملك يصلون عليك بل وينادى منادٍ: أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً.. وفى الرواية الثانية: وكانَ له خريف فى الجنة: أى أنه يكون له ثمرٌ فى الجنة يغترف منه عندما يدخل الجنة.

* بل تأمل معى هذا الحديث:

قال ﷺ: **«إن الله عزَّ وجلَّ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى! قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أن عبدى فلانًا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عُدته لوجدتنى عنده؟ يا ابن آدم**

---

(١) حسن: رواه الترمذى (٢٠٠٨) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (١٤٤٣) كتاب ما جاء فى الجنائز، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٨٧).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٩٦٩) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع

استطعمتك فلم تطعمنى! قال: يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى! قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟! قال: استسقاك عبدى فلان فلم تسقه! أما علمت أنك لو سقيته وجدت ذلك عندى؟!»[1].

«يقول الله تعالى يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى» قال: كيف أعودك وأنت رب العالمين! يعنى: وأنت لست بحاجة إلىَّ حتى أعودك. قال: «أما علمت أن عبدى فلانًا مرض فلم تعده؟ أما إنك لو عدته لوجدتنى عنده» هذا الحديث ليس فيه إشكال فى قوله تعالى: «مرضت فلم تعدنى»؛ لأن الله تعالى يستحيل عليه المرض؛ لأن المرض صفة نقص، والله سبحانه وتعالى منزه عن كل نقص.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[2]لكن المراد بالمرض: مرض عبدٍ من عباده الصالحين، وأولياء الله سبحانه وتعالى هم خاصته.

ولهذا قال: «أما إنك لو عدته لوجدتنى عنده» ولم يقل: لوجدت ذلك عندى كما قال فى الطعام والشراب بل قال: «لوجدتنى عنده» وهذا يدل على قرب المريض من الله عزَّ وجلَّ ولهذا قال العلماء: إن المريض حَرِىٌّ بإجابة الدعاء إذا دعا لشخص أو دعا عليه، وفى هذا دليل على استحباب عيادة المريض، وأن الله سبحانه وتعالى عند المريض وعند من عاده، لقوله: «لوجدتنى عنده»[3].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) سورة الصافات: الآية: (١٨٠).

(٣) شرح رياض الصالحين/ للشيخ ابن عثيمين (رحمه الله) [٢/ ١١٧١-١١٧٢] بتصرف.

السؤال الثانى عشر

أين أنت من اتباع الجنائز؟

وما زالت الحسنات تتوالى حتى صارت كالجبال... وهنا يأتى السؤال الثانى عشر: أين أنت من اتباع الجنائز؟

قال ﷺ: **«من اتبع جنازة مسلم إيمانًا واحتسابًا وكان معها حتى يصلى عليها، ويفرغ من دفنها؛ فإنه يرجعُ من الأجر بقيراطَين، كل قيراط مثل أُحد، ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تُدفن؛ فإنه يرجع بقيراط من الأجر»**(١).

* فيا أيها الأخ الحبيب.. يا من تبحث عن المليون.. ها هما جبلان من الحسنات تستطيع أن تحصل عليهما - بإذن الله - فى ساعة من ليلٍ أو نهار... فالحمد لله على نعمه التى لا تُعد ولا تُحصى **﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾**(٢).

السؤال الثالث عشر

أين أنت من الحجاب؟

وهذا السؤال خاص بأخواتى المؤمنات - اسأل الله أن يبارك فيهن - أين أنت من الحجاب؟ يا بنت خديجة وأسماء وعائشة وصفية.. أين أنت من الحجاب أيتها الزهرة التقية النقية التى غُرست فى حقل الإسلام وسقُيت بماء الوحى؟

قال ﷺ: **«صنفان من أهل النار لم أرهما - وذكر منهما - ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البُخت المائلة لا يدخلن الجنة**

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٧) كتاب الإيمان، ومسلم (٩٤٥) كتاب الجنائز.

(٢) سورة إبراهيم: الآية: (٣٤).

ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[١].

إذن فالحـجاب وقاية من عذاب النار. . . فـيا أيتهـا الأخت الفاضلة كم يساوى عندك النجاة من النار؟

إن العزيز الغـفار (جلَّ وعلا) يقول فى كـتابه: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[٢]، أختاه: أسألك بالله (جلَّ وعلا) أن تعاهدى الله الآن على أن تلبسى حجابك لتكونى - إن شاء الله - فى الجنة مع أمـهـات المؤمنين وبنات النبى الأمـين ﷺ وصـالح نسـاء المؤمنين.

السؤال الرابع عشر

أين أنت من طلب العلم؟

ولأن الدعوة الآن فرض عين على كل مسلم. . وما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب. . فطلب العلم واجب علينا.

قال ﷺ: **«طلب العلم فريضة على كل مسلم»[٣].**

وقال ﷺ: **«من يُرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين»[٤].**

وقال ﷺ: **«من سلك طريقًا يبتغى فيـه علمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنة وإن الملائكة لتـضع أجنحتهـا رضًا لطالب العلم وإن العـالم ليسـتغفـر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء وفضل العالم على العابد كفضل**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢١٢٨) كتاب اللباس والزينة.

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٨٥).

(٣) صحيح: رواه البيهقى فى شـعب الإيمان وابن عدى، والطبرانى فى الأوسط (١/ ٧، رقم ٩)، وفى الصغير (١/ ٣٦، رقم ٢٢)، وأبو نعيم فى الحلية (٨/ ٣٢٣)، وصحـحه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٩١٣).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٧١) كتاب العلم، ومسلم (١٠٣٧) كتاب الزكاة.

القمر على سائر الكواكب، إن العلمـاء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهمًا إنما ورَّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر» (١).

- بل دعا النبى ﷺ لمن انشغل بطلب العلم فقال ﷺ : **«نضَّر الله امرءًا سمع مقالتى فوعاها وحفظها وبلَّغها فرُب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»** (٢).

- وأخبـر النبى ﷺ أن عمل الإنســان ينقطع بعد مـوته إلا من ثلاث فقال ﷺ : **«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٍ جارية أو علمٍ يُنتفع به أو ولدٍ صالح يدعو له»** (٣).

- ولا أجِـد تعليقًـا على تلك الكلمـات التى خرجت من فم الصــادق المصدوق ﷺ إلا أن أذكـر كلمات على بن أبى طالب رضي الله عنه حينمـا قال: العلم خيرٌ من المال فالعلم يحرسك وأنت تحرس المال.

- إن العلم يخلِّد ذكر صاحبه أما المال فـلا يُخلد ذكر أحد فنحن جميعًا نعرف الإمام البـخارى ومسلمًا وأحـمد ومالكًا والشافـعى ولكن هل نعرف واحدًا من الأغنياء الذين كانوا يعيشون فى عصرهم؟ والجواب: لا.. وذلك لأن العلم خلَّد ذكر هؤلاء الأعلام.

- فيا من تبحث عن المليون... والله لو جمعت الدنيا كلها فلن ينفعك إلا عملك الصالح وإلا إذا استعملت هذا المال فى طاعة الله وفى نُصرة دين الله (جلَّ وعلا).

* * *

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٦٤١) كتاب العلم، والترمـذى (٢٦٨٢) كتاب العلم، وابن ماجه (٢٢٣) فى مقدمة سننه، وأحمد (٢١٢٠٨) مسند الأنصار رضى الله عنهم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٩٧).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٢٣٦) فى مقدمة سننه، وأحمـد (١٢٩٣٧) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٧٦٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١) كتاب الوصية.

السؤال الخامس عشر

أين أنت من الدعوة إلى الله؟

وها هو السؤال الأخير فى رحلتنا المباركة نحو ملايين الحسنات والفوز بالجنات ورضوان رب الأرض والسموات.

- إن كل الأسئلة التى مضت كانت تمهيدًا لنا لنستشعر المسئولية الغالية نحو هذا الدين العظيم لنقوم جميعًا وننفض غبار الغفلة ونحمل راية الإسلام ونرفعها خفاقة عالية ليعلم الكون كله أن محمدًا ﷺ ترك خلفه رجالاً أطهارًا يحملون هم هذا الدين ويبذلون من أجله الغالى والنفيس ويستعذبون العذاب فى سبيل رفع راية لا إله إلا الله.

إنه السؤال الأخير الذى أسأل الله (جلَّ وعلا) أن يجد قلوبًا واعية تشعر بالمحنة التى تعيشها الأمة عسى أن يتحرك الكل لتبليغ شرع الله وسُنَّة رسول الله ﷺ للكون كله.. كما قال ربعى بن عامر رضي الله عنه لرستم قائد جيوش الفرس حينما سأله: من أنتم وما الذى جاء بكم إلى هنا؟ فقال ربعى بلسان العزة: نحن قومٌ ابتعثنا الله لنُخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٢).

---

(١) سورة فصلت: الآية: (٣٣).

(٢) سورة يوسف: الآية: (١٠٨).

وقال ﷺ :«من دعـا إلى هُدى كان له من الأجـر مثل أجـور من تبعـه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا...» (١)

- وحسبُك (والله) هذا الحديث فإنك إن دعوت إلى الله فكل من اتبعك يكون عمله فـى ميزان حـسناتك يوم القيامـة. . فهل هذا أفـضل أم ملايين الدولارات التى ستتركها لا محالة إما بالفقر أو الموت ثم تحاسَب عليها؟

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:«وتبليغ سنته ﷺ إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام نحـو العدو؛ لأن تبليغ السهام يفعله كثـير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا يقوم به إلا ورثة الأنبيـاء، وخُلفاؤهم فى أممهم، جعلنا الله تعالى منهم بمنِّه وكرمه» (٢). اهـ.

- وحسـبُك أيها الأخ الحبـيب أن تعيش بقلبك مع تلك الـكلمات التى خرجت من فم الصادق المصدوق ﷺ حيث يقول: **«إن الله وملائكته حتى النملة فى جُحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على مُعلم الناس الخير»** (٣).

إلى من يبحث عن المليون

أخى الحبيب: يا من تبحث عن المليون. . اعلم علم اليقين أن الإنسان لو امتلك الكون كله ولم يؤمن بالله (جل وعلا) فسـوف ينسى كل نعيم بغمسة واحدة فى نار جهنم. . وأن الإنسان لو لـم يمـتلك إلا قوت يومه وكان قلبه موصولاً بالله فسوف ينسى كل شقـاء مع أول غمسة فى جنة الرحمن (جلَّ وعلا) كما أخبر بذلك الحبيب ﷺ حيث قال: **«يُؤتَى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيـامة، فيُصـبغ فى جهنم صبغـة، ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيت**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٤) كتاب العلم.

(٢) التفسير القيم (ص: ٤٣١).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٦٨٥) كتاب العلم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٢١٣).

خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب ويؤتَى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ فى الجنة صبغةً، فيقال له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ما مر بى بؤس قط، ولا رأيت شدة قط».

*** وأخيراً تأمل معى هذين الحديثين:**

وأخيراً: أوصيك - أخى الحبيب - أن تقرأ كثيراً عن النعيم الذى أعده الله لك فى الجنة إذا حققت العبودية لله وعشت على هدى رسول الله ﷺ . . . . فلقد أخبر النبى ﷺ عن نعيمْ أدنى أهل الجنة وآخر من يدخل الجنة فقال ﷺ : **«سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجىء بعدما أُدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة فيقول: أى رب. كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟، فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال فى الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك، فيقول: رضيت رب، قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر»**[1].

- فهذا عن وصف حال أدنى أهل الجنة منزلة يوم القيامة. . . أما عن حال آخر من يدخل الجنة فلقد أخبرنا عنه النبى ﷺ ، كما فى الحديث الذى رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذى نجانى منك، لقد أعطانى الله شيئًا ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين، فتُرفع له شجرة، فيقول: أى رب ادننى من هذه الشجرة،**

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٩) كتاب الإيمان.

فلأستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله عزَّ وجلَّ: يا ابن آدم لعلى إن أعطيتكها سألتنى غيرها، فيقول: لا يا رب ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها. ثم تُرفع له شجرة هى أحسن من الأولى، فيقول: أى رب ادننى من هذه لأشرب من مائها، وأستظل بظلها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدنى أنك لا تسألنى غيرها؟ فيقول: لعلى إن أدنيتك منها تسألنى غيرها؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم تُرفع له شجرة عند باب الجنة هى أحسن من الأوليين، فيقول: أى رب ادننى من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها؟ قال: بلى يا رب، هذه لا أسألك غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أى رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما يُصرينى منك؟ - والمعنى أى شىء يرضيك ويقطع السؤال بينى وبينك - أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا رب أتستهزئ منى وأنت رب العالمين، فضحك ابن مسعود، فقال: ألا تسألونى مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ، فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: «من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ بى وأنت رب العالمين؟ فيقول: إنى لا أستهزئ منك ولكنى على ما أشاء قادر»[1].

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٧١) كتاب الرقاق، ومسلم (١٨٧) كتاب الإيمان، واللفظ له.

من سيربح الفردوس؟

فإذا علمت هذا فتعال لنغير هذا الاسم (من سيربح المليون؟) ونجعله (من سيربح الفردوس؟)، فلقد أوصانا النبي ﷺ أن نسأل الله الفردوس الأعلى فقال ﷺ : **«إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجَّر أنهار الجنة»**[١].

- أسأل الله (جلَّ وعلا) أن يجمعنا جميعًا مع الحبيب المصطفى ﷺ في الفردوس الأعلى من الجنة.. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كما أسأله (تعالى) أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي يوم أُدرج في أكفاني.

وصلى الله على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

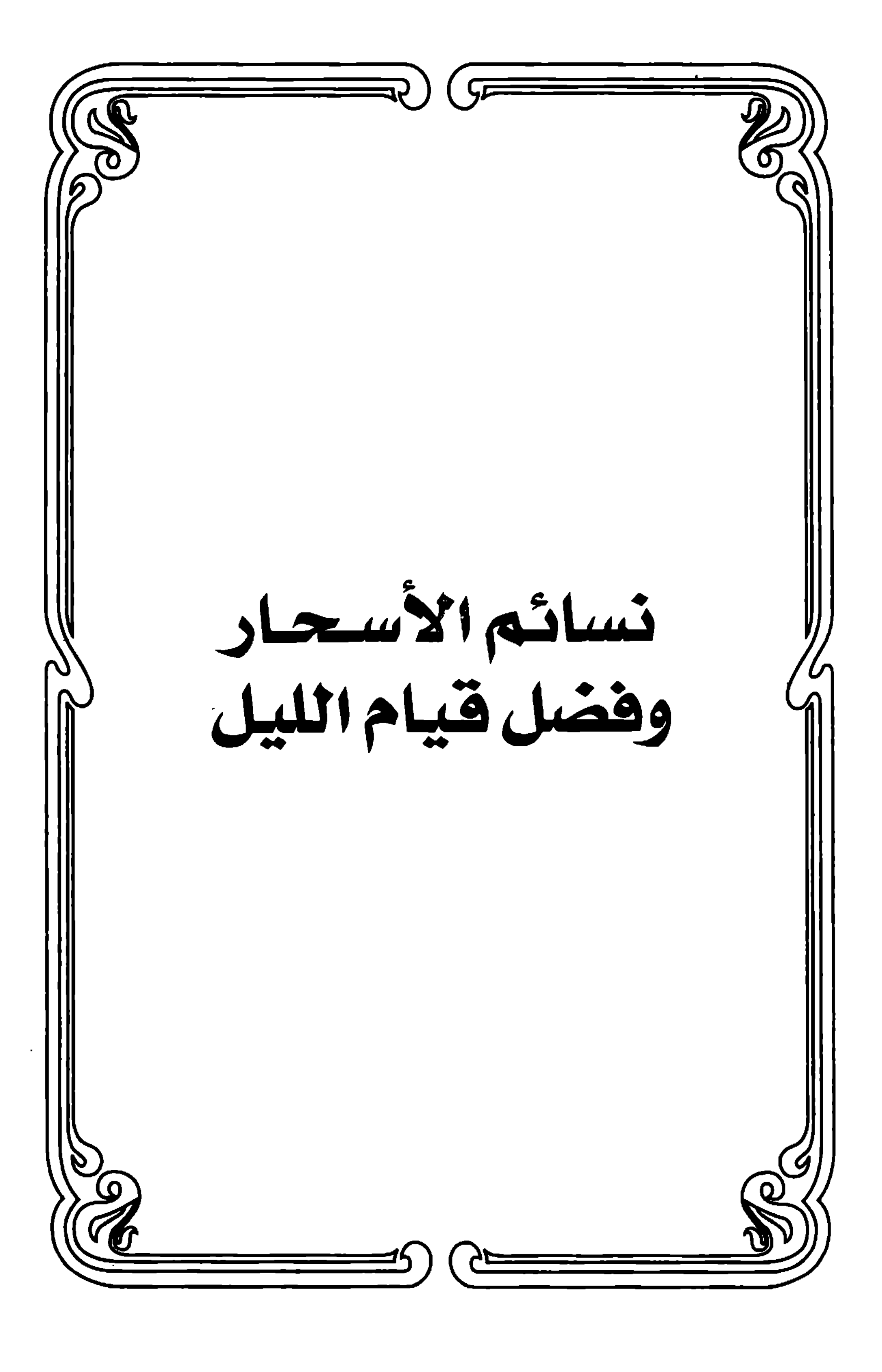
الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصري

(أبو عمار)

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٧٩٠) كتاب الجهاد والسير.



نسائم الأسحار
وفضل قيام الليل

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٣).

أما بعد:

* لما عرف الصالحون قدر الحياة أماتوا فيها الهوى فعاشوا... انتهبوا بأكُفّ الجد، ما قد نثرته أيدى البطالين، ثم تخايلوا القيامة، فاحتقروا الأعمال فماتت قلوبهم بالمخافة، فاشتاقت إليهم الجوامد، فالجذع يحن إلى الرسول ﷺ و«إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: على وعمار وسلمان»(٤)... أنفوا من مزاحمة الخلق

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

(٤) حسن: رواه الترمذى (٣٧٩٧) كتاب المناقب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٥٩٨).

في أسواق الهـوى، وقوى شوقـهم فلم يحتملوا حـصر الديار. فخـرجوا إلى فضاء العزِّ في صحراء التقوى، وضربوا مخيم الجد في ساحة المجد [١].

أخي الحبيب: أما علـمت أنك في ميـدان السباق الحـقيـقي الذي لطالما تسابق فيه أهل الإيمان والتقوى لما سمعوا قول الحق (جلَّ وعلا): ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٢].

وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [٣]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [٤].

فمـا كان منهم إلا أن أسهـروا ليلهم وأظمأوا نهـارهم بالقيام والصـيام ليظفروا بالمغفرة والرحمة والرضوان.

أخي الحبيب: إن عمرك هو كنـزك الحقيقي فلا تدع لحظـة تمر من عمرك بغير فائدة تعود عليك في دينك أو دنياك.

قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» [٥].

وقال رسـول الله ﷺ: «بادروا بالأعمـال الصالحـة، فستكون فـتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسى كافرًا ويمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا» [٦].

* ولما كانت النوافل من أعظم الأسباب التي يتوصل بها العبد إلى الفوز بمحبـة الله (جلَّ وعلا) وذلك لقـوله تعالى: «ومـا يزال عبـدي يتقـرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه...» [٧].

---

(١) اللطف في المواعظ/ لابن الجوزي (ص: ٥٠).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٣٣).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٤٨).

(٤) سورة العنكبوت: الآية: (٦٩).

(٥) صحيح: رواه البخاري (٦٤١٢) كتاب الرقاق.

(٦) صحيح: رواه مسلم (١١٨) كتاب الإيمان.

(٧) صحيح: رواه البخاري (٦٥٠٢) كتاب الرقاق.

ولما كان قيام الليل من أعظم النوافل التى تُحيى القلوب وتُزكى النفوس.. كان لا بد أن نقف وقفة صادقة لنعلم قدر هذه العبادة ولنتساءل مع أنفسنا ونقول: ما الذى حال بيننا وبين قيام الليل؟!... وما السبيل إلى المداومة عليه بقلوبنا وجوارحنا؟

* **والجواب يكمن فى ثلاثة أشياء ألا وهى:**

١- أن نحب الله (جلّ وعلا) حبًّا صادقًا يجعل القلب يشتاق لسماع كلامه ويجعل الجوارح تشتاق للوقوف بين يديه.

٢- وأن نكون على يقين باليوم الآخر بكل ما فيه من نعيم وعذاب.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: للعبد بين يدى الله موقفان: موقف بين يديه فى الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه فمن قام بحق الموقف الأول هوَّن عليه الموقف الآخر ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفِّه حقه شدد عليه ذلك الموقف. قال تعالى: **﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً (٢٦) إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً﴾**(١). اهـ.

٣- وأخيرًا يجب أن نأخذ بالأسباب التى تُعين على قيام الليل. فاسأل الله (جلّ وعلا) أن يرزقنى وإياكم نعمة القيام بين يديه فى جوف الليل عسى الله أن يغفر الذنوب ويستر العيوب - إنه ولى ذلك والقادر عليه -.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه
الفقير إلى عفو الرحيم الغفار
محمود المصرى
(أبو عمار)

---

(١) سورة الإنسان: الآيتان: (٢٦-٢٧).

إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحدٌ فافعل

قال الحسن (رحمه الله): «من نافسك فى دينك فنافسه، ومن نافسك فى دنياك فألقها فى نحره».

* وقال وهيب بن الورد: «إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل».

* وقال بعض السلف: «لو أن رجلاً سمع برجل أطوع لله منه، فانصدع قلبه فمات لم يكن ذلك بعجب».

* فتعالوا بنا لنتعايش مع بعض الآيات التى تحث على قيام الليل.

يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ① قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ② نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ③ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ④ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ⑤ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ⑥ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً ⑦ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾[1].

* عن أبى عبد الرحمن السلمى: لما نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ① قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ قام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً - عامًا - حتى انتفخت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ حتى بلغ ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾.

إنها دعوة السماء

قال صاحب الظلال - رحمه الله -:

{«قيل لرسول الله ﷺ «قم» فقام.. وظل قائمًا بعدها أكثر من

---

(١) سورة المزمل: الآيات: (١-٨).

عشرين عـامًا لم يسترح.. ولم يسكن ولم يعش لنفسه ولا لأهله... قام وظل قائمًا على دعوة الله.

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ﴾... إنها دعوة السماء.. وصوت الكبير المتعال. قم للأمر العظيم الذى ينتظرك والعبء الثقيل المهيأ لك.. قم للجهد والتعب والكد والتعبد. قم فقد مضى عهد النوم والراحة.. قم فتهيأ للأمر واستعد.

وإنها لكلمـة عظيمـة رهيبة تنتـزعه ﷺ من دفء الفـراش فى البيت الهادئ والحـضن الدافئ.. لتدفع به فى الخـضم.. بين الزعازع والأنواء.. وبين الشد والجذب في ضمائر الناس وفى واقع الحياة سواء.

إن الذى يعيش لنفسه قد يعيش مستـريحًا ولكنه يعيش صغـيرًا ويموت صغيرًا... فأما الكبير الذى يحمل هذا العبء الكبير فما له والنوم؟ وما له والراحـة؟ وما له والفـراش الدافئ؟ والعيش الهـادى؟ والمتاع المريح؟ ولـقد عرف رسول الله ﷺ حقيقة الأمـر وقدره فقال لخديجة ﵂ وهى تدعوه أن يطمئن وينام «مضى عهد النوم يا خديجة».

هذا هو الزاد للقيام بأعباء الدعوة

قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾(١).

قال صاحب الظلال - رحمه الله -:

هو هذا القرآن وما وراءه من التكاليف... والقـرآن فى مبناه ليس ثقيلاً فهو ميسرٌ للذكـر ولكنه ثقيل فى ميزان الحق، ثقيل فى أثره فى القلب ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾(٢) فأنزله الله على قلب أثبت من الجبل يتلقاه.

---

(١) سورة المزمل: الآية: (٥).

(٢) سورة الحشر: الآية: (٢١).

وإن قيام الليل والناس نيام، والانقطاع عن غبش الحياة اليومية... والاتصال بالله وتلقى فيضه ونوره.. والأنس بالوحدة معه.. والخلوة إليه.. وترتيل القرآن والكون ساكن، وكأنما هو ينزل من الملأ الأعلى وتتجاوب به أرجاء الوجود فى لحظة الترتيل بلا لفظ بشرى ولا عبارة، واستقبال اشعاعاته وإيحاءاته، وإيقاعاته فى الليل الساجى.

إن هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل والعبء الباهظ والجهد المرير الذى ينتظر الرسول ﷺ، وينتظر من يدعو بهذه الدعوة فى كل جيل، وينير القلب فى الطريق الشاق الطويل ويعصمه من وسوسة الشيطان، ومن التيه فى الظلمات الحافة بهذا الطريق المنير. اهـ[1].

تتجافى جنوبهم عن المضاجع

قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

قال أبو عبيدة فى «مجاز القرآن»: أى: ترتفع عنها وتتنحى لأنهم يصلون بالليل.

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «صلاة الأوابين الخلوة التى بين المغرب والعشاء حتى تثوب الناس إلى الصلاة» وإن من الدعاء المستجاب الذى لا يُرد الدعاء بين المغرب والعشاء» اهـ.

* * *

(١) فى ظلال القرآن (٦/ ٣٧٤٥).

(٢) سورة السجدة: الآيتان: (١٦-١٧).

فلا تعلم نفسٌ ما أُخفى لهم من قرة أعين

قال تعالى: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١).

قال ابن عباس: الأمر فى هذا أجلُّ وأعظم من أن يُعرف تفسيره. . . قال القرطبى: «قلت: وهذه الكرامة إنما هى لأعلى أهل الجنة منزلاً كما جاء مبينًا فى صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة رفعه إلى رسول الله ﷺ.

قال: «سأل موسى عليه السلام ربه فقال: يا رب، ما أدنى أهل الجنة منزلة؟، قال: هو رجل يجىء بعد ما يدخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أى رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال فى الخامسة: رضيت رب فيقول: لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول: رضيت رب.

قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى، وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر» - قال - ومصداقه من كتاب الله قوله تعالى: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢) وقال رسول الله ﷺ: «يقول الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» (٣).

* قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله:

[تأمل كيف قَابَلَ ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذى أخفاه لهم مما لا

---

(١) سورة السجدة: الآية: (١٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٨٩) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم، حين يقوموا إلى صلاة الليل بقُرة الأعين فى الجنة]. اهـ.

وبالأسحار هم يستغفرون

قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(١).

قال الأحنف بن قيس: «كانوا لا ينامون إلا قليلاً».

وقال: «عرضت عملى على أعمال أهل الجنة فإذا قومٌ قد باينونا بونًا بعيدًا لا نبلغ أعمالهم» «كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون». . . وقال القشيرى: «ينزلون أنفسهم فى الأسحار منزلة العاصين فيستغفرون استصغاراً لقدرهم واستحقاراً لفعلهم».

* وقال أبو السعود: فى قوله تعالى: ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ «أى هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار فى الأسحار كأنهم أسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم».

والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾(٢).

قال القاسمى رحمه الله:

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ﴾ إشارة إلى الإخلاص فى أدائها وابتغاء وجهه الكريم لما أن ذلك هو الذى يستتبع أثرها من العمل الصالح وفعل الخير وحفظ حدود الله».

---

(١) سورة الذاريات: الآيتان: (١٧، ١٨).

(٢) سورة الفرقان: الآية: (٦٤).

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾[١] يجتهدون غاية الاجتهاد ويستفرغون نهاية الوسع، وعند السؤال ينزلون منزلة العصاة ويقفون موقف أهل الاعتذار.

والظاهر أنه وصف لهم بإحياء الليل أو أكثره... يقال فلان يظل صائمًا ويبيت قائمًا، وصفهم بإحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه إيذانًا بأنهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون إلى الله فى صرف العذاب عنهم كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ...﴾[٢].

ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا

قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[٣].

قال الطبرى - رحمه الله -:

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ومن الليل فاسهر بعد نومة يا محمد بالقرآن نافلة لك خالصة دون أمتك.

والتهجد: التيقظ بعد رقدة فصار اسمًا للصلاة لأنه ينتبه لها. قال الحجاج بن عمرو صاحب النبى ﷺ: «أيحسب أحدكم إذا قام من الليل كله أنه قد تهجد، إنما التهجد الصلاة بعد رقدة ثم الصلاة بعد رقدة ثم الصلاة بعد رقدة، كذلك كانت صلاة رسول الله ﷺ»[٤].

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾.

---

(١) سورة الفرقان: الآية: (٦٥).

(٢) سورة المؤمنون: الآية: (٦٠).

(٣) سورة الإسراء: الآية: (٧٩).

(٤) حسنه الحافظ ابن حجر فى تلخيص الحبير (٢/ ٢٤).

* قال ابن جرير: [«عسى من الله واجبة ثم قال:

قال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذى يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم] اهـ.

* قال صاحب الظلال: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ بهذه الصلاة وبهذا القرآن والتهجد به وبهذه الصلة الدائمة بالله فهذا هو الطريق المؤدى إلى المقام المحمود، وإذا كان الرسول ﷺ يؤمر بالصلاة والتهجد والقرآن ليبعثه ربه المقام المحمود المأذون له به وهو المصطفى المختار فما أحوج الآخرين إلى هذه الوسائل لينالوا المقام المأذون لهم به فى درجاتهم فهذا هو الطريق وهذا هو زاد الطريق» اهـ.

ليسوا سواء

قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾[١] .

* «عن ابن مسعود قال: أخَّر رسول الله ﷺ صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة. قال: «أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم قال: وأنزل الله هذه الآيات ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ حتى بلغ ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾[٢] .

* * *

(١) سورة آل عمران: الآية: (١١٣).

(٢) رواه أحمد (٣٧٥١) مسند المكثرين من الصحابة، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره وهذا إسناد حسن.

من أحب أن يُهون الله عليه طول الوقوف يوم القيامة فليره الله فى ظلمة الليل ساجداً وقائماً

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾[1] .

* ﴿أَمَّنْ﴾ قرأها الحسن وأبو عمرو وعاصم والكسائى بالتشديد.

وقرأ نافع وابن كثير ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة: «أَمَن هو» بالتخفيف على معنى النداء كأنه قال: يا من هو قانت.

قال ابن عمر: هو عثمان رضي الله عنه.

وقال مقاتل: إنه عمار بن ياسر.

وقال يحيى بن سلام: إنه الرسول صلى الله عليه وسلم.

* قال ابن عباس: من أحب أن يهون الله عليه طول الوقوف يوم القيامة فليره الله فى ظلمة الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة.

* قوله: ﴿يَحْذَرُ الآخِرَةَ﴾ قال ابن عباس: يحذر عقاب الآخرة. قال سعيد بن جبير: أى: عذاب الآخرة.

﴿وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ عن ابن عباس: «يرجو أن يرحمه الله فيدخله الجنة».

سيماهم فى وجوههم من أثر السجود

قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[2] .

قال القرطبى - رحمه الله -: «السيما»: العلامة أى: لاحت علامات التهجد بالليل وأمارات السهر. قال شِمر بن عطية: هو صفرة الوجه من قيام الليل.

---

١) سورة الزمر: الآية: (٩).

٢) سورة الفتح: الآية: (٢٩).

وقال الحسن: إذا رأيتهم حسبتهم مـرضى وما هم بمرضى. وقال سفيان الثورى: يصلون بالليل فإذا أصبحوا رؤى ذلك فى وجوههم.

فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب

قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾[١].

* قال القرطبى: [قال ابن مسعود: إذا فرغت من الفرائض فانصب فى قيام الليل].

والمستغفرين بالأسحار

قال تعـالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾[٢].

قال مجاهد وقتادة والكلبى: أى المصلين بالأسحار.

وقال الحسن رحمه الله: مدّوا الصلاة إلى السحر ثم استغفروا... وقال أيضًا: «كانوا يصـلون فى أول الليل حتى إذا كان السحـر أخذوا فى الدعاء والاستغفار».

* وقال آخرون: هم المستغـفرون وذلك قول ابن مسعـود وأسند رحمه الله إلى نافع أن ابن عمـر كان يحيى الليـل صلاة ثم يقول: يا نافع هل أسـحرنا؟ فيقول: لا، فيعاود الصلاة، فإذا قلت: نعم، قعد يستغفر ويدعو حتى يصبح.

وتخصيص الأسحار بالاستغفار؛ لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة، إذ العبادة حينئذ أشق، والنفس أصفى، والروح أجمع لا سيما للمتهجدين.

* * *

---

(١) سورة الشرح: الآيتان: (٧-٨).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٧).

وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذَّكَّر

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾(١).

قال عمر بن الخطاب وابن عباس والحسن ﷺ: معناه من فاته شىء من خير بالليل أدركه بالنهار ومن فاته بالنهار أدركه بالليل.

وقال أبو عُبيدة: الخلفة كل شىء بعد شىء وكل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه.

* [«روى ابن أبى الدنيا بإسناده عن مالك بن دينار قال: كان عيسى عليه السلام يقول: إن هذا الليل والنهار خزانتان فانظروا ما تضعون فيهما... وكان يقول: اعملوا الليل لما خُلق له، واعملوا النهار لما خلق له.

وعن الحسن أنه كان يقول يا ابن آدم اليوم ضيفك، والضيف مرتحل يحمدك أو يذمك وكذلك ليلتك.

وبإسناده عن بكر المزنى أنه قال: «ما من يوم أخرجه الله إلى أهل الدنيا إلا ينادى: ابن آدم اغتنمنى لعله لا يوم لك بعدى، ولا ليلة إلا تنادى ابن آدم اغتنمنى لعله لا ليلة لك بعدى.

ملك يستغفر للعبد إذا نام طاهراً

* قال ﷺ: «ما من مسلم يبيت على ذكر طاهراً فيتعار من الليل، فيسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه»(٢).

---

(١) سورة الفرقان: الآية: (٦٢).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥٠٤٢) كتاب الأدب، وابن ماجه (٣٨٨١) كتاب الدعاء، وأحمد (٢١٥٤٣) مسند الأنصار رضى الله عنهم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٥٤).

* وقال ﷺ : «طهروا هذه الأجساد، طهركم الله، فإنه ليس من عبد يبيت طاهراً إلا بات معه فى شعاره ملك، لا يتقلب ساعة من الليل إلا قال: اللهم اغفر لعبدك، فإنه بات طاهراً»(١).

وقال ﷺ : «من بات طاهراً بات فى شعاره مَلَكٌ فلا يستيقظُ إلا قال الملكُ: اللهم اغفر لعبدك فلان، فإنه بات طاهراً»(٢).

الشعار: ما يلى البدن من ثوب وغيره.

أجر عظيم لمن نوى قيام الليل

* قال رسول الله ﷺ : «ما من عبد يحدث نفسه بقيام ساعة من الليل فينامُ عنها، إلا كان نومُه صدقة تصدق الله بها عليه وكتب له أجر ما نوى»(٣).

* وقال ﷺ : «ما من امرئٍ يكون له صلاة بليل، فيغلبه عليها نوم إلا كتب الله له أجر صلاته، وكان نومه عليه صدقة»(٤).

الموت على الفطرة

قال رسول الله ﷺ : «إذا أتيت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل اللهم إنى أسلمت نفسى إليك، ووجهت وجهى إليك، وفوضت أمرى إليك، وألجأت ظهرى إليك، رغبة ورهبة إليك، لا

---

(١) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير (١٢/٤٤٦ ، رقم ١٣٦٢٠)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٩٣٦).

(٢) حسن لغيره: رواه ابن حبان (٣/٣٢٨، رقم ١٠٥١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٥٩٧)، وقال: حسن لغيره.

(٣) صحيح: رواه ابن حبان (٦/٣٢٣، رقم ٢٥٨٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٦٠٢).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (١٣١٤) كتاب الصلاة، والنسائى (١٧٨٤) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، وأحمد (٢٣٩٢٠) باقى مسند الأنصار ، ومالك فى الموطأ (٢٥٧) كتاب النداء للصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٩١).

ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذى أنزلت وبنبيك الذى أرسلت، فإن مِت مت على الفطرة واجعلهن آخر ما تقول»[(١)].

لا يقربك شيطان حتى تصبح

وفى حديث أبى هريرة ﷺ أنه لما قال له الشيطان: «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حتى تختمها، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبى ﷺ : «صدقك وهو كذوب»[(٢)].

* فلنحرص على قراءة آية الكرسى كل ليلة عند النوم.

دعاء مستجاب وصلاة مقبولة

* عن عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ قال: {«من تعار من الليل فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير، الحمد لله، وسبحان الله ولا إله إلا الله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: «اللهم اغفر لى»، أو دعا استُجيب له فإن توضأ ثم صلى قُبلت صلاته»}[(٣)].

* وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا استيقظ أحدكم فليقل: الحمد لله الذى رد علىَّ روحى، وعافانى فى جسدى، وأذن لى بذكره»[(٤)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣١١) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧١٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٢٧٥) كتاب بدء الخلق.

(٣) صحيح: رواه البخارى (١١٥٤) كتاب الجمعة.

(٤) حسن: رواه الترمذى (٣٤٠١) كتاب الدعوات وابن السنى، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٢٩) (٧١٦).

الترغيب فى قيام الليل من السنة المطهرة

وها هى باقة عطرة من أحاديث النبى ﷺ التى توضح فضل قيام الليل وتحث عليه.

* قال ﷺ: **«أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»**[(١)].

* **قال النووى رحمه الله:** قوله ﷺ: **«وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»**. فيه دليل لما اتفق العلماء عليه أن تطوع الليل أفضل من تطوع النهار.

* **وعن عبد الله بن سلام** رضي الله عنه **قال:** أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة، انجفل الناس إليه فكنتُ فيمن جاءه، فلما تأملتُ وجهه، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، قال: فكان أول ما سمعت من كلامه أن قال: **«أيها الناس! أفشُوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلُوا الأرحام، وصَلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»**[(٢)].

* **غرف الجنة لأهل القيام:**

* قال ﷺ: **«إن فى الجنة غُرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنُها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام وأفشى السلام وصلى بالليل والناس نيام»**[(٣)].

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (١١٦٣) كتاب الصيام.

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذى (٢٤٨٥) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (١٣٣٤) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، والدارمى (١٤٦٠) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٨٦٥).

(٣) حسن: رواه أحمد (٢٢٣٩٨) باقى مسند الأنصار، والترمذى وابن حبان، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١٢٣).

قيام الليل هو الزاد للقيام بالتكاليف

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١).
وقال ﷺ: «الصلاة خير موضوع فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر» (٢).
قال صاحب الظلال (رحمه الله): وإن الله سبحانه حينما انتدب محمداً ﷺ للدور الكبير الشاق الثقيل قال له: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ۝ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ۝ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ (٣) فكان الإعداد للقول الثقيل والتكليف الشاق والدور العظيم هو قيام الليل وترتيل القرآن، إنها العبادة التى تفتح القلب، وتوثق الصلة، وتيسر الأمر، وتشرق بالنور، وتفيض بالعزاء والسلوى والراحة والاطمئنان. . . ومن ثم يوجه الله المؤمنين هنا وهم على أبواب المشقات العظام إلى الصبر والصلاة». اهـ(٤).

وقال محمد الراشد (حفظه الله): «وسجود المحراب واستغفار الأسحار ودموع المناجاة: سيماء يحتكرها المؤمنون. . ولئن توهم الدنيوى جناته فى الدينار، والنساء والقصر المنيف فإن جنة المؤمن فى محرابه». اهـ.

من كان يصلى بالليل فنعم الرجل

* ففى الصحيحين عن ابن عمر قال: «كان الرجلُ فى حياة رسول الله ﷺ إذا رأى رُؤيَا قصها على رسول الله ﷺ فتمنيتُ أن أرى رُؤيا أقصها على النبى ﷺ قال: وكنت غلامًا شابًّا عزبًا وكنتُ أنامُ فى المسجد

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٥٣).
(٢) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط (١/ ٨٤ ، رقم ٢٤٣)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٨٧٠).
(٣) سورة المزمل: الآية: (١-٥).
(٤) فى ظلال القرآن (٦/ ٣٧٤٤).

على عهد رسول الله ﷺ فرأيتُ فى النوم كأن ملكين أخذانى فذهبا بى إلى النار[١] فإذا هى مطوية[٢] كطى البئر، وإذا لها قرنان كقرنى البئر[٣]، وإذا فيها ناسٌ قد عرفتهم فجعلت أقول أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، قال: فلقيهما مَلَكٌ فقال لى: لم تُرع[٤]، فقصصتُها على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال النبى ﷺ: «**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل**»[٥].

قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً.

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح: «شاهد الترجمة قوله: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل» فمقتضاه أن من كان يصلى من الليل يوصف بكونه نعم الرجل.

«وفى هذا الحديث أن قيام الليل يدفع العذاب». اهـ.

(فائدة): قال القرطبى: «إنما فسر الشارع من رؤيا عبد الله ما هو ممدوح لأنه عُرض على النار ثم عوفى منها، وقيل له: لا روع عليك وذلك لصلاحه، غير أنه لم يكن يقوم من الليل فحصل لعبد الله من ذلك تنبيه على أن قيام الليل مما يتقى به النار والدنو منها فلذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك».

وعن عبد الله بن أبى قيس قال: قالت عائشة: «**لا تدع قيام الليل فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعدًا**»[٦].

---

(١) التقدير: أن يذهبا بى إلى النار فيدخلانى فيها فلما نظرتها فإذا هى مطوية.

(٢) فإذا هى مطوية: أى مبنية، والبئر قبل أن تُبنى تسمى قليبًا.

(٣) قرنى البئر: قال النووى: «هما الخشبتان اللتان عليهما الخطَّاف، وهى الحديدة التى فى جانب البكرة، قاله ابن دريد. وقال الخليل: هما ما يبنى حول البئر ويوضع عليه الخشبة التى يدور عليها المحور وهى الحديدة التى تدور عليها البكرة».

(٤) لم تُرع: أى لم تخف - والمعنى: لا خوف عليك بعد هذا.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (١١٢٢) كتاب الجمعة، ومسلم (٢٤٧٩) كتاب فضائل الصحابة.

(٦) قال الألبانى: إسناده صحيح على شرط مسلم.

شرف المؤمن فى قيام الليل

قال رسول الله ﷺ : «أتاني جبريل، فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزىٌ به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعِزّه استغناؤه عن الناس»(١) .

قيام الليل ينهى عن المعاصى

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إن فلانًا يُصلى بالليل، فإذا أصبح سرق. فقال: «إنه سينهاه ما تقول»(٢) .

عجب ربنا من رجلين

* وقال رسول الله ﷺ : «عجب ربنا من رجلين: رجل ثار عن وطائه ولحافه، من بين أهله وحبِّه إلى صلاته، فيقول الله جلَّ وعلا: {أيا ملائكتى} انظروا إلى عبدى ثار عن فراشه ووطائه من بين حبِّه وأهله إلى صلاته، رغبة فيما عندى وشفقةً مما عندى»(٣) .

* ثار عن فراشه: أى نهض ووثب.

قنوت ليلة بمائة آية

* قال رسول الله ﷺ : «من قام بعشر آيات لم يُكتب من الغافلين، ومن

---

(١) رواه الشيرازى فى الألقاب والحاكم والبيهقى فى شعب الإيمان وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٩٤٨٦) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (١٢٣٧).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٣٩٣٩) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (١٢٥١).

قام بمائة آية كُتب من القانتين، ومن قام بألف آية كُتب من المقنطرين»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «من قرأ بمائة آية فى ليلةٍ كُتب له قنوت ليلة»(٢). أى عبادتها.

ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم

* قال ﷺ: «ثلاثة يحبهم الله، ويضحك إليهم، ويستبشر بهم: الذى إذا انكشفت فئةٌ قاتل وراءها بنفسه لله عزَّ وجلَّ، فإما أن يُقتل وإما أن ينصره الله ويكفيه، فيقول: انظروا إلى عبدى هذا كيف صبر لى بنفسه؟

والذى له امرأة حسنةٌ وفراشٌ لينٌ حسنٌ، فيقوم من الليل، فيقول: يَذرُ شهوته ويذكرنى، ولو شاء رقد، والذى إذا كان فى سفر، وكان معه ركب، فسهروا، ثم هجعوا، فقام من السحر فى ضراء وسراء»(٣).

قيام الليل... صلاة الأبرار

* عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «جعل الله عليكم صلاة قوم أبرار، يقومون الليل ويصومون النهار ليسوا بأثمةٍ ولا فُجار»(٤).

* * *

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود (١٣٩٨) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٣٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٦٥١٠) مسند الشاميين، والنسائى والدارمى (٣٤٥٠) كتاب فضائل القرآن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٦٨).

(٣) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير كما فى مجمع الزوائد (٢٤٥/١)، والحاكم (٧٧/١ ، رقم ٦٨)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٦٢٩).

(٤) صحيح: رواه عبد بن حميد (ص ٤٠٢ ، رقم ١٣٦٠) ، والضياء (٧٥/٥ ، رقم ١٧٠٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٩٧).

قيام الليل دأب الصالحين وقربة إلى الله

* قال رسول الله ﷺ : «عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد»[1] .

* وقال ﷺ : «أفضل الساعات جوف الليل الأخير»[2] .

* وقال رسول الله ﷺ : «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن»[3] .

* وفي الصحيحين عن ابن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «أحب الصلاة إلى الله صلاةُ داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثُلثُه، وينام سُدسُه، ويصوم يومًا ويفطر يومًا»[4] .

قال الحافظ في الفتح: [«قال المهلب: كان داود عليه السلام يجم نفسه بنوم أول الليل ثم يقوم في الوقت الذي ينادي الله فيه: هل من سائل فأعطيه سؤله، ثم يستدرك بالنوم ما يستريح به من نصب القيام في بقية الليل، وهذا هو النوم عند السحر، وإنما صارت هذه الطريقة أحب من أجل الأخذ بالرفق للنفس التي يخشى منها السآمة، وقد قال ﷺ : «إن الله لا يمل حتى تملوا»[5] ، والله يحب أن يديم فضله وإحسانه]. اهـ.

* * *

(١) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، والحاكم، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٠٧٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٨٩٤٢) أول مسند الكوفيين، والطبراني في الكبير (٢/ ٣٠، رقم ٨٦٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١١٠٦).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٥٧٩) كتاب الدعوات، والنسائي والحاكم وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١١٧٣).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١١٣١) كتاب الجمعة، ومسلم (١١٥٩) كتاب الصيام.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٤٣) كتاب الإيمان، ومسلم (٧٨٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

قنطار من الأجر... والفوز بالخلد والنعيم

* قال ﷺ : «من قرأ عشر آيات فى ليلة كُتب له قنطار (يعنى من الأجر)، والقنطار خير من الدنيا وما فيها، فإذا كان يوم القيامة يقول ربك عزَّ وجلَّ اقرأ وارق بكل آية درجة، حتى ينتهى إلى آخر آية معه، يقول الله عزَّ وجلَّ للعبد: اقبض. فيقول العبد بيده: يا رب! أنت أعلم. يقول: بهذه الخُلد، وبهذه النعيم»(١).

لا حسد إلا فى اثنتين

* وقال رسول الله ﷺ : «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»(٢).

* وقال رسول الله ﷺ : «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل علمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له، فقال: ليتنى أوتيت مثل ما أُوتى فلان، فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً، فهو يهلكه فى الحق، فقال رجل: ليتنى أُوتيت مثل ما أُوتى فلان، فعملت مثل ما يعمل»(٣).

قيام الليل... والفوز بشفاعة القرآن

* وقال رسول الله ﷺ : «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أى ربِّ إنى منعتُهُ الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه، يقول القرآنُ: رب منعتهُ النومَ بالليل فشفعنى فيه فيُشفعان»(٤).

---

(١) حسن: رواه الطبرانى (٢/ ٥٠ ، رقم ١٢٥٣)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (٦٣٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٥٢٩) كتاب التوحيد، ومسلم (٨١٥) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٥٠٢٦) كتاب فضائل القرآن.

(٤) صحيح: رواه أحمد (٦٥٨٩) مسند المكثرين من الصحابة، والطبرانى فى الكبير والحاكم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٨٨٢).

درجات الجنة لأهل القيام

* وقال رسول الله ﷺ : «ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، وثلاث كفارات، وثلاث درجات.. - وفى آخر الحديث -. وأما الدرجات: فإطعام الطعام وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام»(١) .

* وقال رسول الله ﷺ : «أتانى الليلة ربى تبارك وتعالى فى أحسن صورة، فقال: يا محمد: هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا، فوضع يده بين كتفى، حتى وجدت بردها بين ثديى فعلمت فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم، فى الكفارات والدرجات.. - وفى آخر الحديث - والدرجات: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام»(٢) .

خير الدنيا والآخرة فى قيام الليل

* قال ﷺ : «إن فى الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك فى كل ليلة»(٣) .

ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة

* وقال رسول الله ﷺ : «ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضى ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذى يدعونى فأستجيب له؟ ومن ذا الذى يسألنى فأعطيه؟ ومن ذا الذى يستغفرنى فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يضىء الفجر»(٤) .

---

(١) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط (٦/٤٧ ، رقم ٥٧٥٤)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٤٥).

(٢) صحيح: رواه عبد الرزاق وأحمد والترمذى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٧٥٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٢١) كتاب الدعوات، ومسلم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، واللفظ له.

كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (١).

وقال ﷺ :«كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته...» (٢).

ومن هنا فإنه يجب على كل مسلم أن يسعى لإنقاذ نفسه ورعيته من عذاب الله (عزَّ وجلَّ) وأن يأخذ بأيديهم إلى جنته ورضوانه... وهذا حبيبنا ﷺ وهو القدوة والأسوة كان يحرص كل الحرص على رعيته.

* عن عليِّ بن أبى طالب «أن رسول الله ﷺ طرَقه وفاطمة بنت النبى عليه السلام ليلة فقال: «**ألا تُصَلِّيان؟**».

فقلت: يا رسول الله أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا. فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلىَّ شيئًا، ثم سمعته وهو مُوَلٍّ يضرب فخذه وهو يقول: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ (٣).

قال النووى والعسقلانى: الطُّروق: الإتيان بالليل.

* قال العسقلانى فى الفتح: [«قال ابن بطَّال: فيه فضيلة صلاة الليل وإيقاظ النائمين من الأهل والقرابة لذلك»، قال الطبرى: لولا ما علم النبى ﷺ من عظم فضل الصلاة فى الليل ما كان يزعج ابنته وابن عمه فى وقت جعله الله لخلقه سكنًا لكنَّه اختار لهما إحراز تلك الفضيلة على الدعة والسكون امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ﴾ (٤)اهـ.

---

(١) سورة التحريم: الآية: (٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٥١) كتاب الوصايا، ومسلم (١٨٢٩) كتاب الإمارة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١١٢٧) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٧٥) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) سورة طه: الآية: (١٣٢).

* عن أم سلمة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ استيقظ ليلة فقال: «سبحان الله، ماذا أُنزل الليلة من الفتنة، ماذا أنزل من الخزائن، من يوقظ صواحب الحجرات، يا رُب كاسية فى الدنيا عارية فى الآخرة» [١].

وفى رواية: «من يوقظ صواحب الحُجر - يريد أزواجه - حتى يصلين» [٢].

* ذكر البخارى هذا الحديث فى باب «تحريض النبى ﷺ على قيام الليل من غير إيجاب» قال الحافظ فى الفتح: «قال ابن رشيد: كأن البخارى فهم أن المراد بالإيقاظ الإيقاظ للصلاة لا لمجرد الإخبار بما أنزل؛ لأنه لو كان لمجرد الإخبار لكان يمكن تأخيره إلى النهار لأنه لا يفوت».

رحم الله رجلاً قام من الليل وأيقظ امرأته

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته فصلَّت، فإن أبت نضح فى وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلَّت، وأيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت فى وجهه الماء» [٣].

من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات

* وقال رسول الله ﷺ: «من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعًا كُتبا ليلتئذ من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات» [٤].

---

١) صحيح: رواه البخارى (١١٢٦) كتاب الجمعة.

٢) صحيح: رواه البخارى (٦٢١٨) كتاب الأدب.

٣) صحيح: رواه أبو داود (١٤٥٠) كتاب الصلاة، والنسائى (١٦١٠) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، وابن ماجه (١٣٣٦) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وأحمد (٧٣٦٢) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٤٩٤).

٤) صحيح: رواه أبو داود (١٤٥١) كتاب الصلاة، وابن ماجه (١٣٣٥) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٠٣٠).

قيام الليل دأب المخلصين

إن قيام الليل لا يداوم عليه إلا المخلصون لأنهم يعلمون يقينًا أنه لا يراهم إلا الله فهم يُخفون أعمالهم عن أعين الناس ويريدون بها وجه الله تعالى.

* **قال قتادة** رضي الله عنه: «كان يُقال: ما سهر الليل منافق».

أهل القيام... تحيا القلوب بذكرهم

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾[1].

وقيام الليل من أعظم الوسائل لتزكية النفس.

وإن من يتخرج من مدرسة الليل يؤثر فى الأجيال التى بعده إلى ما شاء الله. والمتخلف عنها يابس. قاسٍ تقسو قلوب الناظرين إليه، والدليل عند بشر بن الحارث الحافى منذ القديم، شاهده، وأرشدك إليك فقال:

«حسبُك أن قومًا موتى تحيا القلوب بذكرهم، وأن قومًا أحياء تقسو القلوب برؤيتهم» بل تموت القلوب برؤيتهم فلِمَ كان ذلك إن لم يكن ليل الأولين يقظة وليل غيرهم نومًا. ونهار الأولين جدًّا ونهار الآخرين شهوة».

الترهيب من ترك قيام الليل

* **عن عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه **قال:** ذُكر عند النبى ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح، قال: «**ذاك رجل بال الشيطان فى أذنيه**»[2].

* **وقال** ﷺ: «**إن الله يبغض كل جعظرى جواظ صخاب فى الأسواق،**

---

(١) سورة الشمس: الآية: (٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٧٠) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٧٧٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

جيفة بالليل، حمار بالنهار، عالم بأمر الدنيا، جاهل بأمر الآخرة» [١].

* عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ : «يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل» [٢].

* وقال ﷺ :«يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقَد، يضربُ على كل عُقدة: عليك ليلٌ طويلٌ فارقد، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عُقدةٌ، فإن توضأ انحلت عُقدةٌ، فإن صلى انحلت عقده كلها، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» [٣].

صفحات مشرقة من قيام السلف الصالح (رحمهم الله)

رُوي أن عمر رضي الله عنه كان يمر بالآية من ورده بالليل فيسقط حتى يُعاد منها أيامًا كثيرة كما يعاد المريض. وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا هدأت العيون قام فيُسمع له دوي كدوي النحل حتى يصبح. ويقال: إن سفيان الثوري رحمه الله شبع ليلة فقال: إن الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله فقام تلك الليلة حتى أصبح . وكان طاوس رحمه الله إذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما تتقلى الحبة على المقلاة ثم يثب ويصلي إلى الصباح ثم يقول: طيَّر ذكر جهنم نوم العابدين. وقال الحسن رحمه الله: ما نعلم عملاً أشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال، فقيل له: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهًا؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره. وقدم بعض الصالحين من سفره فمهد له فراش فنام عليه حتى فاته ورده، فحلف أن لا ينام بعدها على فراش أبدًا. وكان عبد العزيز بن رواد إذا جن عليه الليل

---

(١) صحيح: رواه البيهقي في السنن (١٠/ ١٩٤ ، رقم ٢٠٥٩٣)، وابن حبان (١/ ٢٧٣ ، رقم ٧٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٨٧٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١١٥٢) كتاب الجمعة، ومسلم (١١٥٩) كتاب الصيام.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١١٤٢) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٧٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

يأتي فراشه فيمر يده عليه ويقول: إنك للين ووالله إن فراش الجنة لألين منك ولا يزال يصلى الليل كله.

وقال الفضيل: إنى لأستقبل الليل من أوله فيهولنى طوله فأفتتح القرآن فأصبح وما قضيت نهمتى. وقال الحسن: إن الرجل ليذنب الذنب فيُحرم به قيام الليل.

وقال الفضيل: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك. وكان صلة بن أشيم رحمه الله يصلى الليل كله، فإذا كان فى السحر قال: إلهى ليس مثلى يطلب الجنة ولكن أجرنى برحمتك من النار.

وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم، فلما كان فى جوف الليل قامت الجارية فقالت: يا أهل الدار الصلاة الصلاة! فقالوا: أصبحنا... أطلع الفجر؟ فقالت: وما تصلون إلا المكتوبة؟ قالوا: نعم، فرجعت إلى الحسن فقالت: يا مولاى بعتنى من قوم لا يصلون إلا المكتوبة؟ رُدَّنى. فردَّها. وقال الربيع: بتّ فى منزل الشافعى رضي الله عنه ليالى كثيرة لم يكن ينام من الليل إلا يسيراً. وقال أبو الجويرية: لقد صحبت أبا حنيفة رضي الله عنه ستة أشهر فما فيها ليلة وضع جنبه على الأرض. وكان أبو حنيفة يحيى نصف الليل فمرَّ بقوم فقالوا: إن هذا يحيى الليل كله، فقال: إنى أستحى أن أوصف بما لا أفعل فكان بعد ذلك يحيى الليل كله. ويروى أنه ما كان له فراش بالليل. ويقال: إن مالك بن دينار رضي الله عنه بات يردد هذه الآية ليلة حتى أصبح ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[1].

وقال المغيرة بن حبيب: رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ثم قام

---

(١) سورة الجاثية: الآية: (٢١).

إلى مُصلاه فقبض على لحيته فخنقته العَبرة فجعل يقول: حَرِّم شيبة مالك على النار إلهى قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فأى الرجلين مالك؟ وأى الدارين دار مالك؟ فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر. وقال مالك بن دينار: سهوت ليلة عن وردى ونمت، فإذا أنا فى المنام بجارية كأحسن ما يكون وفى يدها رقعة، فقالت لى: أتحسن تقرأ؟ فقلت: نعم، فدفعت إلىَّ الرقعة فإذا فيها:

أألهتك اللذائذ والأماني
عن البيض الأوانس فى الجنانِ
تعيشُ مخلدًا لا موت فيها
وتلهو فى الجنان مع الحسانِ
تنبَّه من منامك إنَّ خيرًا
من النوم التهجد بالقرآنِ

وقيل: حج مسروق فما بات ليلة إلا ساجدًا. ويروى عن أزهر بن مغيث وكان من القوامين أنه قال: رأيت فى المنام امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت لها؛ من أنت؟ قالت: حوراء؛ فقلت: زوجينى نفسك، فقالت: اخطبنى إلى سيدى وأمهرنى، فقلت: وما مهرك؟ قالت: طول التهجد.

* وهذا الحسن بن صالح وهو من رجال مسلم كان يقتسم الليل هو وأخوه وأمه أثلاثًا، فماتت أمه فاقتسم الليل هو وأخوه على، فمات أخوه، فقام الليل بنفسه.

* وكان أبو سليمان الدارانى يقول: والله لولا قيام الليل ما أحببت الدنيا، والله إن أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم، وإنه لتمر بالقلب ساعات يرقص فيها طربًا بذكر الله، فأقول: إن كان أهل الجنة فى مثل ما أنا فيه من النعيم إنهم لفى نعيم عظيم.

* وهذا أبو إسحاق الشيرازى كان إذا جاءه الليل يقوم ويناجى ربه ويقول، وهو يبكى:

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا
وقمت أشكو إلى مولاى ما أجدُ
وقلت يا عُدتى فى كل نائبة
ومن عليه فى كشف الضر أعتمدُ
أشكو إليك أمورًا أنت تعلمها
ما لى على حملها صبرٌ ولا جَلَدُ
وقد مددت يدى بالذل معترفًا
إليك يا خير مَنْ مُدَّت إليه يدُ
فلا تردنَّها يا رب خائبة
فبحر جودك يروى كل من يَرِدُ

* قال الحسن: «تزوج عثمان بن أبى العاص امرأة من نساء عمر بن الخطاب، فقال: والله ما نكحتها رغبة فى مال ولا ولد، ولكنى أحببت أن تخبرنى عن ليل عمر فسألتها، فقال: كيف كان صلاة عمر بالليل؟ قالت: كان يصلى العشاء ثم يأمرنا أن نضع عند رأسه تورًا فيه ماء فيتعار من الليل فيضع يده فى الماء فيمسح وجهه ويديه ثم يذكر الله عزَّ وجلَّ حتى يغفى، ثم يتعار حتى تأتى الساعة التى يقوم فيها».

* «وقال لمعاوية بن خديج وقد دخل عليه فى وقت الظهيرة فظنه قائلاً: قال: بئس ما قلت، أو بئس ما ظننت لئن نمت بالنهار لأضيعن الرعية، ولئن نمت بالليل لأضيعن نفسى فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية».

* «وفى الصحيحين أنه لما تُوفى عمر قال (على) ﷺ: «ما خَلفت

أحدًا أحب إلىَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك يا عمر»[(١)].

* «وكان في وجهه خطان أسودان مثل الشراك من البكاء، وكان يمر بالآية من ورده بالليل فيبكى حتى يسقط ويبقى في البيت حتى يُعاد للمرض».

* وعن ابن سيرين قال: «قالت امرأة عثمان حين قُتل: لقد قتلتموه وإنه ليحيى الليل كله بالقرآن في ركعة».

* «روى عنه أنه كان يقرأن القرأن فى ركعة ثم يوتر بها».

الأسباب الميسرة لقيام الليل

اعلم أخى الكريم أن قيام الليل عسير على الخلق إلا على من وفقه الله (جلَّ وعلا).

وها هي بعض الأسباب التى تعين العبد على قيام الليل... وهى ظاهرة وباطنة، فأما الظاهرة فهى:

الأول: أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام. كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول: معاشر المريدين لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتتحسروا عند الموت كثيراً.

الثاني: أن لا يتعب نفسه بالنهار فى الأعمال التى تعيا بها الجوارح وتضعف بها الأعصاب فإن ذلك أيضًا مجلبة للنوم.

الثالث: أن لا يترك القيلولة بالنهار فإنها سنة للاستعانة على قيام الليل... قال ﷺ: «قيلوا فإن الشياطين لا تقيل»[(٢)].

الرابع: أن لا يحتقب الأوزار بالنهار، فإن ذلك مما يقسى القلب ويحول

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٨٥) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٨٩) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط (١/ ١٣، رقم ٢٨) وأبو نعيم فى الطب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٤٣١).

بينه وبين أسباب الرحمة. قال رجل للحسن: يا أبا سعيد إني أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهوري فما بالي لا أقوم؟ فقال: ذنوبك قيدتك.

الخامس: أن ينام على توبة وأن يُكثر من الاستغفار.

السادس: أن لا يتنعم بتمهيد الفُرش الناعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه. وكان أهل الصُّفَّة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزاً، ويقولون: منها خُلقنا وإليها نُرد، وكانوا يرون ذلك أرق لقلوبهم وأجدر بتواضع نفوسهم، فمن لم تسمح بذلك نفسه فليقتصد.

السابع: البُعد عن مظالم العباد... فقد يظلم العبدُ رجلاً ضعيفًا فيدعو عليه دعوة مستجابة فيحرمه الله لذة القيام بين يديه.

الثامن: البُعد عن أكل الحرام فإن من أكل حلالاً أطاع الله شاء أم أبى ومن أكل حرامًا عصى الله شاء أم أبى.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (١). وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (٢).**

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام، وغُذي بالحرام فأنَّى يُستجاب لذلك (٣).

وأما الميسرات الباطنة فأربعة أمور:

الأول: سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام، وإن قام فلا يتفكر

---

(١) سورة المؤمنون: الآية: (٥١).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٧٢).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٠١٥) كتاب الزكاة.

فى صلاته إلا فى مهماته ولا يجول إلا فى وساوسه وفى مثل ذلك يقال:

يخــــبــــرنى الـبــــواب أنك نـائمُ
وأنت إذا اســتـيــقظت أيضًــا فنائمُ

الثـانى: خـوف غالب يلزم الـقلب مع قصـر الأمل، فـإنه إذا تفكر فى أهوال الآخرة ودركـات جهنم طار نومـه وعظم حذره كمـا قال طاوس: إن ذكر جهنم طيَّر نوم العابدين.

* قال ابن المبارك:

إذا مــــا اللـيل أظـلم كـــابـدوه
فــيُــســفــر عنهم وهـم ركــوع
أطار الخــوف نومــهم فــقــامــوا
وأهل الأمـن فى الدنـيــا هجــوع

الثالث: أن يعرف فضل قيام الليل بسـماع الآيات والأخبار والآثار حتى يستحكم به رجـاؤه وشوقه إلى ثوابه، فيـهيجه الشوق لطلـب المزيد والرغبة من درجات الجنان كمـا حكى أن بعض الصالحين رجع من غزوته فـمهدت امرأته فراشـها وجلست تنتظره، فدخل المسجد ولـم يزل يصلى حتى أصبح فقـالت له زوجته: كنا ننتظرك مـدة فلما قدمت صليت إلى الصـبح؟ قال: والله إنى كنت أتفكر فى حوراء من حور الجـنة طول الليل، فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول ليلتى شوقًا إليها.

الرابع: وهو أشـرف البواعث؛ الحب لله وقـوة الإيمان بأنه فى قـيامـه لا يتكلم بحرف إلا وهو مُناجٍ ربه وهو مـطلع عليه مع مشاهدة مـا يخطر بقلبه، وأن تلك الخطرات من الله تعـالى خطاب معه، فـإذا أحب الله تعالى أحب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام[١].

(١) الإحياء/ للإمام الغزالى.

الخامس: الخوف من سوء الخاتمة:

فهذا يجعل العبد يجتهد فى العبادة ولا يفتر أبدًا فتراه قائمًا بالليل صائمًا بالنهار... وكيف لا يكون ذلك حاله وهو الذى يرى بقلبه (القبر) بنعيمه وعذابه (والآخرة) بكل ما فيها من آلام وأفراح (والجنة والنار) فستجد قلبه حيًّا بذكر الله وتجد جوارحه تشتاق للوقوف بين يدى الله عسى أن يختم الله له حياته وهو واقفٌ بين يديه.

قال الإمام البخارى رحمه الله تعالى:

اغتنم فى الفراغ فضل ركوع
فعسى أن يكون موتك بغته
كم من صحيحٍ مات من غير سقم
ذهبت نفسه الصحيحة فلته

*ولا تنس - أخى الحبيب - أن من أعظم الأسباب الميسرة لقيام الليل أن تستعين بالله (جلَّ وعلا) ليعينك على نعمة القيام... وعليك كذلك أن تأخذ بالأسباب: فتضبط - المنبه - على وقت القيام وتنام على وضوء وتنوى بنومك الراحة لكى تتمكن من قيام الليل فيصبح نومك عبادة لله (جلَّ وعلا)... وإذا قمت فاذكر الله واحمده على أن يسَّر لك القيام واستحضر نزوله (سبحانه وتعالى) إلى السماء الدنيا نزولاً يليق بجلاله وعظمته -.

واحرص كل الحرص على متابعة هدى النبى ﷺ فى القيام - وستجده فى آخر هذا الكتيب إن شاء الله - واعلم أن قيامك بين يدى الله هو محض فضل الله عليك فلا تنس أن تتوجه بالشكر له (جلَّ وعلا).

* * *

طريق النجاة من كيد الشيطان

ولكى تنجو من كـيد الشـيطان وتستطيع أن تقوم لتـصلى بين يدى الله (جلَّ وعلا) فعليك أن تحرص على الآتى:

(١) أن تنام على وضوء: فـفى الصحـيحين عن البـراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: «**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن...**»[١].

(٢) أن تجمع كفيك قبل النوم وتقرأ فيهما سورة الإخلاص والمعوذات ثم تنفث فيهـما وتمسح بهما ما استطعت من جـسدك بادئًا برأسك ووجهك.. وهذا ثابت من حديث عائشة رضي الله عنها فى الصحيحين[٢].

(٣) تقـرأ آية الكرسى: قـال ﷺ: «**إذا أويت إلى فـراشـك فـاقـرأ آية الكرسى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حتى تختـمهـا فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح...**»[٣].

(٤) تقـرأ الآيتين الأخـيرتين من سـورة البقـرة: قال ﷺ: «**من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه**»[٤].

قيل: كفتاه: أى أجزأتا عنه من قيام الليل بالقرآن.

وقيل: أى دفعتا عنه الشر والمكروه - وقيـل: كفتاه من الشيطان.. وقال الحافظ: ويجوز أن يُراد جميع ما تقدم.

(٥) تُسبح ثلاثًا وثلاثين وتحـمد ثلاثًا وثلاثين وتكبـر أربعًا وثلاثين عند

---

(١) متـفق عليه: رواه البخـارى (٢٤٧) كتاب الوضـوء، ومسلم (٢٧١٠) كـتاب الذكر والدعـاء والتوبة والاستغفار.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠١٨) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (٢١٩٢) كتاب السلام.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٥٠١٠) كتاب فضائل القرآن.

(٤) متـفق عليه: رواه البخـارى (٥٠١٠) كتاب فضـائل القرآن، ومسلم (٨٠٧) كـتاب صلاة المسـافرين وقصرها.

النوم.. وهذه كانت وصية النبي ﷺ لابنته فاطمة وزوجها علي رضي الله عنهما... والحديث في الصحيحين[(١)].

(٦) أن توتر قبل أن تنام إلا إذا كنت توتر في آخر الليل فهذا أفضل لأن الله (جلَّ وعلا) يتنزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير[(٢)].

قال ابن عمر رضي الله عنهما: ما أصبح رجل على غير وتر إلا أصبح على رأسه جرير قدر سبعين ذراعًا[(٣)].

والجرير هو الحبل الذي يخطم به البعير فكأن الشيطان أمسك بزمامه فهو يوجهه حيث شاء.

(٧) أن تنفض فراشك بإزارك وتقول هذا الدعاء.

قال ﷺ: **«إذا قام أحدكُمُ عن فراشه ثم رجع إليه فلينفُضْه بصنفة إزاره ثلاث مرات فإنه لا يدري ما خلفه عليه بعده، وإذا اضطجع فليقل: باسمك ربي وضعتُ جنبي، وبكَ أرفعه، فإن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظُ به عبادك الصالحين»**[(٤)].

(٨) أن تدعو بهذا الدعاء **«اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسي سوءًا أو أجره إلى مسلم»**[(٥)].

* وعن أبي الأزهر أن رسول الله ﷺ: كان إذا أخذ مضجعه من الليل

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٧٠٥) كتاب المناقب، ومسلم (٢٧٢٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤٩٤) كتاب التوحيد، ومسلم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٣/ ٢٥): رواه سعيد بن منصور بسند جيد.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦٣٢٠) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧١٤) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٥) صحيح: رواه الترمذي (٣٥٢٩) كتاب الدعوات، وأحمد (٦٥٦١) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٨١٣).

قال: «**بسم الله وضعت جنبي، اللهم اغفر لي ذنبي، واخسأ شيطاني، وفُكَّ رِهاني، وثقِّل ميزاني، واجعلني في الندى الأعلى**» (١).

(٩) أن تختم كلامك بذكر الله (جلَّ وعلا): عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أوى الرجل إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان؛ فيقول الملك: اختم بخير. ويقول الشيطان: اختم بشر. فإن ذكر الله ثم نام، بات الملك يكلؤه، فإذا استيقظ قال الملك: افتح بخير. وقال الشيطان: افتح بشر. فإن قال: الحمد لله الذي رد عليَّ نفسي ولم يُمتها في منامها، الحمد لله الذي ﴿يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا﴾ (٢)، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، فإن وقع من سريره فمات دخل الجنة**» (٣).

(١٠) يدعو بهذا الدعاء عند القلق والفزع والوحشة: «**أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون**» (٤).

(١١) يحرص على تلك الأشياء إذا رأى في منامه ما يكره: قال ﷺ: «**الرؤيا الصالحة من الله والحُلم من الشياطين فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب...**» (٥).

* وخلاصة ما يفعل من رأى ما يكره في منامه أن يفعل ما يأتي:
* «**ينفث عن يساره ثلاثًا**» (٦).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٥٠٥٤) كتاب الأدب، والحاكم وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٦٤٩).

(٢) سورة فاطر: الآية: (٤١).

(٣) ضعيف: رواه النسائي في الكبرى (٦/ ٢١٣، رقم ١٠٦٨٩)، وأبو يعلى (٣/ ٣٢٦، رقم ١٧٩١)، والحاكم (١/ ٧٣٣، رقم ٢٠١١)، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف الترغيب والترهيب (٣٤٦).

(٤) حسن: رواه الترمذي (٣٥٢٨) كتاب الدعوات، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٠١).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٧٠٤٤) كتاب التعبير، ومسلم (٢٢٦١) كتاب الرؤيا.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٢٦١) كتاب الرؤيا.

* «يستعيذ بالله من الشيطان ومن شر ما رأى ثلاث مرات»[١].
* «لا يحدث بها أحدًا»[٢].
* «يتحول عن جنبه الذى كان عليه»[٣].
* «يقوم يصلى إن أراد ذلك»[٤].

هدى النبى ﷺ فى القيام

كـان الحبـيب ﷺ يحرص كل الحـرص على قيـام الليل وكان يأخـذ بالأسباب التى تعينه على ذلك.. فكان يتخذ فـراشًا من الحصير ووسادة من الجلد حتى لا تلهيه عن قيام الليل.

* عن عائشـة ﵂ قالت: كانت وسـادته التى ينام عليهـا بالليل من أدم حشوها ليف[٥].

* وعن ابن عباس ﵄ أن رسول الله ﷺ دخل عليه عمر وهو على حصـير قد أثر فى جنبه فـقال: يا نبى الله لو اتخذت فـراشًا أوثر من هذا؟ فقال: مـا لى وللدنيا ما مـثلى ومثل الدنيا إلا كراكب سـار فى يومٍ صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها[٦].

* وكان إذا قام من النوم يستاك - يستعمل السواك - عن عائشة ﵂ أن النبى ﷺ كان لا يرقد من ليل ولا نهار فيستيقظ إلا تسوك[٧].

---

(١) صحيح: انظر السابق.
(٢) صحيح: انظر السابق.
(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٢٦٢) كتاب الرؤيا.
(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٢٦٣) كتاب الرؤيا.
(٥) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٨٠) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥٩) كتاب الصيام.
(٦) صحيح: رواه أحمد، والحاكم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٦٩).
(٧) حسن: رواه أبو داود (٥٧) كتاب الطـهارة، وابن أبى شيبة وحـسنه العلامة الألبانى رحـمه الله فى صحيح الجامع (٤٨٥٣).

*** وقال ﷺ: «إذا قام أحدكم يصلى من الليل فليستك فإن أحدكم إذا قرأ فى صلاته وضع ملكٌ فاه على فيه ولا يخرج من فيه شىء إلا دخل فم الملك»**(١).

* وعن ابن عمر أن النبى ﷺ كان لا يتعار من الليل إلا أجرى السواك على فيه. أى: على فمه(٢).

* وكان يفتتح قيامه بأى ذكر من هذه الأذكار: ففى الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبى ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: **«اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، أنت ربنا وإليك المصير فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى، أنت المقدم وأنت المؤخر أنت إلهى، لا إله إلا أنت، ولا إله غيرك، ولا حول ولا قوة إلا بالله»**(٣).

* وعن أبى سعيد الخدرى قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل كبَّر ثم يقول: **«سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك، ثم يقول: لا إله إلا الله (ثلاثًا) ثم يقول: الله أكبر كبيرًا (ثلاثًا)، أعوذ بالله**

---

(١) صحيح: رواه البيهقى فى شعب الإيمان (٢/ ٣٨١، رقم ٢١١٧) والضياء، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٢٠).

(٢) حسن: رواه ابن نصر والطبرانى فى الكبير (١٢/ ٤٣٨، رقم ١٣٦٣٢)، وأبو يعلى (١٠/ ٣٣، رقم ٥٦٦١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٨٤٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١١٢٠) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٦٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ثم يقرأ»[١] .

* ومن أدعيته ﷺ فى الاستفتاح ليلاً: «الله أكبر (ثلاثًا) ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة»[٢] .

* وروى مسلم عن عائشة ﵂ قالت: كان النبى إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. اهدنى لما اختُلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم»[٣] .

* وهذه الأدعية السابقة خاصة بالاستفتاح فى قيام الليل. وله أن يدعو بأى دعاء من أدعية الاستفتاح الأخرى.

* وكان ﷺ يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين: قال رسول الله ﷺ : «إذا قام أحدكم من صلاة الليل فليستفتح صلاته بركعتين خفيفتين»[٤] .

* وروى مسلم عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل ليصلى افتتح صلاته بركعتين خفيفتين[٥] .

* وكان أحيانًا يفتتح القيام بركعتين طويلتين: روى مسلم عن حذيفة ﵁ قال: «صليت مع النبى ﷺ ذات ليلة فافتتح بالبقرة فقلت يركع عند المائة الأولى ثم مضى، فقلت يصلى بها فى ركعة، فمضى، فقلت يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوُّذٍ تعوَّذ، ثم ركع فجعل

(١) صحيح: رواه أبو داود، والترمذى، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود (٧٤٨).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٨٧٤) كتاب الصلاة، والنسائى (١١٤٥) كتاب التطبيق، وأحمد (٢٢٨٦٦) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (١٢٠٠).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٧٧٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٧٦٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٧٦٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

يقول: سبحان ربى العظيم، فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: سمع الله لمن حمده، ثم قام طويلاً قريبًا مما ركع، ثم سجد فقال: سبحان ربى الأعلى فكان سجوده قريبًا من قيامه(١).

* وأما عن وقت قيامه ﷺ: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «ما كنا نشاء أن نرى رسول الله ﷺ فى الليل مصليًا إلا رأيناه، ولا نشاء أن نراه نائمًا إلا رأيناه»(٢).

* وفى الصحيحين عن مسروق قال: سألت عائشة عن عمل رسول الله ﷺ فقالت: (كان يحب الدائم)، قال: قلت: أى حينٍ كان يصلى؟ فقالت: «كان إذا سمع الصارخ قام فصلى» (٣) - الصارخ: الديك -.

* قال الحافظ ابن حجر العسقلانى: «جرت العادة بأن الديك يصيح عند منتصف الليل غالبًا قاله محمد بن نصر، . . . قال ابن التين: وهو موافق لقول ابن عباس: «نصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل».

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن كان رسول الله ﷺ ليوقظه الله عزَّ وجلَّ بالليل فما يجىء السحر حتى يفرغ من حزبه»(٤).

* وعن حميد بن عبد الرحمن بن عوف قال: إن رجلاً من أصحاب النبى ﷺ قال: قلت وأنا فى سفر مع رسول الله ﷺ: والله لأرقبن رسول الله ﷺ للصلاة حتى أرى فعله، فلما صلى صلاة العشاء، - وهى العتمة، اضطجع هويًا من الليل، ثم استيقظ فنظر فى الأفق، فقال: ﴿رَبَّنَا

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٧٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) صحيح: رواه النسائى (١٦٢٧) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (١٢٠٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١١٣٢) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٤١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) حسن: رواه أبو داود (١٣١٦) كتاب الصلاة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن أبى داود.

﴿مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً﴾ حتى بلغ إلى ﴿إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[1]، ثم أهوى رسول الله ﷺ إلى فراشه فاستل منه سواكًا، ثم أفرغ فى قدح من إداوة عنده ماء فاستن ثم قام فصلى حتى قلت قد صلى قدر ما نام، ثم اضطجع حتى قلت قد نام قدر ما صلى، ثم استيقظ ففعل كما فعل أول مرة، وقال مثل ما قال، ففعل رسول الله ﷺ ثلاث مرات قبل الفجر[2].

* وأما عن عدد الركعات التى كان ﷺ يصليها بالليل.

فقد روى البخارى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة رضي الله عنها: كيف كانت صلاة النبى ﷺ فى رمضان؟ فقالت: (ما كان رسول الله ﷺ يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة....)[3].

وروى البخارى أيضًا عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبى ﷺ يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة، منها الوتر وركعتا الفجر)[4].

*** قال الحافظ ابن قيم الجوزية: «كان قيامه ﷺ بالليل إحدى عشرة ركعة، أو ثلاث عشرة كما قال ابن عباس وعائشة فإنه ثبت عنهما هذا وهذا. ففى الصحيحين عنهما: ما كان رسول الله ﷺ يزيد فى رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة. وفى الصحيحين عنها أيضًا: «كان رسول الله ﷺ يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة، يوتر من ذلك بخمس، لا يجلس فى شىء إلا فى آخرهن»[5]. والصحيح عن عائشة الأول. والركعتان فوق الإحدى عشرة هما ركعتا الفجر. اهـ.**

---

(١) سورة آل عمران: الآيات: (١٩١-١٩٤).

(٢) صحيح: رواه النسائى (١٦٢٦) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (١٢٠٩).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٠١٣) كتاب صلاة التراويح.

(٤) صحيح: رواه البخارى (١١٤٠) كتاب الجمعة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٧٣٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

* **وها هو هديه ﷺ إذا تكرر قيامه:** فعن ابن عباس حدث: أنه بات عند نبى الله ﷺ ذات ليلة فقام نبى الله ﷺ من الليل فخرج فنظر إلى السماء ثم تلا هذه الآية التى فى آل عمران: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**﴾ حتى بلغ ﴿**سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾[١] ثم رجع إلى البيت فتسوك وتوضأ ثم قام فصلى ثم اضطجع ثم رجع أيضًا فنظر فى السماء ثم تلا هذه الآية ثم رجع فتسوك وتوضأ ثم قام فصلى، ثم اضطجع، ثم رجع أيضًا فنظر فى السماء ثم تلا هذه الآية، ثم رجع فتسوك وتوضأ، ثم قام فصلى»[٢] .

* وكان ﷺ صاحب قلبٍ رقيق خاشعٍ لله (جل وعلا) كثير البكاء من خشية الله.

* **عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال:** أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلى، وفى صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء»[٣] .

* **وقال** ﷺ : «**شيبتنى هود وأخواتها من المُفصَّل**»[٤] وقال ﷺ : «**شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت**»[٥] .

* **وعن عطاء قال** - : «دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها فقال عبيد بن عمير: حدثينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله ﷺ فبكت، وقالت: - قام ليلة من الليالى فقال: يا عائشة ذرينى أتعبد لربى، قالت:

---

١) سورة آل عمران: الآيتان: (١٩٠-١٩١).

٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦) كتاب الطهارة.

٣) صحيح: رواه أبو داود (٩٠٤) كتاب الصلاة، والنسائى (١٢١٤) كتاب السهو، وأحمد (١٥٨٧٧) أول مسند المدنيين رضى الله عنهم أجمعين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٢٩).

٤) صحيح: رواه سعيد بن منصور فى سننه (١١٠٩)، وابن مردويه وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٧٢٢).

٥) صحيح: رواه الترمذى (٣٢٩٧) كتاب تفسير القرآن، والحاكم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٧٢٣).

قلت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما يسرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلى، فلم يزل يبكى حتى بل حجره، ثم بكى، فلم يزل يبكى حتى بل الأرض، وجاء بلال يؤذن بالصلاة فلما رآه يبكى، قال: يا رسول الله تبكى وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً. لقد نزلت علىَّ الليلة آيات ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾**[1] [2] الآية.

كن بقلبك مع القوم

أخي: إن كنت لم تَر الحبيب ﷺ وأصحابه فكُن بقلبك معهم لعل الله أن يجمع بينك وبينهم في جنته.

فهؤلاء الصحابة ﷺ هم الذين سطروا على جبين التاريخ صفحات ناصعة من العبادة والإخلاص والبذل والتضحية والعطاء.. فهم خير جيلٍ طلعت عليه الشمس بعد الأنبياء والمرسلين.

فكُن بقلبك مع هؤلاء الصحب الكرام الذين قال عنهم الإمام ابن القيم:

«رفُع لهم علم الجنة فشمروا إليه، ووضح لهم صراطها المستقيم فاستقاموا عليه، ورأوا من أعظم الغبن بيع ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر في أبد لا يزول ولا ينفد، بصبابة عيش إنما هو كأضغاث أحلام، أو كطيف زار في المنام، مشوب بالنغص، ممزوج بالغصص، إن أضحك قليلا أبكى كثيراً، وإن سَّر يومًا أحزن شهوراً، آلامه تزيد على لذاته، وأحزانه أضعاف أضعاف مسراته... أوله مخاوف، وآخره متالف.

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٦٤).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان (٢/٣٨٦، رقم ٦٢٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٦٨).

فيا عجبًا من سفيه فى صورة حليم، ومعتوه فى مسلاخ عاقل، آثر الحظ الفانى الخسيس على الحظ الباقى النفيس. وباع جنة عرضها الأرض والسموات، بسجن ضيق بين أرباب العاهات والبليات.

* ومساكن طيبة فى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار، بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار.

* وأبكارًا عُربًا أترابًا كأنهن الياقوت والمرجان، بقذرات دنسات سيئات الأخلاق مسافحات أو متخذات أخدان. وحورًا مقصورات فى الخيام بخبيثات مسيبات بين الأنام. وأنهارًا من خمر لذة للشاربين، بشراب بخس مُذهب للعقل، مفسد للدنيا والدين.

ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الذميم.... وسماع الخطاب من الرحمن، بسماع المعازف والغناء والألحان.

والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد فى يوم المزيد، بالجلوس فى الطرقات مع كل شيطان مريد.

فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد الله لهم من الإنعام وادخر لهم من الفضل والإكرام، وما أخفى لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر، ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر، لعلم أى بضاعة أضاع، وأنه لا خير له فى حياته وهو معدود من سقط المتاع.

فيا عجبًا لها كيف نام طالبها، وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها، وكيف طاب العيش فى هذا الدار بعد سماع أخبارها، وكيف قر للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها، وكيف قرت دونها أعين المشتاقين، وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين، وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين، وبأى شىء تعوضت عنها نفوس المعرضين»[1].

---

(1) حادى الأرواح / للإمام ابن القيم.

أخى الحبيب.. أختى الفاضلة:

أسأل الله أن يجعلنى وإياكم من أهل الصيام والقيام وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وأن يستعملنا جميعًا لنُصرة دينه وأن يرزقنا حُسن الخاتمة.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه
الفقير إلى عفو الرحيم الغفار
محمود المصرى
(أبو عمار)


رسالة إلى مريض

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[١].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ⑳ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[٣].

أما بعد:

فإن الابتلاء سُنة ثابتة لا تتبدل ولا تتغير، والمؤمن يعلم أن الدنيا دار بتلاء وامتحان وأنه لا راحة إلا فى جنة الرحمن (جل وعلا).

فالعبد مبتلى فى كل شيء، فيما يسره ويحبه، وفيما يسوؤه ويكرهه، قال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «نبتليكم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).
(٢) سورة النساء: الآية: (١).
(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠-٧١).
(٤) سورة الأنبياء: الآية: (٣٥).

والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة»(١).

أيها الأخ الحبيب: تلفَّت يمنة ويسرة فهل ترى إلا مبتلى وهل تشاهد إلا منكوبًا، فى كل دارٍ نائحة، وعلى كل خَدٍّ دمع، وفى كل وادٍ بنو سعد.

كم من المصائب، وكم من الصابرين، فلست أنت وحدك المصاب بل مصابك أنت بالنسبة لغيرك قليل، كم من مريض على سريره من أعوام يتقلب ذات اليمين وذات الشمال، يئن من الألم ويصيح من السقم.

كم من رجل وامرأة فقدا فلذات أكبادهما فى ميعة الشباب وريعان العمر.

كم من مكروب ومدين ومصاب ومنكوب.

آن لك أن تتعزَّ بهؤلاء، وأن تعلم علم اليقين أن هذه الحياة سجنٌ للمؤمن، ودار للأحزان والنكبات، تصبح القصور حافلة بأهلها وتمسى خاوية على عروشها.

ولك فى الرسول ﷺ قدوة، وقد وُضع السَّلى على رأسه وأُدميت قدماه وشُجَّ وجهه، وحوصر فى الشِّعب حتى أكل ورق الشجر، وطُرد من مكة، وكُسرت ثنيته، ورُمى عرض زوجته الشريف، وقُتل سبعون من أصحابه، وفقد ابنه وأكثر بناته فى حياته، وربط الحجر على بطنه من الجوع، واتُّهم بأنه شاعر ساحر كاهن مجنون كذاب، صانه الله من ذلك، وهذا بلاء لا بد منه وتمحيص لا أعظم منه، وقد قُتل قبلُ زكريا وذُبح يحيى وهاجر موسى، ووُضع الخليل فى النار، وسار الأئمة على هذا الطريق فضرج عمر بدمه، واغتيل عثمان، وطُعن على، وجُلدت ظهر الأئمة وسُجن الأخيار، ونُكِّل بالأبرار ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا﴾(٢)(٣).

---

(١) تفسير ابن جرير (١٧/ ٢٥).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢١٤).

(٣) لا تحزن / للشيخ عائض القرنى (ص: ٣٨-٤٠) بتصرف.

* **أخى الحبيب... أختى الفاضلة:** يا من صبرتم على آلام المرض وشدته، هذه رسالة من القلب أهديها لكم عسى الله أن يجعلها بلسمًا يمسح الآلام والأحزان - بإذن الرحيم الرحمن -.

- أبشر أيها المريض المهموم بفجرٍ قريب ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾[1]... لا تضق ذرعًا فمن المحال دوام الحال وأفضل العبادة انتظار الفرج، والأيام دول، والحكيم كل يوم هو فى شأن، ولعل الله يُحدث بعد ذلك أمرًا، وإن مع العسر يسرًا، فلا يأس ولا قنوط فالدنيا ظلٌّ زائل، والموعد عند حوض النبى ﷺ لتشرب من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا تظمأ بعدها أبدًا ثم يأخذ بيديك إلى جنة الرحمن التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٥٢).

فوائد الأمراض.. والحكمة منها

وقد يسأل سائل ويقول: وهل للأمراض فوائد؟

نقول: بلى إن لها فوائد كثيرة ولكن لا يعلمها إلا من لامس الإيمان شغاف قلبه.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله-: «ولو ذهبنا نذكر ما يطَّلع عليه أمثالنا من حكمة الله في خلقه وأمره لزاد ذلك على عشرة آلاف موضع، مع قصور أذهاننا، ونقص عقولنا ومعارفنا، وتلاشيها وتلاشي علوم الخلائق جميعهم في علم الله كتلاشي ضوء السراج في عين الشمس. وهذا تقريب وإلا فالأمر فوق ذلك». اهـ[(١)].

وللأمراض والأسقام - خاصة - فوائد وحكم، أشار ابن القيم إلى أنه أحصاها فزادت على مائة فائدة[(٢)].

وسأذكر لكم بعض تلك الفوائد:

(١) تكفير الذنوب والسيئات:

* أخي الحبيب: إن مرضك سبب في تكفير الذنوب والسيئات التي اقترفتها؛ لأن المرض قد يكون عقوبة على بعض الذنوب كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [(٣)].

* قال ﷺ: **«ما اختلج عرق ولا عين إلا بذنب، وما يدفع الله عنه أكثر»**[(٤)]. والاختلاج: الحركة والاضطراب.

وتعجيل العقوبة للمؤمن في الدنيا خيرٌ له، حتى تكفَّر عنه ذنوبه، ويلقى

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٤٣٢).

(٢) شفاء العليل (ص: ٥٢٥).

(٣) سورة الشورى: الآية: (٣٠).

(٤) صحيح: أخرجه الطبراني في الصغير (٢/ ٢١٦)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٥٢١).

الله سالمًا طاهرًا منها، عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة فى الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافَى به يوم القيامة**»[١].

* وقال ﷺ: «**ما يصيب المسلم من نَصَب، ولا وَصَب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يُشاكها؛ إلا كفَّر الله بها من خطاياه**»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة**»[٣].

(٢) استخراج عبودية الضراء (وهى الصبر):

فالله (عز وجل) يبتلى عباده بالسراء والضراء فيستخرج منه عبودية السراء وهى الشكر وعبودية الضراء وهى الصبر، فإذا كان العبد مؤمنًا حقًّا ظهرت عبوديته واضحة جلية فى كل الأحوال كما قال عليه الصلاة والسلام: «**عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكَر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبَّر فكان خيَراً له**»[٤].

(٣) إيقاظ العبد من غفلته:

فكم من عبدٍ كان تائهًا شارداً لم يسجد لله سجدة واحدة وإذا به لما مرض تذكَّر ربه ومولاه فترك الذنوب والمعاصى، وأقبل على ربه بالتوبة والاستغفار والندم على عمره الذى مضى، وفتح صفحة جديدة كلها طاعة لله (عز وجل).

أخى الحبيب: إن المرض يُريك فقرك وحاجتك إلى الله، وأنه لا غِنى لك عنه طرفة عين، فيتعلق قلبك بالله وتُقبل عليه بعد أن كنت غافلاً عنه، فيكون

---

١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٩٦) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٨).

٢) صحيح: رواه البخارى (٥٦٤٢) كتاب المرضى.

٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٩٩) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٨١٥).

٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق.

البلاء حينئـذ خيراً لك من النعمة. . . قـال شيخ الإسلام ابن تيميـة - رحمه الله -: «مصيبة تُقبل بها على الله خير لك من نعمة تُنسيك ذكر الله»(١).

(٤) صحة وطهارة القلوب والأرواح:

قـال الإمـام ابن القـيم - رحـمـه الله -: «انتـفـاع القلب والروح بالآلام والأمراض أمر لا يحس به إلا من فـيه حياة، . . . فصحة القلوب والأرواح موقوفة على آلام الأبدان ومشاقها»(٢).

وقال في موضع آخر: «لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً وآجلاً، فمن رحمة أرحم الراحـمين أن يتفقده في الأحـيان بأنواع من أدوية المصائب تكون حامية له من هذه الأدواء، وحفظًا لصحة عبوديته، واستفراغًا للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه، فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلي بنعمائه كما قيل:

قد يُنـعم الله بالبلوى وإن عَظُمت

ويبتلـي الله بعض القـوم بـالنِّعَم(٣)

(٥) أن يعلم العبد قدر النعمة:

فمن بين فوائد المرض أن يعـرف العبد قدر النعمة التي كان يعـيش فيها قبل المرض. . . فإن العـبد قد ينغمس في التـمتع بتلك النعم وهو لا يشكر ربه (عز وجل) فإذا داهمه المرض وفَـقَد تلك النعمة ولو لفترة قـصيرة فإنه عند ذلك يشعر بقدر النعمة ويعلم قدر المنعم (جل وعلا) فيكون ذلك حاديًا له بعد الشفاء لأن يستعمل تلك النعم كلها في طاعة الله (جل وعلا).

(٦) أن تتذكر حال إخونك المرضى:

إن العبـد إذا عاش مُـعافىً في بدنه طوال حـياته فـإنه قد لا يشـعر بآلام

(١) قاعدة في المحبة (ص:١٦٧).

(٢) تسلية أهل المصائب (ص:١٠٢).

(٣) عدة الصابرين (ص: ١٦١).

إخوانه المرضى وبالتالى لا يقوم بأى حق من حقوقهم.. أما إذا ابتُلى العبد بأى مرض فإنه بذلك يتذكر حال إخوانه المرضى والمعاناة التى يعيشون فيها فيقوم بحقوقهم التى لطالما غفل عنها فيتعهدهم بالزيارة والتخفيف من مصابهم ومواساتهم وقضاء حوائجهم والدعاء لهم.. إلى غير ذلك من الحقوق.

(٧) النجاة من النار:

والعبد إذا مرض فصبر واحتسب ورضى بقضاء الله فإن ذلك يكون سببًا للنجاة من النار.

كما قال ﷺ: «**الحُمَّى حظ كل مؤمن من النار**»[١].

ومن المعلوم أن المرض يكون سببًا فى تكفير الذنوب والسيئات.. فيلقى العبدُ ربه نقيًّا طاهرًا فيكون ذلك سببًا فى نجاته من النار.

(٨) دخول جنة الرحمن (جل وعلا):

لقد أخبرنا الحبيب المصطفى ﷺ أن الجنة لا تُنال إلا بما تكرهه النفس فقال ﷺ: «**حُفت الجنة بالمكاره وحُفت النار بالشهوات**»[٢].

والمكاره هى كل ما تكرهه النفس ويشق عليها. وهذا يتناول مجاهدة النفس فى القيام بالطاعات واجتناب المعاصى، والصبر على المصائب والتسليم لأمر الله فيها [٣].

ولهذا جاء فى حق من أُصيب بفقد بصره قوله عليه الصلاة والسلام - كما عند البخارى - يقول الله عز وجل: «**إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه - أى: عينيه - فصبر عوضته منهما الجنة**»[٤].

---

[١] صحيح: رواه القضاعى فى «مسند الشهاب» (٧/ ١-٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٨٢١).

[٢] صحيح: رواه مسلم (٢٨٢٣) كتاب الجنة.

[٣] انظر الفتح (١١/ ٣٢٠).

[٤] صحيح: رواه البخارى (٥٦٥٣) كتاب المرضى.

(٩) رفع الدرجات:

ومن فوائد المرض أن العبد إذا ابتُلى فصبر فإنه يتحصل بذلك على الحسنات بل وتُرفع له الدرجات.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ قال: **«ما من مسلم يُشاك شوكة فما فوقها، إلا كتبت له بها درجة، ومُحيت عنه بها خطيئة»**[(١)][(٢)].

أخى الحبيب.. أختى الفاضلة: تأملوا معى تلك الهدية الغالية من كلام رسول الله ﷺ حيث قال: **«إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة، فما يبلغها بعمله، فما يزال الله يبتليه بما يكره حتى يُبلغه إياها»**[(٣)].

وقال ﷺ: «إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله، ابتلاه الله فى جسده أو فى ماله أو فى ولده، ثم صبَّره على ذلك، حتى يُبلغه المنزلة التى سبقت له من الله تعالى»[(٤)].

* من يُرد الله به خيراً يُصب منه:

ومن خلال ما تقدم نعلم يقينًا أن المرض منحة ربانية من الله (عز وجل) على عباده المؤمنين ولذا قال سيد المرسلين ﷺ: - كما عند البخارى -: **«من يُرد الله به خيراً يُصب منه»**.

ولكون المرض والبلاء نعمة كان الصالحون يفرحون به كما يفرح الواحد منا بالرخاء، فقد ذكر النبى ﷺ ابتلاء الأنبياء والصالحين بالمرض والفقر

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٢) كتاب البر والصلة.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فى الفتاوى (١٠/ ١٢٤): «المصائب التى تجرى بلا اختيار العبد كالمرض وموت العزيز عليه وأخذ اللصوص ماله إنما يثاب على الصبر عليها، لا على نفس ما يحدث من المصيبة، لكن المصيبة يكفر بها خطاياه، فإن الثواب إنما يكون على الأعمال الاختيارية وما يتولد عنها. اهـ.

(٣) حسن: أخرجه ابن حبان (٧/ ١٦٩)، والحاكم (١/ ٤٩٥)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٢٥).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٣٠٩٠) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح أبى داود (٢/ ٥٩٧).

وغيرهما ثم قال: «**وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء**»[١].

قال وهب بن منبه - رحمه الله -: «إن مَن قبلكم كان إذا أصاب أحدهم بلاء عدَّه رخاءً، وإذا أصابه رخاء عدَّه بلاءً»[٢].

وقال بعض الحكماء: «رُب محسود على رخاءٍ هو شقاؤه، ومرحوم من سقم هو شفاؤه، ومغبوط بنعمة هى بلاؤه»[٣].

وقال بعض السلف: «يا ابن آدم، نعمة الله عليك فيما تكره أعظم من نعمته عليك فيما تحب»[٤].

وقال بعضهم: «ارضَ عن الله فى جميع ما يفعله بك، فإنه ما منعك إلا ليعطيك، ولا ابتلاك إلا ليعافيك، ولا أمرضك إلا ليشفيك، ولا أماتك إلا ليحييك، فإياك أن تفارق الرضى عنه طرفة عين، فتسقط من عينه»[٥].

* ومن رحمته سبحانه بعباده أن نغَّص عليهم الدنيا وكدَّرها، لئلا يسكنوا إليها ولا يطمئنوا إليها، ويرغبوا فى النعيم المقيم فى داره وجواره، فساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان، فمنعهم ليعطيهم، وابتلاهم ليعافيهم، وأماتهم ليحييهم»[٦]. اهـ.

ومما يناسب هذا المبحث هذا الحديث العجيب فى معناه عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: دخل أعرابى على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «**هل أخذتك أم مِلدَم قط؟**» قال: وما أم ملدم؟ قال: «**حَرٌّ يكون بين الجلد واللحم**» قال: ما وجدت هذا قط. قال: فهل أخذك هذا الصداع قط؟

---

[١] صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠٢٤) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٤٤).

[٢] سير أعلام النبلاء للذهبى (٤/ ٣٢٧).

[٣] العقد الفريد (٣/ ١٤٥).

[٤] مدارج السالكين (٢/ ٢١٦).

[٥] المدارج (٢/ ٢١٦).

[٦] إغاثة اللهفان (٢/ ١٧٥).

قال: وما هذا الصداع؟ قال: «عرقٌ يضرب علـى الإنسان فى رأسه» قال: ما وجدت هذا قط. فـلما ولَّى، قال ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا»(١).

وقـال ابن مسـعـود رضي الله عنه: «إنكم ترون الكافـر من أصحِّ النـاس جسـمًـا، وأمرضهم قلبًا، وتلقون المؤمن من أصحِّ الناس قلبًا، وأمرضهم جسمًا، وايم الله لو مرضت قلوبكم، وصحَّت أجسامكم لكنتم أهون على الله من الجُعلان»(٢).

الأسباب التى تعينك على الصبر

أما عن الأسـباب التى تعينك على الصـبر على المرض فهى كثـيرة جداً وسأكتفى بذكر أهم تلك الأسباب:

(١) الفوز بمعية الله ومحبته:

إن صبرك على مـرضك يجعلك تفوز بمعية الله فقـد قال (جل وعلا): ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٣) بل يجعلك تفوز بمحبة الله فقد قال (جل وعلا): ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (٤).

(٢) الفوز بالصلاة والرحمة والهدى من الله:

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (٥).

كـان عـمـر بن الخطاب رضي الله عنه يقـول: نعم العِـدلان ونـعـمت العـلاوة

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٢)، قال الهيثمى (٢/ ٢٩٤): إسناده حسن. والحاكم (١/ ٤٩٨) وقال: صحيح على شرط مسلم، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٢) الزهد لهناد (ص: ٢٤٧).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٥٣).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٤٦).

(٥) سورة البقرة: الآيات: (١٥٥-١٥٧).

للصابرين. . يعنى بالعِدلين الصلاة والرحمة، وبالعلاوة الهدى.

فإذا علمت أنك إذا صبرت على المرض فسوف تظفر بتلك البشريات فإن ذلك يكون حاديًا لك على الصبر.

(٣) التأسى بأهل المصائب:

فإن ذلك يُهون علـيك آلام المرض وشدته. . فمهمـا بلغت آلامك فلابد أن تجد من هو أشد تألُّمًا منك.

قال ابن القيـم - رحمه الله -: «ومن علاجه أن يـطفئ نار مصيبـته ببرد التأسى بأهل المصائب، ولينظر يمنة فهل يرى إلا مـحنة؟! ثم ليعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة؟! وأنه لو فتَّش العالم لم يرَ فيهم إلا مُبتلى، إما بفوات محبوب، أو حصول مكروه وإن سرور الدنيا أحلام نوم، أو كظلٍّ زائل، إن أضحكت قليلاً أبكت كثيرًا، وإن سرَّت يومًا ساءت دهرًا، وإن متعت قليلاً منعت طويلاً، وما ملأت دارًا خيرة إلا مـلأتها عبرة، ولا سرَّته بيوم سرور إلا خبأت له يوم شـرور. قال ابن مسعود رضي الله عنه: لكل فـرحة ترحة[1]، وما ملئ بيت فرحًا إلا مُلئ ترحًا.

وقال ابن سـيرين - رحـمه الله -: ما كان ضـحك قط إلا كان من بعده بكاء. . .»[2].

وذكـر ابن الجوزى - رحـمه الله - أنـه حدَّثه من قـرأ فى الكتب أن ذا القرنين لما رجع من مـشارق الأرض ومغاربها وبلغ أرض بابل مَـرِض مرضًا شديدًا، فلمـا خاف أن يمـوت كـتب إلى أمه: يا أمـاه، اصنعى طعـامًا، واجمعى من قدرت عليه، ولا يأكل طعامك من أُصيب بمصيبة، واعلمى هل وجدت لشىء قرارًا باقيًا وخيالاً دائمًا؟! إنى قد علمت يقينًا أن الذى أذهب إليه خيـر من مكانى. قال: فلما وصل كتابه صنعت أمـه طعامًا، وجمعت

(١) الترح ضد الفرح وهو الحزن والهم والهلاك. انظر ترتيب القاموس (١/ ٣٦٤)، النهاية (١/ ١٨٦).
(٢) زاد المعاد (٤/ ١٩٠).

الناس، وقالت: لا يأكل هذا من أصيب بمصيبة، فلم يأكلوا، فعلمت ما أراد، فقالت: من يبلغك عنى أنك وعظتنى فاتعظت، وعزيتنى فتعزيت، فعليك السلام حيًا وميتًا»[١].

(٤) العلم بأن المرض مقدر من عند الله:

ومن الأسباب التى تعينك على الصبر أن تعلم يقينًا أن هذا المرض قد قدَّره الله عليك كما قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ﴾[٢].

وقال جل وعلا: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٣].

قال ابن جرير - رحمه الله -: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ يقول: ومن يصدق بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك يهدى قلبه، يقول: «يوفّق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه»[٤]. اهـ.

وقال علقمة - رحمه الله - فى تفسير هذه الآية: «هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويُسلِّم»[٥].

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول - كما عند مسلم-: **«كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»**[٦].

(٥) أن تعلم أن الله أرحم بك من الأم بطفلها الرضيع:

قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٧].

---

(١) تسلية أهل المصائب (ص: ٢٠-٢١).

(٢) سورة التوبة: الآية (٥١).

(٣) سورة التغابن: الآية: (١١).

(٤) تفسير ابن جرير (٢٨/١٢٣).

(٥) تفسير ابن جرير (٢٨/١٢٣) تفسير ابن كثير (٨/١٦٣).

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٣) كتاب القدر.

(٧) سورة الأعراف: الآية: (١٥٦).

فالله لا يبتليك ليعذبك وإنما يبتليك ليطهرك ويقربك... وتأمل معى أيها الأخ الحبيب هذا المشهد المهيب:

* **عن عمر بن الخطاب ﷺ قال:** قَدِم على النبى ﷺ سَبْىٌ، فإذا امرأة من السبى تحلب ثديها تسعى إذ وجدت صبيًّا فى السبى أخذته، فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبى ﷺ: «**أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار؟**» قلنا: لا وهى تقدر أن لا تطرحه، فقال: «**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**»[1].

(٦) التوكل على الله والاستعانة بالصبر والصلاة:

ومن تسلية أهل المصائب: أن يستعينوا بالله ويتكلوا عليه، ويتعزُّوا بعزاء الله تعالى، ويمتثلوا أمره فى الاستعانة بالصبر والصلاة.

فقد قال تعالى: ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[3].

(٧) أن ترضى باختيار الله لك:

أن تعلم أن الله (عز وجل) هو الذى اختار لك هذا المرض وهذا البلاء فما عليك إلا أن ترضى وتُسلِّم.. فالله أعلم بما يُصلحك وهو الحكيم الذى يضع الشىء فى موضعه... فمن الناس من لا ينصلح حاله إلا بالمرض ومنهم من لا ينصلح حاله إلا بالصحة.

(٨) أن تتذكر فوائد المرض وثمراته:

ومن أسباب الصبر على المرض أن تتذكر فوائد المرض وثمراته فإن هذا المرض إما أن يكون رفعًا لمنزلتك وقد قصَّر بك عملك عن بلوغ تلك المنزلة،

---

١) متفق عليه: صحيح البخارى: (٥٩٩٩) كتاب الأداب، ومسلم (٢٧٥٤) كتاب التوبة.

٢) سورة الطلاق: الآية: (٣).

٣) سورة البقرة: الآية: (١٥٣).

أو إنه لتكفير ذنب لو لم يُكفَّر لأدَّى إلى هلاكك، وهو - أيضًا - سبب فى تكثير الحسنات ودخول الجنات والنجاة من النار وطهارة القلب من الأمراض التى تهلكه، إلى غير ذلك من الفوائد العظيمة والحِكَم الجليلة.

(٩) أن تعلم أن الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها:

* قال على بن أبى طالب رضي الله عنه: **«إنك إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور، وإن جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور»**(١).

وليعلم المصاب أن الجزع لا يرد المصيبة، بل يضاعفها، وهو فى الحقيقة يزيد فى مصيبته، بل يعلم المصاب أن الجزع يُشمتُ عدوه، ويسوءُ صديقه، ويُغضب ربه، ويسرُّ شيطانه، ويُحبط أجره، ويُضعف نفسه. وإذا صبر واحتسب أخزى شيطانه، وأرضَى ربه، وسَرَّ صديقه، وساء عدوه، وحمل عن إخوانه وعزاهم هو قبل أن يُعزوه؛ فهذا هو الثبات فى الأمر الدينى.

(١٠) أن تعلم أن البلاء علامة على محبة الله لك:

ومن أسباب الصبر على المرض أن تعلم أن البلاء علامة على محبة الله لك إذا كنت صابرًا محتسبًا فلقد قال صلى الله عليه وسلم: **«إن عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط»**(٢).

(١١) أن المرض يخلصك من الكبر والعجب:

ومن كمال رحمة الله (عز وجل) أن العبد قد يكون به من الكبر والعجب ما يجعله سببًا لهلاكه فيبتليه الحق (جل وعلا) ليُخرج من قلبه الكبر والعجب ويجعل قلبه مستكينًا متواضعًا خاشعًا لله فيكون ذلك سببًا للفوز برحمة الله

---

(١) منهاج العابدين للغزالى (ص:٢٣٩).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٤٥٦) كتاب الحدود، والترمذى (٢٣٩٦) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١١٠).

ورضوانه وجنته. . . فلقد قال ﷺ : «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبرٍ....»[١].

(١٢) قد يكون الخير كله فى هذا المرض:

قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [٢].

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: فى هذه الآية عدة حِكَم وأسرار ومصالح للعبد؛ فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتى بالمحبوب، والمحبوب قد يأتى بالمكروه، لم يأمن أن توافيه المضرَّة من جانب المسرَّة، ولم ييأس أن تأتيه المسرَّة من جانب المضرَّة لعدم علمه بالعواقب؛ فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد[٣].

(١٣) أن تنظر إلى ما أبقاه الله عليك من النعم:

وعليك أيها الأخ الحبيب ألا تنظر إلى النعمة التى سلبها الله منك بل انظر إلى سائر النعم التى أبقاها الله عليك.

فلا تكن ممن يذكر المصائب وينسى النعم.

قال الحسن البصرى - رحمه الله - فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [٤] قال: «يذكر المصائب وينسى النعم».

وتأمل معى كيف أن عروة بن الزبير - رحمه الله - لما قُطعت رجله ومات ولده فى نفس اليوم جلس يذكر نعم الله عليه قبل أن يذكر هذا البلاء فقال: «اللهم إنه كان لى بنون سبعة فأخذت واحداً وأبقيت لى ستة، وكان لى أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لى ثلاثة، ولئن أخذت لقد أبقيت، ولئن

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٩١) كتاب الإيمان.

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢١٦).

(٣) الفوائد (ص: ٢٠٠).

(٤) سورة العاديات: الآية: (٦).

ابتليت فقد عافيت. .. وما ترك جزأه من القرآن فى تلك الليلة.

قال ابن القيم - رحمه الله-: «تهوين البَلِيَّة بأمرين، أحدهما: أن يعدّ نعم الله عليه، وأياديه عنده، فإذا عجز عن عدّها، وأيس من حصرها - هان عليه ما هو فيه من البلاء، ورآه - بالنسبة إلى أيادى الله ونِعَمه - كقطرة من بحرٍ، . . . الثانى: تذكر سوالف النعم التى أنعم الله بها عليه، فهذا يتعلق بالماضى، وتعداد أيادى المنن يتعلق بالحال»[1] اهـ.

وأنشد محمود الوراق - رحمه الله -:

يا أيها الظالم فى فعله
والظلم مردود على من ظلم

إلى متى أنت وحتى متى
تشكو المصيبات وتنسى النعم

(١٤) التحصن بالعلم النافع:

قد يحصل للعابد الجاهل بمصيبته من الجزع ما يسوء الناظر إليه والسامع عنه من الاعتراض على الأقدار.

فلا شىء أنفع من العلم؛ لأن العالم لو حصل له هلع شديد فى مصيبته، يعلم أنها زلة منه، فيدرى كيف يتنفس؛ والعابد الجاهل كلما غاص إلى أسفل يظن أنه صاعد إلى فوق.

(١٥) التعرف على فضيلة الصبر:

ومما يعينك على الصبر أن تتعرف على فضيلة الصبر فقد قال ﷺ - كما عند مسلم - : «.. **والصبر ضياء**». . . وعليك أن تُصبِّرَ نفسك فإنه بذلك يحصل لك الصبر فقد قال ﷺ : «**ومن يتصبر يُصبره الله**»[2].

---

(١) مدارج السالكين (٢/١٦٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٦٩) كتاب الزكاة، ومسلم (٢٠٥٣) كتاب الزكاة.

(١٦) معرفة أحوال السلف الصالح عند المرض:

فقد كان الواحد منهم يفرح بالمرض والبلاء رغبة فيما عند الله من الأجر والثواب.

قال أحنف: لقد ذهبت عينى منذ أربعين سنة ما ذكرتها لأحد.

وكان أحدهم إذا مرض يقول: إن حلاوة الأجر أنستنى مرارة الألم.

(١٧) أن تعلم أن تشديد البلاء يخص الأخيار:

قال ﷺ: **«أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل. يبُتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان فى دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان فى دينه رقةٌ ابتُلى على قدر دينه فما يبرحُ البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة»**[١].

(١٨) أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك:

وإذا ابتُلى العبد بمرض أو حادث سيارة فما عليه إلا أن يرضى بقضاء الله ولا يفتح على نفسه بابًا من أبواب الشيطان فيقول: لو أنى فعلت كذا لكان كذا... ولذا قال ﷺ: **«احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قُلْ: قدر الله وما شاء فعل، فإن «لو» تفتح عمل الشيطان»**[٢].

ولا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، كما قال عليه الصلاة والسلام: **«لو أن الله عذَّب أهل سماواته وأهل أرضه لعذَّبهم وهو غير ظالمٍ لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أُحدٍ ذهبًا فى سبيل الله ما قَبِله**

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٩٨) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤٠٢٣) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٩٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٤) كتاب القدر.

الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطاك لم يكن ليصيبك، ولو متَّ على غير هذا لدخلت النار» (١).

(١٩) أن تتذكر ما في البلاء من اللطائف والفوائد:

ومن بين تلك الفوائد التي يجنيها العبد من البلاء: تذكير العبد بذنوبه فربما تاب منها إلى الله عز وجل.

قال بعض السلف: إن العبد ليمرض فيذكر ذنوبه فيخرج منه دمعة مثل رأس الذباب من خشية الله فيغفر له.

* **ومنها:** زوال قسوة القلوب وحدوث رقتها وانكسار العبد لله عز وجل، وذلك أحب إلى الله من كثير من طاعات الطائعين.

* **ومنها:** أنها توجب من العبد الرجوع إلى الله عز وجل والوقوف ببابه والتضرع له والاستكانة، وذلك من أعظم فوائد الابتلاء.

* **ومنها:** أن البلاء يقطع قلب المؤمن عن الالتفات إلى المخلوق، ويوجب له الإقبال على الخالق وحده.

* **ومنها:** رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلواهم، فإن العبد إذا أحسَّ بألم الابتلاء رَقَّ قلبه لأهل البلاء ورحمهم.

* **ومنها:** معرفة قدر نعمة العافية، فإن النعم لا تُعرف أقدارها إلا بعد فقدها، فلا يعرف نعمة العافية إلا من ذاق مرارة المرض (٢).

(٢٠) أن تحمد الله على أن المصيبة لم تكن في الدين:

فكل مصيبة في دنيا الإنسان قد تُعوَّض بخيرٍ منها، أما مصيبة الدين فخسارة لا تُعوَّض.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٩٩) كتاب السنة، وابن ماجه (٧٧) في المقدمة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٢٤٤).

(٢) نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما وفوائد الابتلاء للعز بن عبد السلام - نقلاً من تسلية المصائب للدكتور أحمد فريد (ص:٤١).

وكان ﷺ يُعلم أمته هذا الدعاء: «... ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا...» [١].

وقد حكى ابن أبى الدنيا عن شريح أنه قال: إنى لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عليها أربع مرات وأشكره.

إذ لم تكن أعظم مما هى، وإذ رزقنى الصبر عليها، وإذ وفقنى للاسترجاع لما أرجوه فيه من الثواب، وإذ لم يجعلها فى دينى.

(٢١) أن تعلم أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان:

ومن أسباب الصبر على المرض علمك بأن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وهى محل للأنكاد والأسقام والأحزان، وأنها حقيرة عند خالقها سبحانه.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [٢] قال سعيد ابن أبى الحسن - رحمه الله - فى تفسير هذه الآية: «يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة» [٣].

ومن أمثال العرب: «من حدّث نفسه بطول البقاء فليوطن نفسه على المصائب».

وقال أبو الحسن التهامى - رحمه الله - فى ذم الدنيا:

طُبعت على كَدَرٍ وأنت تريدها
صفوًا من الأقذاء والأكدارِ

ومُكلَّف الأيام ضد طباعها
متطلب فى الماء جذوة نارِ

وإذا رجوت المستحيل فإنما
تبنى الرجاء على شفيرٍ هارِ [٤]

---

(١) حسن: رواه الترمذى (٣٥٠٢) كتاب الدعوات، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٦٨).

(٢) سورة البلد: الآية: (٤).

(٣) تفسير ابن جرير (٣٠/ ١٩٧).

(٤) وفيات الأعيان (٣/ ٣٨٠).

وقد قال ﷺ : «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[١].

(٢٢) أن تتذكر الموت:

قال ﷺ : «أكثروا من ذكر هاذم اللذات، فما ذكره عبدٌ قط وهو فى ضيق إلا وسَّعه عليه، ولا ذكره وهو فى سعة إلا ضيقها عليه»[٢].

فمن علم أنه سيرحل عن هذه الدنيا لا محالة فإنه يستوى عنده البلاء والعافية لأن أهم ما يشغله أن يلقى الله وهو راضٍ عنه.

(٢٣) انتظار الفرج من عند الله (جل وعلا):

ومما يتسلى به المصاب أن يُحسن الظن بالله (جل وعلا) ويعلم أن الله سيجعل له فرجًا ومخرجًا، فقد قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[٣].

وقال ﷺ فى وصيته لابن عباس رضي الله عنهما: «واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً»[٤].

ولرُب نازلة يضيق بها الفتى
ذرعًا وعند الله منها المخرجُ
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فُرجت وكان يظنها لا تُفرجُ

(٢٤) أن مرارة الدنيا هى بعينها حلاوة فى الآخرة:

فإن العبد المؤمن إذا رضى بقضاء الله وصبر على مرضه فإنه سينسى كل آلامه وأحزانه مع أول غمسة فى جنة الرحمن (جل وعلا).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) رواه البيهقى وابن حبان وحسنه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢١١).

(٣) سورة الشرح: الآيتان: (٥-٦).

(٤) رواه أحمد والخرائطى عن أنس - السلسلة الصحيحة (٢٣٨٢).

* قال ﷺ : «يُؤتَى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيُصبغ فى جهنم صبغة؛ ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مرّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويُؤتَى بأشد الناس بؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ فى الجنة صبغة؛ فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مَرَّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مرّ بى بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»[1] .

(٢٥) أن تستحضر هذا المشهد المهيب:

ومن الأسباب التى تعينك على الصبر على المرض أن تستحضر هذا المشهد المهيب من مشاهد يوم القيامة حيث قال ﷺ : «يود أهل العافية يوم القيامة حين يُعطَى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قُرضت فى الدنيا بالمقاريض»[2] .

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3] .

(٢٦) أن تتذكر عذاب أهل النار:

فإن العبد إذا تذكر عذاب أهل النار وما يقاسونه فيها من الحرق والجوع والعطش والحرمان من النظر إلى وجه الله (عز وجل) فإن ذلك يُهوِّن عليه آلام المرض فإن كل عذاب دون النار عافية وكل نعيم دون الجنة سراب.

* كانت امرأة من العابدات بالبصرة تُصاب بالمصاب فلا تجزع، فذكروا لها ذلك، فقالت: ما أُصاب بمصيبة فأذكر معها النار إلا صارت فى عينى أصغر من الذباب.

(٢٧) التطلع إلى نعيم الجنة:

ومن أسباب الصبر على المرض علمك بأن وراء هذه الدار الدنيا داراً

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة.

(٢) حسن: رواه الترمذى (٢٤٠٢) كتاب الزهد وحسنه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨١٧٧).

(٣) سورة الزمر: الآية: (١٠).

أعظم منهـا وأجل قدراً، وأنك لابد مرتحـل إليها إن كنت مـن أهلها، وهى الجنة التى أعدها الله لأوليائه.

* قال ﷺ : «قال الله تعالى: أعـددتُ لعبادى الصالحـين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، واقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]»[2].

وقال ﷺ : «ينادى مناد، إن لكم أن تصحُّوا فـلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكمً أن تشبُّوا فـلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا» فذلك قوله - عز وجل -: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3]»[4].

* وعليك أن تتـذكـر أدنى أهل الجنة منزلة. فـقد قـال ﷺ : «سأل موسى ﷺ ربه، ما أدنى أهل الجنـة منزلة؟ قال: هو رجلٌ يجىءُ بعـدما أُدخل أهل الجنة الجنة، فـيقـال له: ادخل الجنة. فيـقـولُ: أى رب كيف وقـد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخـذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يـكون لك مثل مُلك مَلك من ملوك الدنيا؟ فيـقول: رضيت رب، فيقـول: لك ذلك ومثله ومثله ومـثله ومثله، فيقول فى الخامسة: رضيت رب، فيقول: موسى هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذَّت عينك، فيقـول: رضيت رب، قال موسى: رب فـأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرستُ كرامتهم بيـدى وختمت عليها، فلم ترَ عينٌ، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر»[5].

* بل يخبر النبى ﷺ عن آخـر أهل الجنة دخولاً الجنة أن الله عز وجل

---

(١) سورة السجدة: الآية: (١٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها.

(٣) سورة الأعراف: الآية: (٤٣).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٧) كتاب الجنة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٨٩) كتاب الإيمان.

يقول له: «... اذهب فادخل الجنة. فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا، فيقولُ: أتسخر بى، أو أتضحك بى وأنت الملك»(١).

* **بشرى لكل مريض:**

أبشر أيها الأخ الحبيب فإن كل طاعة كنت تعملها وأنت صحيح فإن الله يأمر الملائكة بأن يكتبوا لك أجرها وأنت مريض... قال ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر كُتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا»(٢).

نصائح غالية لكل مريض

وإليك أيها الأخ الحبيب باقة عطرة من النصائح عسى الله أن ينفعنى وإياك بها:

(١) عليك بالصبر الجميل:

أخى الحبيب: عليك بالصبر الجميل الذى لا ضجر معه وكن راضيًا عن الله (عز وجل) فإنه أرحم بك من رحمة الأم بطفلها الرضيع... قال ابن تيمية - رحمه الله -: «الصبر على المصائب واجب باتفاق أئمة الدين»(٣).

وقال ابن القيم - رحمه الله -: «وهو واجب بإجماع الأمة، وهو نصف الإيمان، فإن الإيمان نصفان، نصف صبر ونصف شكر»(٤).

* والصبر يتحقق بثلاثة أمور:

١- حبس النفس عن الجزع والسَّخط.

٢- وحبس اللسان عن الشكوى للخلق.

---

١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٧١) كتاب الرقاق، ومسلم (١٨٦) كتاب الإيمان.

٢) صحيح: رواه البخارى (٢٩٩٦) كتاب الجهاد والسير.

٣) تسلية أهل المصائب (ص: ١٧٣).

٤) مدارج السالكين (٢/ ١٥٢).

٣- وحبس الجوارح عن فعل ما ينافى الصبر [١].

(٢) لا تطلب البلاء ولا تتمناه:

وعلى العبد ألا يتمنى المرض والبلاء لأنه لا يدرى هل يصبر أم لا.

ولذا كان ﷺ **يعلمنا أن نسأل الله العافية فقال** ﷺ: **«سلوا الله العفو والعافية، فإن أحداً لم يُعطَ بعد اليقين خيراً من العافية»** [٢]. وكان عليه الصلاة والسلام لا يدع سؤال ربه العفو والعافية كل صباح ومساء [٣].

(٣) توكل على الله مع الأخذ بالأسباب:

عليك أن تأخذ بأسباب الشفاء مع العلم بأن تلك الأسباب لا تنفع ولا تضر إلا بأمر مُسبِّب الأسباب (جل وعلا) فإنه مهما كان مرضك، فإن له دواء عَلِمه من عَلِمه، وجَهِله من جَهِله. وفى العلم بهذا تأنيس لقلبك وتقوية لجانب الرجاء وانتظار الفرج.

قال ﷺ: **«تداووا عباد الله فإن الله تعالى لم يضع داءً إلا وضع له دواءً غير داءٍ واحدٍ الهرم»** [٤].

* فلا حرج أن تتناول الدواء ولكن اعلم أن الدواء مجرد سبب للشفاء ولكن الشافى هو الله (عز وجل).. لهذا فقد يحصل الشفاء باستعمال الدواء وقد لا يحصل لعدم إرادة الله ذلك... قال تعالى حكاية عن إبراهيم - عليه السلام -: **﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾** [٥]، وقال تعالى: **﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾** [٦].

---

(١) عدة الصابرين (ص: ١٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٣٢).

(٣) رواه أبو داود وحسنه ابن حجر فى نتائج الأفكار (٢/٧٠٨).

(٤) صحيح: رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٩٣٠).

(٥) سورة الشعراء: الآية: (٨٠).

(٦) سورة يونس: الآية: (١٠٧).

وقال ﷺ : **«واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف»**[١].

(٤) احذر من الدواء المحرم:

واحذر أيها الأخ الحبيب أن تتداوى بشيء محرم فإن بعض الأطباء يصفون البيرة لعلاج أمراض الكلى مع أن الله لم يجعل شفاءنا فيما حرمه علينا.

قال ﷺ : **«إن الله لم يجعل شفاءكم في حرام»**[٢].

وفي رواية: **«إن الله خلق الداء والدواء فتداووا ولا تتداووا بحرام»**.

(٥) لا تتمنَّ الموت لشدة المرض:

أخي الحبيب: إذا اشتد عليك المرض فلا تتمنَّ الموت فإنَّ عُمْر المؤمن لا يزيده إلا خيرًا فإن كان محسنًا ازداد من الخير وإن كان مسيئًا فإنه يستطيع أن يُقلع عن الذنب ويتوب منه.

قال ﷺ : **«لا يتمنَّ أحدكم الموت، ولا يدعُ به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرًا»**[٣].

وقال ﷺ : **«لا يتمنينَّ أحدكم الموت لضُرٍّ نزل به، فإن كان لا بد متمنيًا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي»**[٤].

---

١) صحيح: رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧).

٢) حسن: رواه الدولابي في الكنى وحسنه الألباني في الصحيحة (١٦٣٣).

٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٨٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

٤) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٧١) كتاب المرضى، ومسلم (٢٦٣٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٦) احرص على الصدقة:

وعليك أن تحرص على كثرة التصدق على الفقراء.... فقد قال ﷺ: **«داووا مرضاكم بالصدقة»**(١).

- كان هناك رجل ثرى قد مرض ابنه الوحيد مرضًا عجز الأطباء عن علاجه.. وفى يوم من الأيام سمع هذا الرجل أحد الدعاة وهو يذكر هذا الحديث: **«داووا مرضاكم بالصدقة»** فخرج الرجل يبحث عن الفقراء واليتامى والأرامل وأخذ يتصدق عليهم... وبعد أيام كان شفاء ابنه - بإذن الله - بغير دواء.

(٧) احرص على هذا الدعاء لتنال أجر شهيد:

﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾(٢).

إنها دعوة نبى الله يونس (عليه السلام) قال رسول الله ﷺ: «أيّما مسلم دعا بها فى مرضه أربعين مرة، فمات فى مرضه ذلك، أُعطى أجر شهيد، وإن برأ برأ وقد غُفر له جميع ذنوبه»(٣).

(٨) لا تخف من الموت بسبب المرض:

فإن المرض لا يُقرِّب من الموت كما أن الصحة والعافية لا تُباعد منه.. فالله (عز وجل) هو الذى يملك مقادير الأمور وهو الذى يعلم آجال العباد فقد قال تعالى: **﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾**(٤).

وقد جاء فى حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن المَلَكَ يُبعث إلى الجنين بعد مائة وعشرين يومًا بأربع كلمات، فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقى أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح(٥).

---

(١) حسن: رواه أبو الشيخ فى الثواب وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٥٨).
(٢) سورة الأنبياء: الآية: (٨٧).
(٣) ضعيف جداً: رواه الحاكم، وضعفه الألبانى فى السلسلة الضعيفة (٥٠١٩) وقال: ضعيف جداً.
(٤) سورة الأعراف: الآية: (٣٤).
(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٧٤٥٤) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٦٤٣) كتاب القدر.

وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه:

فكم من صحيحٍ مات من غير علّةٍ
وكم مَن عليلٍ عاش دهرًا إلى دهرِ
وكم من فتى يمسى ويصبح آمنًا
وقد نُسجت أكفانه وهو لا يدرى

(٩) لا تذهب للكُهان والسحرة والعرافين:

واحذر - أخى الحبيب - وأنت فى غمرة البحث عن أى خيط يوصلك ى الشفاء أن تذهب إلى الكهنة والسحرة والعرافين فلقد حذرنا النبى ﷺ من ذلك فقال: «**من أتى عرّافًا فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة**»[1]. وهذا فيه أن مجرّد سؤالهم ولو لم يحصل التصديق لهم محرّم ولا تُقبل صلاة صاحبه أربعين ليلة.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ**»[2].

قال الشيخ ابن باز - رحمه الله -: «فلا يجوز للمريض أن يذهب إلى الكهنة الذين يدَّعون المغيبات ليعرف منهم مرضه، كما لا يجوز أن يصدقهم فيما يخبرونه به، فإنهم يتكلمون رجمًا بالغيب، أو يستحضرون الجن ليستعينوا بهم على ما يريدون، وهؤلاء حكمهم الكفر والضلال إذا ادَّعوا علم الغيب»[3].

(١٠) عليك بالدعاء:

وإذا كان المرض بقدر الله فهو - سبحانه - القادر على أن يأتيك بالشفاء

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣٠) كتاب السلام.

(٢) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٩٣٩).

(٣) مجموع فتاويه (٣/ ٢٧٤).

العاجل ولكن عليك بالدعاء فقد قال ﷺ : «**الدعاء هو العبادة**»(١).

وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ**﴾(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم - عباد الله - بالدعاء**»(٣).

وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد فى العمر إلا البر**»(٤).

وقال ابن القيم - رحمه الله -: «والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدفعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن، وله مع البلاء ثلاث مقامات:

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

الثانى: أن يكون أضعف من البلاء، فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفًا.

الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه»(٥).

(١١) احرص على الرقية الشرعية:

قال الإمام ابن القيم: «واعلم أن الأدوية الإلهية تنفع من الداء بعد حصوله، وتمنع من وقوعه، وإن وقع لم يقع وقوعًا مضرًا وإن كان مؤذيًا، والأدوية الطبيعية إنما تنفع بعد حصول الداء، فالتعوذات والأذكار إما أن تمنع وقوع هذه الأسباب، وإما أن تحول بينها وبين كمال تأثيرها بحسب كمال التعوذ وقوته

---

(١) صحيح: رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٠٧).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٨٦).

(٣) حسن: رواه الحاكم عن ابن عمر وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٠٩).

(٤) حسن: رواه الترمذى والحاكم وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٦٨٧).

(٥) الجواب الكافى (ص: ١٧-١٨).

ضعفه، فالرُّقَى والعُوَذ تُستعمل لحفظ الصحة، ولإزالة المرض»[(١)]. اهـ.

قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(٢)].

*وإليك - أخى الحبيب - طائفة من الآيات والأدعية التى وردت فى السنة عسى الله أن ينفعك بها وأن يجعلها سببًا للشفاء:

١- قراءة فاتحة الكتاب: لقد ثبت فى الصحيحين أن صحابيًّا رقى رجلاً كان قد لُدغ فشفى بإذن الله.

٢- قراءة المعوذات (ثلاث مرات): والمعوذات هى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾.

عن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح بيده، رجاء بركتها»[(٣)].

قال النووى - رحمه الله -: «إنما رقى بالمعوذات لأنهن جامعات الاستعاذة من كل المكروهات جملة وتفصيلاً، ففيها الاستعاذة من شر ما خلق، فيدخل فيه كل شيء، ومن شر النفاثات فى العقد، ومن السواحر، ومن شر الحاسدين، ومن شر الوسواس الخناس. والله أعلم»[(٤)].

٣- وفى الصحيحين عن أمنا عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى منَّا إنسان مسحه بيمينه، ثم قال: «**أذهب البأس رب الناس، واشف أنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا**»[(٥)].

قال ابن القيم - رحمه الله -: «فى هذه الرقية توسل إلى الله بكمال

---

(١) زاد المعاد (٤/ ١٨٢).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٨٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠١٦) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (٢١٩٢) كتاب السلام.

(٤) مسلم بشرح النووى (٤/ ٤٣٣).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٧٥) كتاب المرضى، ومسلم (٢١٩١) كتاب السلام.

ربوبيته، وكمال رحمته بالشفاء، وأنه وحده الشافى، وأنه لا شفاء إلا شفاؤه، فتضمنت التوسل إليه بتوحيده وإحسانه وربوبيته»[١].

٤- الدعاء للمريض بالشفاء (ثلاثًا)، كما فعل النبى ﷺ مع سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه حينما عاده فى مرضه.

٥- وعن أبى سعيد رضي الله عنه أن جبريل أتى النبى ﷺ فقال: **«يا محمد، اشتكيت؟»** فقال: «نعم» قال: **«بسم الله أرقيك من كل شىء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك»**[٢].

وفى حديث عائشة رضي الله عنها **قالت:** «كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل، قال: **بسم الله يُبريك، ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد إذا حسد وشر كل ذى عين»**[٣].

٦- وعن عثمان بن أبى العاص رضي الله عنه أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده فى جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: **«ضع يدك على الذى تألم من جسدك، وقل: بسم الله»** (ثلاثًا).

ثم قل: «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»[٤].

وفى رواية: قال عثمان: «فقلت ذلك فأذهب الله ما كان بى، فلم أزل آمر به أهلى وغيرهم». وفى رواية: **«امسحه بيمينك سبع مرات»**[٥].

٧- وعن عبد الله بن عمرو قال: قال النبى ﷺ: **«إذا جاء الرجل يعود مريضًا فليقل: اللهم اشف عبدك ينكأ لك عدوًا أو يمشى لك إلى صلاة»**[٦].

---

(١) زاد المعاد (٤/ ١٨٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٨٦) كتاب السلام.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢١٨٥) كتاب السلام.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٣٠٢) كتاب السلام.

(٥) صحيح: رواه أبو داود والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٣٤٥٣).

(٦) حسن: رواه أبو داود وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٦٦).

وقوله: «ينكأ»: أى يؤلم ويوجع.

٨- وعن ابن عباس ﷺ عن النبى ﷺ قال: «من عاد مريضًا لم يحضر أجله فقال عنده - سبع مرات -: أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يشفيك، إلا عافاه الله - سبحانه وتعالى - من ذلك المرض»(١).

وفى رواية: «فإن كان فى أجله تأخير عُوفى من وجعه ذلك».

٩-وعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شىء، حتى يرتحل من منزله ذلك»(٢).

١٠- وعن عبد الله بن عمرو ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا فزع أحدكم فى النوم فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون»(٣).

١١- وعن ابن عباس ﷺ قال: «كان النبى ﷺ يُعَوِّذ الحسن والحسين، ويقول: «إن أباكما كان يُعوذ بهما إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»(٤).

١٢- «أعوذ بكلماتِ الله التامات التى لاَ يجاوزهنّ بَرٌّ ولا فاجر، من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ فى الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمان»(٥).

١٣- عن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «ما من عبد

---

(١) صحيح: رواه أبو داود والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٨٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٠٨) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) حسن: رواه الترمذى وأبو داود وحسنه الألبانى فى الصحيحة (٢٦٤).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٣٣٧١) كتاب أحاديث الأنبياء.

(٥) صحيح: رواه أحمد وصححه الألبانى فى تخريج شرح الطحاوية (ص: ١٩١).

يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم (ثلاث مرات) فيضره شيء» (١).

وفى رواية: «لم تصبه فجأة بلاء».

(١٢) احرص على أدعية تفريج الهموم:

ويا من تعانى من الهموم والغموم وتبحث عن أدعية تفريج الهموم والكروب. . . ها هو الحبيب ﷺ يعلمنا الأدعية التى يجعلها الله سببًا لتفريج كل ذلك.

قال ﷺ: «من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكُرب فليكثر الدعاء فى الرخاء» (٢).

وقال ﷺ: «ما أصاب عبدًا قط هم ولا حزن، فقال: اللهم إنى عبدك، وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتى بيدك ماضٍ فىَّ حكمك، عدل فىَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته فى كتابك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبى، ونور صدرى، وجلاء حزنى، وذهاب همى، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحًا، قال: فقيل: يا رسول الله ألا نتعلمها؟ فقال: بلى ينبغى لمن سمعها أن يتعلمها» (٣).

وقال ﷺ: «كلمات الفرج: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلى العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات السبع ورب العرش الكريم» (٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله

---

(١) صحيح: رواه الترمذى وابن ماجه وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٤٥).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٣٨٢) كتاب الدعوات، من حديث أبى هريرة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٥٩٣).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٣٧٠٤)، من حديث عبد الله بن مسعود، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٩٩).

(٤) صحيح: رواه ابن أبى الدنيا فى الفرج بعد الشدة (٤٧)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٠٤٥).

إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرشِ العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم»(١).

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه كان إذا كربه أمرٌ قال: **«يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث»**(٢).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت»**(٣).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت: ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»**(٤).

وعن أسماء بنت عُميس رضي الله عنها أنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: **«ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب - أو في الكرب -: الله، الله ربي لا أشرك به شيئا»**(٥).

وفي رواية قال ﷺ: **«من أصابه همٌّ، أو غم، أو سقم، أو شدة فقال: الله ربي لا شريك له كشف ذلك عنه»**(٦).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٣٤٦) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧٣٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٥٢٤) كتاب الدعوات، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣١٨٢).

(٣) حسن: رواه أبو داود (٥٠٩٠) كتاب الأدب، وأحمد (٢٧٨٩٨)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٣٨٨).

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٣٥٠٥) كتاب الدعوات، وأحمد (١٤٦٥)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٣٨٣).

(٥) صحيح: رواه أبو داود (١٥٢٥) كتاب الصلاة، من حديث أسماء بنت عميس رضي الله عنها، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في تخريج الكلم الطيب (١٢٢).

(٦) حسن: رواه الطبراني في الكبير (٢٤/ ١٥٤)، من حديث أسماء بنت عميس رضي الله عنها، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٠٤٠).

بل كـان النبى يكثر من هذا الدعـاء: «اللهم إنى أعوذ بـك من الهم والحزن والعـجز والكسل والبـخل والجبن وضلع الدين وغلبة الـرجال»[١]. وهو دعاء مفيدٌ جداً لدفع الهم قبل وقوعه . . والدفع أسهل من رفع الهم.

فإذا استطعت أخـى الحبيب أن تحفظ تلك الأدعيـة التى خرجت من فم الصادق الذى لا ينطق عن الهوى فأبشـر والله بكل خير واعلم يقيناً أنك إن قلتها وأنت تحسن الظن بالله فسوف يفرج الله همك وحزنك.

(١٣) عليك بالحجامة وعسل النحل:

روى البخارى أن النبى ﷺ قال: «الشفاء فى ثلاثة: شربة عسل، وشَرطة مِحجم، وكية نار، وأنهى أمتى عن الكى»[٢].

وقال ﷺ: «خيرُ ما تداويتم به الحجامة»[٣].

وقال ﷺ: «خيـر يوم تحتجـمون فيـه سبع عـشرة وتسع عشـرة وإحدى وعشرين وما مررتُ بملأ من الملائكة ليلة أُسرى بى إلا قالوا: عليك بالحجامة يا محمد»[٤].

وقال ﷺ: «الحجـامةُ على الريـق أمثلُ، وفيـها شـفاءٌ وبـركةٌ، وتزيدُ فى الحفظ وفى العقل، فاحتجموا على بركة الله يوم الخـميس واجتنبوا الحجامة يوم الجمـعة ويوم السـبت ويوم الأحد، واحتـجمـوا يوم الاثنين والثلاثاء؛ فـإنه اليوم الذى عافى الله فـيه أيوب من البلاء، واجتنبـوا الحجامة يوم الأربعاء؛ فـإنه اليوم الذى ابتُلى فيه أيوبُ، وما يبدو جُذامٌ ولا بَرص إلا فى يوم الأربعاء، أو فى ليلة الأربعاء»[٥].

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٨٩٣) كتاب الجهاد والسير، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٦٨٠) كتاب الطب.

(٣) صحيح: رواه أحمد والطبرانى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٢٣).

(٤) حسن: رواه أحمد والحاكم وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٣٢).

(٥) حسن: رواه ابن ماجه والحاكم وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣١٦٩).

(١٤) عليك بألبان البقر:

قال ﷺ : **«عليكم بألبان البقر فإنها دواء وأسمانها فإنها شفاء وإياكم ولحومها فإن لحومها داءٌ»**(١).

(١٥) وصفة مباركة للشفاء:

ففي الحديث المتفق عليه، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا شتكى الإنسان الشيء منه أو كانت به قرحة أو جرحٌ، قال النبي ﷺ بإصبعه هكذا - ووضع سفيان بن عيينة الراوى سبَّابته بالأرض، ثم رفعها - وقال: **«بسم الله تُربةُ أرضنا بريقة بعضنا يُشفى سقيمُنا بإذن ربنا»**(٢).

قال جمهور العلماء: المراد بأرضنا هنا جملة الأرض، وقيل: أرض المدينة خاصة لبركتها.. والريقة أقل من الريق.. ومعنى الحديث: أنه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شيء، فيمسح به على الموضع الجريح أو العليل، ويقول هذا الكلام في حال المسح.

(١٦) نصيحة غالية للوقاية من أى بلاء:

قال ﷺ : **«من رأى مبتلى فقال: الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفضَّلنى على كثير ممن خلق تفضيلاً لم يُصبه ذلك البلاء»**(٣).

(١٧) هذا الطعام لعلاج الهموم:

روى البخارى رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تأمر بالتلبين للمريض وللمحزون على الهالك، وكانت تقول: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن التلبينة تجم فؤاد المريض وتذهب ببعض الحزن»**(٤).

والتلبينة: هى حساء يُعمل من دقيق، أو نخالة ويُجعل فيه عسل،

---

١) صحيح: رواه أبو نعيم والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٠٦٠).

٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧٤٥) كتاب الطب، ومسلم (٢١٩٤) كتاب السلام.

٣) حسن: رواه الترمذى عن أبى هريرة وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٤٨).

٤) صحيح: رواه البخارى (٥٦٨٩) كتاب الطب.

وسُميت تلبينة لشبهها باللبن، وهى تُطبخ من الشعير مطحونًا.

ومعنى مجمة: أى تريح وتنشط وتزيل الهم.

(١٨) عليكم بالحبة السوداء:

قال ﷺ: «عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام وهو الموت»(١).

(١٩) قيام الليل مَطردة للداء عن الجسد:

واحرص أخى الحبيب على قيام الليل - ولو كنت جالسًا - فإن قيام الليل من أسباب الشفاء - بإذن الله -.

قال ﷺ: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقُربة إلى الله تعالى ومَنهاةٌ عن الإثم وتكفير للسيئات»(٢).

(٢٠) عليك بمراعاة تلك الأشياء مع الأهل والأحباب:

أخى المريض، تذكَّر أن أهلك وإخوانك وأحبابك متأثرون لما أنت فيه، قد أحسوا بمصابك، وشعروا بألمك، وتوجعوا لوجعك، فحقٌّ عليك أن تراعى أمورًا معينة فى التعامل معهم:

أولها: لا تُحمل من حولك ما لا يطيقون بتكليفهم بالقيام بأمور يشق عليهم القيام بها أو مطالبتهم بمطالب يعجزون عن تحقيقها أو يرهقهم توفيرها، وإن كانوا يعطفون عليك ويرحمونك ويتحملون منك، لكن لا ينبغى أن تجعل ذلك مبررًا للإثقال عليهم.

ثانيها: أظهِر لأهلك ومُحبيك أنك بخير، وأن صحتك فى تحسُّن مستمر، وأن نفسيتك عالية، لتطمئنهم وتطرد عنهم القلق والحزن الذى أحاط بهم إشفاقًا عليك.

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٠٨٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٠٧٩).

ثالثها: إذا حصل من أحد من أحبابك وإخوانك وأقاربك تقصير فى زيارتك أو السؤال عنك، فالتمس له العذر، ولا تحمل عليه فى صدرك، والتمس له المعاذير، فقد يقصر فى ذلك لأمور:

أحدها: عدم العلم بحالك، فقد لا يعلم بما أصابك من المرض.

الثانى: النسيان، وكل أحد عُرضة له.

الثالث: الاشتغال بأمور ملزمة لا انفكاك له عنها.

وثمت أعذار أخرى إذا التمستها وجدتها [١].

(٢١) لا تحزن على ما فاتك من الدنيا:

ولا تعتقد أيها الأخ الحبيب أن مرضك كان سببًا فى فوات حظ من حظوظ الدنيا فإنك لن تنال إلا رزقك الذى قدره الله لك... ولا يخفى عليك أن الدنيا كلها لا تساوى عند الله جناح بعوضة.

قال ﷺ: **«والله ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه فى اليم فلينظر بِمَ يرجع»**[٢].

* **ولن يفوتك رزقك أبداً فقد قال ﷺ: «إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله»**[٣].

(٢٢) أحسن الظن بالله (جل وعلا):

أخى الحبيب: إذا طال بك المرض واستمرت بك الآلام فإياك أن تسىء الظن بربك، وتعتقد أن الله - سبحانه وتعالى - أراد بك سوءاً، وأنه لا يريد معافاتك، وأنه ظالم لك، فإن ذلك جُرمٌ عظيم وخطر جسيم. فالله سبحانه وتعالى مُنزه عن الظلم، وهو الحكم العدل، بل هو الرحيم المتفضل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٤]، وقال سبحانه:

---

(١) تحفة المريض/ عبد الله الجعيثن (ص: ١٢٧، ١٢٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٥٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٣٠).

(٤) سورة يونس: الآية: (٤٤).

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ (١)، وفى الحديث القدسى يقول الله عز وجل: «يا عبادى، إنى حرمت الظلم على نفسى، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا» (٢).

فما أصابك وما قدره الله عليك هو عين العدل، كما فى الدعاء الوارد عن النبى ﷺ : «ماضٍ فىَّ حُكمك عدلٌ فىَّ قضاؤك» (٣).

وقال (جل وعلا): «أنا عند ظن عبدى بى، إن ظن خيراً فله، وإن ظن شراً فله» (٤).

وقد أمر النبى ﷺ بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله - عز وجل -» (٥)(٦).

يا صاحب الهم إن الهم منفرجٌ
أبشر بخيرٍ فإن الفارج اللهُ
اليأس يقطع أحيانًا بصاحبه
لا تيأسنَّ فإن الكافى اللهُ
إذا بُليت فثق بالله وارضَ به
فإن الذى يكشف البلوى هو اللهُ
الله يُحدث بعد العسر ميسرةً
لا تجزعن فإن الصانع اللهُ
والله ما لك غير الله من أحد
فحسبُكَ الله فى كلٍّ لك اللهُ

---

(١) سورة النساء: الآية: (٤٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه أحمد والحاكم وصححه الألبانى فى الصحيحة (١٩٩).

(٤) صحيح: رواه أحمد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣١٥).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٦) تحفة المريض (ص: ١٠٥).

(٢٣) لا تشكُ من يرحمك إلى من لا يرحمك:

واحذر - أخى الحبيب - أن تشكو ربك (عز وجل) لأى مخلوق فإنك إن فعلت ذلك فكأنك تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك.

- واحرص على هذا الثواب العظيم الذى أخبر عنه الحق (جل وعلا).

قال ﷺ : «قال تعالى: إذا ابتليتُ عبداً من عبادى مؤمنًا فحمدنى وصبر على ما بليته؛ فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمهُ من الخطايا، ويقول الربُّ عز وجل للحفظة؛ إنى أنا قيدت عبدى هذا وابتليته، فأجروا له ما كنتم تُجرون له قبل ذلك من الأجر، وهو صحيح»[١] .

وقال ﷺ : «قال الله تعالى: إذا ابتليت عبدى المؤمن، فلم يَشْكُنى إلى عُواده أطلقته من إسارى، ثم أبدلته لحمًا خيراً من لحمه ودمًا خيراً من دمه ثم يستأنف العمل»[٢] .

قال ابن القيم - رحمه الله -: «والشكوى إلى الله - عز وجل - لا تنافى الصبر، فإن يعقوب - عليه السلام - وعد بالصبر الجميل - والنبى إذا وعد لا يُخلف - ثم قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾[٣]، وكذلك أيوب عليه السلام أخبر الله عنه أنه وجده صابراً، مع قوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٤]، وإنما ينافى الصبر شكوى الله، لا الشكوى إلى الله، كما رأى بعضهم رجلاً يشكو إلى آخر فاقة وضرورة، فقال: يا هذا، تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك!! ثم أنشد:

وإذا عرتك بلية فاصبر لها
صبر الكريم، فإنه بك أرحمُ

---

(١) حسن: رواه أحمد وأبو يعلى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٠٠).

(٢) صحيح: رواه الحاكم والبيهقى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٠١).

(٣) سورة يوسف: الآية: (٨٦).

(٤) سورة الأنبياء: الآية: (٨٣).

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما

تشكو الرحيم إلى الذى لا يرحمُ[(١)]

وأما إخبار المريض بمرضه لا على سبيل الشكوى، وإنما إجابة لسؤال من سأل عن حاله، أو إخبار الطبيب، أو من يرجو أن يدله على الدواء، فهذا جائز ولا ينافى الصبر، فإن النبى ﷺ قال لابن مسعود رضي الله عنه: «**إنى أُوعك كما يوعك رجلان منكم**»[(٢)]. ولما قالت عائشة رضي الله عنها: وا رأساه!! قال: «**بل أنا، وا رأساه**»[(٣)].

وقال ابن القيم - رحمه الله -: «وأما إخبار المخلوق بالحال فإن كان للاستعانة بإرشاده أو معاونته والتوصل إلى زوال ضرره لم يقدح ذلك فى الصبر، كإخبار المريض للطبيب بشكايته، وإخبار المظلوم لمن ينتصر به بحاله، وإخبار المبتلى ببلائه لمن كان يرجو أن يكون فرجه على يديه، وقد كان النبى ﷺ إذا دخل على المريض يسأله عن حاله، ويقول: كيف تجدك، وهذا استخبار منه واستعلام بحاله»[(٤)]. اهـ.

وقال ابن مفلح - رحمه الله -: «ويخبر بما يجده بلا شكوى.

وكان أحمد - رحمه الله - يحمد الله أولاً؛ لخبر ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا كان الشكر قبل الشكوى فليس بشاكٍ»[(٥)].

وقد التزم سلفنا الصالح - رحمهم الله تعالى - هذا الأدب، فكانوا يكتمون ما أصابهم، ولا يشكون مولاهم إلى خلقه.

ولما نزل فى إحدى عينى عطاء - رحمه الله - الماء، مكث عشرين سنة

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٦١).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٤٨) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧١) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٥٦٦٦) كتاب المرضى.

(٤) عدة الصابرين (ص: ٣١٤).

(٥) الفروع (٢/ ١٧٦).

لا يعلم به أهله، حتى جاء ابنه يومًا من قِبل عينه التى أُصيب فيها، فلم يشعر به، فعلم أن أباه قد أصيب[١].

وأما الأنين، فقال ابن القيم - رحمه الله -: «التحقيق أن الأنين على قسمين: أنين شكوى، فيُكره. وأنين استراحة وتفريج، فلا يُكره، والله أعلم»[٢].

(٢٤) أحِبَّ لقاء الله (عزوجل):

عليك أن تحب لقاء الله حتى يحب الله لقاءك... فقد قال ﷺ: **«من أحبَّ لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»**. قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت.

قال: **«ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحبَّ إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله، وأحبَّ الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بُشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه»**[٣].

(٢٥) عليك بالتوبة والاستغفار:

اعلم علم اليقين أن هذا المرض قد يكون بسبب ذنوبك التى ارتكبتها فعليك أن تتوب إلى الله (عز وجل) وأن تكثر من الاستغفار عسى الله أن يغفر لك ويعفو عنك والزم سيد الاستغفار.... عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: **«سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علىَّ، وأبوء لك بذنبى، فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»**، قال:

---

(١) تسلية أهل المصائب (ص: ٢١٥).

(٢) عدة الصابرين (ص: ٣١٥).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٥٠٧) كتاب الرقاق.

«من قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يُمسى فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»[(١)].

(٢٦) بادر بكتابة وصيتك:

أخى الحبيب: إذا كان عليك حقـوق للناس، أو لك حقوق عندهم، أو ترغب فى الوصية بشىء من مالك، فبادر بـكتابة الوصية، فإن السُّنة المبادرة بها. وكـتابتك لها لا تدنى من أجلك، وعـدم كتابتك لها لا تبـاعدك منه. والمرء لا يدرى متى يفجؤه الموت.

قال ﷺ: «ما حق امرىءٍ مـسلم له شىء يريد أن يوصى فيه يبـيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده»[(٢)].

قال ابن عـمر: «ما مـرت علىَّ ليلة منذ سمعت رسـول الله ﷺ قال ذلك، إلا وعندى وصيتى».

ويُستحب عدم تأخير الوصية إلى حضور أمارات الموت.

لقوله عليـه الصلاة والسـلام لما سُئل: أى الصدقة أعـظم أجرًا؟ قال: **«أن تصدَّق وأنت صـحيح شحـيح، تخشى الفـقر، وتأمل الغنى، ولا تُمـهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان»[(٣)].**

ولا توصِ بأكثر من الثلث، . . . لحديث سـعد بن أبى وقاص رضي الله عنه حيث سأل رسول الله ﷺ عن الوصـية بماله كله؟ فقـال: **«لا»** وبالثلثين؟ فقـال: **«لا»** وبالنصف فـقال: **«لا»** ثم قال عـليه الصـلاة والسلام: **«الثلث، والثلث كثير»[(٤)].**

وعن ابن عبـاس رضي الله عنهما **قال:** قال رسول الله ﷺ: لـو أن الناس غضوا

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٣٠٦) كتاب الدعوات.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٦٢٧) كتاب الوصية.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١٩) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٣٢) كتاب الزكاة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٤٢) كتاب الوصايا، ومسلم (١٦٢٨) كتاب الوصية.

من الثلث إلى الربع، فإن رسول الله ﷺ قال: «**الثلث، والثلث كثير**»[١].

ومعنى «غضوا»: نقصوا وحطُّوا.

(٢٧) تحلل من المظالم:

واحرص كل الحرص على أن تتحلل من مظالم العباد بأن ترد إليهم حقوقهم وأن تتحلل من كل صاحب مظلمة.

قال ﷺ: «**من كانت له مظلمة لأخيه من عِرضه أو شيء، فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحُمِل عليه**»[٢].

(٢٨) اغتنم لحظات العمر في طاعة الله:

ومن المعلوم أن المريض يكون عنده متسع من الوقت... فعليك - أخى الحبيب - أن تغتنم تلك الأوقات فى قراءة القرآن والصلاة والذكر والدعاء والاستغفار والاستماع إلى الأشرطة النافعة وقراءة الكتب المفيدة.. واحرص كل الحرص على الدعوة إلى الله وذلك بأن تجتهد فى دعوة المرضى من حولك بل ودعوة الأطباء وكل من يأتى لزيارتك فلقد قال ﷺ: «**ولأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمر النعم**»[٣] فعسى الله أن يجعلك سببًا فى هداية إنسان فيكون فى ميزان حسناتك يوم القيامة.

(٢٩) وماذا بعد الشفاء:

إذا مَنَّ الله عليك بالعافية فاحمده واشكره على هذه المنة العظيمة، واعلم أن الله هو الشافى على الحقيقة، فهو الذى قدَّر لك الشفاء ويسَّر أسبابه، وهو خالق السبب والمسبب.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٢٩) كتاب الوصية.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٤٤٩) كتاب المظالم والغصب.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٤٢) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

واعلم أن الصحة من أجلِّ النعم وأعظمها.

فقد قال ﷺ: **«نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»**[١].

ونظراً لكون الصحة من أجلِّ النعم كانت أول ما يُسأل عنه العبد من النعيم يوم القيامة، . . . فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أول ما يُسأل عنه يوم القيامة - يعنى: العبد - من النعيم أن يقال له: ألم نُصحّ لك جسمك، ونُروك من الماء البارد؟!»**[٢].

وقد أرشد النبى ﷺ إلى اغتنام وقت الصحة بالطاعة وما يقرب إلى الله سبحانه. . . فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لرجل، وهو يعظه: **«اغتنم خمساً قبل خمس: شبابكْ قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»**[٣][٤].

وقال ﷺ: **«ما أنعم الله على عبد نعمة فقال: الحمد لله، إلا كان الذى أعطى أفضل مما أخذ»**[٥].

* وقوله: **«إلا كان الذى أعطى»** يعنى: الذى أدى العبد وفَعل من الحمد والشكر، **«أفضل مما أخذ»** يعنى: من النعمة.

قال محمود الوراق - رحمه الله -:

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة
علىَّ له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله
وإن طالت الأيام واتصل العمر

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٢) كتاب الرقاق.

(٢) صحيح: رواه الترمذى والحاكم، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٥٣٩).

(٣) صحيح: رواه الحاكم والبيهقى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٠٧٧).

(٤) تحفة المريض (ص:١٢٩).

(٥) حسن: رواه ابن ماجه عن أنس وحسنه الألبانى فى صحيح ابن ماجه (٣٠٦٧).

إذا مسَّ بالسـراء عم سـرورها
وإن مسَّ بالضـراء أعقـبها الأجـر
ومـا منهمـا إلا له فيـه منّة
تضيق بها الأوهام والبـر والبحـر[١]

(٣٠) سَلِ الله الجنة:

وأخيرًا: لا تنسَ أيها الأخ الحبيب أنك طالب جنة فلا يفتر لسانك لحظة واحدة عن طلب الجنة من خالقهـا (جل وعلا)... فلقد قال ﷺ: «**من سأل الله الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار**»[٢].

بل احرص على أن تسأل الله (عز وجل) أن يـرزقك الشهادة لترتقى فى أعلى درجات الجنة... فأخلص نيتك لله وسوف يكرمك الحق (جل وعلا) ويرزقك الشهادة لو سألته بصدق من قلبك... فلقد قال ﷺ: «**من سأل الله الشهادة بصدق، بلَّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه**»[٣].

* ومن أجل أن تعلو همـتك للشهادة فـلقد أخبـرنا النبى ﷺ بمكانة الشهيد عند الله فقال ﷺ: «**للشهيد عند الله سبع خصال: يُغفر له فى أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويُحلَّى حُلة الإيمان، ويُزوَّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُجار من عذاب القـبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقـار، الياقوتة منه خـير من الدنيا ومـا فيهـا، ويشفع فى سبـعين إنسانًا من أهل بيته**»[٤].

* * *

---

(١) الشكر لابن أبى الدنيا (ص: ١٠٤).
(٢) صحيح: رواه الترمذى والنسائى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٧٥).
(٣) صحيح: روه مسلم (١٩٠٩) كتاب الإمارة.
(٤) صحيح: رواه أحمد والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٨٢).

كيف يتطهر المريض؟

ج: يجب على المريض أن يتطهر بالماء فيتوضأ من الحدث الأصغر ويغتسل من الحدث الأكبر.

* فإن كان لا يستطيع الطهارة بماء لعجزه أو خوف زيادة المرض أو تأخر بُرئه فإنه يتيمم.

* كيفية التيمم: أن يضرب الأرض الطاهرة بيديه ضربة واحدة يمسح بهما جميع وجهه، ثم يمسح كفيه بعضهما ببعض.

* فإن لم يستطع أن يتطهر بنفسه فإنه يوضئه أو ييممه شخص آخر.

* إذا كان فى بعض أعضاء الطهارة جرح فإنه يغسله بالماء، فإن كان الغسل بالماء يؤثر عليه مسحه مسحًا فيبل يده بالماء ويمرها عليه، فإن كان المسح يؤثر عليه أيضًا فإنه يتيمم عنه.

* إذا كان فى بعض أعضائه كسر مشدود عليه خرقة أو جبس فإنه يمسح عليه بالماء بدلاً من غسله ولا يحتاج للتيمم؛ لأن المسح بدل عن الغسل.

* يجوز أن يتيمم على الجدار أو على شيء آخر طاهر له غبار فإن كان الجدار ممسوحًا بشيء من غير جنس الأرض كالبويا فلا يتيمم عليه إلا أن يكون له غبار.

* إذا لم يكن التيمم على الأرض أو الجدار أو شيء آخر له غبار فلا بأس أن يوضع تراب فى إناء أو منديل ويتيمم منه.

* إذا تيمم لصلاة وبقى على طهارته إلى وقت الصلاة الأخرى فإنه يصليها بالتيمم الأول ولا يعيد التيمم للصلاة الثانية؛ لأنه لم يزل على طهارته ولم يوجد ما يبطلها.

* يجب على المريض أن يطهر بدنه من النجاسات، فإن كان لا يستطيع صلى على حاله وصلاته صحيحة ولا إعادة عليه.

* يجب على المريض أن يصلى بثياب طاهرة، فإن تنجست ثيابه وجب غسلها أو إبدالها بثياب طاهرة فإن لم يمكن صلى على حاله وصلاته صحيحة ولا إعادة عليه.

* يجب على المريض أن يصلى على شيء طاهر، فإن تنجس مكانه وجب غسله أو إبداله بشيء طاهر أو يفرش عليه شيئًا طاهرًا فإن لم يمكن صلى على حاله وصلاته صحيحة ولا إعادة عليه.

* لا يجوز للمريض أن يؤخر الصلاة عن وقتها من أجل العجز عن الطهارة بل يتطهر بقدر ما يمكنه أن يصلى الصلاة فى وقتها ولو كان على بدنه أو ثوبه أو مكانه نجاسة يعجز عنها[1].

* **س: كيف يصلى المريض؟**

ج: يجب على المريض أن يصلى الفريضة قائمًا ولو منحنيًا أو معتمدًا على جدار أو عصًا يحتاج إلى الاعتماد عليه.

* فإن كان لا يستطيع القيام صلى جالسًا والأفضل أن يكون متربعًا فى موضع القيام أو الركوع.

* فإن كان لا يستطيع الصلاة جالسًا صلى على جنبه متوجهًا إلى القبلة والجنب الأيمن أفضل، فإن لم يتمكن من التوجه إلى القبلة، صلَّى حيث كان اتجاهه، وصلاته صحيحة، ولا إعادة عليه.

* فإن كان لا يستطيع الصلاة على جنبه صلى مستلقيًا؛ رجلاه إلى القبلة والأفضل أن يرفع رأسه قليلاً ليتجه إلى القبلة، فإن لم يستطع أن تكون رجلاه إلى القبلة صلى حيث كان ولا إعادة عليه.

---

(١) نقلاً من مقالة للشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى.

* يجب على المريض أن يركع ويسجد فى صلاته فإن لم يستطع أومأ بهما برأسه ويجعل السجود أخفض من الركوع فإن استطاع الركوع دون السجود ركع حال الركوع وأومأ بالسجود، ولا يحتاج إلى وسادة يسجد عليها.

* فإن كان لا يستطيع الإيماء برأسه فى الركوع والسجود أشار بعينيه فيغمض قليلاً للركوع ويغمض تغميضًا أكثر للسجود، وأما الإشارة بالأصبع كما يفعله بعض المرضى فليس بصحيح ولا أعلم له أصلاً من الكتاب والسنة ولا من أقوال أهل العلم.

* فإن كان لا يستطيع الإيماء بالرأس ولا الإشارة بالعين صلى بقلبه فيكبر ويقرأ وينوى الركوع والسجود والقيام والقعود بقلبه ولكل امرئ ما نوى.

* يجب على المريض أن يصلى كل صلاة فى وقتها ويفعل كل ما يقدر عليه مما يجب فيها، فإن شق عليه فعل كل صلاة فى وقتها فله الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء؛ إما جمع تقديم بحيث يقدم العصر إلى الظهر والعشاء إلى المغرب، وإما جمع تأخير بحيث يؤخر الظهر إلى العصر والمغرب إلى العشاء حسبما يكون أيسر له. أما صلاة الفجر فلا تُجمع لما قبلها ولا لما بعدها.

* إذا كان المريض مسافرًا يعالَج فى غير بلده فإنه يقصر الصلاة الرباعية فيصلى الظهر والعصر والعشاء على ركعتين ركعتين حتى يرجع إلى بلده سواء طالت مدة سفره أم قصرت[1].

* * *

(١) نقلاً من مقالة للشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى.

وأخيرًا

* أيها الأخ الحبيب:

لا تحزن: فإن المرض يزول، والمصاب يحول والذنب يُغفر، والدَّين يُقضَى، والمحبوس يُفَك، والغائب يقدم، والعاصى يتوب، والفقير يغتنى.

لا تحزن: أما ترى السحاب الأسود كيف ينقشع، والليل البهيم كيف ينجلى، والريح الصرصر كيف تسكن، والعاصفة كيف تهدأ؟! إذًا فشدائدك إلى رخاء، وعيشك إلى هناء، ومستقبلك إلى نعماء.

لا تحزن: لهيب الشمس يطفئه وارف الظل، وظمأ الهاجرة يبرده الماء النمير، وعضة الجوع يسكنها الخبز الدافئ، ومعاناة السهر يعقبه نومٌ لذيذ، وآلام المرض يُزيلها لذيذ العافية، فما عليك إلا الصبر قليلاً والانتظار لحظة[1].

* أخى الحبيب.. أختى الفاضلة:

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيكم (سبع مرات).

وأسأله (جل وعلا) أن يجعل رسالتى هذه بلسمًا ودواءً لكل مريض مسلم.. كما أسأله أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وأن يجعلها فى ميزان حسناتى يوم أُدرج فى أكفانى.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

---

(١) لا تحزن / الشيخ عائض القرنى (ص: ١٠١).



أنا وكافل اليتيم في الجنة

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[١].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[٣].

* * *

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠-٧١).

حق اليتيم

إننى فى تلك السطور القليلة أدعو نفسى وإخوانى فى كل الأقطار والأمصار إلى إجابة نداء الواحد القهار للإحسان إلى اليتامى بالليل والنهار فإن الأمة المسلمة كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

ونحن فى دعوتنا هذه نريد أن تنهض الأمة من كبوتها ليحمل القوى فيها الضعيف ويحمل الغنى فيها الفقير، ويحمل العالم فيها الجاهل وبذلك تتكامل سواعد الأمة وترجع مرة أخرى خير أمة أُخرجت للناس.

قال ﷺ : **«كيف يقدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من قويها وهو غير متعتع»**(١).

فكيف يقدس الله أمة ضاعت فيها حقوق اليتامى الذين لا يجدون لها معينًا إلا الله جل وعلا بعد أن حُرموا من أبٍ رحيم يحنو عليهم ويمسح دمعتهم ويُشبع جوعتهم، ولقد قال النبى ﷺ : **«فى كل ذات كبدٍ حرّى أجر»**(٢).

فإن لك أجرًا فى كل لقمة أو شربة ماء تسوقها لحيوان أعجم فكيف بمن يسوق لقمة إلى فم يتيم يتجرع مرارة اليُتم؟!..

بل لقد أخبر النبى ﷺ أنه **«غُفر لامرأة مومسةٍ مرت بكلب على رأس ركى يلهث كاد يقتله العطش فنزعت خُفها فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فغُفر لها بذلك»**(٣)، فكيف بمن يحمل فى كفه شربة ماء لطفل يتيم ... فيا

---

(١) صحيح: رواه البيهقى (١٠/ ٩٤)، وابن أبى عاصم فى السنة (١/ ٢٥٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٥٩٧).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٦٨٦) كتاب الأدب، وأحمد (١٧١٣١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٢٦٣).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٣٢١) كتاب بدء الخلق.

من أكرمك الله بنعمة المال لا تبخل وأقبل بمالك لتنقـذ يتيمًا من مرارة الفقر والحـرمان ولا تحـرم نفسك من أن يكون مـالك قـائدًا لك إلى جنات الخلد ورضوان الرحيم الـرحمن فإن «**صدقة السـر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد فى العمر وفعل المعروف يقى مصارع السوء**» [١].

وقفة لطيفة

فإن قال قائل: لماذا لم يعتبر الشارع مَن فقد أمه يتيمًا كالذى فقد أباه؟

كان الجواب:

لأن الأب هو الذى يعـول الصـغيـر، ويرعى شـؤونه، ويقـوم بتأديبـه وتعليمه... وتعاليم الإسلام تحث على معـاملة اليتيم معاملة حسنة، وذلك مراعـاة لنفسـيتـه؛ لأنه لما فقـد أباه شعـر بالحاجـة الشديدة إلى من يـقوم بحمايته، ويقوى عزيمته، ويشد أزره ... لما فقد أباه شعر بالوحشة والذلة والانكسـار فكان لابد من تعويضـه ... لئلا ينحـرف ... فجـاء الإسلام ليعالج هذا كله [٢].

يتم النبى ﷺ
كان تشريفًا لكل يتيم إلى قيام الساعة

فى سـيرة المصطفى ﷺ مـا تطيب به خـواطر اليـتامى فى كل زمـان ومكان فقد توفى والده قبل أن يولد، ونشأ فى كفالة جده عبد المطلب يلقى من الرعاية والعناية ما يعوضه عن فـقد أبيه،... يقول ابن إسحـاق: وكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بن هاشم، وكان يوضع لعبد المطلب

(١) صحيح: رواه البيهقى فى شعب الإيمان (٣/ ٢٤٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٧٦٠).

(٢) منهاج الصالحين (ص: ٦٠٥).

فراشٌ فى ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك، حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له، قال ابن إسحاق: فكان رسول الله ﷺ يأتى وهو غلامٌ جَفرٌ، حتى يجلس عليه، فيأخذُهُ أعمامهُ، ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى منهم ذلك: دعوا ابنى، فوالله، إن لهُ لشأنًا، ثُمَّ يُجلسُهُ معه على الفراشِ، ويمسح ظهره بيده، ويسُرُّه ما يراه يصنع[١]. وبعد أن توفى عبد المطلب وعُمرُهُ ﷺ قد جاوز الثمانى سنوات بقليل، انتقلت كفالته - أخذًا بوصيةِ جَدِّه - إلى عمِّه الشَّقيق أبى طالب[٢]، فنهضَ أبو طالب بحقِّ ابن أخيه على أكملِ وجْه وضمَّهُ إلى ولْده، وقدَّمَهُ عليهم واختَصَّهُ بفضلِ احترَامٍ وتَقْديرٍ، فَكَانَ لاَ يَنامُ إلا وَهُوَ إلَى جِوَارِهِ ويَصطَحِبُهُ مَعَهُ مَا أَمكَنَتْهُ الصُّحبَةُ[٣].

لقد كَانتِ العربُ تَعرِفُ ذَلكَ وتُحدِّثُ بهِ، وتَعرف من وفاء الرَّسُولِ ﷺ لمن قام بكفَالته ما جعل خطيبَ وفد هوازنَ يُخَاطِبُهُ مُستشفعًا فى أموال هوازنَ ونسائهَا قَائلاً: يا رسولَ الله! إنَّمَا فى الحَظَائر عمَّاتُكَ وخالاتُك وحوَاضنُكَ اللاتى كُنَّ يكفلنك . . . وأنت خيرُ المكفُولينَ. ومَا كَانَ من رسول الله ﷺ إلا أن وفَّى لمن كَفلَهُ وقَامَ بِرِعَايَتِه حَقَّ كَافليه قَائلاً: **«أمَّا ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم»**[٤]، وَهكذَا كَانَ ﷺ مضربَ المَثَلِ فى الوَفَاءِ والعرفَان بالجَميل.

* **قيلَ لمُحَمَّد بْنِ جَعْفَرِ الصَّادق**: لِمَ أُوتِمَ النبيُّ ﷺ مِنْ أَبَوَيْه؟ فَقَالَ: لئلاَّ يكونَ لمخلوقٍ عليه حقٌ[٥].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٩٤).

(٢) انظر: خاتم النبيين للشيخ أبى زهرة (١/ ١٦٦)، والرحيق المختوم للمباركفورى (٦٦).

(٣) انظر السابق.

(٤) انظر: قصة وفد هوازن وما كان من أمر رسول الله ﷺ معهم، سيرة ابن هشام (٤/ ١٢٨).

(٥) تفسير القرطبى (٢٠/ ٩٦).

* قال النَّيسابُوريُّ: قال أهلُ التحقيق: الحكمةُ فى يُتم النبى ﷺ أن يَعرف قدر الأيتام، فيقوم بأمرهم، وأن يُكرمَ اليتيم المُشارِك لهُ فى الاسْمِ (١).

الحث على كفالة اليتيم والإحسان إليه

فقد أمرنا ربِ العالمين جل وعلا فى كتابه بالإحسان إلى اليتامى فى كل زمان ومكان، بل إنه سبحانه قد أخذ العهد والميثاق على الأمم قبلنا أن يحسنوا إلى اليتامى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾(٢).

* بل إن الإحسان إلى اليتامى مقترن بتحقيق العبودية لله -جل وعلا- فقد قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾(٣).

* وتتعاقب الآيات التى تحض على الإحسان إلى اليتامى.

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان - بهامش تفسير الطبرى (٣٠/ ١١١).
(٢) سورة البقرة: الآية: (٨٣).
(٣) سورة النساء: الآية: (٣٦).
(٤) سورة البقرة: الآية: (٢٢٠).
(٥) سورة النساء: الآية: (٨).

الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١).

لا يُطعم اليتيم إلا المخلصون الذين يرثون الجنة

قال تعالى فى حق المخلصين: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ أى: ويطعمون الطعام ابتغاء وجه الله مع شهوتهم له وحاجتهم إليه . . . ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ فكان الجزاء لمن أطعم اليتيم ﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ . . . .(٢) فيا له من أجر عظيم.

من يقتحم عقبة الشُح ليكون من أصحاب الميمنة؟

قال تعالى: ﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ أى: فهلا أنفق المؤمن ماله فى اجتياز العقبة الكؤود . . . وهذا مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان لينال رضا الرحمن ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ أى: وما أعلمك ما اقتحام العقبة؟ وفيه تعظيم لشأنها وتهويل ثم فسرها تعالى بقوله: ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ أى: هى عتق الرقبة فى سبيل الله وتخليص صاحبها من الأسر والرق فمن أعتق رقبة كانت له فداء من النار ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ أى: أو أن يطعم الفقير فى يوم عصيب ذى مجاعة . . . قال الصاوى: وقيد الإطعام بيوم المجاعة لأن إخراج المال فيه أشد على النفس ﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾

(١) سورة الأنفال: الآية: (٤١).

(٢) سورة الإنسان: الآيات: (٨-١٢).

ى أطعم اليتيم الذى بينه وبينه قرابة ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾[(١)] .

أى هؤلاء الموصوفون بهذه الصفات الجليلة هم أصحاب الجنة الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم[(٢)] .

لا يؤذى اليتيم إلا كل مكذب بالدين

قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾؟ أى هل عرفت الذى يكذب بالجزاء والحساب فى الآخرة؟ هل عرفت من هو وما هى أوصافه؟ إن أردت أن تعرفه ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ أى فذلك هو الذى يدفع اليتيم دفعًا عنيفًا بجفوة وغلظة ويقهره ويظلمه ولا يعطيه حقه ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾[(٣)(٤)] .

نبيان يقيمان جدارًا ليتيمين! فأين من يتأسى بهما؟!

فى ظل تلك الرحلة المباركة التى صحب فيها نبى الله (موسى) و(الخضر) عليهما السلام[(٥)] . فكان من بين الأحداث التى ذُكرت أنهما قاما ببناء جدار ليتيمين فى تلك المدينة فلما سأله موسى عليه السلام عن سبب ذلك قال: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ

(١) سورة البلد: الآيات: (١١-١٨).

(٢) صفوة التفاسير (٣/ ٥٦٢-٥٦٣) بتصرف.

(٣) سورة الماعون: الآيات: (١-٣).

(٤) صفوة التفاسير (٣/ ٦٠٩).

(٥) مع الاعتراف بأن العلماء قد اختلفوا فى ذلك: هل كان الخضر نبيًا أو كان عبدًا صالحًا . . . والراجح - والله أعلم - أنه كان نبيًا.

عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْه صَبْراً ﴾[١] فإن كان أنبياء الله قد فعلوا هذا الخير فى حق اليتامى فأين من يتأسى بهم فى بناء جدران اليتامى التى لا تجد من يقيمها[٢]؟!

ثمرات وفضائل كفالة اليتامى

١- كفالة اليتيم والإحسان إليه امتثال لأمر الله:

فإن الذى أمر بذلك هو الله -جل وعلا-. . . ولذلك قرن الله (عز وجل) بين عبوديته وبين الإحسان إلى اليتامى فقال (جل وعلا): ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً ﴾[٣] فمن أحسن إلى اليتامى فقد أطاع الله فيما أمره.

٢- إكرام لمن شارك رسول الله ﷺ فى صفة اليتم:

فى إكرام اليتيم والقيام بأمره إكرام لمن شارك رسول الله ﷺ فى صفة اليُتم، وفى هذا دليل على محبته ﷺ .

٣- تحل البركة على من يكفلون اليتامى:

فإن من كفل يتيمًا وأحسن إليه فإن البركة تحلُّ عليه وعلى أسرته.

* وتأمل معى ما حدث فى بيت أبى طالب - عم النبى ﷺ - عندما كان فقيراً ومع ذلك لما كفل الحبيب محمداً ﷺ عرفت البركة طريقها إلى بيته.

فلقد كان أبو طالب فقيراً وكانت زوجته تشعر بأن أولادها لا يشبعون

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٨٢).

(٢) «أنا وكافل اليتيم فى الجنة»/ للمصنف (ص: ٨-١٠).

(٣) سورة النساء: الآية: (٣٦).

من الطعام أبدًا فلما عاش الحبيب ﷺ بينهم دخلت البركة لأول مرة فى هذا البيت الكريم وبخاصة فى طعام الأولاد إذا أكل معهم الحبيب ﷺ .

* فكان عيال أبى طالب إذا أكلوا جميعًا أو فُرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا، فكان أبو طالب إذا أراد أن يغذيهم أو يعشيهم يقول: كما أنتم حتى يأتى ابنى، فيأتى رسول الله ﷺ فيأكل معهم فيفضل من طعامهم.

وإن كان لبنًا شرب رسول الله ﷺ أولهم، ثم تناول القعب - القدح - فيشربون منه، فيروون عن آخرهم من القعب الواحد، وإن كان أحدهم يشرب قعبًا وحده. . . فيقول أبو طالب: إنك لمبارك.

وكان الصبيان يصبحون شُعثًا رُمصًا [1]، ويصبح رسول الله ﷺ دهينًا كحيلاً [2].

خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يُحسَن إليه

قال جل وعلا: ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ۝١٦ كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [3].

أى: أن الله عز وجل يعطى المال لمن يحب ولمن لا يحب ويمنع المال أيضًا عن هذا وذاك ولكن المدار فى ذلك على طاعة الله فى كل من الحالين إن كان غنيًا بأن يشكر، وإن كان فقيرًا بأن يصبر ﴿بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ فيه أمرٌ بإكرام اليتيم ولذا قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «خير البيوت بيت فيه يتيم يحسَن إليه وشر البيوت بيت فيه يتيم يُساء إليه وأحب عباد الله إلى الله تعالى من اصطنع صنعًا إلى يتيم أو أرملة».

---

(١) الرمص: وسخ أبيض جامد يجتمع فى موق العينين.

(٢) انظر عيون الأثر (١/ ٥١)، والسيرة الحلبية (١/ ١٨٩).

(٣) سورة الفجر: الآيات: (١٥-١٧).

٤- من أراد أن يلين قلبه ويدرك حاجته فليرحم اليتيم وليمسح رأسه وليطعمه من طعامه:

روى أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه فقال له ﷺ: **«أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك»**(١).

وفى رواية قال: **«ادن اليتيم منك وألطفه وامسح رأسه وأطعمه من طعامك فإن ذلك يلين قلبك ويدرك حاجتك»**(٢).

فيا من تشعر بقسوة قلبك ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك وأدنه منك وألطفه فسوف يلين قلبك وتدرك حاجتك بإذن الله جل وعلا.

٥- كفالة اليتيم من الأخلاق الحميدة التى أقرها الإسلام وامتدح أهلها:

* عن السائب بن عبد الله رضي الله عنه قال: جىء بى إلى النبى ﷺ يوم فتح مكة - جاء بى عثمان بن عفان وزهير - فجعلوا يُثنون عليه، فقال لهم رسول الله ﷺ: **«لا تُعلمونى به، قد كان صاحبى فى الجاهلية»**. قال: قال: نعم يا رسول الله، فنِعم الصاحب كنت. قال: فقال: **«يا سائب! انظر أخلاقك التى كنت تصنعها فى الجاهلية فاجعلها فى الإسلام: اقرِ الضيف، وأكرمِ اليتيم، وأحسن إلى جارك»**(٣).

* بل لقد أثنى النبى ﷺ على صالح نساء قريش لشدة الرأفة والرحمة باليتيم.

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى كما فى الترغيب والترهيب (٣/ ٢٣٧) ومجمع الزوائد (٨/ ١٦٠)، وقالا: فى إسناده من لم يسم، وبقية مدلس، ورواه عبد الرزاق فى الجامع (١١/ ٩٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٠).

(٢) حسن: رواه البيهقى (٤/ ٦٠)، والخرائطى فى مكارم الأخلاق (ص ٢١٨)، وابن عساكر (٤٧/ ١٥٣)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥٠).

(٣) رواه أحمد (١٥٠٧٤) وقال شعيب الأرناؤوط : إسناده ضعيف.

* عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير نساء ركبن الإبل[١] صالح نساء قريش. أحناه[٢] على يتيم فى صغره، وأرعاه على زوج فى ذات يده[٣]»[٤].

* عن المستورد القُرشى أنه قال: عن عمرو بن العاص: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقوم الساعة والروم أكثر الناس». فقال له عمرو: أَبَصِر ما تقول. قال: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ. قال: لئن قلت ذلك، إن فيهم لخصالاً أربعًا: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كَرَّةً بعد فَرَّة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك»[٥].

٦- سلامة المجتمع من الحقد والكراهية:

كَفَالَةُ اليتيم تساهمُ فى بناءِ مُجتمَعٍ سليمٍ خالٍ من الحِقدِ والكَرَاهيَّةِ، وتَسودُهُ رُوحُ المحبَّةِ والوُدِّ.

٧- دليل على صلاح المرأة التى أوقفت حياتها على كفالة أيتامها:

كَفَالَةُ اليتيم دليلٌ على صلاح المرأة إذا مات زوجُها فعَالت أولادها وخيريَّتِهَا فى الدنيا وفوزها بالجنة ومصاحبة الرسول ﷺ فى الآخرةِ.

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أنه تأتى امرأة تبادرنى، فأقول لها: ما لك، وما أنت؟ فتقول: أنا امرأة

---

(١) ركبن الإبل: أى نساء العرب، ولهذا قال أبو هريرة فى الحديث: لم تركب مريم بنت عمران بعيراً قط. والمقصود أن نساء قريش خير نساء العرب.

(٢) أحناه: أى أشفقه. والحانية على ولدها: التى تقوم عليهم بعد يُتم فلا تتزوج. فإن تزوجت فليست بحانية. والمعنى: أحناهن.

(٣) ذات يده: أى شأنه المضاف إليه.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٨٢) كتاب النكاح، ومسلم (٢٥٢٧) كتاب فضائل الصحابة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩٨) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

قعدت على أيتامٍ لى»[١].

ماذا كانت مؤهلات تلك المرأة لكى تنال هذه الدرجة الرفيعة؟ لا شىء سوى أنها قامت بتربية اليتامى!... لا شىء سوى أنها عكفت على تربية اليتامى والإحسان إليهم!

تأمل أى منزلة هذه؟! إنها أفضل وأشرف منزلة، فيا سعادة من نال جواره ويا سعد من كان رفيقه فى الجنة ... ويا شقاء من أُبعد عن رفقته ﷺ ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[٢].

*** أخى الحبيب:**

إن كان لديك شوق أن تكون مع النبى ﷺ فى الجنة، فأحسن معاملة اليتيم ... إن كان لديك شوق أن تكون مع سيد الأولين والآخرين، وقائد الغُرّ المحجلين، فأدخل السرور على قلب يتيم .... امسح رأسه ... أُكس بدنه ... أضحِك من اليتامى وجوهًا شق الحزن فى خدودها أخاديد! «ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة» فامسح رؤوس اليتامى تُعط من الله الأجر العظيم، والخير العميم[٣].

٨- الفوز بالحسنات بالمسح على رأس اليتيم:

*** عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «من مَسحَ رأسَ يتيمٍ لم يمسحه إلا لله كان له بكل شعرة مرَّت عليها يدُهُ حسناتٌ، ومن أحسنَ إلى يتيمة أو يتيمٍ عنده كنت أنا وهو فى الجنة هاتين» وفرَّق بين أُصبعيهِ السَّبَّابة والوُسْطَى**[٤].

---

(١) أخرجه أبو يعلى وذكره الهيثمى فى المجمع (٨/ ١٦٢)، وذكره الحافظ ابن حجر فى الفتح (١٠/ ٤٣٦) بإسناد لا بأس به، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الضعيفة (٥٣٧٤).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٨٥).

(٣) منهاج الصالحين (ص: ٦٠٧).

(٤) أحمد (٥/ ٢٥٠)، وقال الهيثمى فى المجمع (٨/ ١٩٠): رواه أبو داود باختصار ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

٩- الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله:

قال ﷺ : «الساعى على الأرملة والمسكين كالمجـاهد فى سبيل الله أو القائم الليل الصـائم النهار»(١) فالأرملة الـتى تُوفى عنها زوجـها وقد يكون تـرك لها أولاداً يتامى قد تجرعوا غُصص اليُتم منذ نعومة أظفارهم، فهم أحوج ما يكون إلى يدٍ حانية تمتـد لتمسح جراحاتهم من على صفـحات قلوبهم المنكسرة ومن هذا المنطلق حثَّ النبى ﷺ أصحـاب القلوب الرحيمة على أن يتـسابقوا من أجل هؤلاء اليتامى ومن أجل تلك الأم التى انكسر فؤادها بموت زوجها. فمن سعى عليـها وعلى أولادها فهـو كالمجاهد فى سـبيل الله وكـالذى يقوم الليل يناجى ربه وهو كذلك كـالذى يصوم النهار . . . فأين أصحـاب العقول وأين المشمرون للفوز بهذا الأجر العظيم وتلك المكانة السامية؟!!

١٠- صحبة النبى ﷺ فى الجنة:

قال ﷺ : «أنا وكافل اليـتيم فى الجنة هكذا - وأشار بالسبَّابة والوسطى وفَرَّج بينهما-»(٢) .

وفى رواية: «أنا وكـافل اليـتيم له أو لغـيـره فى الجنة والسـاعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله»(٣) .

* قال ابن بطال: حقٌّ على من سمع هذا الحـديث - يعنى قول الرسول ﷺ -: «أنا وكافل اليتيم فى الجنة»- أن يعمل به ليكون رفيق النبى ﷺ فى الجنَّة، ولا منزلة فى الآخرة أفضل من ذلك(٤) .

روى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود كُن لليتيم كالأب

---

١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٣٥٣) كتاب النفقات، ومسلم (٢٩٨٢) كتاب الزهد والرقائق.

٢) صحيح: رواه البخارى (٦٠٠٥) كتاب الأدب.

٣) أخـرجه الطبـرانى فى الأوسط كـما فى مـجمع الزوائد (٨/ ١٦٠) قـال الهـيثـمى: رواه أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط وفـيه ليث بن أبى سليم وهو مدلس وبقـية رجاله ثقـات، وصححه العـلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٤٧٦).

٤) فتح البارى (١٠/ ٤٥١).

الرحيم وكن للأرملة كالزوج الشفيق .واعلم أنه كما تزرع كذا تحصد.

وقال داود عليه السلام فى مناجاته: إلهى ما جزاء من أسند اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك؟ قال: جزاؤه أن أُظله فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى.

وإطعام اليتامى من أعظم صفات أهل الجنة، قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾(١).

اليتيم يأخذ بيديك إلى الجنة

أيها الأخ الحبيب ... أيتها الأخت الفاضلة:

تعرّفوا على اليتامى واذهبوا إليهم وقدموا لهم الطعام والشراب والكساء فإن اليتامى لهم دولة يوم القيامة.

فإن كان اليتيم مؤمنًا ومن أهل الجنة فإن الله - جل وعلا - عندما يأمر الملائكة بأن يأخذوه إلى الجنة . . . يقول لليتيم: اذهب فانظر فى أرض المحشر فمن أطعمك فىَّ طُعمة أو كساك فىَّ كسوة، أو سقاك فىَّ شربة ماء فخذ بيديه وأدخله الجنة!!!

فيا لها من لحظة عندما تكون فى كُرب يوم القيامة فى ذلك اليوم الذى يبلغ طوله خمسين ألف سنة . . . والناس حُفاة عُراة غُرلاً والشمس قد دنت فوق الرؤوس والناس وقوف بلا طعام، ولا شراب، ولا ظل وقد خاض أحدهم فى عرقه حتى ألجمه إلجامًا . . وجيء بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها فتزفر زفرة تكاد تتفلت منهم فلا يبقى مَلَكٌ مُقرب، ولا نبىٌّ مرسَل إلا جثى على ركبتيه وقال: يا رب سلِّم. سلِّم.

فبينما أنت فى هذا الكرب وفى تلك الشدة التى وصفها الله تعالى

(١) سورة الإنسان: الآية: (٨).

قوله: ﴿ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾[1] وبقوله: ﴿ فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا ﴾[2]، تجد يتيمًا كنت قد قدمت له الطعام والشراب فى الدنيا فيأتيك ويقول لك: ألست أنت الذى قدمت لى الطعام والشراب فى يوم كذا وكذا؟! فتقول: نعم. فيأخذ بيديك ويقول لك: فإن الله أمرنى أن آخذ بيديك إلى جنته ومستقر رحمته.

فيا له من موقف أجد قلمى عاجزًا عن وصفه . . . إنها الفرحة التى لا توازيها الدنيا بكل ما فيها من زخرف ومتاع. فلو أنك تملك الدنيا بأسرها لافتديت بها من هول يوم المحشر فها أنت الآن قد أنعم الله عليك بالمال فارحم يتامى المسلمين فكن عونًا لهم فى الدنيا يكن الله فى عونك فى الدنيا والآخرة.

صور مشرقة من الإحسان إلى اليتامى

وها هى صور مشرقة من الإحسان إلى اليتامى نسوقها إليكم عسى أن تكون حاديًا لنا جميعًا إلى الإحسان لليتامى.

* **قصة تملأ القلب نورًا:**

قال أحد السلف: كنت فى بداية أمرى مُكبًّا على المعاصى وشرب الخمر فظفرت يومًا بصبى يتيم فقير فأخذته وأحسنت إليه وأطعمته وكسوته، وأدخلته الحمام وأزلت شعثه وأكرمته كما يكرم الرجل ولده بل أكثر فبتُّ ليلة بعد ذلك فرأيت فى النوم أن القيامة قد قامت ودُعيت إلى الحساب وأُمر بى إلى النار لسوء ما كنت عليه من المعاصى فسحبتنى الزبانية ليمضوا بى إلى النار وأنا بين أيديهم حقير ذليل يجروننى سحبًا إلى النار وإذا بذلك اليتيم قد اعترضنى بالطريق وقال: خلوا عنه يا ملائكة ربى حتى أشفع له

---

(1) سورة الحج: الآية: (٢).

(2) سورة المزمل: الآية: (١٧).

إلى ربى فإنه قد أحسن إلىّ وأكرمنى . . .

فقالت الملائكة: إنا لم نؤمر بذلك وإذا النداء من قِبل الله تعالى يقول: خلوا عنه فقد وهبت له ما كان منه بشفاعة اليتيم وإحسانه إليه.

قال: فاستيقظت وتُبت إلى الله عز وجل وبذلت جهدى فى إيصال الرحمة إلى الأيتام. فيا إخوانى هيا بنا نبذل جهدنا لإيصال الرحمة إلى الأيتام فلعل الله أن ينفعنا بدعواتهم وشفاعتهم لنا يوم القيامة . . . فلنُسرع الخُطا إلى هذا الخير ولسان حال كل واحد منا: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[1].

• قصة المرأة العلوية:

ورُوى أنه كان هناك رجل قد نزل فى بلد من بلاد العجم.

وله زوجة وله منها بنات، وكانوا فى سعة ونعمة، فمات الزوج، وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلة.

فخرجت ببناتها إلى بلدة أخرى خوف شماتة الأعداء، واتفق خروجها فى شدة البرد، فلما دخلت ذلك البلد أدخلت بناتها فى بعض المساجد المهجورة ومضت تحتال لهم فى القوت، فمرت بجَمعين. جَمع على رجل مسلم، وهو شيخ البلد. وجَمع على رجل مجوسى، وهو ضامن البلد. فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له. وقالت: أنا امرأة علوية، ومعى بنات أيتام أدخلتهم بعض المساجد المهجورة، وأريد الليلة قوتهم . . . فقال لها: أقيمى عندى البينة أنك علوية شريفة . . . فقالت: أنا امرأة غريبة ما فى البلد من يعرفنى، فأعرض عنها.

فمضت من عنده منكسرة القلب، فجاءت إلى ذلك الرجل المجوسى فشرحت له حالها، وأخبرته أن معها بنات أيتامًا، وهى امرأة شريفة غريبة، وقصَّت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم. فقام وأرسل بعض نسائه، وأتوا

---

(١) سورة طه: الآية: (٨٤).

بها وبناتها إلى داره فأطعمهن أطيب الطعام، وألبسهن أفخر اللباس، وباتوا عنده فى نعمة وكرامة.

قال: فلما انتصف الليل رأى ذلك الشيخ المسلم فى منامه كأن القيامة قد قامت وقد عُقد اللواء على رأس النبى ﷺ، وإذا القصر من الزمرد الأخضر ... شُرفاته من اللؤلؤ والياقوت، وفيه قباب اللؤلؤ والمرجان، فقال: يا رسول الله لمن هذا القصر؟ قال: لرجل مسلم موحد. فقال: يا رسول الله أنا رجل مسلم موحد. فقال رسول الله ﷺ: لما قصدتك المرأة العلوية قلت: أقيمى عندى البينة أنك علوية، فكذا أنت أقم عندى البينة أنك مسلم: فانتبه الرجل حزينًا على ردِّه المرأة خائبة، ثم جعل يطوف بالبلد، ويسأل عنها، حتى دُلَّ عليها أنها عند المجوسى، فأرسل إليها فأتاه فقال له: أريد منك المرأة الشريفة العلوية وبناتها. فقال: ما إلى هذا من سبيل وقد لحقنى من بركاتهم ما لحقنى. قال: خذ منى ألف دينار وسلمهن إلىّ. قال: لا أفعل. فقال: لابد منهن. فقال له: إن الذى تريده أنت أنا أحق به، والقصر الذى رأيته فى منامك خُلق لى. أتدل علىَّ بالإسلام؟ فو الله ما نمت البارحة أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية، ورأيت مثل الذى رأيت فى منامك، وقال لى رسول الله ﷺ: العلوية وبناتها عندك؟. قلت: نعم يا رسول الله. قال: القصر لك، ولأهل دارك، وأنت وأهل دارك من أهل الجنة، خلقك الله مؤمنًا فى الأزل، قال: فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلمه إلا الله.

فانظر رحمك الله إلى بركة الإحسان إلى الأرملة والأيتام ما أعقب صاحبه من الكرامة فى الدنيا[1].

---

(١) الكبائر للإمام الذهبى - تحقيق د. أسامة عبد العظيم (١٢١، ١٢٢).

• قصة عجيبة:

قال بعض الصالحين:

دخلت إلى «مصــر» فوجدتُ حـدَّادًا يُخرج الحديد بيـده من النار ويقلّبه على السِّندال ولا يجد لذلك ألمًا، فقلتُ في نفسي: هذا عبد صالح لا تعدو عليه النار، فدنوتُ منه وسلّمت عليه فردّ عليَّ السلام، فقلتُ له: بالذي مَنَّ عليك بهذه الكرامة إلا ما دعوت لي، فـبكي وقال: والله يا أخي ما أنا كما ظننت.

فقلتُ له: يا أخي إن هذا الذي تفعله لا يقدر عليه إلا الصالحون.

فقال: إن لهذا الأمر حديثًا عجيبًا.

فقلت له: إن رأيت أن تُعرفني به فافعل.

قال: نعم، قـال: كنت يومًا من الأيام جـالسًا في هذه الدكـان، وكنت كثير التخليط، إذ وقفت عليَّ امرأة لم أر قطّ أحسن منها وجهًا، فقالت: يا أخي هل عندك شيء لله؟

فلما نظرت إليها فُتنتُ بها وقلتُ لها:

هل لك أن تمضي معي إلى البيت وأدفع ما يكفيك؟

فنظرت إليّ زمانًا طويلاً فذهبت وغابت عنيّ طويلاً ثم رجعت وقالت: يا أخي قد أحوجتني الضرورة إلى ما ذكرت.

قال: فقفلت الدكان ومضيتُ إلى البيت، فقالت لي:

يا هذا إن لي أطفالاً وقد تركتهم علـى فاقة شديدة فإن رأيت أن تعطيني شيئًا أذهب به إليهم وأرجع إليك فافعل.

قال: فأخـذتُ عليهـا العهـود والمواثيق ودفعتُ لهـا بعضًـا من الدراهم فمـضت وغابت ساعـة ثم رجعت فـدخلتُ بها إلى البيـت وأغلقت الباب فقالت: لِمَ فعلت هذا؟

فقلتُ لها: خوفًا من الناس!

فقالت: ولِمَ لا تخاف من رب الناس؟!

فقلتُ لها: إنه غفور رحيم.

ثم تقدمت إليـها فوجدتهـا تضطرب كما تضطرب السعـفة فى يوم ريح عاصف، ودموعُها تتحدّر على خديّها فقلت لها:

مِمَّ اضطرابكِ وبكاؤك؟

فقالت: خوفًا من الله عزّ وجل.

ثم قالت لى: يا هذا إن أنت تركتنى لله دعوت الله لك ألا يعذّبك بالنار فى الدنيا والآخرة.

قال: فقمت وأعطيتها جميع ما عندى وقلت لها:

يا هذه قد تركتك خوفًا من الله عزّ وجل.

فلمّا فـارقتنى غلبـتنى عينى فنمت فـرأيت امرأة لم أر قطّ أحـسن منها وجهًا وعـلى رأسها تاج من الياقـوت الأحمر، فقـالت لى: جزاك الله عنا خيراً.

قلت لها: من أنت؟

قالت: أنا أمُّ الصَّـبيـة التى أتتك وتركتـها خـوفًا من الله عـز وجل لا حرقك الله بالنار فى الدنيا ولا فى الآخرة.

ثم أفقـتُ من نومى ومن ذلك الوقت لم تعدُ علىَّ الـنار وأرجو أن لا تعدو علىَّ فى الآخرة».

* * *

سلفنا الصالح والإحسان إلى اليتامى

لما سمع هذا الجيل الفريد من الصحابة والتابعين ما جاء فى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ من الحضِّ على الإحسان إلى اليتامى كانوا أحرص الناس على ذلك.

ولهذا كان الصالحون يوصى بعضهم بعضًا باليتيم، فهذا هو سفيان الثورى - رحمه الله - يوصى على بن الحسن فيقول: «.. إياك والشح، فإن الشح يفسد عليك دينك ... وإياك والبغضاء فإنما هى الحالقة ... وعليك بالسلام لكل مسلم يخرج الغل والغش من قلبك ... وأدن اليتيم منك، وامسح برأسه يُزَد فى عمرك، وتكن رفيق نبيك ...»[1].

ولقد مدح الحسن البصرى - رحمه الله - السلف الصالح بأنهم كانوا يحرضون أهاليهم إلى خدمة اليتيم والمسكين والجار، ويقدمونهم على أنفسهم طلبًا لمرضاة الله عز وجل ... فقال: «لقد عهدت المسلمين، وإن الرجل منهم يُصبح، فيقول: يا أهليه! يا أهليه، يتيمكم يتيمكم، يا أهليه! يا أهليه! مسكينكم مسكينكم يا أهليه! جاركم جاركم ... وأُسرع بخياركم، وأنتم كل يوم ترذلون»[2] ولقد كان عبد الله بن عمر ﵄ لا يأكل حتى يؤتَى بمسكين أو يتيم يأكل معه[3]، وفى رواية: أن عبد الله كان لا يأكل طعامًا إلا وعلى خوانه يتيم[4].

وهذا هو عِمر بن الخطاب ﵁ يرعى اليتامى، ويحسن إليهم، ويتعهد الأرامل والمساكين، ... فعن أسلم: أن عمر بن الخطاب طاف ليلة، فإذا هو بامرأة فى جوف دار لها وحولها صبيان يبكون، وإذا قِدر على النار قد

---

(١) حلية الأولياء (٧/ ٦١).

(٢) الأدب المفرد للبخارى (١٣٩) وهو ضعيف لأجل حمزة بن نجيح وقد حسنه بعضهم.

(٣) رواه البخارى.

(٤) الأدب المفرد (١٣٩) بإسناد صحيح وأحمد فى الزهد وقد ذكره أبو نعيم فى الحلية (١/ ٢٩٩).

ملأتها، فدنا عمر من الباب، فقال: يا أمة الله، ما بكاء هؤلاء الصبيان؟ قالت: بكاؤهم من الجوع. قال: فما هذا القدر التى على النار؟ قالت: قد جعلت ماءً هو ذا، أعللهم به حتى يناموا، وأوهمهم أن فيها شيئًا، فبكى عمر، ثم جاء إلى دار الصدقة، وأخذ غرارة وجعل فيها شيئًا من دقيق وشحم وسمن وتمر وثياب ودراهم، حتى ملأ الغرارة، ثم قال: يا أسلم، حمل علىَّ، فقلت: يا أمير المؤمنين أنا أحمله عنك، فقال لى: لا أم لك يا سلم، أنا أحمله لأنى أنا المسؤول عنهم فى الآخرة، فحمله حتى أتى به منزل المرأة، فأخذ القدر، فجعل فيها دقيقًا وشيئًا من شحم وتمر، وجعل يحركه بيده، وينفخ تحت القدر، فرأيت الدخان يتخلل لحيته، حتى طبخ لهم، ثم جعل يغرف بيده ويطعمهم حتى شبعوا، ثم خرج وربض بحذائهم[1]، كأنه سبع، وخفت أن أكلمه، فلم يزل حتى لعب الصبيان وضحكوا ثم قام، فقال: يا أسلم، تدرى لِمَ ربضت بحذائهم؟ قلت: لا، قال: رأيتهم يبكون، فكرهت أن أذهب وأدعهم حتى رأيتهم يضحكون فلما ضحكوا طابت نفسى[2].

* * *

١) ربض بحذائه: أى جالس بالقرب منهم.

٢) انظر صفة الصفوة لابن الجوزى، وأنيس الجليس (ص: ١٣٧)، وحياة الصحابة للكاندهلوى (١٨٧/٢).

كلمة أخيرة

وفى الختام أسأل الله (جل وعلا) أن يجزى القائمين بالجمعيات الشرعية وغيـرها من المؤسسات في كل مـكان على كفالة اليـتامى خيـر الجزاء، وأن يجزل لهم العطاء على فـتح الباب لهذا العمل الخيـرى وأن يثقل به موازين حسناتهم فى يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وأسأل الله (جل وعـلا) أن يجزى كل من كـفل يتيـمًا خيـر الجزاء وأن يجعل عـمله هذا فى ميـزان حسناته وأن يحفظـه فى أولاده وذريته إلى يوم القيـامة وأن يعينـه على المداومة على هذا العمـل الخيرى المبـارك وأن يثبت أقدامه على الخير ويجعل هذا العمل نورًا له فى قبره وعلى الصراط وقائدًا له لدخول الجنة والقرب من النبى محمد ﷺ إنه ولى ذلك والقادر عليه.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

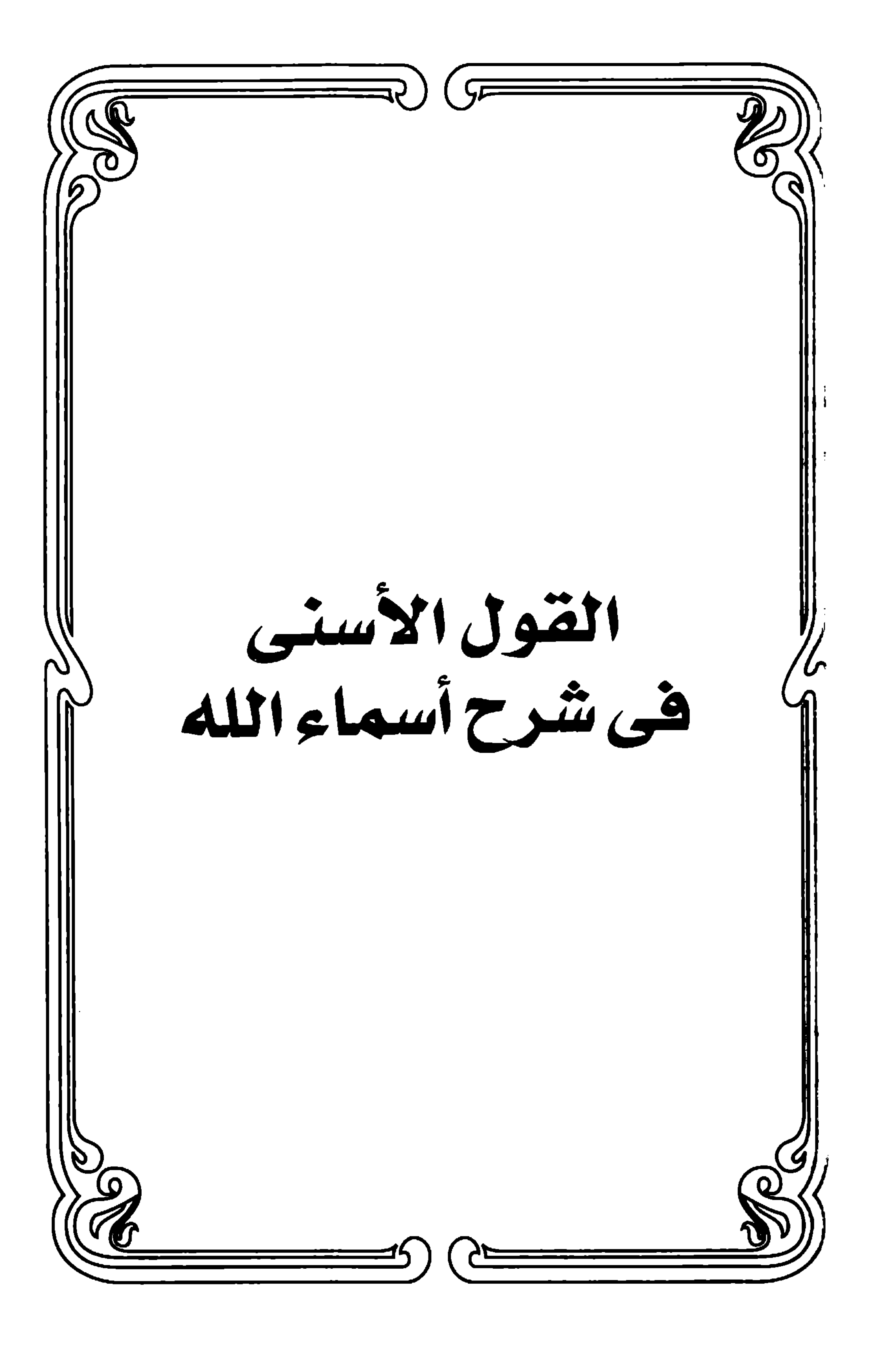
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)



القول الأسنى
فى شرح أسماء الله

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (٣).

أما بعد:

فإن الإسلام عقيدة تنبثق منها شريعة.. وتلك الشريعة تنظم شئون الحياة ولا يقبل الله من قوم شريعتهم حتى تصحّ عقيدتهم.

فالتوحيد ليس أمرًا ثانويًّا حتى نؤجله أو نؤخره بل هو الأساس الذى يقوم عليه الدين كله، ومن أجل ذلك ظل النبى ﷺ يربى أصحابه على التوحيد ثلاث عشرة سنة فى مكة.

وظل النبى ﷺ يربى أصحابه على التوحيد حتى آخر لحظة فى

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠-٧١).

حياته؛ لأن قضية التوحيد هي التي من أجلها خلق الله السموات والأرض، وأرسل الرسل وأنزل الكتب وخلق الجنة والنار.

* والتوحيد الذى تثبته كلمة التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام وهى:

توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهو موضوع تلك الرسالة المباركة.

وهذا الباب كم زلَّت فيه أقدام وكم ضلَّت فيه أفهام.

* **فتوحيد الأسماء والصفات:** «هو إفراد الله تبارك وتعالى بأسمائه وصفاته بحيث يؤمن العبد بما أثبت الله لنفسه فى كتابه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه الذى أراد الله ورسوله ﷺ وعلى الوجه اللائق به من غير إثبات مثيل له؛ لأن إثبات المثيل لله تعالى شرك به»[1].

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع شرح موجز لأسماء الله الحسنى... على أمل أن أشرحها بعد ذلك فى مجلد عسى الله أن ينفع بها كل من رام الانتفاع بها.. فأسأل الله (عز وجل) أن يجعلها فى ميزان حسناتى يوم أدرج فى أكفانى.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

---

(١) المجموع الثمين (ص:١٦).

توحيد الأسماء والصفات

إن للإيمان بأسماء الله وصفاته آثاراً عظيمة فى نفس المسلم وتحقيقه لعبادة ربه. فمن آثارها تلك المعانى التى يجدها العبد فى عبوديته القلبية التى تثمر التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه، وحفظ جوارحه، وخطرات قلبه، وضبط هواجسه حتى لا يفكر إلا فيما يرضى الله تعالى، ويحب لله وفى الله. . . به يسمع، وبه يُبصر، ومع ذلك هو واسع الرجاء وحسن الظن بربه.

فلاسمه «الغفار» أثره العظيم فى محبته وعدم اليأس من رحمته ولاسمه «شديد العقاب» أثره الكبير فى خشيته وعدم الجرأة على محارمه. وهكذا لأسمائه الأخرى وصفاته آثارها بحسب دلالاتها المتنوعة فى نفس المسلم واستقامته على شرع الله»[1].

*** الأسس التى يقوم عليها توحيد الأسماء والصفات:**

إن توحيد الله سبحانه وتعالى فى أسمائه وصفاته يتطلب التقيد فى ذلك بكتاب ربنا وبسنة رسولنا ﷺ فلا نصنع له اسمًا أو صفة ليست واردة فى المنهلين ولا نشبهه بأحد من خلقه فهو سبحانه متصف بكل كمال، مُنزَّه عن كل نقص: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2]. وعلى ذلك فيمكن أن نذكر هذه الأسس:

١- إن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية فلا نُثبت لله تعالى ولا ننفى عنه إلا بدليل من الكتاب أو السنة إذ لا سبيل إلى ذلك إلا من هذا الطريق.

٢- وأن الإيمان بأن الله تعالى لا يُشبه أحدًا من خلقه فى أسمائه ولا صفاته كما لا يشبهه أحد من خلقه.

---

(١) أصول الإيمان (ص٨١).

(٢) سورة الشورى: الآية: (١١).

٣- وأن صفات الله كلها صفات كمال، فله سبحانه الكمال المطلق وهو المنزه عن كل نقص.

* **أسماء الله الحسنى:**

لربنا تبارك وتعالى أسماء سمَّى بها نفسه منها ما أنزله فى كتابه، كالأسماء الموجودة فى القرآن، ومنها ما علمه الله تعالى بعض خلقه من الأنبياء والمرسلين أو الملائكة المقربين أو ما شاء الله تبارك وتعالى، ومن أسمائه سبحانه ما استأثر به فى علم الغيب عنده فلا يعلمه أحد، وذلك أن لله تعالى من معانى العظمة ما لا تستطيع المخلوقات إدراكه، لأنه الإله الحق المبين، له الجمال المطلق، والكمال المطلق، والجلال المطلق، والعظمة التامة، والقدرة الكاملة، فلله تعالى أسماء وصفات لا يحيط بها إلا هو سبحانه وتعالى.

* أسماء الله تبارك وتعالى كثيرة، بل كما قال ربنا عز وجل: **﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾** (١)، وقال تعالى: **﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** (٢).

* ينبغى أن نعتقد بأن أسماء الله - عز وجل - ليست منحصرة فى التسعة والتسعين المذكورة فى حديث أبى هريرة ولا فيما استخرجه العلماء من القرآن، بل ولا فيما علمه الرسل والملائكة وجميع المخلوقين؛ لحديث ابن مسعود عند أحمد وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«ما أصاب أحدًا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماضٍ فىَّ حكمك عدلٌ فىَّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب**

(١) سورة الكهف: الآية: (١٠٩).

(٢) سورة لقمان: الآية: (٢٧).

عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى، ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحًا»(١).

٢- أسماء الله تبارك وتعالى توقيفية فلا يحق لأحد من الناس أن يخترع لله تعالى اسمًا، وإنما أسماؤه سبحانه ما جاء فى القرآن أو السُّنَّة بصفة الاسم، مثل: الخالق، البارئ، المصور، الملك، القدوس، السلام، العزيز، الحكيم، العلى، العظيم، المؤمن، المهيمن.

٣- من أسماء الله الحسنى ما يختص به سبحانه، فلا يجوز أن يُسمَّى بها غيره وهى «الرحمن» «الله» ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾(٢)، ولهذا لا يسمى أحد بهذين الاسمين من المخلوقين قط إلا قصمه الله تعالى، فـ «الله» و «الرحمن» من الأسماء التى لا يُسمى بها أحد إلا الله عز وجل»(٣).

٤- من أسماء الله عز وجل ما يجوز أن يُذكر وحده منفردًا، كالعزيز، والحميد، والحكيم، والرحيم، والعليم، والخبير، والبصير.. وما أشبه ذلك، فتناديه بها وتدعوه بها، وتعرفه سبحانه.

ومن الأسماء ما لا يُذكر إلا مع نظيره، بأن تصف الله تبارك وتعالى بأنه هو «الضار النافع» أو «القابض الباسط» وما أشبه ذلك من الأسماء التى تكون متقابلة، فلو وصفت ربك تبارك وتعالى بأنه الضار فحسب، أو القابض فحسب لكان هذا مُوهمًا لمعنى لا يليق بمجد الله وكرمه وعظمته وكماله وقدسيته، لهذا لا تُذكر هذه الأسماء منفردة، وإنما تُذكر مع نظيرها ومقابلها.

٥- معنى الإحصاء فى قوله ﷺ : «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة**»(٤) يشمل أمورًا منها:

---

١) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٩٩).
٢) سورة الإسراء: الآية: (١١٠).
٣) مع الله (صـ٢٤) / د . سلمان العوده.
٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).

أ- معرفة هذه الأسماء وحفظها، بحيث يستطيع الإنسان أن يعدها عدًا.

ب- من معانى إحصائها، معرفة معانيها، فإن هذه الأسماء ليست أسماء رمزية ولا وهمية، ولا جامدة، ولا غامضة المعنى، وإنما هى بلسان عربى مُبين، أُريد من الإنسان أن يتفهم معانيها، حتى تكون تلاوتنا لها ذات معنى وليس مجرد ترديد لألفاظ لا نفقه ما وراءها وهذا بحدٍّ ذاته مكسب عظيم، يبارك النفس ويزكيها ويرتقى بالقلب والعقل والروح.

ج- الإلحاح بالدعاء لله عز وجل بهذه الأسماء، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ (١).

د- استحضار معانى تلك الأسماء، فإن شر ما يُبتلى به الناس: الغفلة والاستغراق فى ماديات الحياة والانسياق وراء صوارفها وخير دواء للقلوب هو استحضار عظمة علام الغيوب، والتدرج بالنفس فى مراقى معرفته والإيمان به سبحانه، حتى تصل درجة أن تعبد الله كأنك تراه(٢)، فهذا يزيد المرء إقبالاً على الطاعة وحفاوة ونشاطًا، كما قال سبحانه: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ (٣).

كما أن استشعار معانى هذه الأسماء يزيد المؤمن إعراضًا عن المعصية وزهدًا فيها وإسراعًا فى الإقلاع عنها، وقوة فى التوبة والأوبة لما يحسُّ به من وحشة القلب والبعد عن الرب، ولما يحاذره ويستشعره من غضبه أو عتبه أو مؤاخذته سبحانه للعبد على إقامته على الذنب(٤)(٥).

* * *

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (١٨٠).

(٢) مع الله (ص٢٧)/ د. سلمان العودة - حفظه الله -.

(٣) سورة الشعراء: الآيتان: (٢١٨، ٢١٩).

(٤) مع الله (ص٢٨).

(٥) الإيمان بالله / د. على الصلابى (ص٥٣-٥٦) بتصرف.

بركة أسماء الله الحسنى

وقبل أن أبدأ شرح أسماء الله الحسنى - بإيجاز شديد - أُحب أن أذكر نبذة يسيرة عن بركات وثمرات وفوائد أسماء الله الحسنى التى لا تُعد ولا تُحصى. . ولكن حسبنا أن نذكر بعضها:

(١) أنها من أسباب دخول الجنة: فقد قال ﷺ: **«إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة»**[١].

(٢) الفوز بمحبة الله (جل وعلا): فإن الله يحب من أحب أسماءه الحسنى. . . وقد جاء فى الحديث عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم بـ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: **«سلوه لأى شىء صنع ذلك»**؟ فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها. فقال رسول الله ﷺ: **«أخبروه أن الله يحبه»**[٢].

(٣) أنها سبب إجابة الدعاء: قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ [٣].

وقال ﷺ: «أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك..»[٤].

(٤) أنها أصل من أصول الخشية: قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [٥] . . وإن أشرف العلوم علم الأسماء والصفات.

(٥) أنها من أسباب تفريج الكربات: فقد قال ﷺ: **«ما أصاب عبداً هم**

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (١٨٠).

(٤) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٩٩).

(٥) سورة فاطر: الآية: (٢٨).

ولا حزنٌ فقال: اللهم إنى عبدك ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتى بيدك، ماضٍ فىَّ حُكمُك، عدلٌ فىَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلتهُ فى كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى، ونور صدرى، وجلاء حزنى، وذهاب همى وغمى - إلا أذهب الله همه وغمه، وأبدله مكانه فرحًا» قالوا: يا رسول الله أفلا نتعلمهن؟ قال: «بلى، ينبغى لمن سمعهن أن يتعلمهن»[١].

(٦) يدفع الله بها عنك البلاء: قال ﷺ: «من قال حين يمسى: بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء، وهو السميع العليم، ثلاث مرات، لم يُصبه - فجأة - بلاء حتى يصبح، ومن قاله حين يصبح، ثلاث مرات، لم يصبه - فجأة - بلاء حتى يمسى»[٢].

(٧) أنها تجلب الشفاء للعبد: فقد قال ﷺ لأحد الصحابة: «ضع يدك على الذى تألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثًا وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأُحاذر»[٣].

(٨) أنها كلها بركة: قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِى الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾[٤]، وقال ﷺ: «إذا دخل الرجلُ بيتهُ، فذكر اسم الله تعالى حين يدخل وحين يطعمُ، قال الشيطانُ: لا مبيت لكم ولا عشاء ههنا، وإن دخل فلم يذكر اسم الله عند دخوله، قال الشيطانُ: أدركتُم المبيت، وإن لم يذكر اسم الله عند مطعمه قال: أدركتُمُ المبيت والعشاء»[٥].

(٩) أنها أصل كل شىء: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[٦].

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٨٢٢).

(٢) صحيح: رواه أبو داود، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٢٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢٢).

(٤) سورة الرحمن: الآية: (٧٨).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٠١٨).

(٦) سورة الحديد: الآية: (٣).

وكان ﷺ يقول: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شىء وأنت الآخر فليس بعدك شىء وأنت الظاهر فليس فوقك شىء وأنت الباطن فليس دونك شىء»[١].

(١٠) له أعظم الأثر فى التحليل والتحريم: فلو أنك ذكرت اسم الله على ذبيحة يحل أكلها ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾[٢].

بل إن الله (عز وجل) عاتب من لم يأكل مما ذُكر اسم الله عليه فقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [٣].

ونهى عن الأكل مما لم يُذكر اسم الله عليه فقال تعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [٤].

(١١) بركتها تلحق الذرية: قال ﷺ: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتى أهلهُ قال: بسم الله، اللهم جنِّبنا الشيطان، وجنِّب الشيطان ما رزقتنا؛ فإنه إن قضى بينهما ولدٌ من ذلك لم يضره الشيطان أبدًا»[٥].

* ولو أردنا أن نذكر بركة أسماء الله الحسنى لاحتاج هذا الأمر إلى أن تقوم البشرية كلها فى آن واحد - من لدن آدم (عليه السلام) إلى قيام الساعة - ليكتبوا جميعًا عن تلك البركة.. ولن يستطيعوا مع ذلك أن يذكروا ولو شيئًا يسيرًا عن بركة أسماء الله الحسنى[٦].

الأسماء الحسنى لا تُحدُّ بعدد مُعين

الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر، ولا تُحَدُّ بعدد؛ فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها فى علم الغيب عنده لا يعلمها ملك مقرب ولا

١) صحيح: رواه مسلم (٢٧١٣).
٢) سورة الأنعام: الآية: (١١٨).
٣) سورة الأنعام: الآية: (١١٩).
٤) سورة الأنعام: الآية: (١٢١).
٥) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣٩٦)، ومسلم (١٤٣٤).
٦) القول الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى/ للمصنف.

نبي مُرسَل، كما في الحديث الصحيح: «أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك»(١).

ومن هذا قول النبي ﷺ في حديث الشفاعة: «فيفتح عليَّ من محامده بما لا أُحسنه الآن»(٢)... ومنه قوله ﷺ: «لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»(٣).

الله • الإله

هو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، فقد دخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى، ولهذا كان القول الصحيح أن (الله) أصله: (الإله)، وأن اسم (الله) هو الجامع لجميع الأسماء الحسنى، والصفات العُلى، والله أعلم(٤).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾(٥).

والله هو المألوه المعبود ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين؛ لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال.

ولقد ذهب كثير من أهل العلم إلى أن هذا الاسم هو اسم الله الأعظم فلقد تفرد به الحق (جل جلاله) وخص به نفسه وجعله أول أسمائه وأضاف الأسماء الحسنى كلها إليه فهو عَلَمٌ على ذاته سبحانه... ومنهم من قال بأن اسم الله الأعظم هو الحي القيوم ومنهم من قال غير ذلك.. فالله أعلم.

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٣) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤٨٦) كتاب الصلاة.

(٤) الحق الواضح (ص: ١٠٤).

(٥) سورة النساء: الآية: (١٧١).

الرحمن • الرحيم

قال تعالى: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾ (٢).

* وقال السعدى رحمه الله: الرحمن، الرحيم، والبرُّ، الكريم، الجوادُ، الرءوفُ، الوهابُ - هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدل كلها على اتصاف الرب بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التى عَمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته.

* وخَصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر والحظ الأكمل.

قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ (٣)الآية.

والنعم والإحسان، كلها من آثار رحمته، وجوده وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة كلها من آثار رحمته (٤).

* وأما عن الفرق بين اسم الرحمن والرحيم فقيل: إن اسم «الرحمن»: هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق فى الدنيا وللمؤمنين فى الآخرة. و«الرحيم»: هو ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة، وقيل: إن الرحمن اسمٌ دالٌّ على صفة الذات.. والرحيم اسمٌ دالٌّ على صفة فعله (جل وعلا)، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ (٥).

* واسم (الرحمن) من الأسماء التى لا يجوز أن يُسمَّى بها مخلوق.. قال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ (٦).

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٦٣).
(٢) سورة الفرقان: الآية: (٢٦).
(٣) سورة الأعراف: الآية: (١٥٦).
(٤) تفسير السعدى (٥/ ٦٢١).
(٥) سورة الأحزاب: الآية: (٤٣).
(٦) سورة الإسراء: الآية: (١١٠).

* ورحمة الله واسعة.. قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1].

فلولا رحمته ما سقى كافرًا شربة ماء.. فهناك رحمة عامة وهناك رحمة خاصة جعلها الله لعباده المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[2].

* ونحن أحوج ما نكون إلى رحمة الله في الدنيا والآخرة... فأما في الدنيا فإنه لا يستطيع إنسان أن يعيش لحظة بغير رحمة الله.

قال ﷺ: «إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمةً واحدةً بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطفُ الوُحوش على ولدها، وأخَّر تسعًا وتسعين رحمةً، يرحم بها عباده يوم القيامة»[3].

* ونحن أيضًا في أشد الحاجة إلى رحمة الله ليغفر ذنوبنا ويستر عيوبنا فقد قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[4] فالله أرحم بنا من رحمة الأم بطفلها الرضيع.

* ولذلك لا ينبغي أن يغتر العبد بعمله؛ لأنه لن يدخل أحدٌ الجنة إلا برحمة الله... قال ﷺ: **«سددوا وقاربوا وأبشروا واعلموا أنه لن يُدخل أحدكم الجنة عمله»** قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **«ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة»[5].**

*** وأختم كلامي على هذين الاسمين الجليلين بقول النبي ﷺ: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد»[6].**

---

(١)، (٢) سورة الأعراف: الآية: (١٥٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٢) كتاب التوبة.

(٤) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٦٧) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨١٨) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٥) كتاب التوبة.

الملك • المليك • مالك الملك

قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾(٣).

قال ابن القيم - رحمه الله -: الملك الحق هو الذى يكون له الأمر والنهى فيتصرف فى خلقه بقوله وأمره، وهذا هو الفرق بين الملك والمالك؛ إذ المالك هو المتصرف بفعله، والملك هو المتصرف بفعله وأمره، والرب تعالى مالك الملك فهو المتصرف بفعله وأمره(٤).

وقال ابن جرير: الملك الذى لا ملك فوقه ولا شىء إلا تحت سلطانه. وقال الرازى: ملك لا كالملوك؛ لأنهم إن تصدقوا بشىء انتقص مُلكهم وقلّت خزائنهم أما الحق سبحانه وتعالى فمُلكه لا ينتقص بالعطاء والإحسان بل يزداد.

* وهناك نهى عن التسمِّى بهذا الاسم، ولذا قال ﷺ: «اشتد غضب الله على من زعم أنه ملك الأملاك لا ملك إلا الله»(٥).

* * *

١) سورة آل عمران: الآية: (٢٦).
٢) سورة القمر: الآيتان: (٥٤، ٥٥).
٣) سورة المؤمنون: الآية: (١١٦).
٤) بدائع الفوائد (٤/ ١٦٥).
٥) صحيح: رواه الحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٨٨)، والحديث فى الصحيحين، بلفظ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِندَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاكِ»، ومعنى: أَخْنَعَ: أَوْضَعَ.

القدوس

قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾(١).

* **قال الغزالى:** هو المُنزَّه عن كل وصف يدركه حس أو يتصوره خيال، أو يسبق إليه وهم، أو يختلج به ضمير، أو يقضى به تفكير.

* **وقال ابن كثير فى معنى القدوس:** أى: المنزه عن النقائص الموصوف بصفات الكمال.

وقال السعدى: القدوس: أى: المعظم المنزه عن صفات النقص كلها، وأن يماثله أحدٌ من الخلق، فهو المتنزه عن جميع العيوب، والمتنزه عن أن يقاربه أو يماثله أحدٌ فى شىء من الكمال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(٢).

السلام

قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ﴾(٣).

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - فى اسم (السلام): الله أحق بهذا الاسم من كل مسمى به؛ لسلامته - سبحانه - من كل عيب ونقص من كل وجه، فهو السلام الحق بكل اعتبار، والمخلوق سلام بالإضافة، فهو - سبحانه - سلام فى ذاته عن كل عيب ونقص يتخيله وهم، وسلام فى صفاته من كل عيب ونقص، وسلام فى أفعاله من كل عيب ونقص وشر وظلم وفعل واقع على غير وجه الحكمة، بل هو السلام الحق من كل وجه وبكل اعتبار، فعُلم أن استحقاقه تعالى لهذا الاسم أكمل من استحقاق كل ما يطلق عليه، وهذا هو حقيقة التنزيه الذى نَزَّه به نفسه، ونزهه به رسولهُ

---

(١) سورة الحشر: الآية: (٢٣).

(٢) سورة الشورى: الآية: (١١).

(٣) سورة الحشر: الآية: (٢٣).

ﷻ فهو السلام من الصاحبة والولد، والسلام من النظير والكُفء والسَّمِي والمماثل، والسلام من الشريك[١] .

* **ثم قال الغزالى - رحمه الله -:** تنبيه: كل عبد سلم عن الغش والحقد والحسد وإرادة الشر - قلبه، وسلمت عن الآثار والمحظورات جوارحه، وسلمت عن الانتكاس والانعكاس صفاته - فهو الذى يأتى الله بقلب سليم. وهو السلام من العباد.

ولن يوصف بالسلام والإسلام إلا مَن سلم المسلمون من لسانه ويده، فكيف يوصف به من لم يسلم هو من نفسه؟!

المؤمن

قال تعالى: ﴿السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾[٢] .

قال الحكمى: (المؤمن) الذى آمن أولياءه من خزى الدنيا ووقاهم فى الآخرة عذاب الهاوية، وآتاهم فى هذه الدنيا حسنة وسيحلهم دار المقامة فى جنة عالية.

قال السعدى: الذى أثنى على نفسه بصفات الكمال، وبكمال الجلال والجمال الذى أرسل رسله، وأنزل كتبه بالآيات والبراهين، وصدق رسله بكل آية وبرهان يدل على صدقهم وصحة ما جاءوا به.

* وهو الذى يهب الأمن لعباده المؤمنين يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٣] .

---

(١) بدائع الفوائد (ص: ١٥٠).

(٢) سورة الحشر: الآية: (٢٣).

(٣) سورة الأنعام: الآية: (٨٢).

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[١] .

* ولنا حظ من مقتضى العبودية بهذا الاسم العظيم... قال ﷺ : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن مَن أَمِنه الناس على دمائهم وأموالهم»[٢] .

المهيمن

قال السعدى: هو المطلع على خفايا الأمور وخبايا الصدور الذى أحاط بكل شىء علمًا.

وقال البغوى: الشهيد على عباده بأعمالهم.

العزيز

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾[٣] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[٤] .

فالعزيز هو القاهر الذى لا يُغلَب ولا يُقهَر. . وهو المنيع الذى لا يُرام جنابه. . . وهو القوى الشديد.

قال السعدى: (العزيز) الذى له العزة كلها: عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع. فامتنع أن يناله أحد من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة، وخضعت لعظمته.

فإذا أعزك الله (جل وعلا) فلا يستطيع أحدٌ أن يقهرك.

قال ﷺ : «... وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزًّا»[٥] .

---

(١) سورة فصلت: الآية: (٤٠).

(٢) صحيح: رواه احمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٧١٠).

(٣) سورة هود: الآية: (٦٦).

(٤) سورة يونس: الآية: (٦٥).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٨) كتاب البر والصلة والآداب.

الجبار

قال تعالى: ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾[١]، ولهذا الاسم ثلاثة معانٍ كلها داخلة تحته:

فهو الذى يَجبر الضعيف وكل قلب منكسر؛ فيجبر الكسير ويُغنى الفقير ويُيسر على المعسر... وهو القهار لكل شىء الذى خضع له الكون كله... وهو العلى على كل شىء.

وقد يراد به معنى رابعًا؛ وهو أنه المتكبر عن كل سوء ونقص وعن أن يكون له كفء أو سَمِى أو ضد أو شريك.

* وقد مدح الله نفسه بهذا الاسم.. أما إن قيل عن إنسان: إنه جبار فيراد به الذم ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾[٢].

المتكبر

قال تعالى: ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾[٣]. فهو سبحانه المتكبر عن السوء والنقص والعيوب؛ لعظمته وكبريائه.

قال الحكمى: (المتكبر) الذى لا ينبغى الكبرياء إلا له ولا يليق إلا بجنابه... العظمة إزاره والكبرياء رداؤه، فمن نازعه صفة منها أحل به الغضب والمقت والتدمير.

* فالعبد يجب عليه أن يكون متذللاً للكبير المتعال.. فإن عاقبة الكبر وخيمة؛ فقد قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[٤].

---

(١) سورة الحشر: الآية: (٢٣).

(٢) سورة الشعراء: الآية: (١٣٠).

(٣) سورة الحشر: الآية: (٢٣).

(٤) سورة الأنعام: الآية: (٩٣).

فإن أول معصية عُصى بها الله (عز وجل) هى الكبر وذلك عندما أمر الله إبليس أن يسجد لآدم فأبى.. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾(١).

* فالكبرياء لله وحده؛ ولذلك قال تعالى: «الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحداً منهما قذفته فى النار»(٢).

* فمن لبس رداء الكبر فإن الله يعاقبه بأشد أنواع العقوبات فمن ذلك أن الله يحرمه من محبته... قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾(٣).. بل ويصرفه عن آياته كما قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾(٤)... بل ويطبع على قلبه كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾(٥)... وقد أخبرنا النبى ﷺ أن الكبر من صفات أهل النار فقال: «ألا أخبركم بأهل النار؟» قالوا: بلى. قال: «كل عُتُلٍّ جواظ مستكبر»(٦)... بل إن المستكبرين لا تُفتح لهم أبواب السماء كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾(٧)... بل وترى وجوههم يوم القيامة مسودة كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾(٨).

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٣٤).
(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣١١).
(٣) سورة النحل: الآية: (٢٣).
(٤) سورة الأعراف: الآية: (١٤٦).
(٥) سورة غافر: الآية: (٣٥).
(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٧٢) كتاب الأدب، ومسلم (٢٨٥٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.
(٧) سورة الأعراف: الآية: (٤٠)
(٨) سورة الزمر: الآية: (٦٠).

بل ويُحرم من دخول الجنة فقد قال ﷺ : «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر» (١).

* فمن تواضع لله رفعه الله كما قال ﷺ : «... وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله» (٢).

الخالق • البارئ • المصور • الخلاق

قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ﴾ (٤).

الذى خلق جميع الموجودات وبرأها، وسوَّاها بحكمته، وصوَّرها بحمده، وحكمته، وهو لم يزل ولا يزال على هذا الوصف العظيم.

فالخالق هو الفاطر المبدع لكل شىء والمقدر له والموجد للأشياء من العدم فهو خالق كل صانع وصنعته. . . والبارئ هو الذى خلق الخلق بقدرته لا عن مثال سابق. القادر على إبراز ما قدره إلى الوجود. . والمصور هو الذى صوَّر جميع الموجودات ورتَّبها فأعطى كل شىء منها صورة خاصة وهيئة منفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها».

الغفور • الغفار

قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِى أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥)، وقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (٦).

---

١) صحيح: رواه مسلم (٩١) كتاب الإيمان.

٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٨) كتاب البر والصلة والآداب.

٣) سورة الحشر: الآية: (٢٤).

٤) سورة الحجر: الآية: (٨٦).

٥) سورة الحجر: الآية: (٤٩).

٦) سورة نوح: الآية: (١٠).

وأصل الغفر: التغطية والستر. . غفر الله ذنوبه أى: ستره.

قال الغزالى: الغفار هو الذى أظهر الجميل وستر القبيح، والذنوب من جملة القبائح التى سترها بإرسال الستر عليها فى الدنيا والتجاوز عن عقوبتها فى الآخرة.

وقيل: إن (الغفار، والغفور) صيغتى مبالغة لصفة المغفرة لله عز وجل، أى: كثير المغفرة فى العدد والتكرار وأما (الغفار) أى: يغفر مغفرة عظيمة فى قدرها وأثرها فالغفور يناسب كثرة خطايا الخلق وتكرارها و(الغفار) يناسب عظيم الجرم وكبير الآثام.

القهار

هو الذى قهر جميع الكائنات وذلَّت له جميع المخلوقات: ودانت لقدرته ومشيئته مواد وعناصر العالم العلوى والسُّفلى، فلا يحدث حادث ولا يسكن ساكن إلا بإذنه، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء إلى الله عاجزون، لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضراً، ولا خيراً ولا شراً.

الوهَّاب

«الوهاب»: الذى كل موهوب وصل إلى خلقه فمن فيض بحار جوده وفضله ونعمائه الزاخرة.

وهو المتفضل بالعطايا المنعم بها دون أن يستحق العباد.

الرزاق • الرازق

هو الذى يرزق عباده جميعًا.

وقد يعتقد بعض الناس أن الرزق هو المال فحسب. . بل إن الرزق أشمل من ذلك: فنعمة التوحيد هى أعظم أنواع الرزق. . والقناعة رزق. . .

والأخلاق الحسنة رزق... والعلم رزق... والزوجة الصالحة والأولاد رزق... واتباع النبى ﷺ رزق... والصحة رزق... وراحة القلب رزق... والجنة من أعظم أنواع الرزق... ولكن أعظم أنواع الرزق على الإطلاق الفوز برضوان الله والنظر إلى وجهه الكريم (سبحانه وتعالى).

الفتاح

هو الذى يفتح مغلق الأمور ويُسهل العسير وبيده مفاتيح السموات والأرض.

هو الذى يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده.

اللطيف • الخبير

قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾(١).

(اللطيف) الذى أحاط علمه بالسرائر والخفايا، وأدرك الخبايا والبواطن، والأمور الدقيقة... اللطيف بعباده المؤمنين، الموصل إليهم مصالحهم بلطفه وإحسانه، من طرق لا يشعرون بها، فهو بمعنى «الخبير» وبمعنى «الرءوف».

والخبير: هو الذى لا تَعزُب عنه الأخبار الباطنة؛ ولا يجرى فى الملك والملكوت شىء، ولا تتحرك ذرة ولا تسكن، ولا يضطرب نفس ولا يطمئن إلا ويكون عنده خبره.

المُسعّر • القابض • الباسط

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: (قال الناس: يا رسول الله غلا السعر فسعِّر لنا، فقال رسول الله ﷺ : **«إن الله هو المُسعِّر القابض الباسط الرازق،**

(١) سورة الملك: الآية: (١٤).

وإنى لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبنى بمظلمة فى دم ولا مال»[١].

والمُسعِّر سبحانه هو الذى يزيد الشيء ويرفع من قيمته أو تأثيره ومكانته، فيقبض ويبسط وفق مشيئته وحكمته.

والمسعر سبحانه هو الذى يسعر بعدله العذاب على أعدائه:

القابض، الباسط: الأدب فى هذين الاسمين أن يُذكرا معًا؛ لأن تمام القدرة بذكرهما معًا:

الباسط: هو الذى يبسط الرزق لعباده، ويوسِّعه عليهم بجوده ورحمته، ويبسط الأرواح فى الأجساد عند الحياة سبحانه وتعالى.

القابض: هو الذى يُمسك الرزق وغيرَه من الأشياء عن العباد بلطفه وحكمته، ويقبض الأرواح عند الممات سبحانه وتعالى.

المولى • النصير

والمولى سبحانه هو من يركن إليه الموحدون ويعتمد عليه المؤمنون فى الشدة والرخاء والسراء والضراء ولذلك خص الولاية هنا بالمؤمنين، . . . قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[٢].

ولايته للموحدين مشروطة بالاستجابة لأمره، والعمل فى طاعته وقربه، والسعى إلى مرضاته وحبه.

والله عز وجل هو النصير الذى ينصر عباده المؤمنين ويعينهم.

كما قال عز وجل: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٣].

فهو ينصر من ينصره ويعينه، ويسدده. أما نصرة العبد لله فهى: أن

---

(١) رواه الترمذى وصححه الألبانى فى غاية المرام (٣٢٣).

(٢) سورة محمد: الآية: (١١).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٦٠).

بصر عباد الله المؤمنين والقيام بحقوق الله عز وجل، ورعاية عهوده، واعتناق أحكامه، والابتعاد عما حرم الله عليه فهذا من نصرة العبد لربه، كما قال عز وجل: ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾[1].

ومن نصر الله بطاعته، والابتعاد عن معصيته، نصره الله نصراً مؤزراً.

السميع • البصير

فهو الذى يسمع السر والنجوى... سواء عنده الجهر والخفوت والنطق والسكوت.... قال الغزالى - رحمه الله -: هو الذى لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفى، ويدرك دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمَّاء فى الليلة الظلماء.. يسمع حمد الحامدين فيجازيهم، ودعاء الداعين فيستجيب لهم.

والبصير: هو الذى أحاط بصره بجميع المُبْصرات فى أقطار الأرض والسموات، حتى أخفى ما يكون فيها فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمَّاء فى الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة والظاهرة وسريان القوت فى أعضائها الدقيقة، ويرى سريان المياه فى أغصان الأشجار وعروقها وجميع النباتات على اختلاف أنواعها وصغرها ودقتها.

الحَكَم

(الحكم العدل) الذى يحكم بين عباده فى الدنيا والآخرة، بعدله وقسطه. فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يُحمِّل أحداً وزر أحد ولا يجازى العبد بأكثر من ذنبه، ويؤدى الحقوق إلى أهلها. فلا يدع صاحب حق إلا وصل إليه حقه.

---

[1] سورة محمد: الآية: (٧).

الشاكر • الشكور • الحليم

قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[(٢)].

فهو الذى يجازى بيسير الطاعات، كثير الدرجات، ويقبل اليسير من صالح العمل، فيضاعفه أضعافًا كثيرة ويثيب عليه الثواب الجلل، وكل هذا لأهل التوحيد.

قال السعدى: هو الذى يشكر القليل من العمل ويغفر الكثير من الزلل، ويضاعف للمخلصين أعمالهم بغير حساب.

فأنت إذا تقربت إلى الله بعملٍ يسير، فإنه يعطيك الأجر الكبير.

(الحليم) فلا يعاجل أهل معصيته بالعقاب، بل يعافيهم ويمهلهم ليتوبوا فيتوب عليهم إنه هو التواب العظيم.

الرفيق

الرفيق أى: الليِّن المُسهِّل على عباده. فالله عز وجل يغيث عباده فى الشدائد والمشقات، فهو يغيث جميع المخلوقات عندما تتعسر أمورها، وتقع فى الشدائد والكربات: يُطعم جائعهم ويكسو عاريهم، ويُخلِّص مكروبهم، وينزل الغيث فى وقت الضرورة والحاجة، وكذلك يجيب إغاثة اللهفان أى: دعاء من دعاه فى حالة اللهف والشدة والاضطرار، فمن استغاثه أغاثه.

ويأتى الرفق بمعنى التأنِّى وعدم العجلة.

* * *

(١) سورة النساء: الآية: (١٤٧).

(٢) سورة التغابن: الآية: (١٧).

القريب • المجيب

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾(١) ، وقال تعالى: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾(٢) .

* وقُربه نوعان :

١- قربٌ عام: وهو إحاطة علمه بجميع الأشياء، وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، وهو بمعنى المعية العامة.

٢- وقربٌ خاص: بالداعين والعابدين المحبين، وهو قرب يقتضى المحبة، والنصرة، والتأييد فى الحركات والسكنات، والإجابة للداعين، والقبول والإثابة للعابدين.

والمجيب: هو الذى يجيب المضطر إذا دعاه، ويغيث الملهوف إذا ناداه.

العلى • العظيم

العلى : الذى له صفة علو الشأن، وعلو القهر، وعلو الذات.

والعظيم: الذى جاوز قدره عز وجل عن حدود العقول. . فهو عظيم الشأن والسلطان.

الحيىُّ • السّتير

قال ﷺ : «إن الله تعالى حَيِىٌّ ستِّير يحب الحياء والستر»(٣) .

فالله (عز وجل) يتحبب إلى عباده بالنعم، وهم يتبغضون إليه بالمعاصى، ومع ذلك إذا تاب أحدهم ورفع يديه بالتوبة إلى الله فإن الله

(١) سورة البقرة: الآية: (١٨٦).

(٢) سورة هود: الآية: (٦١).

(٣) صحيح: رواه أبو داود والنسائى وأحمد، وصححه الألبانى فى الإرواء (٢٣٣٥).

(جل وعلا) يستحى أن يرد دعاءه وتوبته.

ولقد «كان ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها»(١).

وأما الستِّير: فهو الذى يستر على عباده سترًا عظيمًا فلا يفضحهم فى الدنيا والآخرة.

الكبير • المتعال

(الكبير) الذى كل شىء دونه ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾(٢).

والمُتعال اسم يدل على أن جميع معانى العلو ثابتة لله من كل وجه، فله علو الذات، فإنه فوق المخلوقات، وعلى العرش استوى، أى: علا وارتفع. وله علو القدر، وهو علو صفاته وعظمتها، فلا يماثله صفة مخلوقه، بل لا يقدر الخلائق كلهم أن يحيطوا ببعض معانى صفة واحدة من صفاته.

المقيت

هو المتكفل بإيصال أقوات الخلق إليهم، وهو الحفيظ والمقتدر والقدير والمُمد.

الحفيظ

هو الحافظ الذى يحفظ السموات والأرض وما فيهما فلا تزول ولا تندثر إلا بأمره، وهو الذى يحفظ عبده من المهالك والمعاطب، ومصارع السوء... كما فى قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾(٣).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٦٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٦٧).

(٣) سورة الرعد: الآية: (١١).

وهو الذى يحفظ على عباده أعمالهم وأقوالهم، ويعلم نياتهم، وما تُكِنُّ صدورهم، ولا يغيب عنه غائبة، ولا تخفى عليه خافية.

وهو الذى يحـــفظ أوليـاءه من المعـــاصى والذنوب ومن الشُّبَــه والفتن والشهوات، فيعافيهم منها، ويُخرجهم منها بسلامة وحفظ وعافية.. وعلى قدر إيمان العبد تكون مدافعة الله عنه كما قال ﷺ: «**احفظ الله يحفظك**»(١).

الحسيب

والحسيب هو الكافى للعباد جميـع ما أهمَّهم من أمر دينهم ودنياهم من حصول المنافع ودفع المضار.

والحسيب: بالمعنى الأخص هو الكافى لعبـده المتقى المتوكل عليـه كفاية خاصة، يُصلح بها دينه ودنياه.

والحسيب أيضًا هو الذى يحفظ أعمال عـباده من خير وشر ويحاسبهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

الجميل

قال ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال**»(٢).

فـهو سـبحـانه الذى له مطلق الجمـال فى الذات والصفـات والأسمـاء والأفعال، فـلا يستطيع مخلوق أن يُعبر عن بعض جـمال ذاته حتى إن أهل الجنة مع ما هم فيه من النعيم المقيم واللذات والسرور والأفراح التى لا يُقدر قدرها إذا رأوا ربهم وتمتعوا بجماله نسـوا ما هم فيه من النعيم، وتلاشى ما هم فيـه من الأفراح، وودوا أن لو تدوم هذه الحـال، واكتسـبوا من جـماله ونوره جمـالاً إلى جمالهم، وكانت قـلوبهم فى شوق دائم ونزوع إلى رؤية

(١) صحيح: رواه الترمذى، وأحمد، وصححه الألبانى فى المشكاة (٥٣٠٢).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٩١).

ربهم، ويفرحون بيوم المزيد فرحًا تكاد تطير له القلوب.

وكذلك هو الجميل فى أسمائه فإنها كلها حُسنى بل أحسن الأسماء على الإطلاق وأجملها أوصافه، فإن أوصافه كلها أوصاف كمال ونعوت ثناء وحمد وكذلك أفعاله كلها جميلة.

الرقيب

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1].

قال ابن جرير: رقيبًا: أى: حفيظًا مُحصيًا عليكم أعمالكم متفقدًا رعايتكم حُرمة أرحامكم وصلتكم إياها حفيظًا لا يعزب عن علمه شىء.

الكريم ● الأكرم

قال تعالى: ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴾[3].

قال الغزالى: هو الذى إذا وعد وفَّى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء، ولا يبالى كم أعطى، ولمن أعطى.

ومن كرمه أن يقابل الإساءة بالإحسان، والذنب بالغفران، ويقبل التوبة، ويعفو عن التقصير.

وهو الذى يعطى، ولا يقبل العوض، وهو الذى لا يحتاج إلى وسيلة، وهو الكريم الذى يستبشر بقبول عطائه، وهو الذى يعطى ويُثنى، وهو الذى يعطى قبل السؤال.

أما (الأكرم).. قال الخطابى: أكرم الأكرمين الذى لا يواريه كريم.

---

(١) سورة النساء: الآية: (١).

(٢) سورة النمل: الآية: (٤٠).

(٣) سورة العلق: الآية: (٣).

الواسع • العليم

الواسع: الذى وسعت رحمته كل شىء، ووسع علمه كل شىء.

والعليم: هو الذى أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوى والسفلى وبالماضى والحاضر والمستقبل؛ فلا يخفى عليه شىء من الأشياء.

فهو (جل وعلا) الذى يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

التواب • الحكيم

هو الذى يوفق عباده للتوبة حتى يتوب عليهم، ويقبل توبتهم، فيقابل الدعاء بالعطاء، والتوبة بغفران الذنوب.

و(الحكيم) هو الذى له الحكمة العليا فى خلقه، وأمره، الذى أحسن كل شىء خلقه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1].

فلا يخلق شيئًا عبثًا، ولا يشرع شيئًا سُدى، الذى له الحكم فى الأولى والآخرة.

الودود

هو الذى يحب أنبياءه ورسله وأتباعهم، ويحبونه فهو أحب إليهم من كل شىء قد امتلأت قلوبهم من محبته، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه، وانجذبت أفئدتهم إليه ودًا وإخلاصًا، وإنابة من جميع الوجوه.

* * *

---

١) سورة المائدة: الآية: (٥٠).

المنان

فالله عز وجل هو الذى مَنَّ على عباده: بالخلق والرزق، والصحة فى الأبدان، والأمن فى الأوطان، وأسبغ عليهم النعم الظاهرة والباطنة، ومن أعظم المنن وأكملها وأنفعها - بل أصل النعم - الهداية للإسلام ومنته بالإيمان، وهذا أفضل من كل شىء.

المجيد

(المجيد الكبير العظيم الجليل) وهو الموصوف بصفات المجد، والكبرياء، والعظمة والجلال، الذى هو أكبر من كل شىء، وأعظم من كل شىء، وأجلّ وأعلى.

وله التعظيم والإجلال فى قلوب أوليائه وأصفيائه. قد مُلئت قلوبهم من تعظيمه، وإجلاله، والخضوع له، والتذلل لكبريائه.

الشهيد

أى: المطلع على جميع الأشياء.

سمع جميع الأصوات، خفيّها وجليّها. وأبصر جميع الموجودات، دقيقها وجليلها، صغيرها وكبيرها.

وأحاط علمه بكل شىء، الذى شهد لعباده، وعلى عباده بما عملوه.

الحق • المبين

الحق: أى المتحقق وجوده وإلهيته، والحق ضد الباطل.

وأما المبين: فالله عز وجل هو المبين لعباده سبيل الرشاد، والموضح لهم الأعمال التى يستحقون الثواب على فعلها والأعمال التى يستحقون العقاب

عليها، وبيَّن لهم ما يأتون، وما يذرون.

وهو سبحانه الذى بيَّن لعباده طُرق الهداية وحذَّرهم من أن يسلكوا طرق الضلال، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل الكتب ليبين لهم.

والله عز وجل يبين للناس الأحكام الشرعية، ويوضحها ويبين الحكم القدرية، وهو عليم بما يصلح عباده، حكيم فى شرعه وقدره، فله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة.

الوكيل

الوكيل: الذى ما التجأ إليه مخلص إلا كفاه ولا اعتصم به مؤمن إلا حفظه ووقاه... ومن يتوكل على الله فهو حسبُه، فنعم المولى ونعم النصير.

القوى • المتين

القوى: هو الذى لا يغلبه غالبٌ ولا يرد قضاءه رادٌّ.. ينفذ أمره ويُمضى قضاءه. ومن قوته أنه إذا بطش بشىء أهلكه.

ومن معانى قوته أنه ينصر رسله: **﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾**(١).

والعبد لا يستطيع أن يجتنب الذنوب والمعاصى إلا بحول الله وقوته، ولذلك أخبرنا النبى ﷺ أن كلمة: **«لا حول ولا قوة إلا بالله كنزٌ من كنوز الجنة»**(٢).

المتين: الشديد الذى لا يلحقه فى أفعاله مشقة ولا كلفة ولا تعب.

* * *

---

(١) سورة غافر: الآية: (٥١).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٨٤)، ومسلم (٢٧٠٤).

الولى • الحميد

فهو سبحانه الولى الذى تولى أمور العالم والخلائق، وهو مالك التدبير، وهو الولى الذى صرف لخلقه ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم وأُخراهم.

- وأما الحميد: فهو المحمود بكل لسان على كل حال.. المستحق للثناء.

الحى • القيوم

الحى: صاحب الحياة الدائمة.

القيوم: القائم بنفسه والمقيم لغيره.

الواحد • الأحد

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾(٢).

قال الحكمى: (الواحد الأحد) الذى لا شريك له فى إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وملكوته وجبروته وعظمته وكبريائه وجلاله، لا ضد له ولا ند ولا شبيه له ولا كفؤ ولا عديل.

الصمد:

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾(٣).

قال الحكمى: (الصمد) الذى يصمد إليه جميع الخلائق فى حوائجهم ومسائلهم فهو المقصود إليه فى الرغائب المستغاث به عند المصائب، فإليه

---

(١) سورة الرعد: الآية: (١٦).

(٢) سورة الإخلاص: الآية: (١).

(٣) سورة الإخلاص: الآيتان: (١ - ٢).

منتهى الطلبات، ومنه يُسأل قضاء الحاجات، وهو الذى لا تعتريه الآفات، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

السيد

قال ﷺ: «**السيد الله تبارك وتعالى**»(١).

قال الخطابى: معناه أن حقيقة السؤدد لله رب العالمين وكل الخلق عبيد له السيد. وقيل معناه: المحتاج إليه كل الخلائق.

العفو • القدير

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**﴾(٢).

فهو الذى يترك المؤاخذة على الذنوب ولا يُذكرك بالعيوب فهو يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصى.

قال السعدى: (القدير) كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبَّرها، وبقدرته سوَّاها وأحكمها.

وبقدرته يحيى ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازى المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذى إذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون، وبقدرته يقلب القلوب، ويصرفها على ما يشاء ويريد.

القادر

(القادر المقتدر) الذى إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون، وما كان الله ليُعجزه من شىء فى السموات ولا فى الأرض، إنه على كل شىء قدير.

فقدرة الله فى الخلق لا تحدُّها حدود.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٧٠٠).

(٢) سورة الحج: الآية: (٦٠).

المقدم • المؤخر

وهذان الاسمان من الأدب أن يُذكرا معًا، فالله هو الذى يقدم ما ينبغى تقديمه من شىء حكمًا وفعلاً على ما أحب وكيف أحب وما قدمه فهو المُقدَّم، وما أخره فهو المؤخَّر.

المؤخر: هو الذى يؤخر ما ينبغى تأخيره، والحكمة والصلاح فيما يفعله الله سبحانه وتعالى وإن خَفِىَ علينا وجه الحكمة والصلاح فيه.

الأول • الآخر • الظاهر • الباطن

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[1]. هذه الأسماء الأربعة المباركة قد فسرها النبى ﷺ تفسيرًا جامعًا واضحًا فقال يخاطب ربه: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شىء، وأنت الآخر فليس بعدك شىء، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء، وأنت الباطن فليس دونك شىء**»[2].

وقال الطحاوى: قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء.

الوتر

قال ﷺ: «**وإن الله وتر يحب الوتر**»[3].

والله تعالى وتر انفرد عن خلقه فجعلهم شفعًا، وقد خلق الله المخلوقات بحيث لا تعتدل ولا تستقر إلا بالزوجية ولا تهنأ على الفردية والأحدية... يقول الله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[4]، فالرجل لا يهنأ إلا بزوجته ولا يشعر بالسعادة إلا مع أسرته،

---

(١) سورة الحديد: الآية: (٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧١٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٧).

(٤) سورة الذاريات: الآية: (٤٩).

ولا يمكن أن تستمر الحياة التى قدرها الله على خلقه بغير الزوجية حتى فى تكوين أدق المواد الطبيعية.

أما ربنا عز وجل فذاته صمدية وصفاته فردية، فهو المنفرد بالأحدية والوترية.

وقد قيل أيضًا فى معنى الشفع والوتر أن الشفع تنوع أوصاف العباد بين عزٍ وذل وعجز وقدرة، وضعف وقوة، وعلم وجهل، وموت وحياة، والوتر انفراد صفات الله عز وجل فهو العزيز بلا ذل، والقدير بلا عجز، والقوى بلا ضعف، والعليم بلا جهل وهو الحى الذى لا يموت، والقيوم الذى لا ينام، ومن أساسيات التوحيد والوترية إفراد الله عمَّن سواه فى ذاته وصفاته وأفعاله وعبوديته[١].

الغنى

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٢].

* قال الحكمى: (الغنى) فلا يحتاج إلى شىء ولا تزيد فى ملكه طاعة الطائعين ولا تنقصه معصية العاصين من العباد، وكل خلقه مفتقرون إليه لا غنى بهم عن بابه طرفة عين.

وقال السعدى: (الغنى) فهو الغنى بذاته، الذى له الغِنى التام المطلق، من جميع الوجوه والاعتبارات لكماله، وكمال صفاته. فلا يتطرق إليها نقصٌ بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنيًّا لأن غناه من لوازم ذاته.

* * *

(١) تفسير القرطبى (٢٠/ ٤١)، الأسماء والصفات للبيهقى ص٣٠ - نقلاً عن (أسماء الله الحسنى) د. محمود عبد الرازق الرضوانى.

(٢) سورة فاطر: الآية: (١٥).

القريب • المجيب

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[١].

والقريب سبحانه هو الذى يقرب من خلقه كما شاء وكيف شاء، وهو القريب من فوق عرشه، أقرب إلى عباده من حبل الوريد.

والمُجيب سبحانه هو الذى يُقابل السؤال والدُّعاء بالقبول والعطاء، وهو المجيب الذى يجيب المضطر إذا دعاه ويغيث الملهوف إذا ناداه، ويكشف السوء عن أوليائه ويرفع البلاء عن أحبائه، وكل الخلائق مفتقرة إليه، ولا قوام لحياتها إلا عليه، لا ملجأ لها منه إلا إليه[٢].

المليك • المقتدر

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[٣].

والمليك هو المالك العظيم المُلك، ويكون بمعنى المَلك[٤]، وهو اسم يدل على العلو المطلق للمَلك فى مُلكه وملكيته، فله علو الشأن والقهر فى وصف الملكية، وله علو الشأن والفوقية فى وصف الملك والاستواء على العرش.

والمقتدر سبحانه هو الذى يُقدِّر الأشياء بعلمه وينفذها بقدرته.

الرءوف

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٥].

---

(١) سورة هود: الآية: (٦١).

(٢) أسماء الله الحسنى / د. محمود الرضوانى (ص٤٧٧، ٤٨٢).

(٣) سورة القمر: الآية: (٥٥).

(٤) زاد المسير (٨/ ١٠٤).

(٥) سورة النور: الآية: (٢٠).

(الرءوف) بالمؤمنين، ومن رأفته بهم أن نزَّل على عبده آيات مبينات، ليُخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، ومن رأفته بهم أن اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة مع كون الجميع ملكه، ولم ينزع عنهم التوبة.

الشافى

إن الله (جل وعلا) هو الشافى من جميع الأمراض الروحية والبدنية.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ كان يُعوِّذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى، ويقولُ: «**اللهم رب الناس، أذهب البأس، اشفِ أنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقمًا**»[١].

والشافى سبحانه هو الذى يرفع البأس والعلل، ويشفى العليل بالأسباب والأمل... فقد يبرأ الداء مع انعدام الدواء، وقد يشفى الداء بلزوم الدواء، ويرتب عليه أسباب الشفاء، وكلاهما باعتبار قدرة الله سواء، فهو الشافى الذى خلق أسباب الشفاء.

الوارث

قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾[٢].

(الوارث) الذى يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، وإليه المرجع والمآل فبإيجاده كل موجود وجد وإليه كل الأمور تصير.

البَر

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾[٣].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٧٥)، ومسلم (٢١٩١).

(٢) سورة الحجر: الآية: (٢٣).

(٣) سورة الطور: الآية: (٢٨).

البَر هو العطوف على عباده ببره ولُطفه.

القاهر

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [(١)].

أى هو الذى قهر كل شىء، وخضع لجلاله كل شىء، وذَلَّ لعظمته وكبريائه كل شىء، وعلا على عرشه فوق كل شىء.

الدَّيان

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «يَحشُر اللهُ العباد فيناديهم بصوت يسمعهُ مَن بَعُدَ كما يسمعهُ من قَرُبَ، أنا الملكُ أن الديانُ» [(٢)].

والدَّيان سبحانه هو الذى دانت له الخليقة، وعنت له الوجوه وذلَّت لعظمته الجبابرة وخضع لعزته كل عزيز،... ملكٌ قاهرٌ على عرش السماء مهيمن، لعزته تعنو الوجوه وتسجد، يرضى على من يستحق الرضا ويثيبه ويكرمه ويدنيه، ويغضب على من يستحق الغضب ويعاقبه ويُهينه ويُقصيه، فيعذب من يشاء ويرحم من يشاء، ويعطى من يشاء ويمنع من يشاء، ويقرب من يشاء ويقصى من يشاء، له دار البقاء دار عذاب أليمة وهى النار، ودار سعادة دار عظيمة وهى الجنة، فهو الديان الذى يدين العباد أجمعين ويفصل بينهم يوم الدين [(٣)].

* * *

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٨).

(٢) البخارى معلقًا فى كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ (٦/ ٢٧١٩)، وقد وصله ابن حجر فى تغليق التعليق (٥/ ٣٥٥)، وصححه الألبانى فى ظلال الجنة فى تخريج السنة (١/ ٢٢٥).

(٣) الصلاة وحكم تاركها (ص٢٠٤).

المُحسن

قال ﷺ: «إن الله محسن يحب الإحسان»[(١)].

والمحسن سبحانه هو الذى له كمال الحسن فى أسمائه وصفاته وأفعاله، . . . كما قال تعالى فى كتابه: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[(٢)]، فلا شىء أكمل ولا أجمل من الله، فكل كمال وجمال فى المخلوق من آثار صنعته، وهو الذى لا يُحَدُّ كماله ولا يوصف جلاله، ولا يحصى أحد من خلقه ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه[(٣)].

الطيب

قال ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا»[(٤)].

والله سبحانه طيب له الكمال فى ذاته وأسمائه وصفاته.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[(٥)]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[(٦)]، وهو أيضًا طيب فى أفعاله يفعل الأكمل والأحسن، فهو الذى أتقن كل شىء، وأحسن كل شىء[(٧)].

المعطى

قال ﷺ: «والله المعطى وأنا القاسم»[(٨)].

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى، وعبد الرزاق، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٨٢٤).
(٢) سورة طه: الآية: (٨).
(٣) أسماء الله الحسنى (ص٦١٥).
(٤) صحيح: رواه مسلم (١٠١٥).
(٥) سورة طه: الآية: (٨).
(٦) سورة الشورى: الآية: (١١).
(٧) أسماء الله الحسنى (ص٦٤٧).
(٨) صحيح: رواه البخارى (٣١١٦).

والمعطى سبحانه هو الذى أعطى كل شىء خلقه وتولى أمره ورزقه فى الدنيا والآخرة.

كما قال تعالى عن موسى عليه السلام وهو يصف عطاء الربوبية: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[1]، وقال تعالى عن عطاء الآخرة: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[2]، وعطاء الله قد يكون عامًّا أو خاصًّا، فالعطاء العام يكون للخلائق أجمعين، والعطاء الخاص يكون للأنبياء والمرسلين وصالح المؤمنين[3].

الجواد

قال ﷺ: «إن الله عز وجل جوادٌ يحب الجود»[4].

والجواد سبحانه هو الكامل فى ذاته وأسمائه وصفاته، الذى ينفق على خلقه بكثرة جوده وكرمه وفضله ومدده، فلا تنفد خزائنه ولا ينقطع سحاؤه ولا يمتنع عطاؤه، . . . روى البخارى من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يد الله ملأى لا يغيضُها نفقة سحَّاء الليل والنهار، أرأيتُم ما أنفق مُنذ خلق السموات والأرض فإنهُ لم يغض ما فى يده»[5]، وهو سبحانه من فوق عرشه عليم بموضع جُودِه فى خلقه، فلا يعطى إلا بمقتضى عدله وحكمته، وما يحقق مصلحة الشىء وغايته، ولذلك جاء عقب ذكر جوده

---

(١) سورة طه: الآية: (٥٠).

(٢) سورة هود: الآية: (١٠٨).

(٣) أسماء الله الحسنى (ص٦٣٥).

(٤) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٤٤).

(٥) البخارى فى كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ (٦/٢٦٩٧) (٦٩٧٦)، معنى: «لا يغيضها» أى لا ينقصها نفقة، ومعنى «سحَّاء» أى كثرة السح والعطاء وهو إنزال الخير المتواصل، انظر فتح البارى (١٣/ ٣٩٥).

ونفقته: «عرشُه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفضُ ويرفعُ» (١).

السبُّوح

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقولُ فى ركوعه وسُجُوده: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رب الملائكة الروح» (٢).

والسُّبوح سبحانه هو الذى سبَّح بحمده المُسبحون قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ (٣)، وقال: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ﴾ (٤).

وقال سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٥).

الرب

قال تعالى: ﴿سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ (٦).

والرب سبحانه هو المتكفل بخلق الموجودات وإنشائها والقائم على هدايتها وإصلاحها وهو الذى نظم معيشتها ودبَّر أمرها.

وحقيقة معنى الربوبية فى القرآن تقوم على ركنين اثنين وردا فى آيات كثيرة أحدهما: إفراد الله بالخلق، والثانى: إفراده بالأمر وتدبير ما خلق.

* * *

(١) تكملة الحديث السابق عند البخارى.
(٢) صحيح: رواه مسلم (٤٨٧).
(٣) سورة الأعراف: الآية: (٢٠٦).
(٤) سورة يونس: الآية: (١٠).
(٥) سورة الإسراء: الآية: (٤٤).
(٦) سورة يس: الآية: (٥٨).

الأعلى

قال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾(١).

واسم الله الأعلى دَلَّ على علو الشأن وهو أحـد معانى العلو، فالله عز وجل تعالى عن جميع النقائص والعيوب المنافية لإلهيته وربوبيته، وتعالى فى أحديته عن الشريك والظهـير والولى والنصير، وتعالى فى عظمته أن يشفع أحد عنده دون إذنه، وتعالى فى صمديتـه عن الصاحبة والولد وأن يكون له كفواً أحد، وتعالى فى كمـال حياته وقيومـيته عن السِّنَة والنوم، وتعالى فى قدرته وحكمتـه عن العبث والظلم، . . . تعالى فى صـفات كمـاله ونعوت جلاله عن التعطيل والتمثيل(٢).

الإله

قال تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾(٣).

والإله سبحانه هو المعبود بحق، المستحق للعبـادة وحده دون غيره، وقد قامت.

واسم الإله يخـتلف فى مـعناه عن اسم الرب فى كـثيـر من النواحى، فالرب معناه يعود إلى الانفراد بالخلق والتدبير، أما الإله فهو المستحق للعبادة المألوه الذى تُعظمـه القلوب وتخضع له وتعـبده عن مـحبة وتعظـيم وطاعة وتسليم، ولذلك كان التـوحيد الذى أمر اللـه عز وجل به العباد هو توحـيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية(٤).

---

(١) سورة الأعلى: الآية: (١).

(٢) أسماء الله الحسنى (ص٦٩٧).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٦٣).

(٤) أسماء الله الحسنى (ص٧٠٠-٧٠١) بتصرف.

ثمرات الإيمان بالأسماء والصفات

إن معرفة العبد بأسماء الله وصفاته ومعرفته بمعانيها وإيمانه بأنها صفات حقيقية تليق بجلال الله وعظمته وأنها لا تماثل صفات المخلوقين يُكسبه سعادة الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بها أو أولها وصرفها عن معناها الحقيقى حُرم السعادة، فإيمان العبد بأسماء الله وصفاته له ثمرات وفوائد كثيرة، من أهمها ما يلى:

١- أعظم ثمرات الإيمان بالأسماء والصفات: تنزيه الله تعالى عن النقائص والعيوب، ووصفه بصفات الكمال اللائقة بجلاله، ونفى مماثلتها لصفات المخلوق الضعيف، وإثبات الأسماء الحسنى له جل وعلا.

٢- أن من آمن بأن من أسماء الله تعالى «العفو» و «الغفور» و«الرحيم»، وأن من صفاته «المغفرة للمذنبين» و «الرحمة» و «العفو» دعاه ذلك إلى عدم اليأس من روح الله، وإلى عدم القنوط من رحمته، بل ينشرح صدره لما يرجو من رحمة ربه ومغفرته.

٣- أن من عرف أن من صفات الله تعالى أنه «شديد العقاب»، و«الغيرة إذا انتهكت محارمه»، و«الغضب»، وأنه «ذو انتقام ممن عصاه» حمله ذلك على الخوف من الله تعالى والبعد عن معصيته.

٤- أن المؤمن إذا أيقن أن من أسماء الله تعالى: «القوى»، و«القادر»، و«العزيز»، وأنه تعالى «يتولى المؤمنين بالحفظ والنصر» أكسبه ذلك عظمة التوكل على الله والوثوق بنصره، وعدم الهلع من أعدائه، فيعيش قرير العين، واثقًا بحفظ الله وتأييده ونصره.

٥- أن من استقر فى قلبه أن من أسماء الله تعالى «البصير» وأنه تعالى يرى دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة السوداء، وكذلك

إذا علم أن من أسـماء اللـه تعالى «الرقـيب»، و«العليم»، وأنه تعالى يعلم نيات العباد وخلجات نفوسهم، حمله ذلك على البعد عن معصية الله، وألا يراه الله حيث نهاه، وعلى مراقبته سبحانه في كل ما يأتي وما يذر.

٦- أن من آمن بصفات الله واستعاذ بها أعاذه الله مما يخاف منه.

٧- أن من علم أسماء الله وصفاته وتوسل إلى الله تعـالى بها استجاب الله دعاءه، فحـصل له ما يرجوه من مـرغوب، واندفع عنه ما يخـافه من مرهوب.

وهذا كله قطرة في بحر من ثمرات الإيمان بالأسماء والصفات[١].

وأخيـراً: فإني أسـأل الله (عز وجل) بأسمـائه الحسنى وصفـاته العليا، وأسأله باسـمه الأعظم أن يجـعل لتلك الرسالة الصغـيرة القـبول في قلوب إخواني وأخواتي وأن يجمعنا جميعًا في جنته إخوانًا على سُرر متقابلين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه
الفقير إلى عفو الرحيم الغفار
محمود المصري
(أبو عمار)

---

(١) مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية (ص٤٦-٤٧).



مكفرات الذنوب

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3].

أما بعد:

فإن المؤمن لم يخلقه الله - جل وعلا - معصومًا من الذنوب والخطايا. بل إنه يطيع ربه ويجتهد فى طاعته قدر استطاعته ممتثلاً أمر الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[4].

فإذا وقع فى معصية فإن الدنيا كلها تضيق عليه.... بل إنه يشعر فى

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

(٤) سورة العنكبوت: الآية: (٦٩).

ذلك الوقت أن هذا الذنب كأنه جبل وهو قاعد أسفل الجبل يخشى أن يقع عليه. وكل ذلك لأنه يستحضر دائمًا وأبدًا رقابة الملك جل جلاله.

ولذا فإنه من كمال رحمة الله أن جعل للإنسان فرجًا ومخرجًا من تلك الذنوب، إما بغفران الذنوب وسقوط العقوبة، وإما بتبديل السيئات إلى حسنات... فتلك هى رحمته التى وسعت كل شىء.

ولذا فإننى رأيت أن أجمع لإخوانى وأخواتى بعض الوريقات اليسيرة التى نعرف من خلالها كيف تسقط العقوبة عن العصاة، ثم نعقّب بعدها بأسباب المغفرة ومكفّرات الذنوب سائلاً الله - عز وجل - أن ينفع بها المسلمين فى كل زمان ومكان. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

* * *

أسباب سقوط العقوبة عن العصاة

- يقول صاحب شرح العقيدة الطحاوية: إذا وقع العبد المؤمن فى المعصية، فإن الله سبحانه وتعالى قد فتح لعباده أبواب رحمته، للخلاص من عقوبة ما يقعون فيه، إذا أخلصوا واتقوا.

فالحسرة كل الحسرة لمن لم يتعرض لتلك الأسباب التى تُسقط عنه العقوبة... هذا وقد استقرأ بعض العلماء الأسباب التى تُسقط العقوبة عن المعاصى فى نصوص القرآن والسنة، ونلخص للأخ القارئ ما خلص إليه شارح العقيدة الطحاوية فى هذا الموضوع. فقد قال: «إن فاعل السيئات يسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب، عُرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة، ثم ذكر منها ما يلى:

السبب الأول: التوبة:

فقد قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾[(١)] .

وقال أيضًا: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [(٢)] .

والتوبة التى تُسقط العقوبة هى التوبة النصوح، وهى الخالصة النابعة من القلب، لا المقتصرة على النطق باللسان، ... وهى ما يصحبها الندم على ما فات من المعاصى، والعزم على عدم العودة إليها، وعمل الصالحات.

وكون التوبة سببًا لغفران الذنوب، وعدم المؤاخذة بها مما لا خلاف فيه بين الأمة. وليس شىء يكون سببًا لغفران جميع الذنوب إلا التوبة.

---

(١) سورة مريم: الآيتان: (٥٩ - ٦٠).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٦٠).

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١).

السبب الثانى: الاستغفار:

فقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٢). والواقع أن الاستغفار يدخل فى معنى التوبة، فإن الاستغفار طلب مغفرة الذنوب التى وقع فيها العبد، وهو ما يدخل فى الندم على ما قدم الإنسان، فإن طلب المغفرة عنوان هذا الندم، وتزيد التوبة عن الاستغفار أن فى معناها العزم على اجتناب المعاصى فى المستقبل.

السبب الثالث: فعل الحسنات:

فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (٣).

السبب الرابع: الوقوع فى المصائب الدنيوية:

لقوله ﷺ: **«ما يصيب المؤمن من وَصَب ولا نَصَب ولا غم ولا هم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»** (٤).

واعلم أن تكفير الخطايا يكون بسبب وقوع المصيبة نفسها، فإذا صبر المبتلى فاز بثواب جديد فوق تكفير خطاياه، وإن سخط اكتسب إثمًا جديدًا، ويبقى تكفير خطاياه بوقوع المصيبة.

السبب الخامس: عذاب القبر.

السبب السادس: أهوال يوم القيامة وشدائده.

السبب السابع: شفاعة مَن أذن الله له بالشفاعة يوم القيامة.

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٣٣).

(٣) سورة هود: الآية: (١١٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٤٢) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧٣) كتاب البر والصلة والآداب.

السبب الثامن: عفو أرحم الراحمين من غير شفاعة.

كما قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (١).

السبب التاسع: دعاء المؤمنين واستغفارهم فى الحياة وبعد الممات.

السبب العاشر: التخلص من المظالم على القنطرة:

روى البخارى أن النبى ﷺ قال: «إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا نُقوا وهُذبوا أُذن لهم بدخول الجنة، فوالذى نفس محمدٍ بيده لأحدهم بمسكنه فى الجنة أدل منه بمسكنه كان له فى الدنيا»(٢).

السبب الحادى عشر: ما يُهدَى للعبد المؤمن من ثواب صدقة:

أو قراءة أو حج أو نحو ذلك. فقد اتفق أهل السنة على أن الأموات من المؤمنين ينتفعون من سعى الأحياء بأمرين:

الأمر الأول - ما تسبب إليه الميت فى حياته، لما ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم يُنتفع به من بعده»(٣).

الأمر الثانى - دعاء المسلمين واستغفارهم والصدقة والحج، واختلفوا فى العبادات البدنية، كالصوم وقراءة القرآن والذكر.

فذهب أبو حنيفة وأحمد وجمهور السلف إلى وصولها، والمشهور من مذهب الشافعى ومالك عدم وصولها.

أما عن مكفرات الذنوب فهى: إما أن تتمثل فى أفعال يفعلها العبد، أو أقوال يقولها فيغفر الله - عز وجل - له.. وإما أن تتمثل فى إخبار النبى ﷺ عن أفعال فعلها بعض الناس من الأمم السابقة لكى نتأسى بهم فى

---

(١) سورة النساء: الآية: (٤٨).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٤٤٠) كتاب المظالم والغصب.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١) كتاب الوصية.

ذلك الفعل ولكى يغفر الله لنا كما غفر لهم بسبب فعلهم هذا.

وإليك أخى الحبيب وأختى الفاضلة.. ها هى مكفرات الذنوب أقدمها لحضراتكم سائلاً الحق جل جلاله أن يغفر ذنوبنا وأن يستر عيوبنا:

مكفرات الذنوب

١- من مات على التوحيد:

عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من نفس تموتُ وهى تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ﷺ يرجع ذلك إلى قلب موقنٍ إلا غفر الله لها»**[١].

٢- إسباغ الوضوء:

قال ﷺ: **«إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقيًا من الذنوب»**[٢].

٣- من توضأ وصلى ركعتين لا يحدّث فيهما نفسه:

عن حُمران مولى عثمان بن عفان أنه رأى عثمان بن عفان دعا بوضوء فأفرغ على يديه من إنائه فغسلهما ثلاث مرات، ثم أدخل يمينه فى الوضوء، ثم تمضمض واستنشق واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاثًا ويديه إلى المرفقين ثلاثًا، ثم مسح برأسه، ثم غسل كل رجلٍ ثلاثًا، ثم قال: رأيت

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٥/٢٢٩، رقم ٢٢٠٥١)، والنسائى فى الكبرى (٦/٢٧٨، رقم ١٠٩٧٥)، وابن ماجه (٢/١٢٤٧، رقم ٣٧٩٦)، وابن حبان (١/٤٣٢، رقم ٢٠٣)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٩٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٤) كتاب الطهارة.

النبى ﷺ يتوضأ نحو وُضُوئى هذا وقال: من توضأ نحو وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لا يحدِّثُ فيهما نفسهُ غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه»(١).

٤- من توضأ عقب الذنب ثم صلى واستغفر الله:

عن ابن الحكم الفزارى قال: سمعتُ عليًا يقولُ: إنى كنت رجلاً إذا سمعتُ من رسول الله ﷺ حديثًا نفعنى الله منه بما شاء أن ينفعنى به، وإذا حدَّثنى رجُلٌ من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لى صدَّقته، وإنه حدَّثنى أبو بكر - وصدق أبو بكر -، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «ما من رجل يُذنبُ ذنبًا ثم يقومُ فيتطهَّرُ، ثم يصلى، ثم يستغفرُ الله إلا غفر الله له ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ﴾(٢) إلى آخر الآية(٣).

٥- الصلاة فى المسجد مع الجماعة:

عن عثمان بن عفان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «من توضأ للصلاة فأسبغ الوضوء، ثم مشى إلى الصلاة المكتوبة فصلاها مع الناس أو مع الجماعة أو فى المسجد غفر الله له ذنوبه»(٤).

وعن أبى هريرة قال ﷺ: «... وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا يُخرجه إلا الصلاة، لم يخطُ خطوة إلا رُفعت له درجة وحُط بها خطيئة...»(٥).

٦- كثرة الخُطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة:

قال ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٦٠) كتاب الوضوء، ومسلم (٢٢٦) كتاب الطهارة.

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٣٥).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والترمذى (٤٠٦) كتاب الصلاة، وابن ماجه (١٣٩٥) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٣٨).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٣٢) كتاب الطهارة.

(٥) صحيح: رواه البخارى (٦٤٧) كتاب الأذان.

قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «أتانى الليلة آت من ربى، قال يا محمد! أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى؟. قلت: نعم، فى الكفارات والدرجات، ونقل الأقدام للجماعات، وإسباغ الوضوء فى السبرات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ومن حافظ عليهن عاش بخير، ومات بخير، وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه»(٢).

٧- المحافظة على الصلوات الخمس والجمعة:

قال ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»(٣).

وقال ﷺ: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً ما تقول ذلك يُبقى من درنه؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيئًا. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»(٤).

٨- الإكثار من السجود لله:

قال ﷺ: «عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحَطَّ عنك بها خطيئة»(٥).

٩- قيام الليل:

عن أبى أُمامة الباهلى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «عليكم بقيام

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥١) كتاب الطهارة.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٢٣٣) كتاب تفسير القرآن، وأحمد وعبد الرزاق وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٣٣) كتاب الطهارة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢٨) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦٦٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٤٨٨) كتاب الصلاة.

الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم وقُربة إلى الله تعالى ومنهاةٌ عن الإثم وتكفير للسيئات ومطردةٌ للداء عن الجسد»[١] .

١٠- صلاة التسابيح:

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب: «يا عباس يا عماه ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبُوك ألا أفعل بك عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره قديمهُ وحديثهُ خطأه وعمدهُ صغيرهُ وكبيرهُ سرهُ وعلانيتهُ عشر خصال: أن تُصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة، فإذا فرغت من القراءة فى أول ركعة وأنت قائم قلت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشرًا ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرًا ثم تهوى ساجدًا فتقولها وأنت ساجدٌ عشرًا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرًا ثم تسجدُ فتقولها عشرًا، ثم ترفع رأسك فتقولها عشرًا، فذلك خمسٌ وسبعون فى كلِّ ركعة تفعلُ ذلك فى أربع ركعاتٍ إن استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل فإن لم تفعل ففى كل جمعة مرةً، فإن لم تفعل ففى كل شهرٍ مرة، فإن لم تفعل ففى كل سنة مرة، فإن لم تفعلْ ففى عمرك مرة»[٢] .

١١- من اغتسل أو توضأ وصلى الجمعة:

عن سلمان الفارسى قال: قال النبى ﷺ : «لا يغتسل رجلٌ يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دُهنه أو يمسٌ من طِيب بيته (العطر) ثم يخرج فلا يُفرقُ بين اثنين ثم يصلى ما كُتب له ثم يُنصتُ إذا تكلم الإمام إلا غُفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»[٣] .

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٥/ ٥٥٢، رقم ٣٥٤٩)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٠٧٩).

(٢) صحيح: رواه النسائى، وأبو داود، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٣٧).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٨٨٣) كتاب الجمعة.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «من توضأ يوم الجمعة فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فدنا واستمع وأنصت غُفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادةُ ثلاثة أيامٍ، ومن مس الحصى فقد لغا»[١] .

١٢- الأذان:

قال ﷺ : «إن المؤذن يُغفر له مدى صوته...»[٢] .

١٣- من وافق تأمينه تأمين الملائكة:

قال ﷺ : «إذا قال الإمام ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ فقولوا: آمين، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه»[٣] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال أحدكم آمين وقالت الملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما الأخرى غُفر له ما تقدم من ذنبه»[٤] .

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال الإمام سمع الله لمن حمدهُ فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه»[٥] .

١٤- من صلى عليه مائة من المسلمين:

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من صلى عليه مائةٌ من المسلمين غُفر له»[٦] .

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨٥٧) كتاب الجمعة.

(٢) صحيح: رواه وأحمد (٢/ ٤١١، رقم ٩٣١٧)، وأبو داود (١/ ١٤٢، رقم ٥١٥)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٦٤٤).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٧٨٢) كتاب الأذان.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٧٨١) كتاب الأذان.

(٥) صحيح: رواه البخاري (٧٩٦) كتاب الأذان.

(٦) صحيح: رواه ابن ماجه (١/ ٤٧٧، رقم ١٤٨٨) والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٦، رقم ٩٢٥٣) وابن عساكر (٥٥/ ١٧٦)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٣٥٦).

١٥- الصدقة:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١).

وقال ﷺ: «... وصدقة السر تطفئ غضب الرب»(٢).

١٦- صيام رمضان وقيامه وقيام ليلة القدر:

قال ﷺ: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غفر الله له ما تقدم من ذنبه»(٣).

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»(٤).

١٧- صيام يوم عرفة وعاشوراء:

قال ﷺ: «صيام يوم عرفة، إنى أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده، وصيام يوم عاشوراء، إنى أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله»(٥).

١٨- الحج المبرور:

قال ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»(٦).

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٧١).

(٢) حسن لغيره: رواه الطبرانى (٨/ ٢٦١، رقم ٨٠١٤). قال الهيثمى (٣/ ١١٥): إسناده حسن، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٨٨٩).

(٣) متفق عليه: صحيح البخارى (٣٧) كتاب الإيمان، ومسلم (٧٥٩) كتاب صلاة المسافرين.

(٤) صحيح: رواه البخارى (١٩٠١) كتاب الصوم.

(٥) صحيح: رواه مسلم (١١٦٢) كتاب الصيام.

(٦) صحيح: رواه البخارى (١٥٢١) كتاب الحج.

وقال ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة»(١).

١٩- متابعة الحج بالعمرة:

قال ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإن متابعة بينهما تنفي الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خَبَث الحديد»(٢).

٢٠- الجهاد في سبيل الله:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «يُغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّين»(٣).

وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ (٤).

٢١- اتباع السيئات بالحسنات:

قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (٥).

ووصى النبي ﷺ معاذًا لما بعثه إلى اليمن فقال: «يا معاذ: اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلقٍ حسن»(٦).

وهذا مثال عملي... فلقد روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ فجاءه رجلٌ فقال: يا رسول الله إني أصبتُ حدًا فأقمه عليَّ قال ولم يسأله عنه قال وحضرت الصلاة فصلَّى مع النبي ﷺ فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قام إليه الرجل فقال يا رسول الله إني أصبتُ حدًا

(١) صحيح: رواه أحمد (٣/ ٣٢٥، رقم ١٤٥٢٢)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٤١٣٥).

(٢) صحيح: رواه بن ماجه (٢/ ٩٦٤، رقم ٢٨٨٧)، وأحمد، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٢٨٩٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٨٨٦) كتاب الإمارة.

(٤) سورة التوبة: الآية: (١١١).

(٥) سورة هود: الآية: (١١٤).

(٦) حسن: رواه أحمد (٥/ ١٥٣، رقم ٢١٣٩٢)، والترمذي (٤/ ٣٥٥، رقم ١٩٨٧) وقال: حسن صحيح. والدارمي (٢/ ٤١٥، رقم ٢٧٩١)، والحاكم (١/ ١٢١، رقم ١٧٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٩٧).

فأقم فىَّ كتاب الله. . . قال أليس قد صليت معنا؟ قال نعم. قال: فإن الله قد غفر لك ذنبك أو قال حدَّك»[١].

٢٢- إماطة الأذى عن الطريق:

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لقد رأيت رجلاً يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى الناس». . . وفى رواية: «غُفر لرجلٍ نحَّى غصن شوك عن طريق الناس»[٢].

٢٣- بذل السلام وحُسن الكلام:

قال ﷺ: «إن من موجبات المغفرة بذل السلام، وحُسن الكلام»[٣].

وعن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مُسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غُفرَ لهما قبل أن يتفرقا»[٤].

٢٤- حضور مجالس الذكر تقربًا إلى الله:

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إِنَّ للَّه مَلائكَةً يَطُوفُونَ فى الطُّرُق يَلْتَمسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتكُمْ قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنحَتهمْ إِلَى السَّمَاء الدُّنْيَا قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ منْهُمْ، مَا يَقُولُ عبَادى؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنى؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللَّه مَا رَأَوْكَ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنى؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجيدًا وَتَحْميدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبيحًا قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونى؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّه يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٨٢٣) كتاب الحدود.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩١٤) كتاب البر والصلة والآداب، وأحمد (٩٣٧٧).

(٣) صحيح: رواه الطبرانى (٢٢/ ١٨٠، رقم ٤٦٩)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٠٣٥)، وصحيح الجامع (٢٢٣٢).

(٤) حسن: رواه أحمد (٤/ ٢٨٩، رقم ١٨٥٧٠)، وأبو داود (٤/ ٣٥٤، رقم ٥٢١٢)، والترمذى (٥/ ٧٤، رقم ٢٧٢٧)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٧٧).

قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّه يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّى قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ »[1].

٢٥- التسامح في البيع والشراء:

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ : «غفر الله لرجل كان قبلكم كان سهلاً إذا باع سهلاً إذا اشترى سهلاً إذا اقتضى»[2].

٢٦- الإحسان إلى الحيوان:

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «غُفِر لامرأة مُومسة مرت بكلب على رأس ركيٍّ يلهثُ قال: كاد يقتله العطش فنزعت خُفَّها فأوثقته بخمارها، فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك»[3].

٢٧- التجاوز عن المعسر:

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «كان تاجر يداين الناس، فإذا رأى معسراً قال لفتيانه: تجاوزوا عنه لعل الله يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه»[4].

٢٨- الصبر على البلاء بكل صوره ومعانيه:

قال ﷺ : «إن الله عز وجل يقول: إذا ابتليت عبداً من عبادى مؤمنًا

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٠٨) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٨٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣/ ٣٤٠، رقم ١٤٦٩٩)، والترمذى (٣/ ٦١٠، رقم ١٣٢٠)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤١٦٢).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٣٢١) كتاب بدء الخلق.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٢٠٧٨) كتاب البيوع.

فحمدنى على ما ابتليته، فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا،.... ويقول الرب عز وجل: أنا قيدت عبدى وابتليته، فأجروا له ما كنتم تُجرون له قبل ذلك من الأجر، وهو صحيح»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «ما من مسلمين يموت بينهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا غفر الله لهما»[٢].

٢٩- من أقيم عليه الحدّ فى الدنيا:

قال ﷺ: «أيما عبد أصاب شيئًا مما نهى الله عنه، ثم أقيم عليه حده، كفر الله ذلك الذنب»[٣].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «بايعت رسول الله ﷺ فى رهط فقال: «أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصونى فى معروف فمن وفَّى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئًا فأُخذ به فى الدنيا فهو كفارة له وطهورٌ، ومن ستره الله فذلك إلى الله إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له»[٤]. قال أبو عبد الله إذا تاب السارق بعد ما قُطع يده قُبلت شهادته وكل محدود كذلك إذا تاب قُبلت شهادته».

٣٠- من بلغ سن التسعين فى طاعة الله:

عن أنس بن مالك قال: «إذا بلغ الرجل المسلم أربعين سنة آمنه الله من أنواع البلايا من الجنون والبرص والجُذام، وإذا بلغ الخمسين ليَّن الله عز

(١) صحيح: رواه أحمد (٤/ ١٢٣، رقم ١٧١٥٩)، والطبرانى (٧/ ٢٧٩، رقم ٧١٣٦)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٠٠).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٥/ ١٥١، رقم ٢١٣٧٩)، والنسائى (٤/ ٢٤، رقم ١٨٧٤)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٧٩).

(٣) صحيح: رواه الحاكم (٤/ ٤٢٩، رقم ٨١٦٧) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٧٣٢).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٧٤٦٨) كتاب التوحيد.

وجل عليه حسابه، وإذا بلغ الستين رزقه الله إنابةً يحبه عليها وإذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء، وإذا بلغ الثمانين تقبَّل الله منه حسناته ومحا عنه سيئاته، وإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسُمِّي أسير الله في الأرض وشُفِّع في أهله».

٣١- قراءة سورة الملك:

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لصاحبها حتى غُفر له.. وهي تبارك الذي بيده الملك»(١).

٣٢- أذكار متفرقة يغفر الله بها الذنوب:

قال ﷺ: «من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله ربًا، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام دينًا، غُفر له ذنبه»(٢).

وقال ﷺ: «.. ومن قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حُطّت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «من سبَّح الله في دُبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين وكبر الله ثلاثًا وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون، وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غُفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»(٤).

عن معاذ بن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من أكل طعامًا ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حولٍ مني ولا قوة غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن لبس ثوبًا، فقال: الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من

---

(١) حسن: رواه أحمد وأصحاب السنن، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٩١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٣٨٦) كتاب الصلاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٠٥) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٩١) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٥٩٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

غير حول منى ولا قوة، غُفر له ما تقدم من ذنبه»(١).

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطُهُ فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غُفر له ما كان فى مجلسه ذلك»(٢).

وعن عُبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ : «من تعارَّ من الليل فقال حين يستيقظ لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم دعا: رب اغفر لى غُفر له»(٣).

وعن على رضي الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ : «ألا أُعلمك كلمات إذا قلتهن غُفر لك مع أنه مغفور لك. لا إله إلا الله الحليم الكريم. لا إله إلا الله العلىُّ العظيمُ. سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم. الحمد لله رب العالمين»(٤).

* * *

(١) حسن: رواه أحمد (٣/ ٤٣٩، رقم ١٥٦٧٠)، وأبو داود (٤/ ٤٢، رقم ٤٠٢٣)، والترمذى (٥/ ٥٠٨، رقم ٣٤٥٨)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٠٨٦).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٥/ ٤٩٤، رقم ٣٤٣٣) وأحمد وابن حبان والحاكم، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٩٢).

(٣) صحيح: رواه البخارى (١١٥٤) كتاب الجمعة، والترمذى (٣٤١٤) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٨٧٨) كتاب الدعاء.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٥/ ٥٢٩، رقم ٣٥٠٤)، وأحمد (١/ ٩٢ رقم ٧١٢)، والحاكم (٣/ ١٤٩ رقم ٤٦٧٠) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٦٢١).

* وأخيراً أخى الحبيب وأختى الفاضلة: كانت هذه هى بعض الأسباب التى يغفر الله بها الذنوب... كتبتها فى تلك السطور القليلة لتكون حاديًا لنا لأن نعمل بما فيها عسى الله أن يغفر ذنوبنا وأن يستر عيوبنا.

وأهدى إليكم تلك الآيات لأختم بها تلك الرسالة القصيرة.

قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (١).

فهيا نفتح مع الله - جل وعلا - صفحة جديدة كلها توبة وإنابة وبذل وتضحية وصدق وإخلاص بعد أن نحقق التوحيد لله - عز وجل - ولسان حال كل واحد منا ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ (٢).

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

---

(١) سورة آل عمران: الآيات: (١٣٣ - ١٣٦).

(٢) سورة طه: الآية: (٨٤).



وأنذرهم يوم الحسرة

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٣).

أما بعد:

فهذه الرسالة التى بين أيديكم هى مختصر لكتابنا «وأنذرهم يوم الحسرة» الذى أكرمنى الله بكتابته ويسّر له القبول بين إخوانى المؤمنين حتى أشار علىّ بعضهم باختصاره، وذلك تيسيراً لوصوله إلى عامة المسلمين الذين هم فى أشد الحاجة إلى الوقوف على مشاهد الحسرة فى يوم القيامة، عسى أن يفيقوا من تلك الغفلة ويعلموا أن لقاء الله حق فتنصلح أحوالهم ويعودوا إلى

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

منهج الله وإلى شرعه مرة أخرى.

فذكر الآخرة يحدو النفوس إلى مجاورة الملك القدوس فى جنته التى فيها ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.... فإلى إخوانى وأخواتى تلك الرسالة.

حال الأمة المسلمة اليوم

إن المتأمل فى حالنا نحن المسلمين اليوم وحال زماننا وما ظهر فيه من الآفات والفتن، وما حصل فيه من تكالب الناس على الدنيا وزُخرفها حتى ظن أهلها أنهم قادرون عليها أو مخلدون فيها - إن المتأمل فى ذلك ليشعر بالرهبة والإشفاق والخوف الشديد من عواقب تلك الحالة، فقد قست منا القلوب وتجمدت الدموع داخل العيون، وهُجر كتاب علام الغيوب.

وهبّت رياح المعصية فأطفأت شموع الخشية من قلوبنا، وطال علينا الأمد فعلا القلوب قسوة، كما قست قلوب أهل الكتاب فهى كالحجارة أو أشد قسوة، وأسأنا فهم الدين الذى هو سر تميزنا وبقائنا فشُغلنا بالشكل عن الجوهر وبالقالب عن القلب، وبالمبنى عن المعنى.

لهذا كله كان لابد من الوقوف على بعض مشاهد الحسرة فى الآخرة، لعل النفوس تستيقظ وتخشع وتذل، فتبادر إلى الحى القيوم فليس هناك أمرٌ هو أشد دفعًا للنفوس إلى فعل الخير من أمر الآخرة، والوقوف بين يدى مَن له الأولى والآخرة، فكل ضعف سببه الغفلة عن ذكر الآخرة، ففى ذكر الآخرة سعادة وطمأنينة وسدٌ منيع دون الهم والغم وعدم السكينة.

وذكر اليوم الآخر يطهر القلوب من الحسد والفُرقة والاختلاف، ويهدد الظَّلَمة ليرعووا ويعزى المظلومين ليسكنوا، فالكل سيأخذ حقه لا محالة حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ

نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (١).

يقول تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢)إنه إنذارٌ وإخبار وتخويف وترهيب ليوم الحسرة حين يُقضى الأمر.

يوم يُجمع الأولون والآخرون فى موقف واحد يُسألون عن أعمالهم، فمن آمن واتبع فسوف يسعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، ومن تمرد وعصى شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا، وخسر نفسه وأهله، وتحسر وندم ندامة ومن أجل ذلك فلقد اجتهدت فى جمع بعض المشاهد «وهى قليل من كثير» التى تصور لنا مدى الحسرة التى يجنيها الإنسان فى الدنيا والآخرة على تفريطه فى جنب الله جل وعلا: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ (٣).

والله أسأل أن ينفعنى وإياكم بتلك الكلمات فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

---

(١) سورة الأنبياء: الآية: (٤٧).

(٢) سورة مريم: الآية: (٣٩).

(٣) سورة الزمر: الآية: (٥٦).

مشاهد الحسرة فى الدنيا والآخرة

إن المؤمن حينما يقف أمام تلك الآية العظيمة من كتاب الله ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾(١) يعلم أن الحسرة واقعة لا محالة على كل إنسان يوم القيامة مؤمنًا كان أو كافرًا، فالمؤمن يتحسر لأنه ما ازداد طاعة لله (جل وعلا)، والكافر يتحسر لأنه لم يؤمن بالله جل وعلا... وها هى بعض مشاهد الحسرة فى الدنيا والآخرة.

فَقْد محبة الله (جل وعلا)

ففى الحديث يقول النبى ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدًا دعا جبريل عليه السلام فقال: إنى أحب فلانًا فأحبه قال: فيحبه جبريل، ثم يُنادى فى السماء، فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول فى الأرض، وإذا أبغض الله عبدًا دعا جبريل عليه السلام، فيقول: إنى أُبغض فلانًا فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم يُنادى فى أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه، فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء فى الأرض»(٢).

فيا لها من حسرةٍ يا عبد الله إن فقدت محبة الله جل وعلا، فإنه من وجد الله فماذا فقد، ومن فقد محبة الله فماذا وجد؟! ويا لها من حسرة أخرى إن لم تفقد محبة الله جل وعلا فحسب بل كنت ممن يبغضهم الله جل وعلا وملائكته والمؤمنون!.

* * *

(١) سورة مريم: الآية: (٣٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٤٨٥) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٦٣٧) كتاب البر والصلة والآداب.

الحسرة على فقد صحبة النبى ﷺ

إنه مما لا شك فيه أنـه ما من مسلم فى هذه الحياة إلا ويـتمنى أن لو عاش فى عصر النبوة ورأى النبى محمدًا ﷺ، فتلك مكرمة لا تدانيها كل المكارم.

وأعظم المصائب فى الدين (موت النبى ﷺ)؛ لأن المصيبة بموته أعظم من كل مصـيبة يصـاب بها المسلم؛ لأن بموته انقطع الوحى من السـماء إلى يوم القيـامة وانقطعت النبوات وكـان موته أول ظهور الشر والفـساد بارتداد العرب عن الدين، فهو أول انقطاع عُرى الدين ونقصانه، وفيها غاية التسلية عن كل مصيبة تصيب العبد، وغير ذلك من الأمور التى لا أحصيها.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: ما نفضنا أيدينا من التـراب من قبر رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا (فكيف نقول نحن فى أزمنة الفتنة التى نعيشها).

وتالله لو اجـتمـعت على الإنسان مـصائب الدنيـا بأسرها من كـل حدبٍ وصوب لما كان ذلك يسـاوى شيئًا من مصـيبته فى فـقد النبى ﷺ . . . . قال ﷺ : **«إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بى، فإنها من أعظم المصائب»**[١].

نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس

فحسرة الإنسان على ضياع الأوقـات بلا منفعة تعود عليه فى دينه ودنياه حسرة شديدة ومريرة، وكذلك حسرته على ضياع صحته وشبابه فى معصية الله جل وعـلا بدلاً من أن يغتنم شـبابه فى طاعـة الله فتلـك أيضًا حـسرة شديدة. . . قال ﷺ : **«نعـمتـان مغـبون فـيهـما كـثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ»**[٢].

---

(١) صحيح: رواه البيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ٢٣٩، رقم ١٠١٥٢) والطبـرانى فى الكبير، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٧).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٢) كتاب الرقاق.

أى أنه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما.

ولذا قال الحسن البصرى (رحمه الله): «يا ابن آدم إنما أنت أيام فإذا ذهب يومك ذهب بعضك».

طلوع الشمس من المغرب

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ (١).

ويقول النبى ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها ورآها الناس آمنوا جميعًا فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل» (٢).

وحقًّا إنها حسرة شديدة حينما يريد الإنسان المؤمن أن يزداد فى إيمانه وفى طاعته لله جل وعلا، فلا يستطيع.... ويريد الكافر أن يؤمن فلا يُقبل إيمانه.

خروج الدابة

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ ﴾ (٣)، وهذه العلامة يراها المؤمنون أيضًا وهى قرينة طلوع الشمس من مغربها وصاحبتها إما أن تسبق طلوع الشمس من مغربها أو يسبقها.

ولعل السبب فى اقترانهما - والله أعلم - أن إحدى العلامتين يُغلق بطلوعها باب التوبة وتأتى الأخرى فتؤكد غلقه.

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٥٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٦٣٥) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١٥٧) كتاب الإيمان.

(٣) سورة النمل: الآية: (٨٢).

فها هى الفرصة سانحة أمامك لتتوب ولترجع إلى علام الغيوب قبل أن تخرج الدابة وأنت لا تدرى فى أى الفريقين ستكون.

مع المؤمنين أم مع الكافرين - والفتنة وقتها ستكون شديدة فإننا اليوم لا نعرف المؤمن من الكافر إلا بظاهر الأعمال والأقوال، أما عند نزول الدابة فإنها ستضع علامة للمؤمن على جبهته وعلامة للكافر على أنفه فيتنادى الناس فيما بينهم «يا مؤمن.. يا كافر» فيا لها من فتنة شديدة فقد انكشف المستور وفُضح أهل الكفر والفجور.

قال ﷺ: **«تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يُعمِّرن فيكم حتى يشترى الرجل الدابة، فيقال: ممن اشتريت؟ فيقول: من الرجل المخطَّم»**[1].

يتبع الميت ثلاثة

قال ﷺ: **«يتبع الميت ثلاثةٌ: أهله وعمله وماله فيرجع اثنان ويبقى واحدٌ يرجع أهله وماله ويبقى عمله»**[2].

عندما تقرأ هذا الحديث تجد نفسك أمام حقيقة ثابتة لا تتبدل ولا تتغير، ألا وهى أنه لا ينفعك إلا عملك الصالح.

فيا صاحب المال ألا تعمّر به قبرك؟ ألا تنقذ به نفسك؟ ألا تعتق به رقبتك من نار جهنم؟ فإن النبى ﷺ قال: **«فاتقوا النار ولو بشق تمرة»**[3].

ويا من تعتقد نفع الآباء والأجداد والأولياء اعلم يا أخى رحمك الله أنك مُحاسَب عن نفسك أنت... قال تعالى: **﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ**

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٢٦٨، رقم ٢٢٣٦٢)، والبخارى فى التاريخ الكبير (٦/ ١٧٢)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٩٢٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥١٤) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٦٠) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥١٤) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٦٠) كتاب الزهد والرقائق.

حَسِيبًا ﴾ (١) يُقال لك: اقرأ كتابك أنت!!!

فيا أخى الحبيب إذا علمت كل هذا فاسعَ لتعتق رقبتك من النار ولا تنسَ اليوم الذى يتبعك فيه مالك وأهلك وعملك فيرجع مالك وأهلك ويبقى عملك فأين عملك؟!.

مشهد السكرات ونداء ملك الموت

ويا له من مشهدٍ مهيب يتحدد من خلاله مصير العبد إما إلى ظلٍ ظليل وإما إلى شرٍّ مقيل.

إنها اللحظة التى يسمع فيها النداء الذى يبشره بالرحمة أو النداء الذى يتوعده بالعذاب.

ولك أن تتخيل أيها الحبيب أن ملك الموت قد دخل عليك الآن وسينادى عليك ويقول: «يا أيتها النفس الـ . . . . . . » وأنت بين تلك الكربات وتلك الحسرات تسأل نفسك يا تُرى بأى نداء سوف يُنادى علىَّ؟ هل سيقول: يا أيتها النفس المطمئنة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان؟! أم سيُنادى ويقول: يا أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب؟!.

فإذا جاءك النداء الأول: (يا أيتها النفس المطمئنة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان) فذاك هو الفوز الذى لا فوز يدانيه، وتلك هى البشرى التى لا تدانيها الدنيا بما عليها.

وأما إن جاءك النداء الثانى عياذًا بالله (يا أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخطٍ من الله وغضب)، فتلك هى الحسرة التى لا تدانيها حسرة فى هذه الدنيا. . إنه الوعيد والعذاب الذى لا ينتهى أبدًا.

قال عطاء بن يسار: إذا كانت ليلة النصف من شعبان دُفع إلى ملك

---

(١) سورة الإسراء: الآيتان: (١٣، ١٤).

الموت صحيفة فيقال: اقبض فى هذه السنة مَن فى هذه الصحيفة. قال: فإن العبد ليغرس الغراس وينكح الأزواج ويبنى البنيان، وإن اسمه فى تلك الصحيفة وهو لا يدرى.

فهذه الدنيا التى تحرص على جمعها وتبذل الأوقات والساعات فى سبيل جمع حُطامها لو عُرضت عليك (بكل ما فيها من ذهب وفضة وقصور وأنهار وأشجار) عند الموت لقلت بلسان الحال والمقال: لا أريد إلا رحمة الله عز وجل، ولا أريد إلا النجاة من عذاب الله جل وعلا.

دخول القبر

فالقبر إما أن يكون روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حُفر النار، والعبد إما أن يكون فى نعيم أو فى عذاب.

وكل ذلك يحصل لروحه وبدنه؛ لأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن مُنعّمة أو مُعذبة وتتصل بالبدن ويحصل له معها النعيم أو العذاب.

قال الحبيب ﷺ: **«كل أهل الجنة يرى مقعده من النار، فيقول: لولا أن الله هدانى فيكون له شُكر. وكل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول: لو أن الله هدانى فيكون عليه حسرة»**[1].

إنها الحسرة الدائمة؛ لأنه أيقن أنه لن يرجع إلى الدنيا فيعمل صالحًا ينجيه من هذا العذاب، ولذا فإنه يصرخ فى القبر ويقول: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ فيأتيه الجواب الحق: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾، أى ليس لها قيمة؛ لأن الذى قالها ليس له قيمة عند الله جل وعلا: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2].

---

(١) حسن: رواه أحمد (٢/ ٥١٢، رقم ١٠٦٦٠)، والحاكم (٢/ ٤٧٣، رقم ٣٦٢٩)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٥١٤).

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان: (٩٩، ١٠٠).

فاحرص يا أخى على أن تملأ قبرك بنور العمل الصالح وبنور القرآن والإحسان إلى الوالدين واليتامى والجيران والمحافظة على الصلوات.

بيان حال القبر... وأقاويلهم عند القبور وما يلقاه الميت فى القبر إلى نفخة الصور

كان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فسُئل عن ذلك وقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكى! وتبكى إذا وقفت على قبر؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشد منه**»[1].

وقال مجاهد: أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول: أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظُّلمة، هذا ما أعددت لك فما أعددت لى؟...

وقال أبو ذر: ألا أخبركم بيوم فقرى، يوم أوضع فى قبرى.

وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور، فقيل له فى ذلك فقال: أجلس إلى قوم يُذكرونى معادى، وإذا قمت لم يغتابونى.

وقال سفيان: مَن أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حُفر النار... وكان الربيع بن خثيم قد حفر فى داره قبراً، فكان إذا وجد فى قلبه قسوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول: ﴿**رَبِّ ارْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ**﴾[2] يرددها، ثم يرد على نفسه ويقول: يا ربيع قد رجعت فاعمل.

بل ينبغى أن يستحضر العبد من صورة الميت ما ذكره عمر بن عبد العزيز، حين دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهاد والعبادة،

---

(١) حسن: رواه الترمذى (٤/٥٥٣، رقم ٢٣٠٨)، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٢/١٤٢٦، رقم ٤٢٦٧)، والحاكم (١/٥٢٦، رقم ١٣٧٣)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٨٤).

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان: (٩٩، ١٠٠).

فقال له عمر: يا فلان لو رأيتني بعد ثلاث وقد أُدخلت قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان عن الأسنان، وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم، ونتأ البطن فعلا الصدر وخرج الصُلب من الدُّبر، وخرج الدود والصديد من المناخر لرأيت أعجب مما تراه الآن.

شدائد يوم القيامة

إنها الشدائد التي يلاقيها الناس في يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (١)، فيا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم حيث أُغلقت الأبواب، وأُرخيت الستور، واستترت عن الخلائق فقارفت الفجور وظننت أن يوم الفصل بعيد.

قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ① مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ② لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ (٢).

فعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُحشر الناس يوم القيامة حُفاة عُراة غُرلاً» قلت: يا رسول الله: النساء والرجال جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض»(٣).

فأعظِم بيومٍ تنكشف فيه العورات ويؤمَن فيه مع ذلك النظر والالتفات. . . . كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات إلى غيرهم.

(١) سورة الزمر: الآية: (٦٨).

(٢) سورة الأنبياء: الآيات: (١- ٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥٢٧) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٥٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

إنه اليوم الذي قال عنه الحق جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ① يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [(١)].

فتأمل يا مسكين فى عرق أهل المحشر وشدة كربهم، وفيهم من يُنادى فيقول: رب أرحنى من هذا الكرب والانتظار ولو إلى النار.... وكل ذلك، ولم يلقوا بعدُ حسابًا ولا عقابًا فإنك واحد منهم ولا تدرى إلى أين يبلغ بك العرق؟.

وتأمل يوم يقف الناس فى أرض المحشر خمسين ألف سنة حفاةً عُراةً غُرلاً بلا طعام ولا شراب ولا ظل... يقولون: يا ربنا أين الظل؟ فتقول لهم الملائكةُ: ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ فينطلقون فإذا هو ظل النار ﴿لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ③١ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾.

وفى المقابل يا عبد الله فهناك أصناف من المؤمنين يكونون فى الظل، فقد قال رسول الله ﷺ: **«سبعة يُظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ فى عبادة الله، ورجل قلبه معلق فى المساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»**[(٢)].

وهؤلاء السبعة يأكلون من زيادة كبد الحوت، تلك الوجبة التى أعدها لهم الرحمن جل وعلا، وإذا أرادوا الماء شربوا من حوض النبى ﷺ الذى قال عنه: **«حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منه فلا يظمأ أبدًا»**[(٣)].

(١) سورة الحج: الآيتان: (١، ٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٧٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٢٩٢) كتاب الفضائل.

مجيء جهنم

قال ﷺ: «يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران وأذنان يسمعان ولسان ينطق يقول: إني وُكلت بثلاثة... بكل جبارٍ عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهًا آخر، وبالمصورين»[١].

وقال ﷺ: «يؤتَى بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»[٢]، فيا له من مشهدٍ مهيب تتفطر منه القلوب... فإذا جيء بجهنم لا يبقى مَلَكٌ مُقرب ولا نبى مُرسل إلا جثى على ركبتيه وقال: يا رب سلم سلم.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[٣] تأمل معى هذه الحسرة الشديدة لكل من فرّط فى حق الله جل وعلا - إذا رأى جهنم فإنه يصرخ ويقول: (يا ليتنى قدمت لحياتى)... كلمة يقولها كل من فرّط فى الصلاة، وكل من عَقّ والديه، وكل من ظلم العباد، وكل من حارب الله جل وعلا،... وتقولها كل من تركت حجابها وخرجت سافرة متبرجة ناسيةً قول الله جل وعلا.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٤] وناسيةً قول الرسول ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساءٌ كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البُخت

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٣٣٦، رقم ٨٤١١)، والترمذى (٤/ ٧٠١، رقم ٢٥٧٤)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٥١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٤٢) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) سورة الفجر: الآيات: (٢١- ٢٤).

(٤) سورة الأحزاب: الآية: (٥٩).

المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[١].

إنها النار!!! التى أُوقد عليها ألف عام حتى أحمرت، وألف عام حتى ابيضَّت، وألف عام حتى اسودت فهى الآن سوداء قاتمة!! يصل الحجر إلى قعرها بعد سبعين سنة!!.

فتنة الأتباع والمتبوعين

إنه مشهد الخزى الذى تتفطر له القلوب المؤمنة، إنها اللحظة الحاسمة التى يتبرأ فيها أهل الطغيان من الأتباع الذين اتبعوهم فى كفرهم وضلالهم.

وكانت البداية فى الحياة الدنيا كما سطرها الله فى كتابه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٢]، وهذه هى البداية، وهذا هو دأب أهل الضلال فى مكرهم بأهل الإيمان فهم يطلبون منهم أن يتبعوهم فى كفرهم ويعطونهم العهود والمواثيق أنهم سيحملون خطاياهم يوم القيامة «وهذا على سبيل المكر والخداع» فمن تبعهم من المؤمنين فى الدنيا فسوف يذوق الحسرة الدائمة التى لا تنقطع فى الآخرة.

قال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ أى قال الأتباع وهم ضعاف الإيمان للكبراء والكفار: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ لقد سرنا وراءكم فى كل ما يُغضب الله جل وعلا وما عصينا أمركم أبدًا، بل عصينا الله من أجل أن ترضوا عنا ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ يسألونهم: هل ستدفعون عنا شيئًا من عذاب الله كما أطعناكم فى سخط

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢١٢٨) كتاب اللباس والزينة.

(٢) سورة العنكبوت: الآية: (١٢).

الله ﴿قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ (١) فيا لها من حسرة شديدة!!!.

وفي سورة البقرة يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾(٢)، أى مع هذا الدليل الظاهر المفيد لعظيم سلطان الله وجليل قدرته وُجد فى الناس من يتخذ معه سبحانه نداً يعبده من الأصنام ﴿كَحُبِّ اللَّهِ﴾، أى كحب المؤمنين لله... أو كما يحب المشركون الله يحبون أندادهم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾، أى أشد فى حبهم لله من حب الكفار للأنداد ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾، أى ولو أن الذين ظلموا بمحبتهم الأنداد كحب الله لو يرون حالهم عند رؤيتهم العذاب يوم القيامة ومعاينتهم قوة الله وبطشه وعجز آلهتهم عن أن تدفع عنهم شيئًا من عذاب الله ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾ أى تبرأ السادة والرؤساء وأئمة الكفر ممن تبعهم على الكفر ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾ يعنى: التابعين والمتبوعين ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ (٣) الصلات والعلاقات التى كانوا يتواصلون بها فى الدنيا من الرحم وغيره ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (٤).

ففى هذا المشهد يتمنى الأتباع أن يعودوا إلى الدنيا ويعملوا صالحًا ويتبرؤوا من أئمة الكفر، كما تبرؤوا منهم فى الآخرة، ولكن هيهات هيهات ويا لها من حسرة!!!

وما زالت المشاهد تتوالى وتتوالى - يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٢١).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٦٥).

(٣) سورة البقرة: الآيتان: (١٦٥، ١٦٦)

(٤) سورة البقرة: الآية: (١٦٧).

يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾ (١).

فإذا بالسادة أذلة قد عنت وجوههم للحى القيوم ولا يملكون لأنفسهم شيئًا ولا يستطيعون وهم يقولون: ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾.

فكم من ظالم يردد: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝١٢ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٢).

فالعقلاء بمقالتهم لا يغترون وإن فعلوا فهم فى العذاب والخزى والحسرة يومئذ مشتركون.

وتصور معى يا أخى هذا الجو من الحسرة والخزى والندامة المخيمة على المستضعفين والمستكبرين - فالأتباع الضعفاء يتهمون زعماءهم بالحيلولة بينهم وبين الإيمان.... والمستكبرون يقولون لأتباعهم أنتم المجرمون دعوناكم فكنتم مجيبين. فلو رأيتهم إذ وُقفوا بين يدى ربهم من غير إرادة منهم ولا اختيار ترهقهم ذلة وهم ينتظرون الجزاء!!.

يتراجعون فيرجع بعضهم إلى بعضٍ القول ويلوم بعضهم بعضًا ويؤنب بعضهم بعضًا، ويُلقى بعضهم تبعة ما هم فيه على بعض فيقول أتباع الضلال الذين استُضعفوا لقادة الضلال الذين استكبروا ﴿لَوْلا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾.

يقولونها جاهلين بها صادعين فى وقت لم يكونوا فى الدنيا بقادرين على تلك المواجهة، فكان يمنعهم الذل والضعف والاستسلام وبيع الحرية التى وهبها الله لهم والكرامة التى منحهم الله إياها.

فاليوم فى تلك الحسرة قد سقطت القيم الزائفة وواجهوا العذاب فهم

---

(١) سورة غافر: الآية: (٤٧).

(٢) سورة العنكبوت: الآيتان: (١٢، ١٣).

يقولونها غير خائفين ﴿لَوْلا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ لقد كنتم حائلاً بيننا وبين الإيمان لقد زينتم لنا الفسق والكفران فأنتم المجرمون وبالعذاب أنتم جديرون وله مستحقون. . . . . وفى تلك اللحظات يضيق الذين استكبروا بهم ذرعًا فهم فى البلاء سواء. . . . وعندها يردون عليهم فى ذلة مصحوبة بفظاظة وفحشاء ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم﴾ (١).

الله أكبر!! كانوا فى الدنيا لا يقيمون للضعفاء وزنًا ولا يأخذون لهم رأيًا ولا يعتبرون لهم وجودًا ولا يحتملون منهم مخالفة أو حتى مناقشة، أما اليوم فى تلك الحسرة فهم يسألونهم فى ذل وحقار: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾.

وهذا اعتراف منهم بأنهم زينوا لهم الإجرام والكفر ولكنهم لم يقهروهم عليه، بل لقد كان الضعفاء مستعدين لقبول هذا الكفر والإجرام.

وتأتى الردود الحاسمة من المستضعفين الذين لم يكونوا فى الدنيا قادرين على أن ينطقوا بكلمة واحدة، ولكن بعد أن سقطت القناعات الزائفة وظهرت الحقائق واضحة وضوح الشمس فى رابعة النهار قالوا: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾ (٢).

أى أن مكركم لم يفتر ليلاً ولا نهارًا فى الصد عن الهدى فأنتم تزينون لنا الضلال وتشجعوننا على الفساد وتقولون: إنه الحق ثم تقدحون فى الحق وتزعمون أنه باطل فما زال مكركم بنا حتى أغويتمونا وفتنتمونا!!.

وتالله يا إخوانى إن صور المكر تتنوع وتتغير من عصر لآخر ففى وقت نزول القرآن كانت تتخذ أشكالاً من الأشعار فى المنتديات الجاهلية توجَّه بها التُهم الباطلة لرسول الله ﷺ ومن معه أو لصد الناس عن سماع الحق، أو

(١) سورة سبأ: الآية: (٣٢).

(٢) سورة سبأ: الآية: (٣٣).

لإثارة نعرة القوميات والآباء والأجداد، لكن ماذا يساوى هذا المكر بالنسبة للمكر فى زماننا الحاضر، . . . فها هو التلفاز يبث على مدى الأربع وعشرين ساعة الرذيلة فى بيوت المسلمين وينهاهم عن كل فضيلة وما يكاد التلفاز يُغلق حتى يأتى دور الفيديو ثم يأتى دور النت، ثم المجلة الهابطة والقصة الخليعة، وهكذا ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ولكننا نسأل أنفسنا هذا السؤال: هل يُعذر المسلم لمعايشة هذا المكر؟!.

كلا والله لا يُعذر لأنه هو الذى أتى به إلى بيته واستأنس بكل ما فيه من الرذيلة ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾.

ويرد هؤلاء المستضعفون ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾.

ومن هنا ندرك أن هذا الحوار البائس لا ينفع هؤلاء ولا هؤلاء إلا براءة بعضهم من بعض لأنه قد علم كل واحد منهم أنه ظالمٌ لنفسه مستحقٌ للعذاب فندم حين لا ينفع الندم وتمنى أن لو كان على الحق والإيمان ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١)، فقُضى الأمر وسكت الحوار وانتهى الجدل.

فيا من نسيت أو تناسيت تلك المشاهد - اقرأ القرآن ففيه النجاة كل النجاة فهو يحذرك من الوقوع مع أتباع الشيطان ويرغبك فى مصاحبة جند الرحمن الذين يتنعمون فى الجنان حيث يتلذذون بالحور الحسان مع ما يدخره لهم الرحمن من الرضوان، فالنجاة النجاة أو الهلاك والحسرة!!.

الوقوف بين يدى الله (عز وجل)

إنه مشهد عظيم لا يستطيع إنسان أن يعلم مدى رهبته.

فبينما أنت فى أرض المحشر إذ يأتيك النداء: «أين فلان بن فلان» فيُلقى

(١) سورة سبأ: الآية: (٣٣).

الله فى روعك أنك أنت المقصود من بين الخلائق فـتُقبل على عرش الواحد الديان ويا له من موقف عصيب.

قال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه تُرجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قَدّم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدَّم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة»(١).

فأعظم به من موقف وأعظم به من سائل سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (٢).

وعن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر رضي الله عنهما: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول فى النجوى؟ قال: سمعته يقول: «يُدنَى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أى رب أعرف. قال: فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا، وإنى أغفرها لك اليوم فيُعطَى صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله»(٣).

فيا لها من حسرة شديدة أن يقف الكافر والمنافق فى أرض المحشر أمام كل الخلائق من لدُن آدم إلى قيام الساعة وينادَى عليه أمام الخلائق ويقال: هؤلاء الذين كذبوا على الله. بل إن الله جعل لهم هيئةً يعرفهم الناس بها ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ (٤).

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٥١٢) كتاب التوحيد، ومسلم (١٠١٦) كتاب الزكاة.

(٢) سورة الحاقة: الآية: (١٨).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٧٦٨) كتاب التوبة.

(٤) سورة الزمر: الآية: (٦٠).

الجوارح والأركان تعترف بجرائم الإنسان

بل إن الجوارح والأركان تنطق وتعترف بجرم كل من كفر بالله جل وعلا، وبذنب كل من عصى الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١). ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢). ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢١ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ۝٢٣ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ (٣).

فاتقِ الله يا أخى فى تلك الجوارح ولا تسعَ بها إلى المعاصى، بل اجعلها تعمل فى طاعة الله جل وعلا، فإن الجوارح ستنطق وتتكلم وتخبر بما عملته، وهذا ليس بعجيب إذا ما علمت أن الأرض التى هى من الحجارة والصخور سوف تتكلم وتُخبر بكل ما حدث على ظهرها: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ (٤).

ولقد ورد فى الحديث أن النبى ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: «أتدرون ما أخبارها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن

(١) سورة النور: الآية: (٢٤).

(٢) سورة يس: الآية: (٦٥).

(٣) سورة فصلت: الآيات: (١٩- ٢٤).

(٤) سورة الزلزلة: الآيتان: (٤، ٥).

أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها»(١).

تطاير الصحف وهول الميزان وانقسام الناس لثلاثة أقسام

ويا له من مشهدٍ فاصل بين أهل الحق وأهل الباطل.

إنه مشهد استلام الصحف والذى سيتم الفصل فيه بين أهل الجنة وأهل النار، فالكل يتربص وينتظر وترتعد فرائصه وتنتفض جوارحه ويسأل نفسه: يا تُرى هل سآخذها بيمينى أم بشمالى؟! وبينما هو يفكر إذ بالصحيفة تأتى فى يمينه فيصرخ بأعلى صوته ويجرى فى أرض المحشر، وهو يقول: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (٢) وتنادى عليه الملائكة وعلى أمثاله من أهل الجنة وتقول: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾.

وأما إن كان عياذًا بالله من أهل النار فتقع الصحيفة فى شماله أو من وراء ظهره فيصرخ بأعلى صوته فى حسرة شديدة، ويقول: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ فيأمر الله الملائكة ويقول: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ (٣).

يقول القرطبى: فيبتدره مائة ألف ملك، ثم تُجمع يده إلى عنقه.

فذلك قوله تعالى: ﴿فَغُلُّوهُ﴾ ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾، ثم أدخلوه النار

---

(١) ضعيف: رواه أحمد (٢/ ٣٧٤، رقم ٨٨٥٤)، والترمذى (٤/ ٦١٩، رقم ٢٤٢٩) وقال: حسن غريب، وضعفه العلامة الألبانى فى ضعيف الجامع (٦٤٥٠).

(٢) سورة الحاقة: الآيات: (١٩-٢٢).

(٣) سورة الحاقة: الآيات: (٢٥-٣١).

العظيمة المتأججة ليَصْلَى حرها، ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾، أى ثم أدخلوه فى سلسلة حديدية طولها سبعون ذراعًا.

قال ابن عباس: بذراع الملك تدخل السلسلة من دُبره وتخرج من حلقه، ثم يُجمع بين ناصيته وقدميه، ثم يَنظمونه كما يُنظم الجراد فى العود حين يُشوى.

قال كعب الأحبار: كل حلقة منها قدر حديد الدنيا، ولو سقطت حلقة منها على الأرض ما حملها أهل الأرض، ولماتوا جميعًا من نتن ريحها.

يا له من موقف عصيب... يقع الكتاب ين يديك تقلب صفحاته تجد فيه المال الحرام الذى أكلته والزنا الذى فعلته، وعقوق الوالدين والغيبة والنميمة والغش وشهادة الزور وهجر القرآن وترك الصلاة.

* **أما عن صفة الميزان:**

قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ (٣).

* والقول فى الموزون على أربعة أوجه:

١- أن الأعمال هى التى توزن وأن أفعال العباد تُجسَّم فتوضع فى الميزان.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية: (٤٧).

(٢) سورة المؤمنون: الآيات: (١٠١-١٠٣).

(٣) سورة الكهف: الآية: (١٠٥).

٢- أن صحائف الأعمال هى التى تُوزن... يدل على ذلك حديث البطاقة.

٣- أن الموزون ثواب العمل.

٤- أن الموزون هو العامل نفسه.

وروى الحسن أن رسول الله ﷺ كان رأسه فى حجر عائشة رضي الله عنها فنعس، فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها فنقط على خد رسول الله ﷺ فانتبه فقال: «**ما يُبكيك يا عائشة؟**» قالت: ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: «**والذى نفسى بيده فى ثلاث مواطن فإن أحدًا لا يذكر إلا نفسه: إذا وُضعت الموازين ووُزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل. وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ كتابه أو بشماله، وعند الصراط**»[1].

وعن أنس أنه قال: «يؤتَى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتى الميزان ويوكل به ملك، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يُسمع الخلائق..... سَعِد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، وإن خَفَّ ميزانه نادى بصوت يُسمع الخلائق..... شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا. وعند خفة كفة الحسنات تُقبل الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار إلى النار».

فتجهز يا أخى بالعمل الصالح وتجهز للوقوف بين يدى الله عز وجل وراقب الله فى السر والعلن، فإنه سبحانه وتعالى يقول عن عباده الصالحين: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾[2]..... وفى المقابل فإنه يُخبر عن حال الكفار والمكذبين فيقول: ﴿**وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ**

---

(١) ضعيف: رواه أبو داود (٤/ ٢٤٠، رقم ٤٧٥٥)، وضعفه العلامة الألبانى فى ضعيف الترغيب والترهيب (٢١٠٨).

(٢) سورة الملك: الآية: (١٢).

أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ (١).

الصراط وأهواله

ثم تفكر بعد هذه الأهوال في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ۝ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ (٢)، وفي قوله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۝ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ (٣)، فالناس من بعد هذه الأهوال يُساقون إلى الصراط - وهو جسر ممدود على متن النار أحدّ من السيف وأدق من الشعر - فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خفَّ على صراط الآخرة ونجا. ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا وأثقل ظهره بالأوزار وعصى تعثَّر في أوّل قدم من الصراط وتردَّى.

فتفكَّر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته، ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها، وقد كُلفت أن تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك عن المشي على بساط الأرض فضلاً عن حدة الصراط، فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك فأحسست بحدّته، واضطررت إلى أن ترفع القدم الثانية والخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون، وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب، وأنت تنظر إليهم كيف يتنكسون فتتسفل إلى جهة النار رؤوسهم وتعلو أرجلهم، فيا له من منظر ما أفظعه ومُرتقى ما أصعبه ومجاز ما أضيقه! فانظر إلى حالك وأنت

(١) سورة الأنعام: الآيتان: (٣٠، ٣١).

(٢) سورة مريم: الآيتان: (٨٥، ٨٦).

(٣) سورة الصافات: الآيتان: (٢٣، ٢٤).

تزحف عليه وتصعد إليـه وأنت مُثقل الظهر بأوزارك، تلتفت يمـينًا وشمالاً إلى الخلق وهم يتهافتون في الـنار. . . والرسول عليه السلام يقول: «يا رب سلم سلم» والزعقات بالويل والثـبور قد ارتفعت إليك من قعـر جهنم لكثرة من زل الصراط من الخلائق، فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك؟ فناديت بالويل والثبور وقلت: هذا ما كنت أخافه فيا ليتني قدّمت لحياتي! يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً! يا وليتا ليتني لم أتخذ فلانًا خليلاً! يا ليتني كنت ترابًا! يا ليـتني كنت نسـيًا منسـيًا! يا لـيت أمي لم تلدني! وعند ذلك تخـتطفك النيـران - عـياذًا بـالله - وينادي المنادي: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾[1]، فلا يبـقى سبـيل إلا الصيـاح والأنين والتنفس والاستـغاثة، فكيف ترى الآن عـقلك وهذه الأخطار بين يديك؟ فـإن كنت غـير مـؤمن بذلك فمـا أطول مقـامك في دركات النار، وإن كنت به مؤمنًا وعنه غـافلاً وبالاستعداد له متهاونًا فما أعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك إيمانك إذا لم يبعثك على السعي في طلب رضا الله تعالى بـطاعته وترك معاصيه! فلو لم يكن بين يديك إلا هول الصـراط وارتياع قلبك من خطر الجـواز عليه - وإن سلمت - فناهيك به هولاً وفزعًا ورعبًا!.

كـان أبو سليـمان يقـول: إذا سـمعت الرجل يقـول لآخـر: بيني وبينك الصراط، فاعلم أنه لا يعـرف الصراط ولا يدري ما هو، فلو عرف الصراط أحب أن لا يتعلق بأحد ولا يتعلق به أحد. . . . فاسـتقيموا يا إخواني على صراط الله المستقيم قبل أن نندم في يوم لا ينفع فيه الندم.

* * *

---

(١) سورة المؤمنون: الآية: (١٠٨).

القنطرة والقصاص بين المؤمنين

إنها القنطرة التى لا يعلم عنها الكثير من الناس شيئًا، فهى القنطرة التى يقتص فيها المؤمنون من بعضهم البعض. فبعد خروجك من تلك الأهوال التى تحدثنا عنها وبعد مرورك من على الصراط تظن أن الأمر قد انتهى عند ذلك ولم يبق سوى دخولك الجنة، وفجأة تجد نفسك على قنطرة المظالم التى قال عنها النبى ﷺ : **«إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا نُقّوا وهُذّبوا أُذن لهم بدخول الجنة فوالذى نفس محمدٍ بيده لأحدهم بمسكنه فى الجنة أدل منه بمسكنه كان له فى الدنيا »** [1].

أما المظالم على القنطرة فهى بين المؤمنين الذين يدخلون الجنة فيقتص كل واحد منهم من الآخر بقدر مظلمته فيزداد ويرتفع المظلوم درجة فى الجنة ويخسر الظالم درجة فى الجنة، فيا لها من حسرة فإياك ومظالم العباد!!.

دخول فقراء المؤمنين الجنة قبل الأغنياء

وبعد أن تمر تلك الشدائد والصعاب لا يبقى أمامك إلا دخول الجنة وهنا يدخل النبى ﷺ الجنة ومعه فقراء المهاجرين قبل الأغنياء بنصف يوم أى بخمسمائة عام كما قال النبى ﷺ .

«فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام»[2].

فيا لها من حسرة على كل من شغل نفسه وعكف طوال عمره على جمع المال، ثم يأتى يوم القيامة فيُحبس عن دخول الجنة خمسمائة عام.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٤٤٠) كتاب المظالم والغصب.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٤/ ٥٧٧، رقم ٢٣٥١)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٢٢٨).

فإذا علمت هذا أيها الأخ الكريم وتيقنت من كل ما سمعت فاحرص على جمع الحسنات والطاعات فهى التجارة الرابحة فى الدنيا والآخرة.

وليس معنى ذلك أن تترك الدنيا ولا تعمل!! ولكن المقصود أن تأخذ من الدنيا ما يغنيك عن سؤال الناس.

دخول طائفة إلى الجنة بغير حساب (والحسرة لغيرهم)

ففى الحديث: «... هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب... هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون»(١).

فيا له من فضل عظيم لكل من حقق التوكل على الله.

فهل جنّدت نفسك يا عبد الله لتكون واحدًا من هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. . .. والله إنك إن لم تجند نفسك من الآن لزادت حسرتك يوم القيامة عندما يأمر الله عز وجل ملائكته بأن يُدخلوهم الجنة بغير حساب ولا عذاب وأنت لا تدرى ماذا يُفعل بك.

ذبح الموت وخلود أهل الجنة وأهل النار

فعن أبى سعيد الخدرى ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتَى بالموت كهيئة كبشٍ أملح فينادى منادٍ: يا أهل الجنة! فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم. هذا الموت وكلهم قد رأوه، ثم ينادى: يا أهل النار! فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت. وكلهم قد رآه... فيُذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة! خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار! خلود

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧٠٥) كتاب الطب، ومسلم (٢٢٠) كتاب الإيمان.

فلا موت» ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ (وهؤلاء فى غفلة أهل الدنيا) ﴿وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾»[1].

استغاثة أهل النار

وتأمل فى حال الخلائق وقد قاسوا من دواهى القيامة ما قاسوا.

قد شُدَّت أقدامهم إلى النواصى واسودَّت وجوههم من ظلمة المعاصى، ينادون من أكنافها ويصيحون فى نواحيها وأطرافها: يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك قد نضجت منا الجلود، يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود. فتقول الزبانية: هيهات لات حين أمان! ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسأوا فيها ولا تكلمون، ولو أُخرجتم منها لكنتم إلى ما نُهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا فى جنب الله يتأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف، بل يُكبُّون على وجوههم مغلولين. طعامهم نار، وشرابهم نار ولباسهم نار، ومهادهم نار.

ويُلقَى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيُغاثون بطعام من ضريع لا يُسمن ولا يغنى من جوع ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة، فيذكرون عندما كانوا يجيزون الغُصص فى الدنيا بشرابٍ فيستغيثون بشراب فيُرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شَوَت وجوههم، فإذا دخل الشراب بطونهم قطع ما فى بطونهم فيقولون: ادعوا خزنة جهنم، قال: فيدعون خزنة جهنم: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ [2].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٧٣٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٤٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) سورة غافر: الآيتان: (٤٩، ٥٠).

قال: فيقولون: ادعوا مالكًا فيدعون، فيقولون: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾» قال: فيجيبهم: ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ (١).

قال الأعمش: أُنبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام. قال: فيقولون: ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم، فيقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾.

قال: فيجيبهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (٢).... قال: فعند ذلك يئسوا من كل خير، وعند ذلك أخذوا فى الزفير والحسرة والويل...

قال محمد بن كعب: لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل فى أربعة، فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدًا.... يقولون: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ (٣)، فيقول الله تعالى مجيبًا لهم: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (٤)، ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ (٥)، فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ (٦)، ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (٧) فلا يتكلمون بعدها أبدًا وذلك غاية شدة العذاب.

---

(١) سورة الزخرف: الآية: (٧٧).

(٢) سورة المؤمنون: الآيات: (١٠٦، ١٠٨).

(٣) سورة غافر: الآية: (١١).

(٤) سورة غافر: الآية: (١٢).

(٥) سورة إبراهيم: الآية: (٤٤).

(٦) سورة فاطر: الآية: (٣٧).

(٧) سورة المؤمنون: الآيات: (١٠٦، ١٠٨).

قال مالك بن أنس ﷺ: قال زيد بن أسلم فى قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ (١) قال: صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾.

وقال أحمد بن حرب: إن أحدنا يُؤْثِر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار... وقال عيسى عليه السلام: كما من جسدٍ صحيح ووجهٍ صبيح ولسانٍ فصيح غدًا بين أطباق النار يصيح... وقال داود: إلهى لا صبر لى على حر شمسك فكيف صبرى على حر نارك؟ ولا صبر لى على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك؟.

تحاور أهل الجنة وأهل النار

وتعال معى أخى الكريم لنتأمل سويًا هذا المشهد المثير من مشاهد الآخرة، إنه تحاور أهل الجنة وأهل النار.

فإنه إذا استقر أهل النار فى النار يذوقون عذابها ويشربون من حميمها ويأكلون من زَقُّومها ينادى عليهم أهل الجنة وهم يشربون من أنهار الجنة ويأكلون من ثمارها: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ (٤٥) وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٧) وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٢١).

يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٤٩) وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (١).

فلا تُؤْثِر الفانى على الباقى ولا تجعل الدنيا تُنسيك الآخرة، واجتهد لفكاك رقبتك من النار قبل يوم الحسرة.

تلاعُن أهل النار

إن أهل النار إذا دخلوا النار يظن كل واحدٍ منهم أن صاحبه كان سببًا فى دخوله النار، وهنا يبدأ التلاعن بينهم إضافة إلى عذابهم الذى لا يُخفف عنهم ولا ينتهى أبدًا... فكلما دخلت أمة لعنت أختها. كما قال الحق تبارك وتعالى مصورًا لنا تلك المشاهد التى ستحدث يوم القيامة.

﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (٢).

إنها الحسرة على كل من فرَّط فى حق الله وفى شرع الله، وعلى كل من سار على غير هدى رسول الله ﷺ.

فيا تُرى ما الذى جعلهم يبتعدون عن شرع الله وسنة رسول الله ﷺ؟! ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ (٣).

(١) سورة الأعراف: الآيات: (٤٤ - ٥١).

(٢) سورة الأعراف: الآيتان: (٣٨، ٣٩).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٦٧، ٦٨).

وتتوالى مشاهد الخزى والتلاعن بين أهل النار، فيقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ [١].

وتأمل معى عذابهم وتلاعنهم فى هذا المشهد الذى يخبر عنه الحق جل وعلا.

﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨) هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴾ [٢].

ثم يرون بعد ذلك الذين كانوا يسخرون منهم ويستهزءون بهم من أهل الإيمان قد فازوا بالرضا والرضوان ونجوا من غضب الواحد الديان، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ (٦٣) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ [٣].

وأخيرًا تأمل معى هذا المشهد ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [٤].

قال القرطبى رحمه الله: «يقال لأهل النار وهم فى النار: اخرجوا فتُفتح

---

(١) سورة غافر: الآيتان: (٤٧، ٤٨).

(٢) سورة ص: الآيات: (٥٥ - ٦١).

(٣) سورة ص: الآيات: (٦٢ - ٦٤).

(٤) سورة المطففين: الآيات: (٢٩- ٣٦).

لهم أبواب النار، فإذا رأوها قد فُتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك فإذا انتهوا إلى أبوابها أُغلقت دونهم فيضحك منهم المؤمنون»[١].

فيا ليتنا نستشعر تلك المشاهد ونعمل ونجتهد فى طاعة الله جل وعلا حتى لا نندم فى يوم الحسرات على ضياع الأوقات فى غير الطاعات.

يقول النبى ﷺ: **«يُرسَل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يكون الدم حتى يصير فى وجوههم كهيئة الأخدود لو أُرسلت فيه السفن لجرت»[٢].**

حجم الكافر فى النار

بل وكيف بك يا عبد الله إذا علمت حجم الكافر فى النار وبشاعة منظره وصورته.

يقول النبى ﷺ: **«ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أُحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة»[٣].**

وفى رواية: «ما بين منكبى الكافر فى النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع»[٤].

وفى رواية ثالثة: «ضرس الكافر يوم القيامة مثل أُحد، وعرض جلده سبعون ذراعًا، وعضده مثل البيضاء، وفخذه مثل ورقان، ومقعده فى النار ما بينى وبين الرّبذة»[٥].

---

(١) تفسير القرطبى - نقلاً من صفوة التفاسير جـ٣ - صـ ٥٣٥ .

(٢) حسن: رواه ابن ماجه (٢/١٤٤٦، رقم ٤٣٢٤)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٨٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٥١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٥٣) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٥٢) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٥) صحيح: رواه أحمد (٢/٣٢٨، رقم ٨٣٢٧) قال الهيثمى (١٠/٣٩١): رجاله رجال الصحيح غير ربعى بن إبراهيم وهو ثقة، والحاكم (٤/٦٣٧، رقم ٨٧٥٩) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٨٩٠).

وفى رواية: «إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعًا بذراع الجبار، وإن ضرسه مثل أُحد وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة» [1].

ولا تعارض بين الروايات فكل واحد على مقدار كفره بالله جل وعلا... وهذا الغلظ الشديد للجلد لكى تأكل النار وتلتهم فيه ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [2] ... ومجلسهم من جهنم، كما بين مكة والمدينة، فهذا هو حجم الكافر فى النار... فنسأل الله أن ينجينا من عذاب جهنم وأن يرزقنا صحبة النبى ﷺ فى الجنة.

الحرمان من الشفاعة يوم القيامة

ويا لها من حسرة شديدة لكل من حُرم الشفاعة يوم القيامة، فإن الإنسان لا يخلو من التقصير أو الوقوع فى الذنوب والمعاصى، ولذا فإنه ولا شك أحوج ما يكون يوم القيامة إلى تلك الشفاعة التى سوف نتعرض لها فى تلك السطور بإيجاز شديد لنعلم كيف أن العبد الطائع لله جل وعلا فى حاجة شديدة لمن يشفع له يوم القيامة فما ظنك بحاجة أهل الكبائر لتلك الشفاعة ليخرجوا من النار!!.

أنواع الشفاعات وكيفيتها

قال صاحب شرح العقيدة الطحاوية رحمه الله:

الشفاعة أنواع: منها ما هو متفق عليه بين الأمة، ومنها ما خالف فيه المعتزلة ونحوهم من أهل البدع.

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذى (٤/٧٠٣، رقم ٢٥٧٧) وقال: حسن صحيح غريب. والحاكم (٤/٦٣٧، رقم ٨٧٦٠) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢١١٤).

(٢) سورة النساء: الآية: (٥٦).

النوع الأول: الشفاعة الأولى، وهى العُظمى، الخاصة بنبينا ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين (صلوات الله عليهم أجمعين). . . وهى شفاعته فى بدء الحساب.

النوع الثانى والثالث: من الشفاعة: شفاعته ﷺ فى أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفى أقوام آخرين قد أُمر بهم إلى النار، أن لا يدخلوها.

النوع الرابع: شفاعته ﷺ فى رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.

النوع الخامس: الشفاعة فى أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

النوع السادس: الشفاعة فى تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته فى عمه أبى طالب.

النوع السابع: شفاعته ﷺ فى استفتاح باب الجنة.

وأما النوع الثامن: فقد قال صاحب معارج القبول رحمه الله: «هى شفاعته ﷺ فى أقوام ماتوا على دين الإسلام وأوبقتهم كثرة الآثام فيشفع لهم النبى ﷺ ليخرجوا من النار ويدخلوا الجنة.

أسباب سقوط العقوبة عن العُصاة

إذا وقع العبد المؤمن فى المعصية فإن الله سبحانه وتعالى قد فتح لعباده أبواب رحمته، للخلاص من عقوبة ما يقعون فيه، إذا أخلصوا واتقوا.

فالحسرة كل الحسرة لمن لم يتعرض لتلك الأسباب التى تُسقط عنه العقوبة.

هذا وقد استقرأ بعض العلماء الأسباب التى تُسقط العقوبة عن المعاصى فى نصوص القرآن والسنة، ونلخص للأخ القارئ ما خلص إليه شارح

العقيدة الطحاوية فى هذا الموضوع، فقد قال: «إن فاعل السيئات يسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب، عُرفت بالاستقراء من الكتاب والسُّنَّة»، ثم ذكر منها ما يلى:

السبب الأول: التوبة، فقد قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ (١).

السبب الثانى: الاستغفار، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(٢). والواقع أن الاستغفار يدخل فى معنى التوبة.

السبب الثالث: فعل الحسنات، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (٣).

السبب الرابع: الوقوع فى المصائب الدنيوية، . . . لقوله ﷺ: **«ما يصيب المؤمن من وَصَب ولا نَصَب ولا غم ولا همّ ولا حزن حتى الشوكة يُشاكها إلا كفّر الله بها من خطاياه»**(٤).

السبب الخامس: عذاب القبر.

السبب السادس: أهوال يوم القيامة وشدائده.

السبب السابع: شفاعة من أذن الله لهم بالشفاعة يوم القيامة.

السبب الثامن: عفو أرحم الراحمين من غير شفاعة.

كما قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (٥).

السبب التاسع: دعاء المؤمنين واستغفارهم فى الحياة وبعد الممات.

---

(١) سورة مريم: الآيتان: (٥٩، ٦٠).

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٣٣).

(٣) سورة هود: الآية: (١١٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٤٢) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧٣) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) سورة النساء: الآية: (٤٨).

السبب العاشر: ما رواه البخارى أن النبى ﷺ قال: «**إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا نُقوا وهُذبوا أُذن لهم بدخول الجنة، فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه فى الجنة أدل منه بمسكنه كان له فى الدنيا**»(١).

السبب الحادى عشر: ما يُهدَى للعبد المؤمن من ثواب صدقة أو قراءة أو حج أو نحو ذلك.

خطبة إبليس فى النار

وأخيراً أخى الكريم.. وأختى الفاضلة: فإنى أختم لكم تلك المشاهد التى لا تنتهى ولا تُعد ولا تُحصى، ولكن خشية الإطالة أردت أن أكتفى بتلك المشاهد.

ولم يبق معى سوى هذا المشهد الأخير ألا وهو خطبة إبليس فى النار لأهل النار.

فإنه إذا دخل أهل الجنة الجنة وإذا دخل أهل النار النار، فإن إبليس يقوم فيخطب فيهم تلك الخطبة المشهورة التى سطّرها القرآن على صفحاته فى سورة إبراهيم عليه السلام: ﴿**وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (٢).

فيا له من مشهد تكتمل به الحسرات.

وهنا نعلم أن من رحمة الله جل وعلا، بل من كمال رحمته أنه أخبرنا

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٤٤٠) كتاب المظالم والغصب.

(٢) سورة إبراهيم: الآية: (٢٢).

بهذا المشهد فى كتابه وبغيره من المشاهد لكى نحذر من الوقوع فيها، إلا أن الكثير من بنى جلدتنا ما زالوا يخوضون مع الخائضين بعد أن اغتروا برؤية أكثر الناس، وقد سلكوا طرق الضلال، . . . ولذا يقول الحق تبارك وتعالى عنهم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ (١).

أى كلما غوى غاوٍ غوينا.

ومن هنا كان لزامًا على كل مسلم أن يسعى لفكاك رقبته من النار، وأن يسعى ويُسرع الخطا إلى الله ممتثلاً قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾(٢).

هيا إلى شاطئ الطاعة وخَلِّ بحر الذنوب

وبعد أن عشنا سويًا فى تلك الرحلة مع مشاهد الحسرة فى الدنيا والآخرة، وتحدثنا عن بعض الذنوب التى تجلب تلك الحسرة «وليس هناك ذنب صغيراً كان أو كبيراً، إلا كانت الحسرة ملازمة له»، بقى لنا أن نعرف شيئًا واحدًا ألا وهو أنه لا يعصمنا من تلك الذنوب والمعاصى، ومن تلك المشاهد إلا أن نحقق العبودية لله جل وعلا؛ لأن من حقق العبودية فإنه يعيش فى ظل العناية الإلهية فيوفقه الله إلى كل خير، ويصرف عنه كل سوء، كما قال فى حق نبى الله يوسف عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (٣)، بل يعينه على تحقيق تلك العبودية بأن يحفظ عليه جوارحه فلا يحركها إلا فى طاعة الله.

---

(١) سورة المدثر: الآيات: (٣٨: ٤٥).

(٢) سورة طه: الآية: (٨٤).

(٣) سورة يوسف: الآية: (٢٤).

كما قال الحق جل وعلا: «فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يُبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينَّه، وإن استعاذنى لأعيذنه»[١].

ولابد أيضًا أن نجاهد أنفسنا فى الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [٢].

واحرص يا أخى الحبيب على أن تكون دائمًا على طاعة الله، فإنما الأعمال بالخواتيم، وكما قال النبى ﷺ: «إن الرجل ليعمل عمل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة»[٣].

زاد الإمام البخارى: «إنما الأعمال بخواتيمها».

واعلم يا أخى أننا لا نُقنّط أحدًا من رحمة الله، فباب التوبة مفتوح إلى أن تطلع الشمس من مغربها، وإلى أن تغرغر الروح.

فها هى كبائر الذنوب يفتح الله أبواب التوبة لكل من ارتكبها لكى يتوبوا ويعودوا إلى الرحمن الرحيم.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وعلى الرغم من تلك الجرائم والكبائر إلا أن الله جل وعلا فتح لهم باب التوبة فقال: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٤].

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق.

(٢) سورة العنكبوت: الآية: (٦٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨٩٨) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١١٢) كتاب الإيمان.

(٤) سورة المائدة: الآيتان: (٣٣، ٣٤).

وها هم أصحاب الأخدود الذين حرّقوا المؤمنين والمؤمنات، وظلموهم بلا ذنب اقترفوه سوى أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد، . . . هؤلاء الذين فرقوا بين الأم وولدها، وقذفوا ولدها أمام عينيها فى النار، وجلسوا يتلذذون بمشاهدة المؤمنين، وهم يموتون فى النيران، وعلى الرغم من ذلك يفتح الله لهم باب التوبة ليتوبوا. . . قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ (١)، فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ يفيد أنهم لو تابوا لتاب الله عليهم.

وها هم أهل الشرك والقتل والزنا يفتح الله أمامهم باب التوبة، فيقول: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾، ثم بعد ذلك يفتح الله لهم باب التوبة، ويقول: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ (٢).

وهؤلاء الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات يفتح الله أمامهم باب التوبة لكى يتوبوا ويقيموا الصلاة ويتركوا الشهوات ويُقبلوا على فعل الطاعات. . . قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ (٣).

ومع كل هذه الأمثلة التى تُثلج الصدور لسعة رحمة الله جل وعلا إلا أننا لا ينبغى أن نتهاون بعواقب الذنوب والمعاصى، فإن الله كما وصف نفسه

---

(١) سورة البروج: الآية: (١٠).

(٢) سورة الفرقان: الآيات: (٦٨، ٧١).

(٣) سورة مريم: الآيتان: (٥٩، ٦٠).

بأنه غفور رحيم، فقد وصف نفسه بأنه شديد العقاب، فقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١).

فقد يستصغر الإنسان ذنبًا وهو عند الله عظيم.

قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (٢).

خَلِّ الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التُّقى

واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرنَّ صغيرة.. إن الجبال من الحصى

فلقد دخلت امرأة النار في هرة.

قال ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تُطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت» (٣).

فالشاهد أن الله عز وجل قد أمر ملائكته أن تكتب كل ما يصدر عنك خيرًا كان أو شرًّا ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٤).

فهيا بنا نُقلع عن المعاصي ونبدأ صفحة جديدة مع الله جل وعلا، طامعين في رحمته، راجين موعوده: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٥).

وهيا بنا نتواعد على طاعة الله ليكون موعدنا في جنة الرحمن التي فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وحتى ننعم

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٩٨).

(٢) سورة النور: الآية: (١٥).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٣١٨) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦١٩) كتاب التوبة.

(٤) سورة الكهف: الآية: (٤٩).

(٥) سورة الفرقان: الآية: (٧٠).

برؤية وجه الله عز وجل، ونكون في صحبة نبينا ﷺ .

والله أسأل أن ينفعني وإياكم بتلك الكلمات التي خرجت من قلب يرجو الخير لكل المسلمين، . . . . ووالله ما من يوم يمر عليّ إلا وأنا أدعو في صلاتي لكل مسلم، حيًّا كان أو ميتًا، راجيًا من الله أن يجمعني وكل المسلمين مع نبينا ﷺ في جنة الرحمن، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وأسأله تعالى أن يرد المسلمين إليه ردًّا جميلاً، وأن يعز الإسلام وأهله، وأن ينصر المسلمين في كل مكان.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وكتبه
الفقير إلى عفو الرحيم الغفار
محمود المصري
(أبو عمار)

ملحوظة: من أراد معرفة المزيد من مشاهد الحسرة وكيف ننجو منها يوم القيامة فليرجع إلى كتابنا «وأنذرهم يوم الحسرة» فهذا الكتيب مختصر له.

* * *



بصمة فى قبر

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(1) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(2) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(3) .

ثم أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

بصمة فى قبر! هذا هو عنوان هذه الرسالة...، وقد يبدو العنوان من أول وهلة غريبًا عجيبًا، لكن قصة العنوان أعجب بكثير، وما أكثر تلك العجائب التى نراها ونسمع عنها فى هذا الزمان، بل وفى كل لحظة.

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع موضوع هذه الرسالة، عسى الله أن ينفع بها وأن يجعلها في ميزان الحسنات... إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه
الفقير إلى عفو الرحيم الغفار
محمود المصري
(أبو عمار)

قصة هذا العنوان

أن رجلا غنيًّا يملك ثروة كبيرة، جاءته سكرات الموت التى لم ينجُ منها أحد حتى رسول الله ﷺ . . . فلما حضرته الوفاة جاء أولاده واجتمعوا عند رأسه، وإذا بالرجل فى تلك اللحظة يوصيهم بأن يحب بعضهم بعضًا، وألا يجور أخٌ على أخيه، وإذا بهم يعاهدون هذا الوالد على أن يمتثلوا تلك الوصية، . . . . وجاءت اللحظة الحاسمة ودخل عليه ملك الموت فقبض روحه.

وبدؤوا فى تجهيز جثة هذا الوالد الكريم، فغسَّلوه، وكفَّنوه وصلوا عليه، وذهبوا به إلى المقبرة، وبعد أن دفنوه، وخرجوا من قبره، وإذا بولد من أولاده يستأذن بقية إخوانه وأقاربه بأن ينزل مرة أخرى إلى قبر أبيه من أجل أن يطمئن على أنه قد دُفن ووُجِّه إلى القبلة، فأذنوا له، فنزل الشاب إلى قبر والده.

وفجأة، تَغيَّب هذا الولد أكثر من ربع ساعة فى قبر والده؛ فأصاب إخوانه القلق، فنزل واحد منهم إلى قبر أبيه؛ لينظر ماذا يصنع أخوه فى هذا القبر، وإذا به يجد أخاه قد أُلقى فى القبر ميتًا بجوار أبيه - وليس هذا الأمر بعجيب، لكن الأعجب هو الذى ستعلمه الآن - لقد وجد أن أخاه قد خلع الكفن عن جسد أبيه وأخرج يده من الكفن وجعله يبصم بأصبعه على عقد بيع لعمارة من أملاك الوالد.

فلقد نزل الولد إلى قبر أبيه من أجل أن يحصل على عمارة من تلك العقارات التى كان يمتلكها الوالد فنزل وفى جيبه مَحبرة وفى الجيب الآخر عقد بيع، نزل وفَكَّ الكفن، وأخذ أصبع والده ووضعه فى المبصمة على المحبرة ووضع يد والده على العقد، وجعل يبصم على عقد بيع لإحدى العمارات التى يمتلكها هذا الوالد، وقبل أن يخرج بالعقد من أجل أن ينتفع

وأن يستمتع بتلك العمارة جاءه ملك الموت فى القبر فطُرح ميتًا بجوار والده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

بصمة فى قبر! عنوان عجيب، لكن القصة أعجب بكثير، وكما قلت: ما أكثر العجائب التى نسمعها، بل ونراها فى كل يوم بل وفى كل لحظة، يوم أن خربت الضمائر، وماتت القلوب، وابتعد كثير من الناس عن طاعة علام الغيوب، وتعلقت أكثر القلوب بالدنيا ونسوا جنة عرضها السماوات والأرض أعدها الله جل وعلا لعباده الصالحين، فقال جل فى عُلاه: **«أعددت لعبادى الصالحين فى الجنة: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»** (١).

ولنا مع تلك الحادثة ست وقفات؛ لنأخذ منها العظة والعِبرة.

أما عن الوقفة الأولى

فهى: أن النبى الصادق المصدوق ﷺ قد أخبر أن موت الفجأة من علامات الساعة الصغرى، وأخبر أن موت الفجأة سينتشر فى آخر الزمان، وهذا الذى نراه كل يوم بأعيننا، فالرجل ما تكاد أن تُسلِّم عليه إلا وبعد دقائق معدودات تسمع أن فلانًا قد مات وأصبح فى عداد الأموات، بعد أن كان يسلم عليك منذ لحظات، مات الرجل. . . . خرجت روحه.

فموت الفجأة من علامات الساعة الصغرى، ومصيبة موت الفجأة أن العبد لا يدرى على أى حال سيموت؛ على طاعة، أم على معصية؟

قال جل وعلا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ (٣).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) سورة يونس: الآية: (٥٨).

(٣) سورة النساء: الآية: (٧٨).

وإن كان بعضنا يعجب من تلك الميتة التى ماتها هذا الشاب، فقد سمعنا كثيرًا عن حوادث موت أعجب من ذلك:

* فلقد سمعنا عن الرجل الذى كان يعمل فى مهنة المحارة، وكان يقف ليُمحِّر البيت من خارج البيت وهو جالس على (ثقَّالة) فى الدور السادس، وفجأة مال جسده، فسقط من الدور السادس ونزل على كثيب من الرمل، فقام الرجل ولم يُصَب بأى مكروه، فتعجب الناس: رجل يسقط من الدور السادس ولا يحصل له شىء؟!

فتعجب الناس وفرحوا له كثيرًا فقال لهم: من أجل هذه النجاة أريد أن أسقيكم جميعًا شرابًا باردًا.

فأراد الرجل أن يعبر الشارع، ليشترى لهم شرابًا باردًا وما إن أراد أن يعبر الشارع حتى كان على موعد مع ملك الموت؛ فقد جاءت سيارة فصدمت الرجل فمات فى التو واللحظة، مع أن الناس كانوا يتوقعون أنه سيموت حين سقط من الدور السادس لكن الميتة التى قدرها الله هى التى ستكون.

* ولعلنا سمعنا جميعًا أكثر من مرة قصة غرق الباخرة «سالم إكسبريس»: أن الباخرة حينما غرقت بالقرب من مدينة السويس فظلت الباخرة تغرق حوالى ثلاثة أيام، ولم ينجُ منها أحد إلا رجل واحد، هذا الرجل ظل متعلقًا بلوح من الخشب لمدة ثلاثة أيام يصارع الموت من كل مكان، . . . فالموت يأتيه؛ إما من الخوف - فالرجل وحده فى البحر -، وإما أن يأتيه من أسماك القرش المتوحشة، ورغم ذلك لم تقترب سمكة واحدة من هذا الرجل بأمر من الله العلى - جل وعلا- ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[1]، فالسماوات والأرض قال لهما جل وعلا: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[2]. فالكون كله يُذعن ويطيع الله جل وعلا.

---

(١) سورة الإسراء: الآية: (٤٤).

(٢) سورة فصلت: الآية: (١١).

والرجل أيضًا فى صراع، مع الجوع والعطش والخوف. . . فالموت يحيط به من كل مكان، ومع ذلك لم يمت هذا الرجل؛ لأن الله لم يقدر له تلك الميتة، وبعد ثلاثة أيام تأتى طائرة «هليوكوبتر» فتنظر فى المكان الذى غرقت فيه تلك السفينة، فنظروا فوجدوا رجلاً يشير بيديه إليهم، فأنزلوا له حبلاً فربطه حول بطنه فرفعوه فذهبوا به فى التو واللحظة إلى إحدى المستشفيات فى مدينة السويس العامرة، وما إن ذهب إلى هناك حتى وضعوا له المحاليل، وبدأوا فى علاج هذا الرجل لمدة يومين حتى أفاق وأصبح فى صحة جيدة.

وبعد ذلك مباشرة سألوه: من أين أنت؟ قال: من مدينة القاهرة، فاستأجروا له سيارة، وركب مع السائق وخرج السائق من مدينة السويس وعلى بُعد تسعة كيلو مترات من مدينة السويس تنقلب السيارة فيموت السائق ويموت الرجل.

فالذى يقدره الله هو الذى سيكون فى هذا الكون، «ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن».

* فأول درس نأخذه من تلك القصة، أو من تلك الميتة: هو أن موت الفجأة من علامات الساعة، وأن العبد لا يدرى على أى شىء سيموت، وعلى أى شىء سيُختم له، فقد قال النبى ﷺ كما فى «الصحيحين»: «**إن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل الجنة فيما يظهر للناس، حتى إذا ما اقترب أجله سبق عليه الكتاب فعمل بعمل أهل النار فدخل النار**». وفى المقابل «**وإن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل النار حتى إذا ما اقترب أجله - أو لم يكن بينه وبين النار إلا قيد شبر، أو قيد ذراع- سبق عليه الكتاب فعمل بعمل أهل الجنة فدخل الجنة**»[١].

زاد البخارى قول الحبيب النبى ﷺ: «فإن الأعمال بالخواتيم»[٢].

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨٩٨) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١١٢) كتاب الإيمان.
(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٦٠٧) كتاب القدر.

فأنت لا تدرى أيها الأخ الحبيب، وأنتِ لا تدرين أيتها الأخت المباركة على أى شىء سيُختم لنا، . . . وموت الفجأة من علامات الساعة، فلا بد أن نكون دائمًا على طاعة، وإن أذنبنا فلا بد أن نسارع إلى التوبة ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾(١) .

أيا عـبـد كم يراك الله عـاصـيًا
حريصًا على الدنيا وللموت ناسيًا
أنسيت لقاء الله واللحد والثَّرى
ويومًا عبوسًا تشيب فيه النواصيا
لو أن المرء لم يلبس ثيابًا من التُّقَى
تجرد عريانًا ولو كان كاسيا
ولو أن الدنيا تدوم لأهلها
لكان رسول الله حيًّا وباقيا
لكنها تفنى ويفنى نعيمها
وتبقى الذنوب والمعاصى كما هيا

فأول وقفة مع هذه القصة العجيبة: أن موت الفجأة من علامات الساعة الصغرى.

أما عن الوقفة الثانية

فهى أنه كما ترى فى حياتنا الدنيا كم من رجل ثرى غنى ترك لأولاده الأموال، والثروات، والعقارات، والشركات، والسيارات، ولكنه لم يربط قلوب أولاده برب الأرض والسماوات جل وعلا، . . . لم يعلمهم القرآن، ولم يعلمهم سنة سيد الأنام، لم يعرفهم حق الله ولا حق رسول الله ﷺ .

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٣٣).

ما الفائدة التى ستعود عليك أيها الأخ التقى الغنى إن كنت ستترك لأولادك أموالاً كثيرة يستمتعون بها من بعدك وتحاسَب أنت عليها؟!

فالنبى ﷺ كما فى الحديث كان يقرأ قول الله جل وعلا: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾[١].

قال الحبيب المصطفى ﷺ: «يقول ابن آدم: مالى مالى» - فلوسى- وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت[٢] . . . . بل ويسأل النبى ﷺ أصحابه يومًا فيقول: «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟» قالوا: يا رسول الله! ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، فقال: «فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما أخَّر»[٣].

فلعلك تترك مالاً لأولادٍ عُصاة لا يعرفون حق الله، ولا يعرفون حق رسول الله ﷺ فيستعينون بذلك المال على معصية الله جل وعلا وتحاسَب أنت فى قبرك على هذا المال الذى لطالما سهرت وتعبت من أجل أن تجمع الدرهم فوق الدرهم، . . . ثم بعد ذلك الشقاء، والعناء، والتعب، تجد نفسك فى حسرة وألم فى الدنيا وفى القبر ويوم القيامة.

انظر لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وأرضاه لما حضرته الوفاة جاءه واحد من أبناء عمه، فقال له: يا عمر! لقد أفقرت أولادك فى حياتك فهلا كتبت لهم شيئًا ينتفعون به من بعدك؟ فقال له عمر: وهل أملك من المال شيئًا؟! إن المال مال المسلمين، وأنا مُستأمن على ذلك المال، وأخشى أن أُسأل عنه يوم القيامة، وإن أولادى بين رجل من رجلين؛ إما أن يكونوا صالحين، فالله يتولى الصالحين، وإما أن يكونوا غير ذلك، فأنا أرفض أن أعطيهم مالاً يستعينون به على معصية الله جل وعلا، ثم نادى على أولاده،

---

(١) سورة التكاثر: الآية: (١، ٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٥٨) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٤٤٢) كتاب الرقاق.

وقال: أى أبنائى! إن أباكم قد خُيِّر بين أن تستغنوا ويدخل النار، وبين أن تفتقروا ويدخل الجنة، وقد اختار أبوكم الجنة، ثم قال لهم: انصرفوا.

﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾(١)، فالله عز وجل يتولى الصالحين. . . . الله جل وعلا يرزق الدودة فى بطن الحجر، فهل ينسى عبدًا يسجد لله جل وعلا ويتضرع ويبكى ويخشع لله جل وعلا؟! هل ينسى الله عباده الصالحين؟! كلا وألف كلا، فالرزق مضمون، وقد أخبر الحبيب المصطفى ﷺ بذلك فقال: «**لو هرب ابن آدم من رزقه لأدركه الرزق كما يدركه الموت**»(٢). فالرزق هو الذى يجرى خلفك، ولست أنت الذى تجرى خلف الرزق؛ لأن الله جل وعلا خلقك وقدر لك رزقًا لن يأخذه غيرك.

إذًا فكم من رجل ترك أولاده، وقد ترك لهم الأموال الكثيرة ولم يترك لهم دينًا يعصمهم من الفتن، ولم يترك لهم دينًا، وورعًا، وتقوى، وخشية تعصمهم فى هذا الزمان من الزيغ والضلال والبعد عن الكبير المتعال جل وعلا؟

أما قال الله جل وعلا: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ أى: يا من رضيتم بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً ﴿ **قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾(٣).

أما قال سيد الأولين والآخرين ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»(٤) . . . . ستُسأل يوم القيامة بين يدى الحق جل وعلا الذى يعلم

---

(١) سورة القصص: الآية: (٨٣).

(٢) حسن: أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٧/ ٩٠)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٥٢).

(٣) سورة التحريم: الآية: (٦).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٨٩٣) كتاب الجمعة، ومسلم (١٨٢٩) كتاب الإمارة.

السر وأخفى، الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، ستقف بين يدى العظيم الجليل الذى ما قدرناه حق قدره، وهو الذى قال ذلك فى كتابه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١). ستقف بين يدى الحق جل جلاله ويسألك عن كل صغير وكبير ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾(٢).

سبحانه وتعالى الذى قال جل فى علاه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(٣)، وقال جل وعلا: كما فى الحديث القدسى: «يا عبادى! إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا»(٤).

بل تأمل معى حينما يقف العبد بين يدى الحق جل وعلا فيسأله ويقول له: «عبدى قد فعلت كذا وكذا فى يوم كذا وكذا؟ فيقول العبد: بلى يا رب. وقد فعلت كذا وكذا فى يوم كذا وكذا ؟ بلى يا رب. حتى ظن العبد أنه قد هلك، وأنه من أهل النار، وإذا بالعزيز الغفار جل جلاله يقول: فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا، وأنا اليوم أغفرها لك، خذ كتابك بيمينك وادخل الجنة»(٥) أما إن كانت عندك رعية فلا بد أن تقف مرة ثانية للسؤال بين يدى الحق جل جلاله؛ يسألك عن زوجتك: هل حجَّبت زوجتك؟ هل حجبت بناتك؟ هل علمت أولادك الصلاة؟ هل عرَّفتهم حق الله وحق رسول الله ﷺ ؟ فلو كنت أنت فى العبادة سيد العُبَّاد فى هذا الكون،

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٦٧).

(٢) سورة الكهف: الآية: (٤٩).

(٣) سورة يونس: الآية: (٤٤).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٤١) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٤٦٨٥) كتاب تفسير القرآن.

ولكنك كنت مضيعًا لرعيتك، لربما تدخل النار بسبب تضييع تلك الرعية، «وما من راعٍ يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌ لرعيته إلا حرم الله عليه ريح الجنة»(١).

إذًا فالوقفة الثانية

كم من رجال تركوا لأولادهم الأموال الكثيرة، والعقارات، والسيارات، والشركات، ولكنهم لم يأخذوا بأيديهم إلى طاعة رب الأرض والسماوات سبحانه وتعالى.... فمن باب أولى أن تعلمهم القرآن، وأن تعلمهم سنة سيد الأنام ﷺ، ولو تركتهم بعد ذلك بلا مال؛ فلقد تركت لهم الخير كله؛ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فلقد قال النبى المصطفى ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعدى أبدًا: كتاب الله وسنة رسول الله، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علىَّ الحوض»(٢).

بل قال الحبيب المصطفى ﷺ: «أبشروا فإن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدًا»(٣). هذه هى الوقفة الثانية.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧١٥٠، ٧١٥١) كتاب الأحكام، ومسلم (١٤٢) كتاب الإيمان.

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ١٧٢)، والدارقطنى (٤/ ٢٤٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٩٣٧).

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة (٦/ ١٢٥)، والطبرانى (٢٢/ ١٨٨)، وابن حبان (١٢٢)، وعبد بن حميد (٤٨٣)، وابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى (٢٣٠٢)، ومحمد بن نصر المروزى (كما فى مختصر قيام الليل للمقريزى ٢٢١)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢/ ٣٢٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٤) والسلسلة الصحيحة (٧١٣).

أما الوقفة الثالثة فهى وقفة مع بر الوالدين

هذا الولد الذى لم يفكر لحظة فى بر أبيه الذى مات، مع أن أباه الذى كان يمتلك ثروة عظيمة كم أنفق عليه من المال؟ وكم أغدق عليه من الثروات؟ وكم ربَّاه وغذَّاه وكابد وسهر الليل من أجله؟ نسى الولد كل ذلك فى لحظة أمام طمعه وجشعه فى أن يحصل على عقار من تلك العقارات التى ربما كانت ستؤول إليه فى ميراثه، لكنه تعجل أن يأخذ ذلك من الحرام فعجَّله الله عز وجل بأن أرسل إليه ملك الموت.

انظر لبر الوالدين... إنه نعمة عظيمة وجليلة... قال - جل فى عُلاه؛ موضحًا أن الوالد والوالدة لو كانا حتى على الشرك - لا أقول على المعصية؛- فإن ذلك لا يُسقط حقهما فى البر فى أمور الدنيا، قال الحق جل فى علاه: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ فى أمر الكفر، لكن مع ذلك ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ (١).

وقال جل فى علاه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (٢).

واسمع كلام الحبيب المصطفى ﷺ حيث قال: «الوالدُ أوسطُ أبواب الجنة» (٣) وما معنى «أوسط»؟ يعنى: الوالد أحسن أبواب الجنة؛ فإن أردت أن تضيع هذا الباب فما عليك إلا أن تكون عاقًّا لوالديك، وأما إن أردت أن تدخل من أحسن أبواب الجنة فعليك ببر الوالدين.

بر الوالدين نعمة عظيمة جليلة، ... اسمع لكلام أبى الدرداء أنه قال:

---

(١) سورة لقمان: الآية: (١٥).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٢٣).

(٣) صحيح: أخرجه الترمذى (١٩٠٠) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٣٦٦٣) كتاب الطلاق، وأحمد (٢١٢١٠)، وابن حبان (٤٢٥)، والحاكم (٢/ ٢١٥)، وقال: صحيح الإسناد، والطيالسى (٩٨١)، والحميدى (١/ ١٩٤)، وابن أبى شيبة (٥/ ٢١٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧١٤٥) والسلسلة الصحيحة (٩١٤).

أوصانى رسول الله ﷺ بتسع... فكان من بين التسع أن النبى ﷺ قال له: «**وأطع والديك وإن أمراك أن تخرج من دنياك**»[١] لم يقل له: من مالك، لم يقل له: من منصبك، لم يقل: تعطيهم السيارة.... وإنما قال: وإن أمراك أن تخرج من دنياك فاخرج لهما.

بل قال ﷺ: «**نمت فرأيتنى فى الجنة فسمعت رجلاً يقرأ القرآن فى الجنة**»، **فقلت: من هذا يا جبريل؟ فقال: هذا حارثة بن النعمان**» رضى الله عنه وأرضاه فقال النبى ﷺ معلقًا على تلك الكلمة: «**كذلك البر، كذلك البر**». تقول أمنا عائشة: كان حارثة من أبر الناس بأمه. رضى الله عنه وأرضاه[٢].

نعم بل هذا أبو هريرة ﷺ لما وجد أمه كانت على الكفر زمانًا طويلاً، وكان يدعوها إلى الإسلام فتأبى عليه، وفى يوم من الأيام بدأ يكلمها مرة أخرى عن الإسلام، فسبّت النبى ﷺ،... ذهب أبوهريرة ﷺ وقلبه يتمزق ألمًا من تلك الكلمة التى سمعها من أمه فى حق النبى ﷺ، وجاء إلى الحبيب المصطفى ﷺ ودموعه على وجنتيه، فقال له النبى ﷺ: «**ما لك يا أبا هريرة؟**» قال: يا رسول الله! كنت أدعو أمى إلى الإسلام فتأبى علىَّ، واليوم دعوتها إلى الإسلام فأسمعتنى فيك ما أكره، يا رسول الله! أنت رجل مبارك ألا تدعو الله أن يهدى أم أبى هريرة؟ وإذا بالحبيب المصطفى ﷺ يقوم ويرفع يديه إلى من يسمع دبيب النملة السوداء تحت الصخرة الصمّاء فى الليلة الظلماء ويقول: «**اللهم اهد أم أبى هريرة**» يقول أبو هريرة: فاستبشرت بدعاء النبى ﷺ، وذهبت وأقدامى

---

(١) أخرجه البيهقى (٧/ ٣٠٤)، وابن عساكر (٦٠/ ١٩٩)، وأخرجه عبد بن حميد (١٥٩٤)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٦/ ١٨٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٨٠٩)، وابن حبان (٧٠١٥)، والحاكم (٤/ ١٦٧) والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٧١).

تسابق الريح حتى وصلت إلى البيت فإذا بى أجد الباب مجافًا -يعنى: مغلقًا- قال: فسمعت خضخضة الماء، ففتحت أمى الباب وقالت وهى تبتسم: يا أبا هريرة. قلت: أجل يا أماه. قالت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. فبكى أبو هريرة رضي الله عنه من شدة الفرح وعاد إلى الحبيب المصطفى ﷺ وقال: أبشر يا رسول الله، فلقد استجاب الله دعاءك، فقال النبى ﷺ: «**خيرًا**».

فقال أبو هريرة: يا رسول الله! ألا تدعو الله أن يُحببنى وأمى إلى المؤمنين، وأن يحبب المؤمنين إلينا، فقام النبى ﷺ وقال: «**اللهم حبِّب عُبَيدك هذا**» -يعنى: أبا هريرة -، «**وأمه للمؤمنين وحبِّب المؤمنين إليهما**» يقول أبو هريرة: فما سمع بى أحد من المؤمنين إلا وقد أحبنى بفضل دعاء النبى ﷺ (١).

أجل والله، ففى الوقت الذى كان أبو هريرة يحرص فيه على هداية أمه وعلى إنقاذها من نار جهنم، كان هذا الشاب الذى نزل قبر أبيه حريصًا على عقار من العقارات من والده بعد موته - ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٩١) كتاب فضائل الصحابة.

صور مشرقة لسلفنا الصالح وبر الوالدين

ها هو محمد بن المنكدر رحمه الله رحمة واسعة يقول: بِتُّ أغمز أطراف أمي - أمه كانت عندها مرض السكر، والدم لا يصل إلى أطرافها-، بات يغمز أطراف يديها ورجليها قال: وبات أخى قائمًا بين يدى الله جل وعلا يصلى ويبكى، ووالله ما أرضى ليلته بليلتى.... ليلتى أنا عند الله أفضل من ليلته... لماذا؟ لأن النبى ﷺ قال: **«وأحب العمل إلى الله سرور تُدخله على مسلم»**(١).

يا الله! لو يفقه الناس تلك الكلمة **«سرور تدخله على مسلم»** هذا من أفضل الأعمال عند الله جل وعلا.

تأمل معى أيضًا: لما كان ابن عمر واقفًا عند الكعبة، وفجأة وجد رجلاً قد حمل أمه على كتفيه ويطوف بها حول الكعبة، فقال: يا ابن عمر! والله لقد طفت بأمى سبع مرات، أترانى قد وفيتها حقها؟ قال: لا والله، ولا بزفرة واحدة من زفرات الولادة، ولكنك أحسنت، والله يثيبك على القليل كثيراً.

إذاً: فالوقفة الثالثة مع بر الوالدين

هذا الولد لو كان يحمل فى قلبه شيئًا يسيراً من بر الوالدين ما فعل تلك الفعلة الشنيعة، ما نزل فى قبر أبيه من أجل أن يسرق حق إخوانه، بل كان الواجب عليه فى تلك اللحظة أن يقف عند القبر، وأن يطيل الدعاء والاستغفار لأبيه الذى لطالما ضحى بعمره وأنفق ماله ووقته من أجل تربية هذا الولد، ومن أجل أن يغذيه وينفق عليه... كان من الواجب عليه أن

(١) حسن: رواه ابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج (ص ٤٧ ، رقم ٣٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٦).

يوفِّى هذا الجميل، وقد قال - جل فى عُلاه -: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ (١). والنبى ﷺ يقول: «**لا يجزى الولد والده إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه**» (٢).

أما عن الوقفة الرابعة

فهذا الولد أو هذا الشاب الذى وقف عند قبر والده، وشاهد دفن والده، وهو يُلقَى بين أطباق الثرى فى هذا القبر الموحش الذى أبكى عيون الصالحين، بل والصحابة والنبيين، هل هذا الشاب لم يتأثر بهذا المنظر؟ . . . الله يعلم أنه ما من مشهد فى هذا الكون يرق القلب ويدمع العين ويؤثر فى نفس الإنسان أكثر من رؤية القبر ودفن الموتى فى تلك القبور الموحشة.

وقف الولد عند القبر؛ لا ليشاهد دفن رجل من الناس بل وقف ليشهد دفن والده الذى ضحى بعمره من أجله وهو مع ذلك لم يتأثر، مع أن القبر - كما قلت - أبكَى عيون الأنبياء والصحابة والصالحين.

فهذا الحبيب المصطفى ﷺ كما فى الحديث عن البراء بن عازب - أنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ بصر بأناس قد اجتمعوا، فقال النبى ﷺ: «**علام اجتمع هؤلاء؟**» فقالوا: يا رسول الله! اجتمعوا على قبر يحفرونه، فأسرع النبى ﷺ مباشرة تجاه القبر، وجلس أمام القبر وبكى النبى ﷺ حتى بلَّ الحصى بدموعه، ثم قال: «**أى إخوانى، لمثل هذا اليوم فأعدوا**» (٣).

لمثل هذا اليوم فأعد، أعد لنفسك زادًا تستطيع أن تنزل به فى تلك الحفرة

---

(١) سورة الرحمن: الآية: (٦٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٥١٠) كتاب العتق.

(٣) حسن: أخرجه ابن ماجه (٤١٩٥)، وأحمد (١٨١٢٧)، والبيهقى (٣/٣٦٩)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٦٥٩) والسلسلة الصحيحة (١٧٥١).

المظلمة. . . . هذا الزاد سيجعله الله - جل وعلا - نوراً يضيء وينير لك قبرك.

هذا الشاب لم يتأثر أبدًا بمنظر القبر، مع أن النبى ﷺ وقف أمام القبر، وبكى حتى بلَّ الحصى بدموعه.

بل هذا عثمان بن عفان كان إذا رأى القبر بكى، وإذا سمع عن الجنة والنار لم يبك، فتعجب أصحاب النبى ﷺ وقالوا: يا عثمان! تسمع عن الجنة والنار فلا تبكى، وتسمع عن القبر فتبكى؟! قال: أجل، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه العبد فما بعده أيسر، وإن لم ينجُ فما بعده أشد**»(١).

وقال الحبيب ﷺ: «ما رأيت منظرًا قطُّ إلا وكان القبر أفظع منه»(٢).

ومن أجل ذلك أراد النبى ﷺ منا أن نكثر من زيارة القبور، فقال النبى ﷺ: «**زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة**»(٣)، وقال النبى ﷺ: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها فإنها تُرق القلب وتُدمع العين وتُذكر بالآخرة**»(٤). . . أجل والله.

فكان ينبغى على هذا الشاب أنه حينما وقف أمام القبر ورأى أباه وحبيبه الذى ربَّاه وغذاه وأنفق عليه كل ما يملك من أجل أن يترعرع، وأن يشب كان واجبًا عليه أن يرعى تلك الحقوق، وأن يقف ليدعو لأبيه ويستغفر له، لا أن ينزل إلى قبره من أجل أن يسرق أباه وإخوانه.

---

(١)، (٢) حسن: أخرجه الترمذى (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧)، وعبد الله بن أحمد فى زوائده على المسند (١/ ٦٣)، والحاكم (١/ ٥٢٦)، والبيهقى (٤/ ٥٦)، والبزار (٢/ ٨٩)، والخطيب (٦/ ٨٩)، وهناد فى الزهد (١/ ٢١١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٨٤).

(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه (١٥٦٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥٧٧).

(٤) صحيح: أخرجه الحاكم (١/ ٥٣٢)، والبيهقى فى السنن الكبرى (٤/ ٧٧)، وفى شعب الإيمان (٧/ ١٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٥٨٤).

أما عن الوقفة الخامسة

فهل أصبحت الدنيا هى الغاية التى يسعى إليها جُل العباد؟ هل أصبحت الدنيا غاية فى حد ذاتها؟ الدنيا ما هى إلا وسيلة نصل بها إلى مرضاة الله جل وعلا، . . . الدنيا مزرعة للآخرة، وهى دار الغرور ومصيرها إلى زوال، فقد قال - جل وعلا- وهو الذى خلقها سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[١]. وقال أعرف الناس بالله وهو رسول الله ﷺ: **«ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله، وما والاه وعالمًا أو متعلمًا»**[٢].

وقال ﷺ أيضًا: **«لو كانت الدنيا تساوى عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء»**[٣].

وقال ﷺ موضحًا كل ذلك فى جملة واحدة: **«الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»**[٤].

ما الذى حمل أكثر الناس فى هذا الزمان على أن يتحايلوا على شرع الله وعلى هدى رسول الله ﷺ من أجل أن يأخذوا حقوق الغير؟

احذر أيها الأخ الحبيب، احذر من تلك المظالم، فإن المظالم حفرة من حفر النار، أما سمعت قول الحبيب ﷺ وهو يقول: **«اتقوا دعوة المظلوم ولو كان كافرًا؛ فإنه ليس دونها حجاب»**[٥]. ليس بين دعوة المظلوم وبين الله جل وعلا أى حجاب. . . فالدنيا ملأت قلوب أكثر الناس حتى أصبح كثير

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٨٥).

(٢) حسن: أخرجه الترمذى (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٤١٤).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٢٠) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٠) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٤٣) وصحيح الجامع (٥٢٩٢).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرقائق.

(٥) حسن: رواه أحمد (٣/ ١٥٣)، والضياء فى المختارة (٢/ ٢٤٩)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٧٦٧)، وصحيح الجامع (١١٩).

من الناس. . . ونقولها بكل صراحة ووضوح فى هذا الزمان بالذات أصبح كثير من الناس يسعى؛ ليحصل على حق غيره بلا وازع يردعه، ولا ضمير يدفعه، كثير من الناس يتحايلون على أخذ حقوق الغير، بل انظر إلى تلك المحاكم التى امتلأت بالمظالم التى تنوء بحملها الجبال، انظر لتلك المظالم تشعر أن الكون كله قد امتلأ بالظلم والمظالم.

ما الذى يحمل الإنسان على ذلك؟ والنبى ﷺ يحذرنا من مظالم العباد؟

وتلك هى الوقفة السادسة

فهذا الشاب أراد أن يأخذ تلك العمارة ظلمًا وعدوانًا من حقوق الورثة، وقد حصل عليها بالفعل، وأخذ البصمة من أبيه فى قبره، ولو كان قد امتد عمره ساعة واحدة وخرج بذلك العقد وأعطاه لزوجته لأصبح العقار ملكًا لزوجته وأولاده ظلمًا وعدوانًا.

أخذ العقار ولم يستمتع به بل وسيُحاسَب عليه، وكم من أُناس قد أخذوا من حقوق الغير ولم يستمتعوا بتلك الأشياء، وسيحاسَبون عليها يوم القيامة فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

ومن أجل هذا أمرنا النبى ﷺ أن نتحلل من المظالم قبل أن نقف بين يدى الحق جل وعلا فقال ﷺ : **«من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلل منه اليوم قبل أن يكون يوم لا درهم فيه ولا دينار، وإنما التعامل بالحسنات والسيئات»**[١].

وهذا يوضحه حديث المفلس: الذى رواه مسلم: أن النبى ﷺ جلس يومًا بين أصحابه يعلم الصحابة والأمة من بعدهم، وقال لهم: **«أتدرون من المفلس؟»** قالوا: المفلس فينا يا رسول الله! من لا درهم له ولا دينار. قال: **«المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وحج** – أعمال

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٤٤٩) كتاب المظالم والغصب.

صالحة، ورغم ذلك - ويأتي وقد شتم هذا، وسفك دم هذا، وأكل مال هذا، **فيُعطَى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته أُخذ من سيئاتهم فطُرحت عليه، ثم طُرح في النار»**- [1] - عياذًا بالله.

من منا يضحى بجنة عرضها السماوات والأرض ويُعرِّض نفسه لسخط الله وعذابه من أجل متاع الغرور، من أجل شيء لا يساوى جزءًا واحدًا من آلاف الأجزاء من جناح بعوضة؟!! فالدنيا كلها لو أخذها واحد منا لم يكن ذلك إكرامًا من الله جل وعلا لذلك العبد؛ لأن الدنيا بكل ما فيها لا تساوى عند مالك الملك وملك الملوك جناح بعوضة.

فما الذي يحمل الناس على ظلم الآخرين؟ ما الذى يحمل الإنسان على أن يأخذ أموال الآخرين؟

تذكَّر وقوفك يوم العرض عُريانا
مُستوحشًا قَلِقَ الأحشاء حيرانا
والنار تلهبُ من غيظٍ ومن حَنقٍ
على العُصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدُ على مَهَلٍ
فهل ترى فيه حرفًا غير ما كانا
فلما قرأت ولم تُنكر قراءته
وأقررت إقرار مَن عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتى
وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا
المشركون غدًا فى النار يلتهبوا
والموحدون بدار الخلد سُكَّانا

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب.

أجل والله. . . تلك كانت الـوقفات الست مع تلك القـصة المؤثرة التى كانت بعنوان: «بصمة فى القبر».

لا أريد أن أطيل أكثر من ذلك؛ ولكن أريد أن أوجه لكل واحد منا الآن نصيحـة غالية: إنك لابد أن تسارع إلـى التوبة؛ لأن العمر يمـر والساعات تجرى، والإنسان ينتهى عمره فى لحظة لا يدرى متى يأتيه ملك الموت؟ ومتى تأتيـه المنية؟ ومتى يـدخل قبره؟ فـعَمِّـر قبـرك من الآن أيها الأخ الحـبيب، وعَمِّرى قبرك من الآن أيتها الأخت الفاضلة؛ . . . من لم تكن لبست حجابًا إلى تلك اللحظة، فلتستحضر منظر القبر وهى داخلة إلى ذلك القبر فلتلبس حجابهـا اليوم قبل الغد؛ لأن النبى ﷺ قد وضح أن العـبد إن مات على غير توبة فإنه يعرض نفسه لغضب الله وعقابه سبحانه وتعالى، أما إن تاب؛ فلقد قال - جل فى علاه -: ﴿ **إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً** ﴾[1] .

أجل أيهـا الأخ الحـبـيب تب إلى الله عــز وجل. . . . تحلل من أى مظلمة، ولا تنظر إلى حقوق الغير، لا تأخذ حقًّا غير حقك، واسعَ لخدمة عباد الله جل وعلا «**فالله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه**»[2].

سبحانك اللهم وبحمدك أشـهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

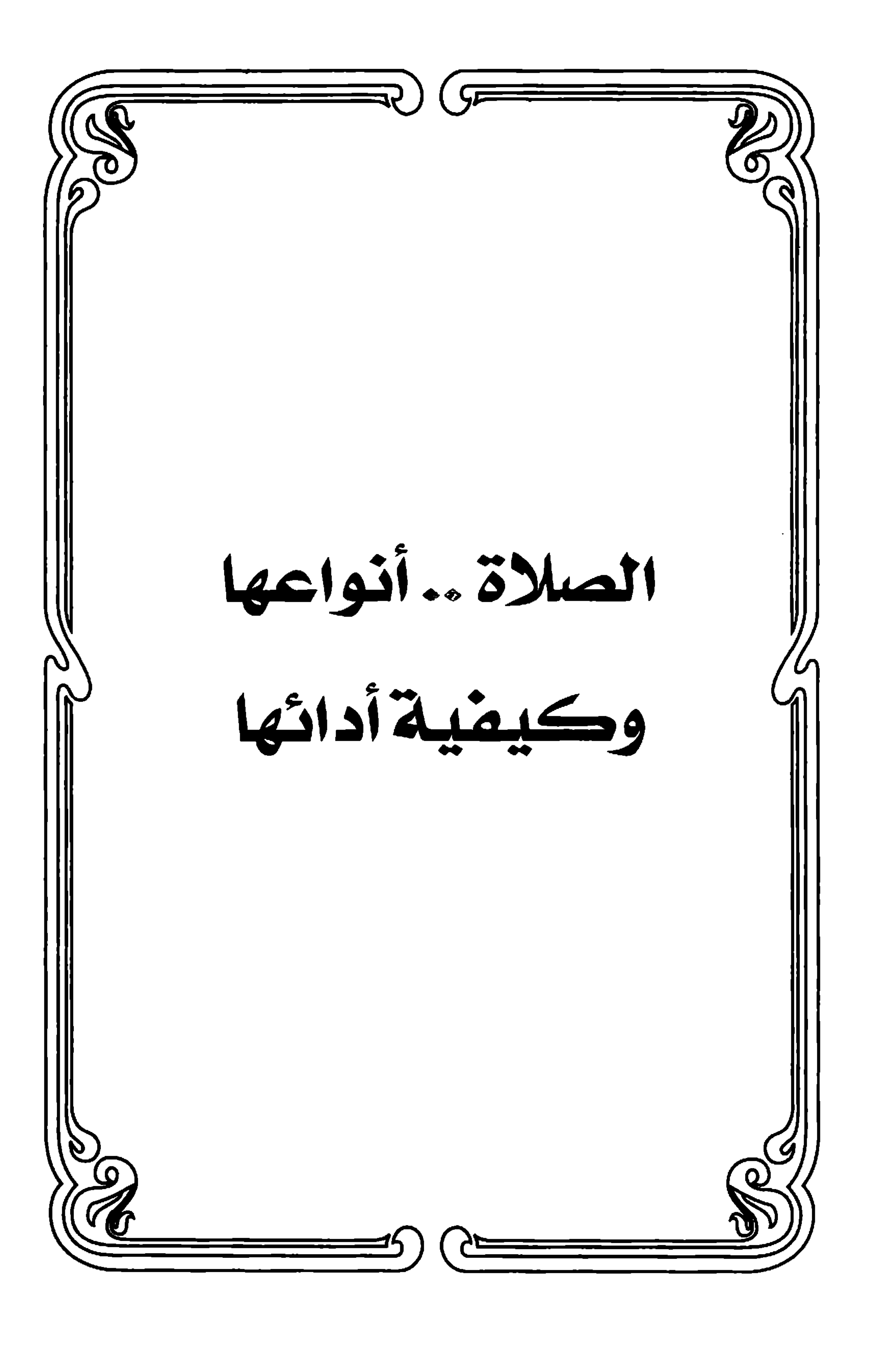
محمود المصرى

(أبو عمار)

---

(١) سورة الفرقان: الآية: (٧٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.



الصلاة .. أنواعها وكيفية أدائها

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[2].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[3].

أما بعد:

فإن الصلاة هى أعظم الأركان بعد الشهادتين وهى أم العبادات وميزان تعظيم الدين فى قلب المؤمن فهى التى أمر الله بها وهى الوصية الأخيرة لرسول الله ﷺ وهى ملجأ المؤمن فى الكربات وهى التى يرفع الله بها الدرجات ويغفر بها الخطيئات وينجو بها العبد من عذاب رب الأرض والسماوات وهى أمنية المُعذَّبين والأموات وهى العاصمة من الشهوات

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).
(٢) سورة النساء: الآية: (١).
(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠-٧١).

والناهية عن المنكرات وهى الحادى للنعيم المقيم فى الجنات.

ومن هنا كـان لابد من وقـفة لـنتعـرف من خـلالهـا على بعض أنواع الصلوات التى قد لا يعرفها كثير من المسلمين فى هذا الزمان الذى طغت فيه الماديات والشهوات.

فهـا هى تلك الرسالة الصغيـرة أقدمها لـعامة المسلمين فى قـالبٍ سهلٍ ميـسور سائلاً ربى (عز وجل) أن يجـعلها فى ميـزان حسناتى يوم أُدرج فى أكفانى.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

صلاة الضحى

إن صلاة الضحى لها فضلٌ عظيم.. فهى صلاة الأوابين وهى تُجزئ عن كل مفصل من مفاصلك صدقة:

* وسأسوق لك بعض فضائل صلاة الضحى:

س: ما هو فضل صلاة الضحى؟

ج: أما عن فضل صلاة الضحى فإن فضلها عظيم وقد ورد فى ذلك أحاديث كثيرة سأكتفى بذكر بعضها.

(١) فهى من أعظم الوسائل التى يؤدى بها العبد شكره لله على تلك النعم:

فعن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يصبح على كل سُلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمرٌ بالمعروف صدقة، ونهى عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى**»(١).

(٢) وهى صلاة الأوابين:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «**أوصانى خليلى بثلاث لست بتاركهن؛ أن لا أنام إلا على وتر، وأن لا أدع ركعتى الضحى، فإنها صلاة الأوابين، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر**»(٢).

وعنه قال رسول الله ﷺ: «**لا يحافظ على صلاة الضحى إلا أواب**»، قال: «**وهى صلاة الأوابين**»(٣).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٢٠).

(٢) صحيح: رواه ابن خزيمة (١٢٢٣)، وإسناده صحيح، وأصل الحديث فى البخارى (١١٧٨)، ومسلم (٧٢١).

(٣) صحيح: أخرجه الحاكم. والطبرانى فى الأوسط، وصححه الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٩٩٤).

(٣) وهى وصية النبى ﷺ لأصحابه:

عن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: «أوصانى حبيبى بثلاث لن أدعهن ما عشت؛ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وبأن لا أنام حتى أوتر»[١].

(٤) ومن صلاها أربعًا؛ كفاه الله يومه:

* عن نعيم بن همار الغطفانى رضي الله عنه، عن النبى ﷺ، عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: **«يا ابن آدم! صلّ لى أربع ركعات أول النهار أكفك آخره»[٢].**

(٥) وهى أعظم ثوابًا من سرية غنمت وأسرعت الرجعة:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبى ﷺ جيشًا فأعظم الغنيمة، وأسرعوا الكَرَّة، فقال رجل: يا رسول الله، ما رأينا بعثًا قط أسرع كرة، ولا أعظم غنيمة من هذا البعث! فقال: **«ألا أخبركم بأسرع كرة، وأعظم غنيمة؟ رجل توضأ فى بيته فأحسن الوضوء، ثم عمد إلى المسجد، فصلى فيه صلاة الغداة، ثم أعقب بصلاة الضحى، فقد أسرع الكرة وأعظم الغنيمة»[٣].**

ومعنى **«أسرع كرة»** أى: رجعة.

(٦) ومن صلاها بعد أن صلى الصبح فى جماعة وجلس يذكر الله حتى تطلع الشمس فله أجر حج وعمرة تامة.

* **وذلك لما ورد فى الحديث: «من صلى الصبح فى جماعة، ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتى الضحى؛ كُتب له أجر حجة وعمرة تامتين تامتين تامتين»[٤].**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٢٢).

(٢) صحيح: رواه أبو داود، وابن حبان، وأحمد ، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٣٩).

(٣) صحيح: رواه ابن حبان والبزار والطبرانى، وله شاهد عند أحمد، وصححه الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٥٣١).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٥٨٦)، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٤٦).

(٧) ومن خرج لصلاتها فأجره كأجر المعتمر:

*** عن أبى أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة، فأجره كأجر الحاج المحرم، ومن خرج إلى تسبيح الضحى، لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر، وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب فى عليين»** [1].

ومعنى: «لا ينصبه» أى: لا يخرجه ويعانى مشقته.

(٨) ومن صلاها أربعًا؛ بُنى له بيت فى الجنة.

*** وقال صلى الله عليه وسلم: «من صلى الضحى أربعًا وقبل الأولى أربعًا؛ بُنى له بيت فى الجنة»** [2].

* * *

س: ما حكم صلاة الضحى؟

ج: اختلف أهل العلم فى حكم صلاة الضحى . . . ولكن الصحيح الذى دلت عليه الأحاديث والآثار أن صلاة الضحى تُستحب مطلقًا ويُستحب المواظبة عليها .

* * *

س: ما هو وقت صلاة الضحى؟

ج: يبتدئ وقت صلاة الضحى من بعد شروق الشمس بثلث ساعة تقريبًا ويستمر إلى قُبيل صلاة الظهر بثلث ساعة تقريبًا.

* * *

س: ما هو عدد ركعاتها؟

ج: لا شك فى أن أقل عدد لركعات الضحى هو ركعتان لحديث:

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٥٥٨)، وحسنه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٢٨).

(٢) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط (٥/ ٨٨)، وحسنه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٤٠).

«...ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى»[1]. . . . ولحديث أبى هريرة: **«أوصانى خليلى بثلاث - منها -... وركعتى الضحى...»**[2].

ثم اختلفوا فى أكثر صلاة الضحى على أقوال:

فبعضهم يقول: أكثرها ثمان ركعات. . ومنهم من يقول: أكثرها اثنتا عشرة ركعة. . ومنهم من يقول: لا حَدَّ لعددها.

وذهب آخرون إلى أن أفضلها أربع ركعات.

لحديث أبى الدرداء عن النبى ﷺ عن الله تعالى: «ابن آدم صلِّ أربع ركعات فى أول النهار؛ أكفك آخره»[3].

ولحديث عائشة رضي الله عنها «أنه كان يصلى الضحى أربع ركعات»[4] وغيرها من الأحاديث - والله أعلم -.

صلاة التوبة

ليس هناك إنسان معصوم إلا النبى ﷺ . . . وأما سائر البشر فقد قال عنهم النبى ﷺ : **«كل بنى آدم خطَّاء وخير الخطائين التوابون»**[5].

فمن وقع فى أى معصية فلا ييأس ولا يقنط فإن الله (جل وعلا) غافر الذنب وقابل التوب. . . فمن تاب تاب الله عليه وغفر ذنوبه وبدَّل سيئاته إلى حسنات.

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[6].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٢٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٨١)، ومسلم (٧٢١).

(٣) صحيح: رواه أبو داود ، وأحمد ، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٤٢).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٧١٩).

(٥) حسن: رواه أحمد والترمذى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٥١٥).

(٦) سورة الفرقان: الآية: (٧٠).

* وقد جاء عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من رجل يذنب ذنبًا، ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله إلا غفر الله له»** ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾(١)(٢) والصلاة لأجل التوبة مستحبة باتفاق المذاهب الأربعة.

صلاة الاستخارة

إذا هممت بفعل أي أمرٍ من الأمور المباحة ولم يظهر لك وجه الخير أو الشر في ذلك الأمر فيُسن لك أن تصلي ركعتين من دون الفريضة حتى ولو كانتا من السنن الرواتب ثم تقول دعاء الاستخارة. . . والله يختار لك الأفضل والأنفع - بإذن الله -.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يُعلِّمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: **«إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: عاجل أمري وآجله - فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، اللهم وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم ارضني به، ويسمي حاجته»**.

وفي رواية: **«ثم رضِّني به»**(٣).

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٣٥).

(٢) صحيح: رواه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب (٦٨٠).

(٣) صحيح: رواه البخاري (١١٦٦).

س: هل تصح الاستخارة بعد الفريضة؟

ج: نحن نعلم أن الاستخارة تكون بعد صلاة زكعتين من غير الفريضة كما هو ثابت فى الحديث، وعليه فلا يقع دعاء الاستخارة بعد الفريضة موقعه، ولا يكون أتى بالاستخارة الشرعية.

* * *

س: هل يجوز الاستخارة فى الواجبات والمستحبات والمحرمات والمكروهات؟

ج: من المعلوم أن الاستخارة تكون فى الأمور الاختيارية للعبد أعنى المباحة. وأما الأمور الواجبة والمستحبة فليس فيها استخارة؛ لأنها كلها خير، وعليه أن يأتى بها وجوبًا أو استحبابًا، وكذلك لا استخارة فى الأمور المحرمة والمكروهة؛ لأنها كلها شرٌ وعليه الانصراف، عنها؛ لأن التلبُّس بها محرمٌ أو مكروه(١).

* * *

س: هل يكون دعاء الاستخارة قبل التسليم أم بعد التسليم؟

ج: نجد أن كثيرًا من المصلين يقرؤون دعاء الاستخارة بعد التشهد مباشرة وقبل التسليم منها ... وهذا مخالف لهدى النبى ﷺ فقد قال ﷺ : «**إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل ...**».

و(ثم) تفيد التعقيب مع التراخى ... أى: أن الدعاء يقال بعد التسليم مستقبلاً القبلة ورافعًا يديه إلى السماء مبتدءًا بالحمد والصلاة على رسول الله ﷺ فهذا كله من آداب الدعاء.

وحكمة تقديم الصلاة على الدعاء أن المراد من الاستخارة: الجمع بين خيرى الدنيا والآخرة، فيحتاج إلى قرع باب الملك، ولا شىء لهذا أنجع من الصلاة، لما فيها من تعظيم الله تعالى والثناء عليه، وإظهار الافتقار إليه حالاً ومآلاً(٢).

---

(١) تمام المنة للعزازى (١/ ٣٣٤).

(٢) الدين الخالص (٥/ ٢٤١).

س: هل يُستحب تكرار صلاة الاستخارة سبع مرات؟

ج: يعتقد بعض المصلين أن من أراد أن يصلى صلاة الاستخارة فإنه يُستحب له أن يصليها سبع مرات . . . واستدلوا على ذلك بحديث باطل لا يصح . . . أن النبى ﷺ قال لأنس بن مالك رضي الله عنه : «يا أنس! إذا هممت بأمر فاستخر ربك سبع مرات، ثم انظر إلى الذى سبق إلى قلبك، فإن الخير فيه» .

* ومن المعلوم أن الاستخارة دعاء فلا بأس بتكرار صلاة الاستخارة لكن لا ينبغى أن نقيدها بسبع مرات أو بغيرها .

صلاة التسبيح

س: ما هى صفة صلاة التسابيح؟

ج: وأما إن ثبت حديثها فهذه صفة صلاة التسابيح :

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ للعباس بن عبد المطلب: **«يا عباس، يا عماه! ألا أعطيك، ألا أمنحك، ألا أحبوك، ألا أفعل لك عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر الله ذنبك أوله وآخره، وقديمه وحديثه، وخطأه وعمده، وصغيره وكبيره، وسره وعلانيته، عشر خصال: أن تصلى أربع ركعات، تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة، فإذا فرغت من القراءة فى أول ركعة فقل وأنت قائم: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر خمس عشرة مرة، ثم تركع فتقولها، وأنت راكع عشراً، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشراً، ثم تهوى ساجداً فتقول وأنت ساجد عشراً ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً ثم تسجد فتقولها عشراً، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة، تفعل ذلك فى أربع ركعات، إن استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل، فإن لم تستطع، ففى كل جمعة**

مرة، فإن لم تفعل، ففى كل شهر مرة، فإن لم تفعل ففى كل سنة مرة، فإن لم تفعل ففى عمرك مرة»(١).

صلاة العيدين

س: ما الحكمة فى مشروعية العيدين؟

ج: الحكمة فى مشروعية العيدين: أن كل قوم لهم يوم يتجملون فيه، ويخرجون من بيوتهم بزينتهم(٢).

عن أنس رضي الله عنه قال: قدم النبى صلى الله عليه وسلم، ولأهل المدينة يومان يلعبون فيهما فى الجاهلية، فقال: **«قدمت عليكم، ولكم يومان تلعبون فيهما فى الجاهلية، وقد أبدلكم الله بهما خيراً منهما: يوم النحر، ويوم الفطر»**(٣).

أى: لأن يومى الفطر والنحر بتشريع الله تعالى، واختياره لخلقه، ولأنهما يعقبان أداء ركنين عظيمين من أركان الإسلام، وهما: الحج والصيام، وفيهما يغفر الله للحجيج والصائمين، وينشر رحمته على جميع خلقه الطائعين، وأما النيروز والمرجان، فإنهما باختيار حكماء ذاك الزمان لما فيهما من اعتدال الزمن والهواء ونحو ذلك من المزايا الزائلة، فالفرق بين المزيتين ظاهر لمن تأمل ذلك(٤).

* * *

س: ما حكم صلاة العيدين؟

ج: يظن كثير من الناس أن صلاة العيد سنة وأن من تركها لا يأثم... وهذا

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٢٩٧)، وابن ماجه (١٣٨٧)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٣٧) وصحيح سنن أبى داود (١١٧٣- ١١٧٥) وصحيح الترغيب والترهيب (٦٧٨).

(٢) حجة الله البالغة للدهلوى (٢/ ٢٣).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (١١٣٤) كتاب الصلاة، والنسائى (١٥٥٦) كتاب صلاة العيدين، وأحمد (١٢٤١٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٠٢١).

(٤) الفتح الربانى بترتيب مسند أحمد للبنا (٦/ ١١٩).

خطأ كبير؛ لأن النبى ﷺ أمر بها، بل وأمر النساء أن يخرجن ليشهدن الخير.

قال الشيخ الألبانى معلقًا على قول من قال بسنيتها:

قوله: وهى سنة مؤكدة، واظب النبى ﷺ عليها، وأمر الرجال والنساء أن يخرجوا لها.

قلت: «فالأمر المذكور يدل على الوجوب، وإذا وجب الخروج وجبت الصلاة من باب أولى كما لا يخفى، فالحق وجوبها لا سنيتها فحسب، ومن الأدلة على ذلك أنها مُسقطة للجمعة إذا اتفقتا فى يوم واحد»[١].

قال الإمام الشوكانى: «واعلم أن النبى ﷺ لازم هذه الصلاة فى العيدين ولم يتركها فى عيد من الأعياد، وأمر الناس بالخروج إليها حتى أمر بخروج النساء . . . وهذا كله يدل على أن هذه الصلاة واجبة وجوبًا مؤكدًا على الأعيان لا على الكفاية[٢].

فالراجح: أنها واجبة على الأعيان، وهو مذهب أبى حنيفة وأحد أقوال الشافعى ورواية عن أحمد وبه قال بعض المالكية واختاره شيخ الإسلام[٣]، وحجتهم:

١- قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[٤] والأمر للوجوب.

٢- قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾[٥] الأمر بالتكبير فى العيدين أمر بالصلاة المشتملة على التكبير الراتب والزائد بطريق الأولى والأحرى.

٣- ملازمة النبى ﷺ لهذه الصلاة فى العيدين، وعدم تركها فى عيد من الأعياد، ومداومة خلفائه والمسلمين من بعده عليها.

---

(١) تمام المنة (٣٤٤).

(٢) السيل الجرار (١/ ٣١٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٣/ ١٦١)، البدائع (١/ ٢٧٤)، الإنصاف (٢/ ٤٢٠).

(٤) سورة الكوثر: الآية: (٢).

(٥) سورة البقرة: الآية: (١٨٥).

٤-أمـر الناس بالخـروج إليهـا حـتى النسـاء وذوات الخدور والحُيَّض وأمـرهن أن يعـتـزلن المصلى حـتى أمـر من لا جلبـاب لهـا أن تُلبـسـهـا صاحبتها. . . وسيأتى الحديث بهذا.

٥-أنها مـن أعظم شعـائر الإسلام الظاهرة فكانت واجـبة كـالجمـعة، ولذلك يجب قتال الممتنعين من أدائها بالكلية.

٦-أنها مُسـقطة للجمعة إذا اتفـقتا فى يوم واحد كمـا تقدم، وما ليس بواجب لا يُسقط ما كان واجبًا.

* * *

س: ما هى الكيفية الصحيحة لصلاة العيد؟

ج: صلاة العيد ركعتان، لحديث عـمر ﷺ قال: «صلاة السفر ركعتان، وصلاة الأضحى ركعـتان، وصلاة الفطر ركعتان، تمام غيـر قصر على لسان نبيكم ﷺ»(١).

وتُصلَّى على الصورة الآتية:

١-يبدأ الركعة الأولى - كسائر الصلوات - بتكبيرة الإحرام.

٢-ثم يكبر بعدها سبع تكبيـرات أخرى قبل أن يبدأ القراءة، ولم يصح عن النبى ﷺ أنه كان يرفع يديه مع تكبيرات العيد.

٣-ولم يصح عن النبى ﷺ ذكر معين فى سكوته بين هذه التكبيرات.

٤-ثم يبدأ بقراءة الفـاتحة - بعد التكبيرات - ثم سـورة، ويُستحب أن يقرأ ﴿قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ على أن يكون فى الركعة الثانية ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ كما ثبت عن النبى ﷺ(٢) وربما قرأ فيهما ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾(٣).

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه، وأحمد، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح سنن ابن ماجه.
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٨٩١).
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٨٧٨).

٥- وبعد القراءة يأتى بباقى الركعة على هيئتها المعتادة.

٦- ويكبر للقيام إلى الركعة الثانية.

٧- ثم يكبر بعدها خمس تكبيرات على نحو ما تقدم فى الركعة الأولى.

٨- ويقرأ الفاتحة والسورة التى تقدم ذكرها.

٩- ثم يتم صلاته ويسلم.

* * *

س: هل يُستحب أن يكبر المصلى إذا وصل إلى المصلى أم أنه يكبر منذ خروجه من بيته؟

ج: السنة: أن يكبر المسلم من لحظة خروجه من بيته وحتى يصل إلى مصلى العيد رافعًا صوته بالتكبير.

فعن الزهرى: «أن النبى ﷺ كان يخرج يوم الفطر فيكبر حتى يأتى المصلى، وحتى يقضى الصلاة، فإذا قضى الصلاة قطع التكبير»[(١)].

* * *

س: ما هى الصيغة الصحيحة الواردة فى التكبير؟

ج: لم يصح عن النبى ﷺ حديث مرفوع فى صيغة التكبير لكن ثبت عن ابن مسعود أنه كان يقول: **«الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد»**[(٢)].

* * *

(١) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف (٢/ ١/ ٢). وقال الألبانى (رحمه الله): إسناده صحيح لولا أنه مرسل، لكن له شاهد موصول يتقوى به، الصحيحة (١٧١).

(٢) صحيح موقوفًا: رواه ابن أبى شيبة (٢/ ٢) والبيهقى (٣/ ٣١٥)، وإسناده صحيح قاله فى الإرواء (٣/ ١٢٦).

س: ما حكم الاستماع للخطبة؟

ج: عن عبد الله بن السائب ﷺ قال: شهدت مع رسول الله ﷺ العيد فلما قضى الصلاة قال: «**إنا نخطب، من أحب أن يجلس للخطبة فليجلس، ومن أحب أن يذهب فليذهب**»[١].

فدل ذلك على أن الاستماع لخطبة العيد سنة وليست فرضًا. والأولَى الحضور والانتفاع بالموعظة، وإظهار شعيرة الاجتماع.

* * *

س: هل تكون خطبة العيد على المنبر أم بغير منبر؟

ج: الراجح أنها لا تكون على المنبر.

عن طارق بن شهاب ﷺ: قال: أخرج مروان المنبر في يوم عيد فبدأ بالخطبة قبل الصلاة فقام رجل فقال: يا مروان خالفت السنة: أخرجت المنبر في يوم عيد ولم يكن يُخرج فيه، وبدأت بالخطبة قبل الصلاة[٢].

* * *

س: ما حكم من أدرك التشهد مع المصلين في صلاة العيدين، وصلاة الاستسقاء، هل يصلي ركعتين ويفعل كما فعل الإمام أم ماذا يعمل؟

ج: من أدرك التشهد فقط مع الإمام من صلاة العيدين، أو صلاة الاستسقاء، صلى بعد سلام الإمام ركعتين يفعل فيهما كما فعل الإمام من تكبير وقراءة وركوع وسجود.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[٣].

* * *

(١) صحيح: رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢٢٨٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤٩).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (٨/ ٣٠٧) - فتوى رقم (٤٥١٧).

س: هل تشرع صلاة العيد فى حق المسافر؟

ج: لا تشرع صلاة العيد فى حق المسافر، كما لا تشرع الجمعة فى حق المسافر أيضًا، لكن إذا كان المسافر فى البلد الذى تقام فيه صلاة العيد فإنه يؤمر بالصلاة مع المسلمين[١].

* * *

س: ما حكم صلاة من اقتصر على تكبيرة الإحرام فى صلاة العيد؟

ج: صلاته صحيحة إذا اقتصر على تكبيرة الإحرام؛ لأن التكبيرات الزائدة على تكبيرة الإحرام وتكبيرات الانتقال سنة[٢].

* * *

س: ما حكم الكلام أثناء خطبة العيد؟

ج: هذه المسألة محل خلاف بين العلماء رحمهم الله.

فمنهم من قال: إنه يحرم الكلام والإمام يخطب يوم العيد.

وقال آخرون: إنه لا بأس به؛ لأن حضورها ليس بواجب، فاستماعها ليس بواجب.

ولا شك أن من الأدب أن لا يتكلم؛ لأنه إذا تكلم أشغل نفسه، وأشغل غيره ممن يخاطبه، أو يسمعه ويشاهده[٣].

* * *

س: ما هى الأيام المعلومات، والأيام المعدودات؛ المذكورة فى القرآن؟

ج: الأيام المعلومات هى أيام العشر: عشر ذى الحجة، والأيام المعدودات هى أيام التشريق.

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله (١٦/ ٢٣٦).

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين رحمه الله (١٦/ ٢٣٨).

(٣) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله (١٦/ ٢٤٧).

صلاة الاستسقاء

س: ما معنى الاستسقاء؟

ج: معنى الاستسقاء لغة: هو طلب سقى الماء من الغير.

وشرعًا: هو طلب السُّقيا من الله تعالى بإنزال المطر عند الجدب على وجه مخصوص.

* * *

س: ما حكم صلاة الاستسقاء؟

ج: حكم صلاة الاستسقاء: أنها سنة مؤكدة.

فينبغى على المسلمين إذا حدث الجدب والقحط وانعدم الماء أو قَلَّ أن يفزعوا إلى الله بالتوبة والاستغفار... وأن يخرجوا مع الإمام ليصلوا صلاة الاستسقاء.

* **وقد ثبت عنه ﷺ فعل ذلك ... فعن عبد الله بن زيد:** «خرج رسول الله ﷺ يستسقى، فتوجَّه إلى القبلة يدعو وحوَّل رداءه، وصلى ركعتين جهر فيهما بالقراءة»[(١)].

* **وعن ابن عباس رضي الله عنهما:** «خرج رسول الله ﷺ للاستسقاء متبذلاً متواضعًا متخشعًا متضرعًا»[(٢)].

* وعليهم أن يعلموا أن الجدب سببه كثرة المعاصى كما أن الطاعة سبب لنزول البركات.

* **سببها:**

وسببها القحط، وهو انحباس المطر؛ لأن النبى ﷺ كان يفعلها لذلك.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٢٤)، ومسلم (٨٩٤).

(٢) حسن: رواه أبو داود، والترمذى، وحسنه الشيخ الألبانى فى المشكاة (١٥٠٥).

* **وقتها وكيفيتها:**

وقت صلاة الاستسقاء وصفتها كصلاة العيد.

لقول ابن عباس: «صلى النبى ﷺ ركعتين كما يصلى فى العيدين»(١). فيستحب فعلها فى المصلى، كصلاة العيد، وتُصلَّى ركعتين، ويجهر بالقراءة فيهما كصلاة العيد.

* **وقد اختلف أهل العلم فى الخطبة:** هل تكون قبل الصلاة أو بعدها. فمنهم من قال أنها بعد الصلاة.. ومنهم من قال أنها قبل الصلاة. ومنهم من قال أنه يجوز أن تكون قبل الصلاة أو بعدها.

* ويجوز الاستسقاء على أى صفة كانت.

فيدعو الإنسان، ويستسقى فى صلاته إذا سجد، ويستسقى الإمام على المنبر فى صلاة الجمعة، فقد استسقى النبى ﷺ، على المنبر يوم الجمعة(٢).

* **الخروج إليها:**

إذا أراد الإمام الخروج لها وعظ الناس، وأمرهم بالتوبة، والخروج من المظالم، وترك التباغض والتشاحن؛ لأنه سبب فى منع الخير من الله سبحانه؛ ولأن المعاصى سبب القحط، والتقوى سبب البركات، قال تعالى: **﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**(٣). ويتنظف لها، ولا يتطيب، ولا يلبس الزينة؛ لأنه يوم استكانة وخشوع، ويخرج متواضعًا، متخشعًا، متذللاً، متضرعًا؛... لقول ابن عباس: «خرج النبى ﷺ للاستسقاء متذللاً، متواضعًا، متخشعًا، متضرعًا»(٤).

---

(١) حسن: رواه النسائى، والترمذى، وحسنه الشيخ الألبانى فى إرواء الغليل (٣/ ١٣٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٩٣٣) ومسلم (٨٩٧).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (٩٦).

(٤) حسن: رواه الترمذى وابن ماجه، وحسنه الشيخ الألبانى فى إرواء الغليل (٣/ ١٣٣).

* **الخطبة فيها:**

يُسَنُّ أن يخطب الإمام فى صلاة الاستسقاء بخطبة واحدة بعد الصلاة، تكون جامعة وشاملة، يأمر فيها بالتوبة، وكثرة الصدقة، والرجوع إلى الله، وترك المعاصى.

وينبغى أن يكثر فى الخطبة من الاستغفار، وقراءة الآيات التى تأمر به.

ويكثر من الدعاء بطلب الغيث من الله تعالى كقوله: **«اللهم أغثنا»**[1]، وقوله: **«اللهم اسقنا غيثًا مغيثًا، مريئًا مريعًا، عاجلاً غير آجل، نافعًا غير ضار»**[2].

ومعنى مريئًا: سهلاً طيبًا، ومريعًا: مخصبًا، وقوله: **«اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغنى ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغًا إلى حين»**[3]. ونحو ذلك، ويرفع يديه؛ لأن النبى ﷺ كان يفعل ذلك، حتى كان يُرى بياض إبطه.

ويرفع الناس أيديهم؛ لأن النبى ﷺ لما رفع يديه يستسقى فى صلاة الجمعة، رفع الناس أيديهم، . . . . ويكثر من الصلاة على النبى ﷺ ؛ لأن ذلك من أسباب الإجابة.

* **السنن التى ينبغى فعلها فيها:**

١- أن يكثر من الدعاء المأثور عن النبى ﷺ فى ذلك ويستقبل القبلة فى آخر الدعاء، ويُحوِّل رداءه، فيجعل اليمين على الشمال والشمال على اليمين، وكذلك ما شابه الرداء كالعباءة ونحوها.

فقد ثبت أن النبى ﷺ حوَّل إلى الناس ظهره، واستقبل القبلة يدعو، ثم حوَّل رداءه[4].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٠١٤)، ومسلم (٩٨٧).

(٢) حسن: رواه أبو داود، وابن ماجه، وأحمد، وحسنه الشيخ الألبانى فى صحيح أبى داود (١٠٦٠).

(٣) حسن: رواه أبو داود (١١٧٣)، وحسن الشيخ الألبانى إسناده، تخريج المشكاة (١٥٠٨).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٠١١)، ومسلم (٨٩٤).

وقيل: الحكمة من تحويل الرداء التفاؤل بتحويل الحال عما هى عليه.

٢- يُسن أن يخرج إلى صلاة الاستسقاء جميع المسلمين، حتى النساء والصبيان.

٣- يُسن الخروج بخضوع، وخشوع، وتذلل، فقد خرج النبى ﷺ للاستسقاء متذللاً، متواضعًا، متخشعًا، متضرعًا[١].

٤- يُسن عند نزول المطر أن يقف فى أوله ليصيبه منه، ويقول: «**اللهم صَيِّبًا نافعًا**». والصيِّب: المنهمر المتدفق. ويقول: «**مُطرنا بفضل الله ورحمته**».

٥- وإذا كثر المطر، وخيف من الضرر، يُسَنُّ أن يقول: «**اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الظراب والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر**»[٢].

والظراب: الجبال الصغار، والآكام: جمع أَكَمة، وهى التلُّ، وهو ما اجتمع من الحجارة فى مكان واحد[٣].

صلاة الكسوف

لابد أن تعلم أن كسوف الشمس وخسوف القمر آيتان من آيات الله فإذا رأيت ذلك فافزع إلى الصلاة وإلى ذكر الله والدعاء والاستغفار والصدقة.

* ففى الحديث أن النبى ﷺ قال فى كسوف الشمس والقمر: «**فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبِّروا وصلُّوا وتصدقوا**»[٤].

* * *

---

(١) حسن: رواه أبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، وحسنه الألبانى فى الصحيحة (١٠٥٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٢١)، ومسلم (٨٩٧) واللفظ له.

(٣) الفقه الميسر (ص١٥٧-١٥٩) بتصرف.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٤٤) ومسلم (٩٠١).

س: ما معنى الكسوف؟

ج: الكسوف: هو ذهاب ضوء أحد النيِّرين (الشمس والقمر) أو بعضه، وتغيُّره إلى سواد. . . ، والخسوف مرادف له، وقيل: الكسوف للشمس، والخسوف للقمر، وهو الأشهر فى اللغة (١).

واستعمل الفقهاء الكسوف للشمس، والخسوف للقمر، وإن كان قد ثبت نسبة الكسوف للشمس وللقمر ونسبة الخسوف إليهما أيضًا.

حكم صلاة الكسوف ودليلها:

من أهل العلم من يقول أنها سُنة مؤكدة. . . ومنهم من يقول أنها واجبة وذلك لأن النبى ﷺ أمر بها وخرج فزعًا إليها وأخبر أنها تخويفٌ للعباد. . . وذلك لما ثبت فى الحديث عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: انكسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ يوم مات ابنه إبراهيم، فقال الناس: انكسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته (٢)، فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلُّوا حتى تنكشف**».

وفى لفظ للبخارى: «**حتى تنجلى**» (٣).

*** وقت صلاة الكسوف:**

وقتها من ابتداء الكسوف إلى ذهابه... لقوله ﷺ: «**إذا رأيتم شيئًا من ذلك فصلُّوا حتى ينجلى**» (٤).

---

(١) «لسان العرب»، «كشاف القناع» (٢/ ٦٠)، «أسنى المطالب» (١/ ٣٨٥).

(٢) قال الحافظ فى الفتح (٢/ ٥٢٨): «وفى هذا إبطال ما كان أهل الجاهلية يعتقدونه من تأثير الكواكب فى الأرض، وقال الخطابى: كانوا فى الجاهلية يعتقدون أن الكسوف يوجب حدوث تغيير فى الأرض، موت أو ضرر فأعلم الله النبى ﷺ أنه اعتقاد باطل».

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٩٩)، ومسلم (٩١٥).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٩١٥).

* **كيفية صلاة الكسوف:**

ورد فى كيفية الصلاة روايات كثيرة ولكن أرجحها وأقواها حديث ابن عباس وعائشة ﵄ فى الصحيحين.

* فعن عائشة ﵂ قالت: «خسفت الشمس فى حياة النبى ﷺ فخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فقام فكبر، وصفَّ الناس وراءه، فاقترأ قراءة طويلة، ثم كبر فركع ركوعًا طويلاً، ثم رفع رأسه قال: «**سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد**»، ثم قام فاقترأ قراءة طويلة هى أدنى من القراءة الأولى، ثم كبر فركع ركوعًا طويلاً وهو أدنى من الركوع الأول، ثم قال: «**سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد**»، ثم سجد، ثم فعل فى الركعة الأخرى مثل ذلك؛ حتى استكمل أربع ركعات[1]، وأربع سجدات، وانجلت الشمس قبل أن ينصرف، ثم قام فخطب الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة**».

وقال أيضًا: «**فصلوا حتى يفرج الله عنكم**»[2].

* وهذه الطريقة هى التى رجحها الإمام ابن القيم فى «زاد المعاد».

* **وعلى هذا تكون صورة الصلاة كالآتى:**

١- كبِّر مع استحضار النية واقرأ الفاتحة ثم اقرأ بعدها سورة طويلة نحواً من سورة البقرة أو أقل قليلاً.

٢- كبِّر واركع ركوعًا طويلاً نحوًا من القيام.

٣- ارفع رأسك وقُل: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ثم اقرأ الفاتحة واقرأ بعدها سورة طويلة لكنها أقل من القراءة الأولى.

---

(١) يعنى: أربع ركوعات فى كل ركعة ركوعان .... فصلاة الكسوف ركعتان فى كل ركعة ركوعان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٤٦)، ومسلم (٩٠١).

٤- كبِّر واركع ركوعًا ثانيًا طويلاً لكنه أقل من الركوع الأولى.

٥- ارفع رأسك وقل: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد.

٦- اسجد سجدتين طويلتين.

٧- انهض إلى الركعة الثانيـة فافعل فيها كمـا فعلت فى الركعة الأولى تمامًا.

٨- اجلس واقرأ التشهد ثم سلِّم.

ويُسَنّ أن يعظ الإمـام الناس بعد صلاة الـكسوف ويحذرهم من الـغفلة والاغتـرار بالدنيا ويـأمرهم بالإكـثار من الدعـاء والاستغـفار؛ لفـعل النبى ﷺ ، فقد خطب الناس بعد الصلاة، وقال:

«**إن الشمس والقمـر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحـد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبِّروا، وصلوا وتصدقوا**»[1].

فإذا انتـهت الصلاة قبل الانجـلاء فلا تُعـاد؛ بل نذكر الله، ونُـكثر من دعائه؛ لقوله ﷺ : «**فصلوا، وادعوا حتى يكشف ما بكم**». فدل على أنه إن سلم من الصـلاة قـبل الانجلاء تشـاغل بالدعـاء، وإذا تم الانجلاء وهو فى الصلاة أتمها خفيفة، ولا يقطعها[2].

* * *

س: ما الحكمة من صلاة الكسوف؟

ج: الحكمة من صلاة الكسوف متعددة الجوانب:

أولاً: امتثال أمر النبى ﷺ ، فلقد أمرنا أن نفزع إلى الصلاة[3].

ثانيًا: اتباع الرسول ﷺ ، فإن النبى ﷺ قد صلاها[4].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١).

(٢) الفقه الميسر (ص١٦١).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٥٨) ومسلم (٩٠١).

(٤) انظر التخريج السابق.

ثالثًا: التضرع إلى الله عز وجل؛ لأن هذا الكسوف، أو الخسوف يخوف الله به العباد من عقوبة انعقدت أسبابها، فيتضرع الناس لربهم عز وجل؛ لئلا تقع بهم هذه العقوبة التى أنذر الله الناس بها بواسطة الكسوف أو الخسوف[١].

صلاة المرضى وأهل الأعذار

أهل الأعذار، هم: المرضى، والمسافرون، والخائفون، الذين لا يتمكنون من أداء الصلاة، على الصفة التى يؤديها غير المعذور.

فقد خفَّف الشارع عنهم، فيصلون حسب استطاعتهم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[٤] فكلما وُجدت المشقة وُجد التيسير.

*** كيفية صلاة المريض:**

والمريض، هو: الذى اعتلت صحة بدنه، سواء كان ذلك كليًّا أو جزئيًّا.

ويلزم المريض أن يصلى المكتوبة قائمًا على أى صفة كان، ولو على هيئة الراكع، لمن بظهره مرض لا يستطيع أن يمد ظهره، أو مستندًا إلى جدار أو عمود أو على عصا؛ لقوله ﷺ: **«إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»**[٥]. فإن لم يستطع فقاعدًا، فإن لم يستطع فعلى جنبه؛ . . .

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله (١٦/ ٣٢٠).

(٢) سورة الحج: الآية: (٧٨).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٨٦).

(٤) سورة التغابن: الآية: (١٦).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

لقوله ﷺ : لعمران بن حصين: «**صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب**»(١).

فإن عجز عن ذلك كله صلى على حسب حاله، لقوله تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ (٢)، ولا تسقط الصلاة عن المريض ما دام عقله ثابتًا، حتى لو صلى بالإيماء؛ لقدرته على ذلك مع النية.

ويومئ المريض المصلى جالسًا فى الركوع والسجود برأسه إيماءً، ويجعل السجود أخفض من الركوع، فإذا عجز عن الإيماء برأسه أومأ بعينه(٣).

* **وأخيرًا**: فليعلم كل مريض أنه قد يكون أجله قد اقترب فينبغى أن يزداد طاعة لله (جل وعلا) وحرصًا على القيام بالواجبات وأن يستعد للقاء الله. . . فلا ينبغى أن يشغله مرضه عن الصلاة وغيرها من الطاعات التى تحجبه عن عذاب النار وتقربه من دخول الجنات والفوز برضوان رب الأرض والسماوات. . . فأسأل الله (جل وعلا) أن يشفى مرضى المسلمين وأن يرحم موتى المسلمين.

صلاة المسافر

س: ما معنى قصر الصلاة؟

ج: تعريفه: القصر لغةً: الحبس، وعدم بلوغ الشىء مداه ونهايته.

والقصر شرعًا: أن تصير الصلاة الرباعية ركعتين فى السفر، سواء فى حالة الخوف أو الأمن.

* * *

(١) صحيح: رواه البخارى (١١١٧).

(٢) سورة التغابن: الآية: (١٦).

(٣) الفقه الميسر (ص١٣٤-١٣٥).

س: ما مدى مشروعية قصر الصلاة فى السفر؟

ج: اتفق العلماء على مشروعية القصر للصلاة فى السفر وعلى أن صلاتى المغرب والفجر لا تُقصران... لكنهم اختلفوا فى حكم قصر الصلاة: هل هو واجب أم أنه رخصة... كما أنهم اختلفوا فى شروط القصر وغير ذلك. وسيأتى ذلك كله فى موضعه.

* * *

س: ما حكم قصر الصلاة فى السفر؟

ج: يُشرع للمسافر قصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين. لقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾[1] وتواترت الأخبار أن رسول الله ﷺ كان يقصر فى أسفاره.

ولكن اختلف العلماء فى حكم القصر فى السفر فمنهم من يرى الوجوب، وأن من أتم الصلاة أثم بذلك وهو مذهب الحنفية والظاهرية، وذهب آخرون إلى أن القصر رخصة وهو مذهب الشافعية والمالكية والحنابلة، ثم اختلفوا هل الإتمام أفضل أم القصر؟ والذى اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية أن الإتمام مكروه[2]. قال الشيخ ابن عثيمين : «وهو قول قوى بل لعله أقوى الأقوال».

وقال أيضًا: «والذى يترجح لى ترجيحًا كبيرًا هو أن الإتمام مكروه، وليس بحرام، وأن من أتم لا يكون عاصيًا»[3].

أدلة من أوجب القصر:

أولاً: ملازمة النبى ﷺ القصر فى السفر، ولم يثبت عنه ﷺ أنه أتم الرباعية، مع قوله ﷺ : **«صلوا كما رأيتمونى أصلى»**[4].

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٠١).

(٢) انظر الاختيارات الفقهية.

(٣) انظر الشرح الممتع (٤/ ٥٠٥، ٥٠٩).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٦٣١) كتاب الأذان.

ثانيًا: حديث عائشة رضي الله عنها: «فُرضت الصلاة ركعتين فأُقرت صلاة السفر، وأُتمت صلاة الحضر»(١).

قالوا: فهذا دليل على أن الفرض فى السفر ركعتان.

ثالثًا: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إن الله فرض الصلاة على لسان نبيكم على المسافر ركعتين، وعلى المقيم أربعًا، والخوف ركعة»(٢).

وأما أدلة القائلين بأن القصر رخصة:

أولاً: قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾(٣).

قالوا: ونفى الجناح لا يدل على العزيمة، وإنما يدل على الرخصة.

ثانيًا: أنه قد ثبت الإتمام من الصحابة كعثمان، وابن مسعود وعائشة، ومنهم من روى أحاديث القصر السابقة كعائشة، ولو كانت تقصد الفرضية بمعنى الحتم والإلزام لما أتمت رضي الله عنها ولكنها قالت لعروة لما سألها عن إتمامها: يا ابن أختى إنه لا يشق عليَّ... فعلم من ذلك أنها فهمت الرخصة.

ثالثًا: قالوا: ولأنه لو ائتم المسافر بالمقيم أتم الصلاة، وصحت صلاته، والصلاة لا تزيد بالائتمام بدليل أنه لو صلى الصبح خلف من يصلى الظهر، فإنه لا يتابع الإمام بعد الركعتين.

فهذه أدلة الفريقين، ولكل منهما مؤاخذات على الآخر. وما أعجب قول الإمام أحمد: «أنا أحب العافية من هذه المسألة»(٤)، وإن كان المشهور عنه رحمه الله: أن المسافر إن شاء صلى ركعتين، وإن شاء أتم.

قلت: وبعد استعراض أدلة الفريقين فإن الأرجح عندى القول بالوجوب، فلا ينبغى للمسافر الائتمام إلا إذا كان عنده تأويل فى إتمامه، أو

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٠) كتاب الصلاة، ومسلم (٦٨٥) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٦٨٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) سورة النساء: الآية: (١٠١).

(٤) نقلاً من مجموع الفتاوى (٢٤/ ٤٠).

كان يصلى خلف مقيم أو كان يعتقد أنهـا رخصة فقط فلا ينكر عليه، فإنها من موارد النزاع التى يسعنا فيها الخلاف.

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذه مسائل اجتهاد فمن فعل منها بقول بعض العلماء لم يُنكر عليه، ولم يهجر»[(١)(٢)].

* * *

س: هل قصر الصلاة تشترط فيه النية؟

ج: القصر لا تشـترط فيه النية: وهذا هو الصـحيح الذى تدل عليه سنة النبى ﷺ ، فإنه كان يقصر بأصحـابه، ولا يُعلمهم قبل دخول الصلاة أنه يقصر، ولا يأمـرهم بنية القصر، وهذا هو مذهب أبى حنيفـة ومالك وأحد القولين فى مذهب أحمد[(٣)].

* * *

س: سُئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: ما هى رخص السفر؟

ج: فأجاب رحمه الله رخص السفر أربع:

١- صلاة الرباعية ركعتين.

٢- الفطر فى رمضان، ويقضيه عدة من أيام أُخر.

٣- المسح على الخفين ثلاثة أيام بلياليها ابتداء من أول مرة مسح.

٤- سقوط المطـالبة براتبة الظهر، والمغـرب، والعشاء، أما راتبـة الفجر وبقية النوافل فإنها باقية على مشروعيتها واستحبابها.

فيصلى المسافر صلاة الليل، وسنة الفجر، وركعتى الضحى وسنة الوضوء، وركعـتى دخول المسجـد، وركعتى القـدوم من السفر، فـإن من السنة إذا قدم

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/ ١٥).

(٢) تمام المنة للعزازى (١/ ٣٩٦، ٣٩٧).

(٣) مجـموع الفـتاوى (٢٤/ ١٦- ٢١)، والهداية (١/ ٨١)، والـشرح الصغـير (١/ ١٧٤- مع بغـية السالك)، والمغنى (٢/ ١٠٥).

الإنسان من سفر أن يبدأ قبل دخول بيته بدخول المسجد فيصلى فيه ركعتين.

وهكذا بقية التطوع بالصلاة فإنه لايزال مشروعًا بالنسبة للمسافر ما عدا ما قلت سابقًا وهى: راتبة الظهر، وراتبة المغرب، وراتبة العشاء؛ لأن النبى ﷺ كان لا يصلى هذه الرواتب الثلاث.

* * *

س: ما هى المسافة التى يقصر فيها؟

ج: من الناس من يظن أن المسافر لا يجوز له أن يقصر الصلاة إلا إذا بلغت المسافة (٨٥) كيلومتر.. وهذا خطأ.

- والصواب: أن كل ما يُسمَّى سفرًا فإن المسلم يقصر فيه الصلاة.

* * *

س: ما هى المدة التى يقصر فيها المسافر؟

ج: لقد اختلف العلماء فى المدة التى إذا أقامها المسافر يكون مقيمًا ويجب عليه الإتمام. فبعضهم يرى ألا تزيد عن أربعة أيام، وبعضهم يمدها إلى خمسة عشر يومًا. وهناك أقوال أخرى.

فمن ذلك قول من يقول: إن الشرع أطلق، ولم يقيد ذلك بزمن كما لم يقيده بمسافة. وقد ثبت أن النبى ﷺ أقام فى تبوك عشرين يومًا يقصر الصلاة، وفى مكة تسعة عشر يومًا يقصر الصلاة. وكانت هذه الإقامة موافقة أحوال، فلم يقل ﷺ: من أقام أكثر من ذلك أتم.

ولذلك كان هذا القول من الأقوال الراجحة: أن المسافر مسافر سواء نوى إقامة أكثر من أربعة أو عشرين أو دون ذلك، أو أكثر.

قال الإمام ابن تيمية: «وأما من تبينت له السنة، وعلم أن النبى ﷺ لم يشرع للمسافر أن يصلى إلا ركعتين، ولم يحد السفر بزمان ولا مكان، ولا حد الإقامة أيضًا بزمن محدد لا ثلاثة ولا أربعة ولا اثنى عشر، ولا

خمسة عشر، فإنه يقصر كما كان غير واحد من السلف يفعل حتى كان مسروق قد ولّوه ولاية لم يكن يختارها فأقام سنين يقصر الصلاة، وقد أقام المسلمون بـ «نهاوند» ستة أشهر يقصرون الصلاة... مع علمهم أن حاجتهم لا تنقضى فى أربعة أيام ولا أكثر ... فما دام المسافر مسافرًا يقصر الصلاة، ولو أقام فى مكان شهورًا»[1][2].

* * *

س: هل يشترط فى السفر الذى يقصر فيه أن يكون سفر طاعة؟

ج: ذهب جمهور العلماء: مالك والشافعى وأحمد[3]، إلى أنه لا يشرع القصر إلا فى السفر الواجب أو المباح ولا يجوز فى سفر المعصية كقطع الطريق ونحوه، وهذا مبناه على قولهم بأن القصر رخصة، والمقصود منها التخفيف على المكلف، وهو إنما شُرِع ليُستعان به على تحصيل المصالح، فلا يكون إلا لمن يبذله فى الطاعة، لا أن يتوصل به إلى ما يغضب الله.

بينما ذهب القائلون بوجوب القصر: «أبو حنيفة وابن حزم وابن تيمية، وغيرهم» إلى أنه يقصر فى كل سفر ولو فى معصية، لأن فرضه ركعتان لا أربع، وإن كان عاصيًا بسفره، وهذا قول عند المالكية[4].

قلت: فمن ترجح عنده أن القصر رخصة منع القصر فى سفر المعصية، ومن أوجب القصر لم يفرق بين سفر الطاعة والمعصية، وهو الأرجح، والله أعلم[5].

* * *

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/ ١٨).

(٢) تمام المنة للعزازى (١/ ٣٩٩).

(٣) بداية المجتهد (١/ ٢٤٤) والمجموع (٤/ ٢٠١)، والمغنى (٢/ ١٠١) وكشاف القناع (١/ ٣٢٤).

(٤) فتح القدير (١/ ٤٧) والخرشى (١/ ٥٧) والمحلى (٤/ ٢٦٧)، ومجموع الفتاوى (٢٤/ ١١٠).

(٥) صحيح فقه السنة (١/ ٤٨١، ٤٨٢).

س: ما هو الموضع الذى يبدأ منه المسافر قصر الصلاة؟

ج: قال الإمام النووى: «وأما ابتداء القصر فيجوز من حين يفارق بنيان بلده أو خيام قومه إن كان من أهل الخيام. هذا جملة القول فيه»[(١)].

* ولقد أجمع أهل العلم على أن المسافر يجوز له أن يبدأ قصر الصلاة بعد مفارقة عمران بلدته[(٢)].

ثم اختلفوا فى جواز القصر قبل ذلك على قولين أصحهما أنه لا يجوز أن يقصر قبل مغادرة العمران، وهو مذهب الجمهور[(٣)]، ويدل عليه:

حديث أنس بن مالك قال: «صليت الظهر مع النبى ﷺ بالمدينة أربعًا، وبذى الحليفة ركعتين»[(٤)].

وهو ظاهر فى أن النبى ﷺ كان يبتدئ القصر بعد خروجه من المدينة[(٥)].

* * *

س: هل السكنى بالمدينة الجامعية تعتبر سفرًا؟

ج: السكنى بالمدينة الجامعية تعتبر إقامة وليس سفرًا لأن هذا المكان أصبح بالنسبة للطالب دار إقامة له.

* * *

س: هل تجوز صلاة من يقصر خلف المتم؟

ج: هذا جائز ولكن يلزم المأموم فى هذه الحالة أن يُتم صلاته أربعًا ولا يقصر فى تلك الصلاة حتى ولو كان اقتداؤه بالإمام لحظة واحدة.

---

(١) مسلم بشرح النووى (٥/ ٢٧٩).

(٢) الإجماع لابن المنذر (٣٩) والمغنى (٢/ ٢٦٠).

(٣) ابن عابدين (٢/ ١٢١) والذخيرة (٢/ ٣٦٥) والمجموع (٤/ ٢٠٢) وكشاف القناع (١/ ٣٢٥).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٨٩) كتاب الجمعة، ومسلم (٦٩٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٥) صحيح فقه السنة (١/ ٤٨٢).

* عن ابن عمـر «أنه كان إذا صلى مع الإمام صلى أربعًـا، وإذا صلاها وحده صلى ركعتين»(١).

- وعن أبى مجلز قال: قلت لابن عمر: المسافـر يدرك ركعتين من صلاة القوم -يعنى: المقيمين- أتجزيه الركـعتان أو يصلى بصلاتهم؟ قال: فضحك وقال: «يصلى بصلاتهم»(٢).

- وعن موسى بن سلمة قال: «كنا مع ابن عباس بمكة، فقلت: إنا إذا كنا معكم صلينا أربعًـا، وإذا رجعنا إلى رحلنا صلينا ركعتـين، قال: تلك سُنة أبى القاسم ﷺ»(٣).

* * *

س: سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

إذا أدرك المسافر مع الإمام المقيم الركعتين الأخيرتين فهل يسلم معه بنية القصر؟

ج: لا يجوز للمسافر إذا ائتم بالمقيم أن يقـصر الصلاة لعموم قول النبى ﷺ : «**ما أدركتم فصلوا وما فـاتكم فأتموا**»(٤)، وعلى هذا إذا أدرك المسافر مع الإمام المقيم الركعتين الأخيـرتين وجب عليه أن يأتى بركعتين بعد سلام إمامه، ولا يجوز أن يسلم مع الإمام مقتصراً على الركعتين. والله أعلم.

* * *

س: هل تجوز صلاة المتم خلف من يقصر؟

ج: يجوز أن يصلى المُتم خلف من يقـصر لكن يجب على المتم إذا سلم من يقصر فى صلاته بعد ركعتين أن يقـوم المتم ويأتى ببقية صلاته بعد سلام

(١) صحيح: رواه مسلم (٦٩٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) صحيح: رواه البيهقى (٣/ ١٥٧)، وانظر الإرواء (٣/ ٢٢).

(٣) صحيح: رواه أحمد (١/ ٢١٦)، وابن خزيمة (٩٥٢)، والبيهقى (٣/ ١٥٣)، وانظر الإرواء (٣/ ٢١).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٥) كتاب الأذان، ومسلم (٦٠٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، من حديث الحارث بن ربعى.

إمامه. وقد روى عن عمران بن حصين ﷺ قال: غزوتُ مع رسول الله ﷺ وشهدت معه الفتح، فأقام بمكة ثمانى عشرة ليلة لا يصلى إلا ركعتين، ويقول: «**يا أهل البلد: صلوا أربعًا، فإنا قوم سَفْر**»(١) وهو ضعيف، إلا أن العمل عليه، لأن الصلاة تجب على المتم أربعًا.

* * *

س: هل المسافر إذا نزل على داره فى بلد أخرى يقصر الصلاة أم لا؟

ج: الراجح أنه لا يقصر الصلاة ما دام قد نزل على داره.

قال ابن حزم: «فإن ورد ضيعة له، أو ماشية أو دارًا فنزل هنالك: أتم»(٢).

وهذا ما ثبت عن عثمان ﷺ **قال:** «إنه بلغنى أن رجالاً يخرجون إما لجبانة، وإما لتجارة وإما لجشر، ثم لا يتمون الصلاة، فلا تفعلوا، فإنما يقصر الصلاة من كان شاخصًا أو بحضرة عدو»(٣).

قال أبو عبيد: «والجشر»: القوم يخرجون بدوابهم إلى المراعى ويبيتون مكانهم ولا يأوون إلى البيوت.

وعن ابن سيرين قال: «كانوا يقولون: السفر الذى تقصر فيه الصلاة الذى يحمل فيه الزاد والمزاد».

* * *

س: هل يجوز للمسافر أن يصلى النوافل فى السفر؟

ج: اختلف العلماء فى هذه المسألة على خمسة أقوال.... لكن الراجح منها والله أعلم:

جواز مطلق التطوع والمنع من الرواتب: وهو اختيار شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم، وهو مذهب ابن عمر، فحملوا نفيه لصلاة النبى ﷺ النافلة

(١) ضعيف: رواه أبو داود (١٢٢٩) كتاب الصلاة.

(٢) المحلى (٥/ ٣٥).

(٣) المحلى (٥/ ٢٢).

فى السفـر على الرواتب دون غيرها، عـدا ركعتى الفـجر، لما ثبت عن ابن عمر «أن رسول الله ﷺ كان يُسبِّح على ظهـر راحلته حيث كان وجهه، ويومئ برأسه، وكان ابن عمر يفعله»(١). - يُسبِّح: أى يصلى.

صلاة الخوف

س: ماهو تعريف الخوف وصلاة الخوف؟

ج: الخوف: توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو متحققة، والمراد هنا: قتال العدو ونحوه مما يخافه. وصلاة الخوف ليست صـلاة مستقلة، كصلاة العيد والكسوف ونحو ذلـك، وإنما المراد: الصلوات المفروضة بشروطهـا وأركانها وسننها وعدد ركعاتها كما فى الأمن إلا أنها تؤدَّى بكيفية مختلفة إذا صُليت جمـاعة، وأنها تحتـمل أموراً لم تكن تحتمـلها فى الأمن، وعلى هذا يمكن تعريف صلاة الخوف بأنـها: «الصلاة المكتوبة، يحضر وقتـها والمسلمون فى مقاتلة العدو أو فى حراستهم».

* * *

س: ما الدليل على مشروعيتها؟

ج: اتفق أهل العلم على مشروعية صلاة الخوف . . . وذلك ثابت:

١- بقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا** ﴾(٢).

٢- ولصلاته ﷺ بأصحابه صلاة الخوف كما سيأتى فى الأحاديث.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (١١٠٥) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٠٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) سورة النساء: الآية: (١٠٢).

س: هل صلاة الخوف لا تشرع بعد وفاة الرسول؟

ج: قال النووى: ومذهب العلماء كافة أن صلاة الخوف مشروعة اليوم كما كانت، إلا أبا يوسف والمزنى فقالا: لا تُشرع بعد النبى ﷺ انتهى.

وقال بقولهما الحسن بن زياد واللؤلؤى من أصحابه وإبراهيم بن عُلية كما فى الفتح. واستدلوا بمفهوم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ﴾، وأجاب الجمهور عن ذلك بأن شرط كونه ﷺ فيهم إنما ورد لبيان الحكم لا لوجوده. والتقدير: بيِّن لهم بفعلك؛ لكونه أوضح من القول، كما قال ابن العربى وغيره.

وقال الطحاوى: كان أبو يوسف قد قال مرة: لا تصلى صلاة الخوف بعد رسول الله ﷺ وزعم أن الناس إنما صلوها معه ﷺ لفضل الصلاة معه.

قال: وهذا القول عندنا ليس بشىء. ا هـ.

واحتج عليهم الجمهور بإجماع الصحابة على فعل هذه الصلاة بعد موت النبى ﷺ وبقول النبى ﷺ: **«صلوا كما رأيتمونى أصلى»** وعموم منطوق هذا الحديث مقدم على ذلك المفهوم»[1].

* وقد ذهب الجمهور خلافًا لأبى يوسف صاحب أبى حنيفة[2] إلى مشروعيتها إلى يوم القيامة وأن خطاب النبى ﷺ خطاب لأمته مالم يقم دليل على اختصاصه، وتخصيصه بالخطاب لا يقتضى تخصيصه بالحكم، ثم:

١- لعموم قول النبى ﷺ كما فى الحديث الذى رواه البخارى: **«صلوا كما رأيتمونى أصلى»**.

٢- ولإجماع الصحابة رضي الله عنهم على صلاة الخوف بعد وفاته ﷺ[3]،

(١) نيل الأوطار (٣/ ٣٧٧).

(٢) البدائع (١/ ٢٤٢)، والمدونة (١/ ١٦١)، والأم (١/ ١٨٦).

(٣) نقل الإجماع الحافظ فى الفتح (٢/ ٤٩٨)، وابن قدامة فى المغنى (٢/ ٤٠٠).

وممن روى عنه أنه فعلها[١]:

(أ) على بن أبى طالب، فقد صلاها ليلة وقعة صفين أو الهرير.

(ب) أبو موسى الأشعرى، صلاها بأصحابه بأصبهان.

(ج) حذيفة بن اليمان، صلاها بالصحابة - ومعهم سعد بن أبى وقاص - بطبرستان.

ورأى المزنى من الشافعية أن صلاة الخوف كانت مشروعة ثم نُسخت!! واحتج بأن النبى ﷺ فاتته صلوات يوم الخندق، ولو كانت صلاة الخوف جائزة لفعلها، ويجاب عنه: بأن ذلك كان قبل نزول صلاة الخوف كما فى حديث أبى سعيد: «حُبسنا يوم الخندق...... وذلك قبل أن يُنزل الله عز وجل فى صلاة الخوف...»[٢].

* * *

س: ما هى كيفيات صلاة الخوف؟

ج- هناك صفات مختلفة لصلاة الخوف يرجع أصولها إلى ست صفات أوضحها الإمام ابن القيم رحمه الله فى كتابه «زاد المعاد» على النحو الآتى:

• الحالة الأولى:

وكان من هديه ﷺ فى صلاة الخوف، إذا كان العدو بينه وبين القبلة، أن يَصُفَّ المسلمين كلهم خلفه، ويكبر ويكبرون جميعًا، ثم يركع فيركعون جميعًا.

ثم يرفع ويرفعون جميعًا معه، ثم ينحدر بالسجود والصف الذى يليه خاصة، ويقوم الصف المؤخر مواجه العدو. فإذا فرغ من الركعة الأولى، ونهض إلى الثانية سجد الصف المؤخر بعد قيامه سجدتين، ثم قاموا،

---

(١) انظر بعض الآثار عنهم وتخريجها فى إرواء الغليل (٣/ ٤٢- ٤٥).

(٢) نقلاً من صحيح فقه السنة / أبو مالك (١/ ٤٩٧- ٤٩٨).

فتقدموا إلى مكان الصف الأول، وتأخر الصف الأول مكانهم؛ لتحصل فضيلة الصف الأول للطائفتين وليدرك الصف الثانى مع النبى ﷺ السجدتين فى الركعة الثانية، كما أدرك الأول معه السجدتين فى الأولى، فتستوى الطائفتان فيما أدركوا معه، وفيما قضوا لأنفسهم، وذلك غاية العدل. فإذا ركع صنع الطائفتان كما صنعوا أول مرة فإذا جلس للتشهد، سجد الصف المؤخر سجدتين، ولحقوه فى التشهد، فيسلم بهم جميعًا (١).

• **الحالة الثانية:**

وإن كان العدو فى غير جهة القبلة، فإنه كان تارة يجعلهم فرقتين: فرقة بإزاء العدو، وفرقه تصلى معه، فتصلى معه إحدى الفرقتين ركعة، ثم تنصرف فى صلاتها إلى مكان الفرقة الأخرى. وتجيء الأخرى إلى مكان هذه فتصلى معه الركعة الثانية، ثم يسلم، وتقضى كل طائفة ركعة ركعة بعد سلام الإمام(٢).

• **الحالة الثالثة:**

وتارة كان يصلى بإحدى الطائفتين ركعة، ثم يقوم إلى الثانية، وتقضى هى ركعة وهو واقف، وتسلم قبل ركوعه، وتأتى الطائفة الأخرى، فتصلى معه الركعة الثانية، فإذا جلس فى التشهد، قامت، فقضت ركعة وهو ينتظرها فى التشهد، فإذا تشهد، يسلم بهم(٣).

• **الحالة الرابعة:**

وتارة كان يصلى بإحدى الطائفتين ركعتين، فتسلم قبله، وتأتى الطائفة الأخرى، فيصلى بهم الركعتين الأخيرتين، ويسلم بهم، فتكون له أربعًا،

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨٤٠) كتاب صلاة المسافرين، وأبو داود (١٢٣٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٩٤٣) كتاب الجمعة، ومسلم (٨٣٩) كتاب صلاة المسافرين.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤١٣٠) كتاب المغازى، ومسلم (٨٤٢) كتاب صلاة المسافرين.

ولهم ركعتين ركعتين (١).

• الحالة الخامسة:

وتارة كان يصلى بإحدى الطائفتين ركعتين، ويسلم بهم، وتأتى الأخرى، فيصلى بهم ركعتين، ويسلم فيكون قد صلى بهم بكل طائفة صلاة (٢).

• الحالة السادسة:

وتارة كان يصلى بإحدى الطائفتين ركعة، فتذهب ولا تقضى شيئًا، وتجيء الأخرى، فيصلى بهم ركعة، ولا تقضى شيئًا، فيكون له ركعتان، ولهم ركعة ركعة (٣).

قال الإمام ابن القيم: وهذه الأوجه كلها تجوز الصلاة بها.

قال الإمام أحمد: كل حديث يُروىَ فى أبواب صلاة الخوف، فالعمل به جائز.

وقال: ستة أوجه أو سبعة، تُروى فيها كلها جائزة.

وقال الأثرم: قلت لأبى عبد الله تقول بالأحاديث كلها، كل حديث فى موضعه، أو تختار واحدًا منها؟ قال: أنا أقول: من ذهب إليها كلها فحسن. وظاهر هذا أنه جوَّز أن تصلى كل طائفة معه ركعة ركعة، ولا تقضى شيئًا، وهذا مذهب ابن عباس، وجابر بن عبد الله، وطاوس، ومجاهد، والحسن، وقتادة، والحكم، وإسحاق بن راهويه.

قال صاحب المغنى: وعموم كلام أحمد يقتضى جواز ذلك، وأصحابنا ينكرونه.

وقد روى عنه ﷺ فى صلاة الخوف صفات أُخَر، ترجع كلها إلى

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨٤٣) كتاب صلاة المسافرين.

(٢) رواه النسائى (٢/ ١٧٨)، ورجاله ثقات إلا أن فيه عنعنة الحسن.

(٣) رواه النسائى (٢/ ١٦٩)، وإسناده صحيح.

هذه وهذه أصولها، وربما اختلف بعض ألفاظها، وقد ذكر بعضهم عشر صفات، وذكرها أبو محمد بن حزم نحو خمس عشرة صفة، والصحيح: ما ذكرناه أولاً، وهؤلاء كلما رأوا اختلاف الرواة في قصة، جعلوا ذلك وجوهًا من فعل النبي ﷺ، وإنما هو من اختلاف الرواة. والله أعلم[١].

* * *

س: هل يُشترط لجواز صلاة الخوف أن يكون القتال مباحًا؟

ج: قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

وذكر في «الروض»: أنه يشترط لجواز صلاة الخوف أن يكون القتال مباحًا، والقتال المباح: هو قتال الكفار أو قتال المدافعة[٢].

أما قتال الهجوم على من لا يحل قتاله فإن ذلك لا يجيز صلاة الخوف، بل نقول لمن قاتل على هذا الوجه: يجب عليك أن تكف عن القتال.

والقتال المباح أنواع: قتال الكفار، وقتال المدافعة، وقتال من تركوا صلاة العيد، أو الأذان أو الإقامة، وغير ذلك من شعائر الإسلام الظاهرة، وقتال الطائفة المعتدية فيما إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين فإن الله يقول: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ**﴾[٣][٤].

* * *

س: هل يجوز تأخير الصلاة عن وقتها إذا اشتد الخوف؟

ج: في هذا خلاف بين العلماء: فمنهم من يقول: لا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها، ولو اشتد الخوف، بل يصلون هاربين وطالبين إلى

---

(١) زاد المعاد (١/ ٥٣٢- ٥٣٣).

(٢) الروض المربع (٢/ ٤١٢).

(٣) سورة الحجرات: الآية: (٩).

(٤) الشرح الممتع (٤/ ٤١٣).

القبلة، وإلى غيرها يومئون بالركوع والسجود، لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا﴾[١].

ومنهم من قال: يجوز تأخير الصلاة عن وقتها إذا اشتد الخوف، بحيث لا يمكن أن يتدبر الإنسان ما يقول أو يفعل، أى: إذا كان يمكن أن يتدبر ما يقول أو يفعل فى الصلاة فليصلِّ على أى حال، لكن إذا كانت السهام والرصاص تأتيه من كل جانب ولا يمكن أن يستقر قلبه ولا يدرى ما يقول، ففى هذه الحال يجوز تأخير الصلاة، وهذا مبنى على تأخير النبى ﷺ الصلاة فى غزوة الأحزاب[٢]، هل هو منسوخ أو مُحكَم؟

والصحيح: أنه مُحكَم إذا دعت الضرورة القصوى إلى ذلك، بمعنى أن الناس لا يقر لهم قرار، وهذا فى الحقيقة لا ندركه ونحن فى هذا المكان، وإنما يدركه من كان فى ميدان المعركة، فلا بأس أن تؤخر الصلاة إلى وقت الصلاة الأخرى، إما إذا كانت صلاة جمع فالمسألة لا إشكال فيها، كتأخير الظهر إلى العصر والمغرب إلى العشاء، وأما إذا كانت لا تجمع إلى الأخرى كالعشاء إلى الفجر والفجر إلى الظهر والعصر إلى المغرب، فهذا محل خلاف[٣].

* * *

س: هل تصح صلاة الخوف فى الحضر؟

ج: من حضره خوف من عدو ظالم كافر، أو باغٍ من المسلمين، أو من سيل، أو نار، أو سبع، أو غير ذلك، ولو فى الحضر، فله أن يصلى صلاة الخوف، وهو قول أكثر أهل العلم: أبى حنيفة ومالك - فى المشهور عنه - والشافعى وأحمد والأوزاعى وابن حزم[٤]، قالوا: لعموم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٣٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٣١) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٦٢٧) كتاب المساجد.

(٣) الشرح الممتع (٤/ ٤١٢- ٤١٣).

(٤) الأم (١/ ١٨٦)، والمدونة (١/ ١٦١)، والمغنى (٢/ ٣٠٢)، وطرح التشريب (٣/ ١٤١)، ونيل الأوطار (٣/ ٣٧٧- ٣٧٨)، والمحلى (٥/ ٣٣- ٣٤).

كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ...... ﴾[(١)] فلم يخص ذلك بالسفر[(٢)].

فإن قيل: الأحاديث المتقدمة كلها كانت فى السفر؟ فيجاب: بأن السفر وصف طردى ليس بشرط ولا سبب، وإلا لزم ألا يصلى إلا عند الخوف من العدو الكافر!!

* فائدة:

إذا صلى الخوف فى الحضر، فإنه يصليها كاملة فى عدد ركعاتها - سواء فى حق الإمام أو المأموم بإحدى الكيفيات الواردة.

لكن، هل يقال: يجزئ أن يصلى ركعة واحدة فى الحضر على ظاهر حديث ابن عباس:

«فرض الله عز وجل الصلاة على لسان نبيكم ﷺ: فى الحضر أربعًا وفى السفر ركعتين وفى الخوف ركعة»[(٣)]؟ وهل يؤيده جواز فعلها إيماءً فى الخوف الشديد؟

هذا موضع نظر، وابن حزم على ظاهريَّته لم يُجز الاقتصار على الركعة إلا فى السفر، فلتُحرر!![(٤)].

صلاة الجنازة

س: ما حكم صلاة الجنازة؟

ج: الصلاة على الجنازة فرض كفاية إذا فعله بعض المسلمين سقط عن الباقين.

فعن أبى هريرة: أن النبى ﷺ كان يُؤتَى بالرجل المتوفى، عليه الدَّين

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٠٢).

(٢) إلا عند من يقول: إن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ﴾ المراد به: صلاة الخوف، لا قصر الصلاة، فيشكل عنده أنه مقيد بالضرب فى الأرض، أى: السفر؟!

(٣) صحيح: رواه مسلم (٦٨٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) صحيح فقه السنة (١/ ٥٠٣).

فيسأل هل ترك لدَينه فضلاً؟ فإن حدث أنه ترك وفاء صلى، وإلا قال للمسلمين: «**صلُّوا على صاحبكم**»(١).

* * *

س: ما هو فضل الصلاة على الجنازة؟

ج: هناك فضل لمن صلى على الميت صلاة الجنازة يتمثل فى قوله ﷺ: «**من شهد الصلاة حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تُدفن فله قيراطان**. قيل: وما القيراطان؟ قال: **مثل الجبلين العظيمين**»(٢).

وهناك فضل للميت الذى يُصلَّى عليه صلاة الجنازة.

عن عبد الله بن عباس: «أنه مات ابن له بقديد أو بعسفان فقال: يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس. قال: فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته. فقال: تقول هم أربعون؟ قال: نعم. قال: أخرجوه فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه**»(٣).

* **وعن عائشة عن النبى** ﷺ قال: «**ما من ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شُفِّعوا فيه**»(٤).

* * *

س: ما هى الكيفية الصحيحة لصلاة الجنازة؟

ج: كما أسلفنا فإن الإمام يقف عند رأس الميت إذا كان رجلاً وعند وسطها إذا كانت أنثى ويَصُفُّ المأمومون خلفه صفوفًا يُفضل أن تكون ثلاثة فأكثر.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٢٩٧)، ومسلم (١٦١٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٢٥)، ومسلم (٩٤٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٩٤٨).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٩٤٧).

* ثم يكبر أربع تكبيرات وهذه التكبيرات أركان وبعض الفقهاء يعتبر تكبيرة الإحرام فقط هي الركن، والباقي سنة[(١)].

* ويُشرع له أن يرفع يديه في التكبيرة الأولى.

قال الشيخ الألباني: «ولم نجد في السنة ما يدل على مشروعية الرفع في غير التكبيرة الأولى، فلا نرى مشروعية ذلك».

* ثم يقرأ عقب التكبيرة الأولى فاتحة الكتاب ويجوز له أن يقرأ سورة بعدها.

لحديث طلحة بن عبد الله بن عوف قال: «صليت خلف ابن عباس رضي الله عنهما على جنازة فقرأ بفاتحة الكتاب وسورة، وجهر حتى أسمعنا، فلما فرغ أخذت بيده، فسألته؟ فقال: إنما جهرت لتعلموا أنها سُنة وحق»[(٢)].

ويقرأ سرًّا، لحديث أبي أمامة بن سهل قال: «السنة في الصلاة على الجنازة أن يقرأ في التكبيرة الأولى بأم القرآن مخافتة، ثم يكبر ثلاثًا، والتسليم عند الآخرة»[(٣)].

* ثم يكبر التكبيرة الثانية ويصلي على النبي ﷺ لحديث أبي أمامة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ: «أن السنة في الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام، ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرًّا في نفسه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ويخلص الدعاء للجنازة في التكبيرات الثلاث، لا يقرأ في شيء منهن ثم يسلم سرًّا في نفسه»[(٤)].

والصلاة على النبي أكملها الصيغة التي في التشهد.

---

(١) راجع في ذلك الشرح الممتع (٥/ ٣٩٩، ٤٠٠).

(٢) صحيح: رواه البخاري (١٣٣٥).

(٣) صحيح: رواه النسائي (١٩٨٩)، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء (٧٣٤).

(٤) صحيح: رواه الشافعي في الأم، ومن طريقه البيهقي (٤ / ٣٩)، والحديث صححه الشيخ الألباني في أحكام الجنائز (ص ١٢١).

* **التكبيرة الثالثة والرابعة والدعاء بعدهما للميت:**

فعن أبي يعفور عن عبد الله بن أبي أوفى قال: «شهدته وكبر على جنازة أربعًا، ثم قام ساعة - يعني يدعو - . . .»(١).

وقال ﷺ: «**إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء**»(٢).

* التسليم يمينًا وشمالاً، ويجوز تسليمة واحدة يمينًا:

فعن أبي مسعود قال: «ثلاث خلال كان رسول الله ﷺ يفعلهن تركهن الناس، إحداهن التسليم على الجنازة مثل التسليم في الصلاة»(٣).

وعن أبي هريرة «أن رسول الله ﷺ صلى على جنازة فكبر عليها أربعًا، وسلم تسليمة واحدة»(٤).

* * *

س: ماذا يصنع المأموم إذا أدرك صلاة الجنازة وقد سبقه الإمام بتكبيرة أو أكثر؟

ج: لم أقف على حديث صحيح يوضح ما يفعله المسبوق إذا أدرك الإمام بعد أن كبر بعض التكبيرات، والظاهر أنه يشمله قوله ﷺ: «**ما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا**»(٥)، فيكبر مع الإمام وتكون هذه التكبيرة هي الأولى بالنسبة للمسبوق فيقرأ الفاتحة، ثم إذا انتهى الإمام من تكبيراته، كبر المأموم ما بقي له وأتم الصلاة على الصفة السابقة - والله أعلم.

* * *

(١) صحيح: رواه البيهقي (٤/ ٣٥) وصححه الشيخ الألباني في أحكام الجنائز ص(١٢٦).
(٢) حسن: أبو داود ، وابن ماجة (١٤٩٧) وحسنه الألباني في الإرواء (٧٣٢).
(٣) حسن: رواه البيهقي وحسنه الألباني في أحكام الجنائز (٨٣).
(٤) حسن: رواه الحاكم والبيهقي وحسنه الألباني في أحكام الجنائز ص(١٢٨).
(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٦٣٥)، ومسلم (٦٠٣).

س: ما هى الأدعية المأثورة عن النبى ﷺ فى الدعاء للميت فى الجنازة؟

ج: أولاً: لابد أن نعلم أنه ينبغى الإخلاص فى الدعاء للميت؛ لما ثبت فى الحديث عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء**» (١).

ويجوز له أن يدعو بأى دعاء يطلب له فيه الرحمة والمغفرة وأن يتجاوز الله عن سيئاته، والأولَى أن يأتى بالأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ فى الدعاء للميت، وفيما يلى بعض هذه الأدعية:

عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ على جنازة، فحفظت من دعائه: «**اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرِم نُزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرَد، ونقه من الخطايا كما يُنقَّى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خير من داره وأهلاً خيراً من أهله، وزوجًا خيراً من زوجه، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر، ومن عذاب النار**» حتى تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت (٢).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى على جنازة يقول: «**اللهم اغفر لحينا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذَكَرِنا وأنثانا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تضلنا بعده**» (٣).

* * *

---

(١) حسن: رواه أبو داود ، وابن ماجه ، وحسنه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٩٦٣).

(٣) صحيح: رواه أبو داود ، والترمذى، وصححه الشيخ الألبانى فى المشكاة (١٦٧٥).

س: من دخل المسجد وقد فاتته الصلاة المكتوبة ووجد الناس قد شرعوا فى صلاة الجنازة فماذا يصنع؟

ج: إذا دخل المسجد، وقد فاتته الصلاة المكتوبة مع الإمام ثم شرع الناس فى الصلاة على الميت، فإنه يصلى على الجنازة؛ لأن المكتوبة يمكن إدراكها بعد صلاة الجنازة، وقد أفتى بذلك الشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

* * *

س: هل يُصَلّى على شهيد المعركة؟

ج: هناك خلاف بين أهل العلم حول هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

(١) فمنهم من قال: إنه تجب الصلاة على الشهيد واستدل بجملة أدلة منها:

* **حديث عقبة بن عامر:** أن النبى ﷺ صلى على قتلى أُحد بعد ثمانى سنين صلاته على الميت كالمودع للأحياء والأموات[١].

(٢) ومنهم من قال: إنه لا يُصلَّى على الشهيد واستدل بجملة أدلة منها:

* **حديث جابر فى قتلى أُحد مرفوعًا وفيه قال:** «وأمر بدفنهم فى دمائهم ولم يُغسلوا ولم يُصلِّ عليهم»[٢].

* **ومنهم من قال:** إنه لا تجب الصلاة على شهداء المعركة ضد الكفار ولكن يجوز الصلاة عليهم فيجوز الفعل والترك.

* * *

س: هل يُصلى على من مات وعليه دين؟

ج: أجل يُصلَّى عليه.

فلقد كان النبى ﷺ فى بداية الأمر لا يصلى على من مات وعليه دَين ولم يترك وفاءً لدَينه وكان يأمر أصحابه بالصلاة عليه فإن كان ترك وفاءً

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٤٠٤٢)، ومسلم (٢٢٩٦).

(٢) **صحيح:** رواه البخارى (١٣٤٣).

لدينه أو قام بعض إخوانه أو أقاربه فقضى عنه صلَّى عليه رسول الله ﷺ . . . . فلما فتح الله عليه الفتوح كان يتحمل الديون عن أصحابها ويصلى على الموتى ولو كان عليهم ديون.

* * *

س: هل يجوز الصلاة على من قتل نفسه؟

ج: للعلماء فى هذه المسألة ثلاثة أقوال:

- فمنهم من يقول: يُصلَّى عليه.

ومنهم من يقول: لا يُصلى عليه.

ومنهم من يقول: يصلى عليه إلا أنه ينبغى لأهل العلم والدين أن يدعوا الصلاة عليه عقوبة وتأديبًا لأمثاله كما فعل النبى ﷺ.

* * *

س: هل يجوز الصلاة على الكافر؟

ج: لا تجوز الصلاة على الكافر بنص القرآن والإجماع فهى حرام.

ودليل ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[1].

* * *

س: هل تجوز الصلاة على أطفال المشركين؟

ج: لا يجوز الصلاة على أطفال المشركين؛ لأن لهم حكم آبائهم إلا من حكمنا بإسلامه، مثل: أن يسلم أحد أبويه، أو يموت أو يُسبى منفردًا من أبويه فإنه يُصلَّى عليه»[2].

* * *

---

(١) سورة التوبة: الآية: (٨٤).

(٢) المغنى لابن قدامة (٣/ ٥٠٧- ٥٠٨).

س: هل يُصلى على الطفل؟

ج: نعم... تُشرع الصلاة على الطفل الصغير الذى لم يبلغ الحُلم إذا مات... ثبت أن النبى ﷺ قال: «**والطفل - وفى رواية: والسقط - يُصلَّى عليه ويُدعَى لوالديه بالمغفرة والرحمة**»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أُتى رسول الله ﷺ بصبى من صبيان الأنصار، فصلى عليه.. الحديث(٢)، فهذا يدل على مشروعية الصلاة على الطفل.

* * *

س: ما حكم الصلاة على الغائب؟

ج: تجوز الصلاة على الغائب الذى مات فى أرض لم يُصلِّ عليه فيها أحد، وإن صُلِّى عليه حيث مات لم يُصلَّ عليه صلاة الغائب؛ لأن الفرض قد سقط بصلاة المسلمين عليه. وهو مسلك شيخ الإسلام ابن تيمية(٣) رحمه الله، واختاره العلامة ابن عثيمين رحمه الله.

وحجتهم: أنه لم يُحفظ أن النبى ﷺ صلَّى على غائب إلا على النجاشى؛ لأنه مات بين أمة مشركة ليسوا أهل صلاة، ولو كان منهم من آمن فلا يعرف عن كيفية الصلاة شيئًا (٤).

فعن جابر رضي الله عنه: «أن النبى ﷺ صلى على أصحمة النجاشى فكبر عليه أربعًا»(٥).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه: «أن النبى ﷺ نعى النجاشى فى اليوم الذى مات

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، وأحمد، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٣٥٢٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٢).

(٣) «زاد المعاد» لابن القيم (١/ ١٩٧).

(٤) «الشرح الممتع» لابن عثيمين (٥/ ٤٣٩).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٢٨)، ومسلم (٩٥٢).

فيه، وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم، وكبر عليه أربع تكبيرات»[١].

* * *

س: هل تجوز صلاة الجنازة على القبر؟

ج: تجوز صلاة الجنازة على القبر لمن لم يدرك الصلاة على الجنازة حتى دُفنت فإنه يجوز له أن يصلى عليه عند القبر.

- وهناك أدلة كثيرة على ذلك منها:

* حديث ابن عباس «أن رسول الله ﷺ صلى على قبر بعد ما دُفن فكبر عليه أربعًا»[٢].

وثبت فى «الصحيحين» أن امرأة سوداء كانت تَقُم المسجد، فماتت ففقدها النبى ﷺ فسأل عنها فقالوا ماتت، قال: **«أفلا كنتم آذنتمونى»**، قال: فكأنهم صغروا أمرها، فقال: **«دلونى على قبرها»**، فدلُّوه فصلى عليها، ثم قال: **«إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله عز وجل ينورها لهم بصلاتى عليهم»**[٣].

* * *

س: هل يستحب أن تكون الصفوف ثلاثة فصاعدًا؟

ج: أجل يُستحب إكثار الصفوف بأن تكون ثلاثة صفوف فصاعدًا.

فعن أبى أمامة قال: «صلى رسول الله ﷺ على جنازة ومعه سبعة نفر، فجعل ثلاثًا صفًّا، واثنين صفًّا، واثنين صفًّا»[٤].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (١٢٤٥، ١٣١٨)، ومسلم (٩٥١).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (١٢٤٧)، ومسلم (٩٥٤).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (١٣٣٧)، ومسلم (٩٥٦).

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير وله شاهد نحوه عن مالك بن هبيرة رواه أبو داود والترمذى وحسنه. وابن ماجه. والحاكم وصححه ووافقه الذهبى ولفظه: **«ما من مسلم يموت فيصلى عليه ثلاثة صفوف من المسلمين إلا أوجب»** وفى رواية: **«إلا غُفر له»**.

* وقال النبى ﷺ : «ما من ميت يموت فيصلى عليه ثلاثة صفوف من المسلمين إلا أوجب»(١).

وكلما كثر الجمع كان أفضل للميت؛ لقوله ﷺ : «ما من ميت تصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه»(٢).

* * *

س: هل يجوز للنساء أن يصلين على الجنازة؟

ج: نعم يجوز للنساء أن يصلين على الجنازة إذا لم يتبعن الجنازة بل توافق وجودهن فى نفس المكان الذى يصلى فيه على الجنازة.

فعن عبد الله بن أبى طلحة «أن أبا طلحة دعا رسول الله ﷺ إلى عمير ابن أبى طلحة حين تُوفى، فأتاه رسول الله ﷺ فصلى عليه فى منزلهم، فتقدم رسول الله ﷺ وكان أبو طلحة وراءه وأم سليم وراء أبى طلحة ولم يكن معهم غيرهم»(٣).

* * *

س: إذا كان عندنا جنازة وصلينا صلاة العصر فكيف نعمل؟

ج: إذا كان الواقع ما ذُكر صلوا صلاة الجنازة بعد صلاتهم العصر: لأنها من ذوات الأسباب، وهى مُستثناة من عموم حديث: «**لا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس**»(٤)(٥).

* * *

(١) ضعيف: رواه أبو داود، والترمذى، وابن ماجه، وضعفه الشيخ الألبانى فى ضعيف الجامع (٥٢٢٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٩٤٧).

(٣) صحيح: رواه الحاكم والبيهقى وصححه الشيخ الألبانى فى أحكام الجنائز (ص٩٨).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٦٤)، ومسلم (٨٢٧).

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة (٨/ ٤٠٢) فتوى رقم (٤٣٧٣).

س: إذا اجتمعت جنائز رجال ونساء كيف نصنع؟

ج: إذا اجتمعت جنائز الرجال والنساء جُعل النساء مما يلى القبلة والرجال مما يلى الإمام (أى: أن الرجال أمام الإمام، والنساء بعدهن بالقرب من القبلة)، . . . وقد أخرج النسائى بسندٍ صحيح إلى ابن عمر رضي الله عنهما أنه صلى على تسع جنائز جميعًا، فجعل الرجال يلون الإمام والنساء يلين القبلة، فصفَّهن صفًّا واحدًا.

* * *

س: هل ورد فى السنة دعاء خاص يُدعى به للطفل الميت فى الصلاة عليه؟

ج: أما الأول فليس فيه سنة صحيحة عن الرسول عليه الصلاة والسلام، لكن وردت أحاديث فى صحتها نظر، وهو أن الطفل الذى لم يبلغ يُدعى لوالديه، وقد ذكر بعض الفقهاء دعاء مناسبًا قالوا: اللهم اجعله فرطًا لوالديه، وذخرًا وشفيعًا مجابًا، اللهم ثَقِّل به موازينهما وأعظِم به أجورهما، وألحقه بصالح سلف المؤمنين، واجعله فى كفالة إبراهيم، وقه برحمتك عذاب جهنم[1].

صلاة القيام

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[2].

وقيام الليل من أفضل القُربات وأجلّ الطاعات. . . بل إن شرف المؤمن فى

(١) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله (١٧/ ١٢٦).

(٢) سورة الذاريات: الآيات: (١٥-١٨).

قيام الليل كما قال جبريل عليه السلام للحبيب ﷺ : «... **واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعِزّه استغناؤه عن الناس**»(١).

* * *

س: ما حكم قيام الليل؟

ج: قيام الليل سنة مؤكدة: فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ صلى ذات ليلة فى المسجد فصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة، فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة، أو الرابعة، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ ، فلما أصبح قال: «**قد رأيت الذى صنعتم، ولم يمنعنى من الخروج إليكم إلا أنى خشيت أن تُفرض عليكم،... وذلك فى رمضان**»(٢).

* * *

س: هل كان قيام الليل فرضًا على النبى ﷺ أم لا؟

ج: اختلف السلف والخلف هل كان فرضًا على النبى ﷺ أم لا.

وكلا الفريقين احتج بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾(٣).

فالفريق الأول قال هذا صريح فى عدم الوجوب لقوله: «نافلة»، وأما الآخرون فقالوا: أمره بالتهجد، ولم يجئ ما ينسخه، وفسروا قوله: «نافلة» بمعنى: الزيادة، وليس المقصود النافلة التى هى عكس الفرض، ومطلق الزيادة لا يدل على التطوع. فإن قيام الليل فى حق غيره مكفر للسيئات وفى حقه زيادة فى الدرجات(٤).

* * *

---

(١) حسن: رواه الحاكم والبيهقى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١١٢٩) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٦١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) سورة الإسراء: الآية: (٧٩).

(٤) تمام المنة للعزازى (١/ ٣٤٤).

س: ما هو وقت قيام الليل؟

ج: قيام الليل يكون فى أى وقت من الليل سواءً كان فى أوله، أو وسطه، أو آخره . . . وقد صلى النبى ﷺ فى كل هذه الأوقات.

فعن أنس بن مالك قال: «ما كنا نشاء أن نرى رسول الله ﷺ فى الليل مصليًا إلا رأيناه، ولا نشاء أن نراه نائمًا إلا رأيناه»(١).

قال الحافظ فى الفتح (٣/ ٢٣): «أى: إن صلاته ونومه كان يختلف بالليل، ولا يرتب وقتًا معينًا بل بحسب ما تيسَّر له القيام . . .». اهـ.

* * *

س: إذا كان الأمر كذلك فما هو أفضل الأوقات لقيام الليل؟

ج: يُستحب لكل عبد مؤمن أن يقوم فى الثلث الأخير من الليل حين ينزل الحق - جل وعلا - إلى السماء الدنيا نزولاً يليق بجلاله وكماله فيسأل العبد ربه - جل وعلا - من خيرى الدنيا والآخرة ويتوب إليه ويستغفره فيظفر بمغفرة الذنوب وستر العيوب وإجابة الدعوة من علام الغيوب - جل وعلا -.

* **فعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل فيقول: أنا الملك أنا الملك، من الذى يدعونى فأستجيب له، من الذى يسألنى فأعطيه، من الذى يستغفرنى فأغفر له»**(٢). وفى لفظ لمسلم: «**... حتى ينفجر الفجر**».

* **وعن عمرو بن عبسة أن النبى ﷺ قال: «أقرب ما يكون الرب من العبد فى جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله فى تلك الساعة فكن»** (٣).

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (١١٤٥) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (١١٤٥) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين واللفظ له.

(٣) **صحيح:** رواه الترمذى (٣٥٧٩) كتاب الدعوات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٧٣).

* وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحب الصيام إلى الله صيام داود، وأحب الصلاة إلى الله عز وجل،صلاة داود: كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا»(١).

وكذلك كان يفعل النبى ﷺ :

* فعن عائشة فى وصفها لصلاة النبى ﷺ قالت: «كان ينام أوله ويقوم آخره، فيصلى ثم يرجع إلى فراشه، فإذا أذن المؤذن وثب، فإن كانت به حاجة اغتسل،وإلا توضأ وخرج» (٢). وعن أم سلمة نحوه.

* وفى حديث حميد بن عبد الرحمن عن رجل من أصحاب النبى ﷺ صحبه فى السفر «. . . ثم قام فصلى حتى قلت: قد صلى قدر ما نام، ثم اضطجع حتى قلت: قد نام قدر ما صلى، ثم استيقظ ففعل كما فعل أول مرة، وقال مثل ما قال، ففعل رسول الله ﷺ ثلاث مرات قبل الفجر» (٣).

* وعن مسروق أنه سأل عائشة: أى حين كان ﷺ يصلى فقالت: «كان إذا سمع الصارخ قام فصلى»(٤) والصارخ: الديك، وقد جرت العادة بأن الديك يصيح عند نصف الليل أو ثلثه.

* * *

س: ما عدد ركعات قيام الليل؟

ج: أما بالنسبة لعدد ركعات قيام الليل فإنه يُستحب ألاَّ يزيد على إحدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة.

(أ) فعن مسروق قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل؟ فقالت: «سبع وتسع وإحدى عشرة، سوى ركعتى الفجر»(٥).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١١٣١) كتاب الجمعة، ومسلم (١١٥٩) كتاب الصيام.
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١١٤٦) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٣٩) كتاب صلاة المسافرين.
(٣) صحيح: رواه النسائى (١٦٢٦) وله شاهد عن أم سلمة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (١٢٠٩).
(٤) صحيح: رواه البخارى (١١٣٢) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٤١) كتاب صلاة المسافرين.
(٥) متفق عليه: رواه البخارى (١١٣٩) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٢٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(ب) وسألها أبو سلمة بن عبد الرحمن فقالت: «ما كان رسول الله ﷺ يزيد فى رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة: يصلى أربعًا فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلى أربعًا فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلى ثلاثًا»[1].

(ج) وعن ابن عباس قال: «كانت صلاة النبى ﷺ ثلاث عشرة ركعة يعنى بالليل»[2].

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن صلاته ﷺ كانت إحدى عشرة، وأما الركعتان الأُخريان فقيل: هما ركعتا الفجر، وقيل: هما نافلة العشاء، وهذا إن سلم فى بعض الروايات فلن يسلم فى الأخرى، وقيل: هما الركعتان الخفيفتان اللتان كان النبى ﷺ يستفتح صلاته بهما، ولعلَّ هذا أوجه[3].

* * *

س: هل يجوز أن يزيد على هذا العدد فى قيام الليل؟

ج: وإن كان يُستحب ألاَّ يزيد علىٰ إحدى عشرة ركعة، أو ثلاث عشرة ركعة؛ لأن هذا الذى اختاره النبى ﷺ لنفسه؛ إلا أنه يجوز أن يزيد على ذلك بلا خلاف.

قال ابن عبد البر فى «التمهيد»: «فلا خلاف بين المسلمين أن صلاة الليل ليس فيها حد محدود وأنها نافلة وفعل خير وعمل بر، فمن شاء استقل ومن شاء استكثر». اهـ.

قال القاضى عياض: «ولا خلاف أنه ليس فى ذلك حد لا يُزاد عليه ولا يُنقص منه، وأن صلاة الليل من الطاعات التى كلما زاد فيها زاد الأجر، وإنما الخلاف فى فعل النبى ﷺ وما اختاره لنفسه والله أعلم». اهـ.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١١٤٧) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٣٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١١٣٨) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٦٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) وهو الذى اختاره الحافظ فى «الفتح» (٣/ ٢١).

- ومما يدل على ذلك:

١- قوله ﷺ : **«صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشيت الصبح فأوتر بواحدة»[١].**

٢- قوله ﷺ : **«أعنِّى على نفسك بكثرة السجود»[٢].**

٣- قوله ﷺ : **«إنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحطَّ عنك خطيئة»[٣].**

* * *

س: هل يجوز القراءة من المصحف فى قيام الليل؟

ج: نعم يجوز ذلك للحاجة ... كأن يكون المصلى يريد أن يطيل الصلاة فى الليل ولا يحفظ قدراً كبيراً من القرآن. فيجوز له أن يقرأ من المصحف وإن كان الأفضل ألا يقرأ من المصحف؛ لأنه أقرب إلى الخشوع فى الصلاة ... ومع ذلك فهو جائز.

فعن القاسم أن «عائشة كانت تقرأ فى المصحف وهى تصلى فى رمضان»[٤].

وقال القاسم: «كان يؤم عائشة عبد يقرأ فى المصحف»[٥].

* * *

س: هل يجوز لمن فاته قيام الليل أن يقضيه بالنهار؟

ج: يجوز لمن فاتته صلاة الليل أن يقضيها بالنهار شفعًا، فعن عائشة ﵂: «أن النبى ﷺ كان إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره صلى من النهار اثنتى عشرة ركعة»[٦].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٩٩١) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٤٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤٨٩) كتاب الصلاة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤٨٨) كتاب الصلاة.

(٤) رواه عبد الرزاق (٢/ ٢٤٠)، وابن أبى داود فى «المصاحف» (١٩٢).

(٥) رواه البخارى معلقًا فى كتاب الأذان باب: إمامة العبد، ووصله ابن أبى شيبة (٢/ ٣٣٨)، وابن أبى داود فى المصاحف (ص ١٩٢).

(٦) صحيح: رواه مسلم (٧٤٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

وعن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر؛ كُتب كأنما قرأه من الليل»(١).

* * *

س: هل ورد دعاء لاستفتاح صلاة الليل، وما هو، وما يقول المصلي بعد انتهائه من صلاة الوتر؟

ج: نعم ورد أدعية عدة في استفتاحه ﷺ صلاة الليل، ومنها ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يستفتح صلاة الليل بقوله: **اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»(٢).

ب- روى أبو داود والنسائي رحمهما الله عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا سلَّم في الوتر قال: «**سبحان الملك القدوس**»(٣).
وفي رواية النسائي: «**سبحان الملك القدوس ثلاث مرات يطيل في آخرهن**»(٤) ورواه النسائي في الكبرى بإسناد جيد بلفظ: «**يمد صوته في الثالثة ويرفع**» من حديث عبد الرحمن بن أبزى رضي الله عنه(٥) ورواه الدارقطني رحمه الله بإسناد جيد بلفظ: «**سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح**»(٦).

* * *

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٧٤٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.
(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٧٧٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.
(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (١٤٣٠) كتاب الصلاة، والنسائي (١٦٩٩) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (١٢٧٥).
(٤) **صحيح**: رواه النسائي (١٦٩٩) كتاب قيام الليل وتطوع النهار.
(٥) رواه النسائي في السنن الكبرى (١/ ٤٥٣ برقم ١٤٤٨).
(٦) رواه الدارقطني في سننه (٤/ ٣٦٤ برقم ١٦٧٩).

الأسباب الميسرة لقيام الليل

اعلم أخى الكريم أن قيام الليل عسير على الخلق إلا على من وفقه الله (جل وعلا).

وها هى بعض الأسباب التى تعين العبد على قيام الليل.

وهى ظاهرة وباطنة... فأما الظاهرة فهى:

الأول: أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام. كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول: معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرًا فتشربوا كثيرًا فترقدوا كثيرًا فتتحسروا عند الموت كثيرًا.

الثانى: أن لا يتعب نفسه بالنهار فى الأعمال التى تعيا بها الجوارح وتضعف بها الأعصاب فإن ذلك أيضًا مجلبة للنوم.

الثالث: أن لا يترك القيلولة بالنهار فإنها سُنة للاستعانة على قيام الليل... قال ﷺ: **«قيلوا فإن الشياطين لا تقيل»**[1].

الرابع: أن لا يحتقب الأوزار بالنهار، فإن ذلك مما يقسى القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة... قال رجل للحسن: يا أبا سعيد إنى أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهورى فما بالى لا أقوم؟ فقال: ذنوبك قيدتك.

الخامس: أن ينام على توبة وأن يُكثر من الاستغفار.

السادس: أن لا يتنعم بتمهيد الفُرش الناعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه... وكان أهل الصُّفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزًا، ويقولون: منها خُلقنا وإليها نُرد، وكانوا يرون ذلك أرق لقلوبهم وأجدر بتواضع نفوسهم، فمن لم تسمح بذلك نفسه فليقتصد.

---

(١) **حسن:** رواه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٤٣١).

السابع: البُعد عن مظالم العباد... فقد يظلم العبد رجلاً ضعيفًا فيدعو عليه دعوة مُستجابة فيحرمه الله لذة القيام بين يديه.

الثامن: البُعـد عن أكل الحرام فإن مَن أكل حـلالاً أطاع الله شاء أم أبى ومن أكل حرامًا عصى الله شاء أم أبى.

* عن أبى هريرة ﷺ أن رسـول الله ﷺ قال: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيـبًا، وإن الله أمـر المؤمنين بما أمـر به المرسلين فـقـال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[1] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[2] ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يارب، ومطعمه حرام ومشربه حرام، وغُذى بالحرام فأنَّى يُستجاب لذلك**»[3].

* وأما الميسرات الباطنة فأربعة أمور:

الأول: سلامـة القلب من الحقد على المـسلمين ومن البدع ومن فـضول هموم الدنيا.

الثانى: خوفٌ غالب يلزم القلب مع قِصَر الأمل، فإنه إذا تفكر فى أهوال الآخرة ودركـات جهنم طار نومـه وعظُم حذره.... كمـا قال طاوس: إن ذكر جهنم طيَّر نوم العابدين.

الثالث: أن يعرف فضل قيام الليل بسـماع الآيات والأخبار والآثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه إلى ثوابه.

الرابع: وهو أشرف البواعث (الحب لله).

الخامس: الخوف من سوء الخاتمة.

فهذا يجعل العبد يجتهد فى العـبادة ولا يفتر أبدًا... فتراه قائمًا بالليل

(١) سورة المؤمنون: الآية: (٥١).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٧٢).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٠١٥) كتاب الزكاة.

صائمًا بالنهار. . . . وكيف لا يكون ذلك حاله وهو الذى يرى بقلبه (القبر) بنعيمه وعذابه (والآخرة) بكل ما فيها من آلام وأفراح (والجنة والنار) فتجد قلبه حيًّا بذكر الله وتجد جوارحه تشتاق للوقوف بين يدى الله عسى أن يختم الله له حياته وهو واقفٌ بين يديه.

قال الإمام البخارى رحمه الله تعالى:

اغتنم فى الفراغ فضل ركوع
فعسى أن يكون موتك بغتته
كم من صحيحٍ مات من غير سُقمٍ
ذهبت نفسه الصحيحة فلته

* * *

وأخيرًا

* أخى الحبيب... أختى الفاضلة:

أسأل الله أن ينفعنى وإياكم بتلك الرسالة الصغيرة وأن يرزقنا العمل بما فيها، وأن يجعلنا من الصادقين المخلصين وأن يجمعنا فى جنته إخوانًا على سُرُرٍ متقابلين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه
الفقير إلى عفو الرحيم الغفار
محمود المصرى
(أبو عمار)



أحكام الجنائز

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[(١)].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[(٢)].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[(٣)].

أما بعد:

فإن حاجة الأسرة المسلمة اليوم إلى أن تتعلم فقه الجنائز - لا تخفى على البعيد قبل القريب - فإننا نرى فى كل يوم كثيراً من المسلمين إذا مات لهم قريب، فإنهم لا يعلمون شيئًا عن الغسل والكفن والصلاة والدفن والتعزية.

ولذا فإننى استخرت ربى - عز وجل - فى جمع هذا الكتيب الصغير

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

مـوضحًـا فـيه عـامـة الأحكام عن المرض والموت والغـسل والكفن والدفن والعزاء.

ولقد اعتمدت اعتـمادًا كليًّا على كتاب الشيخ الألبانى «أحكام الجنائز» وبخاصة فى مسألة التبويب وترتيب المسائل.

فجزاه الله عنى وعن الإسلام والمسلمـين خير الجزاء، وجعل هذا العمل فى ميزان حسناته.

فاحرص أخى الكريم.. واحرصى أيتها الأخت الفاضلة على اقتناء هذا الكتيب فهو فى الحقيقة لا يستغنى عنه بيت مسلم.

فأسـأل الله أن ينفع به المسلمـين فى كل مكان، وأن يجعله فى مـيزان حسناتى.. سـبحـانك اللهم وبحمـدك أشهد أن لا إله إلا أنت أسـتغـفرك وأتوب إليك.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

ما يجب على المريض

على المريض أن يرضى بقضاء الله، ويصبر على قدره، ويحسن الظن بربه.

قال ﷺ : «لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بالله تعالى»[١].

وينبغي عليه أن يكون بين الخوف والرجاء، يخاف عقاب الله على ذنوبه، ويرجو رحمة ربه (جل وعلا).

ومهما اشتد به المرض، فلا يجوز له أن يتمنى الموت.

وإذا كان عليه حقوق فليؤدها إلى أصحابها، إن تيسَّر له ذلك، وإلا أوصى بذلك... ولابد من الاستعجال بمثل هذه الوصية لقوله ﷺ : **«ما حق امرئٍ مسلم يبيت ليلتين وله شيء يريد أن يوصى فيه إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه»**[٢].

ويجب أن يوصى لأقربائه الذين لا يرثون منه، وله أن يوصى بالثلث من ماله، ولا يجوز الزيادة عليه، بل الأفضل أن ينقص منه... ويُشهد على ذلك رجلين عدلين مسلمين، فإن لم يوجدا فرجلين من غير المسلمين على أن يستوثق منهما عند الشك بشهادتهما.

وأما الوصية للوالدين والأقربين الذين يرثون من الموصى، فلا تجوز؛ لأنها منسوخة بآية الميراث... قال ﷺ : **«إن الله قد أعطى كل ذى حقٍّ حقه، فلا وصية لوارث»**[٣].

ويحرم الإضرار فى الوصية، كأن يوصى بحرمان بعض الورثة من حقهم من

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٧٣٨) كتاب الوصايا، ومسلم (١٦٢٧) كتاب الوصية.

(٣) **صحيح**: رواه ابن ماجه، والدارقطنى، وصححه العلامة الألبانى فى الإرواء (١٦٥٥).

الإرث، أو يفضل بعضهم على بعض فيه. . . . والوصية الجائرة باطلة مردودة.

ولما كان الغالب على كثير من الناس فى هذا الزمان الابتداع فى دينهم، ولا سيما فيما يتعلق بالجنائز، كان من الواجب أن يوصى المسلم بأن يُجهَّز ويُدفن على السنة.

قال النووى - رحمه الله تعالى - فى «الأذكار»: «ويستحب له استحبابًا مؤكدًا أن يوصيهم باجتناب ما جرت العادة به من البدع فى الجنائز، ويؤكد العهد بذلك».

تلقين المحتضر

فإذا حضره الموت، فعلى من عنده أمور:

* أن يلقنوه الشهادة، لقوله ﷺ : «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»[1].

* أن يدعوا له، ولا يقولوا فى حضوره إلا خيرًا. . . قال ﷺ : «إذا حضرتم المريض أو الميت، فقولوا خيرًا، فإن الملائكة يؤمِّنون على ما تقولون»[2].

وليس التلقين ذكر الشهادة بحضرة الميت وتسميعها إياه، بل هو أمره بأن يقولها. . . خلافًا لما يظن البعض.

وأما قراءة سورة (يس) عنده، وتوجيهه نحو القبلة فلم يصح فيه حديث. . . ولا بأس فى أن يحضر المسلم وفاة الكافر ليعرض الإسلام عليه، رجاء أن يُسلم.

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٩١٦) كتاب الجنائز.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٩١٩) كتاب الجنائز.

ما على الحاضرين بعد موته

فإذا قضى وأسلم الروح، فعليهم عدة أشياء:

* أن يُغمضوا عينيه، ويدعوا له أيضًا.

* أن يغطوه بثوب يستر جميع بدنه... لحديث عائشة ﵂: «أن رسول الله ﷺ حين تُوفى سُجِّى ببُرد حَبرة»(١).

وهذا فى غير من مات مُحرمًا، فأما المحرم، فإنه لا يغطى رأسه ووجهه.

* أن يعجلوا بتجهيزه وإخراجه إذا بان موته.

* أن يدفنوه فى البلد الذى مات فيه، ولا ينقلوه إلى غيره، لأنه ينافى الإسراع المأمور به.

* أن يبادر بعضهم لقضاء دَينه من ماله، ولو أتى عليه كله، فإن لم يكن له مال فعلى الدولة أن تؤدى عنه إن كان جَهِد فى قضائه، فإن لم تفعل، وتطوع بذلك بعضهم جاز.

ما يجوز للحاضرين وغيرهم

ويجوز لهم كشف وجه الميت وتقبيله، والبكاء عليه ثلاثة أيام.

عن جابر بن عبد الله ﵄ قال: «لما قُتل أبى، جعلت أكشف الثوب عن وجهه أبكى، ونهونى، والنبى ﷺ لا ينهانى [فأمر به النبى ﷺ فرُفع]، فجعلت عمتى فاطمة تبكى، فقال النبى ﷺ تبكين، أو لا تبكين، ما زالت الملائكة تُظله بأجنحتها حتى رفعتموه»(٢).

* * *

(١) صحيح: رواه البخارى (٥٨١٤) كتاب اللباس.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٤٤) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٤٧١) كتاب فضائل الصحابة.

ما يجب على أقارب الميت

ويجب على أقارب الميت حين يبلغهم خبر وفاته أمران:

الأول: الصبر والرضا بالقدر، لقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (١).

والصبر على وفاة الأولاد له أجر عظيم. . . قال ﷺ: **«أيما امرأة مات له ثلاثة من الولد كانوا حجابًا من النار، قالت امرأة: واثنان؟ قال: واثنان»**(٢).

الأمر الثانى: مما يجب على الأقارب: الاسترجاع، وهو أن يقول: (إنَّا لله وإنا إليه راجعون).

ولا ينافى الصبر أن تمتنع المرأة من الزينة كلها، حدادًا على وفاة ولدها أو غيره إذا لم تزد على ثلاثة أيام، إلا على زوجها، فتحدّ أربعة أشهر وعشرًا. . . . ولكنها إذا لم تحد على غير زوجها، إرضاءً للزوج وقضاءً لوطره منها، فهو أفضل لها، ويُرجى لهما من وراء ذلك خير كثير كما وقع لأم سليم وزوجها أبى طلحة الأنصارى رضي الله عنهما.

ما يحرم على أقارب الميت

لقد حرَّم رسول الله ﷺ أمورًا كان ولا يزال بعض الناس يرتكبونها إذا مات لهم ميت، فيجب معرفتها لاجتنابها، فلا بد من بيانها:

* **النياحة:** قال ﷺ: **«اثنتان فى الناس هما بهم كفر: الطعن فى**

---

(١) سورة البقرة: الآيات: (١٥٥ - ١٥٧).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (١٢٥٠) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٦٣٤) كتاب البر والصلة والآداب.

النسب، والنياحة على الميت»[١].

* **ضرب الخدود**، وشق الجيوب لقوله ﷺ: «**ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعى بدعوى الجاهلية**»[٢].

* **حلق الشعر**، لحديث أبى بردة بن أبى موسى - وفى آخره - فإن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة، والحالقة، والشاقة»[٣].

* **نشر الشعر**، لحديث امرأة من المبايعات قالت: «كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ فى المعروف الذى أخذ علينا أن لا نعصيه فيه، وأن لا نخمش وجهًا ولا ندعو ويلاً، ولا نشق جيبًا، وأن لا ننشر شعرًا»[٤].

* **إعفاء بعض الرجال لحاهم أيامًا قليلة حزنًا على ميتهم**، فإذا مضت عادوا إلى حلقها! فهذا الإعفاء فى معنى نشر الشعر كما هو ظاهر، يضاف إلى ذلك أنه بدعة.

* **الإعلان عن موته على رؤوس المنائر ونحوها**؛ لأنه من النعى، وقد ثبت عن حذيفة بن اليمان أنه: «كان إذا مات له الميت قال: لا تؤذنوا به أحدًا، إنى أخاف أن يكون نعيًا، ، إنى سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن النعى»[٥].

وقيد العلماء مطلق النهى، وقالوا: إن المراد بالنعى الإعلان الذى يشبه ما كان عليه أهل الجاهلية من الصياح على أبواب البيوت والأسواق.

* * *

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٦٧) كتاب الإيمان.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (١٢٩٤) كتاب الجنائز، ومسلم (١٠٣) كتاب الإيمان.

(٣) **صحيح**: رواه البخارى (٣/ ٢٤٠ رقم: ١٢٩٦)، مسلم (١٠٤) كتاب الإيمان.

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (٣١٣١)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٣٥).

(٥) **حسن**: رواه أحمد (٢٢٩٤٥)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٩١١).

ما النعى الجائز

ويجوز إعلان الوفـاة إذا لم يقترن به ما يشبـه نعى الجاهلية، وقد يجب ذلك إذا لم يكن عنده من يقـوم بحقـه من الغسل والتكفـين والصلاة عـليه ونحو ذلك.

* عن أبى هريرة رضي الله عنه: «أن رسـول الله ﷺ نعى النجاشى فى اليـوم الذى مات فيه، خرج إلى المصلى، فصفّ بهم وكبّر أربعًا»(١).

ويُستحب للمخبر أن يطلب من الناس أن يستغفروا للميت، لقوله ﷺ لما نعى للناس النجاشى: «**استغفروا لأخيكم**»(٢).

علامات حسن الخاتمة

ثم إن الشارع الحكـيم قد جعل عـلامات بينات يسـتدل بها عـلى حُسن الخاتمة - كتبها الله تعالى لنا بفضله ومنّه - فأيما امرئ مات بإحداهما كانت بشارة له، ويا لها من بشارة.

الأولى: نطقه بالشـهادة عند الموت. قال ﷺ: «**من كان آخـر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»(٣).

الثـانيـة: الموت برشح الجـبـين. قـال ﷺ: «**مـوت المؤمن بعـرق الجبين**»(٤).

الثالثة: الموت ليلة الجمعة أو نهارها، لقوله ﷺ: «**ما من مسلم يموت**

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٤٥) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٥١) كتاب الجنائز.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٢٨) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٥١) كتاب الجنائز.

(٣) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والطبـرانى، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وصحـحه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٧٩).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والترمذى والنسائى، وابن ماجه، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٦٥).

يوم الجمعة، أو ليلة الجمعة، إلا وقاه الله فتنة القبر»(١).

الرابعة: الاستشهاد فى ساحة القتال، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (٢).

الخامسة: الموت غازيًا فى سبيل الله، قال ﷺ: «ومن فصل (أى: خرج) فى سبيل الله فمات أو قُتل فهو شهيد»(٣).

السادسة: الموت بالطاعون، قال ﷺ: «الطاعون شهادة لكل مسلم»(٤).

السابعة: الموت بداء البطن، قال ﷺ: «... ومن مات فى البطن فهو شهيد»(٥).

الثامنة والتاسعة: الموت بالغرق والهدم، قال ﷺ: «الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد فى سبيل الله»(٦).

العاشرة: موت المرأة فى نفاسها بسبب ولدها، قال ﷺ: «والمرأة يقتلها ولدها جمعاء، شهادة، (يجرها ولدها بسررها إلى الجنة»)(٧).

الحادية عشر، والثانية عشر: الموت بالحرق، وذات الجنب، قال ﷺ: «الشهداء سبعة سوى القتل فى سبيل الله: المطعون شهيد، والغرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحرق شهيد، والذي يموت تحت

---

(١) حسن: رواه أحمد، والترمذى، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٧٣).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٦٩).

(٣) ضعيف: رواه أبو داود، وضعفه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٥٣٦١) وكان الشيخ قد حسنه فى بعض كتبه ثم تراجع عن هذا التحسين.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨٣٠) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٩١٦) كتاب الإمارة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٩١٥) كتاب الإمارة.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٤) كتاب الأذن، ومسلم (١٩١٤) كتاب الإمارة.

(٧) صحيح: قال العلامة الألبانى فى أحكام الجنائز (١/٣٩): رواه إحمد (٤ / ٢٠١، ٥ / ٣٢٣) والدارمى (٢ / ٢٠٨) والطيالسى (٥٨٢) وإسناده صحيح.

الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة»(١).

الثالثة عشر: الموت بداء السِّل، لقوله ﷺ : **«والسل شهادة»(٢).**

الرابعة عشر: الموت فى سبيل الدفاع عن المال المراد غصبه... قال ﷺ : **«من قُتل دون ماله فهو شهيد»(٣).**

الخامسة عشر، والسادسة عشر: الموت فى سبيل الدفاع عن الدين والنفس، قال ﷺ : **«من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد»(٤).**

السابعة عشر: الموت مرابطًا فى سبيل الله، قال ﷺ : **«رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله، وأُجرى عليه رزقه، وأَمِن الفتان»(٥).**

الثامنة عشر: الموت على عمل صالح لقوله ﷺ : **«من قال: لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله خُتم له بها دخل الجنة، ومن صام يومًا ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة»(٦).**

* * *

---

(١) **صحيح:** رواه مالك، وأحمد، وأبو داود، والنسائى، وابن ماجه، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٧٣٩).

(٢) **حسن:** رواه الطبرانى (٦/ ٢٤٧)، وحسنه العلامة الألبانى فى أحكام الجنائز (ص٤٠).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (٢٤٨٠) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (١٤١) كتاب الإيمان.

(٤) **صحيح:** رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى، وصححه العلامة فى صحيح الجامع (٦٤٤٥).

(٥) **صحيح:** رواه مسلم (١٩١٣) كتاب الإمارة.

(٦) **صحيح:** رواه أحمد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٩٨٥).

ثناء الناس على الميت

والثناء بالخير على الميت من جمع من المسلمين الصادقين، أقلهم اثنان، من جيرانه العارفين به من ذوى الصلاح والعلم موجب له الجنة.

قال ﷺ: «من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار»(١).

وإذا اتفق وفاة أحد مع انكساف الشمس أو القمر، فلا يدل ذلك على شىء.... واعتقاد أنه يدل على عظمة المتوفى من خرافات الجاهلية التى أبطلها رسول الله ﷺ يوم مات ابنه إبراهيم عليه السلام.

غسل الميت

فإذا مات الميت وجب على طائفة من الناس أن يبادروا إلى غسله.. ويراعى فى غسله الأمور الآتية:

أولاً: غسله ثلاثًا فأكثر على ما يرى القائمون على غسله.

ثانيًا: أن تكون الغسلات وترًا.

ثالثًا: أن يُقرن مع بعضها سدر، أو ما يقوم مقامه فى التنظيف، كالأشنان والصابون.

رابعًا: أن يُخلط مع آخر غسلة منها شىء من الطِّيب، والكافور أولى.

خامسًا: نقض الضفائر وغسلها جيدًا.

سادسًا: تسريح شعره.

سابعًا: جعله ثلاث ضفائر للمرأة وإلقاؤها خلفها.

ثامنًا: البدء بميامنه ومواضع الوضوء منه.

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (١٣٦٧) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٤٩) كتاب الجنائز.

تاسعًا: أن يتولى غسل الذكر الرجال، والأنثى النساء إلا ما استُثنى كما يأتى بيانه.

* ولمن تولى غسله أجر عظيم بشرطين اثنين:

الأول: أن يستر عليه، ولا يُحدِّث بما قد يرى من المكروه، لقوله ﷺ: «من غسَّل مسلمًا فكتم عليه غفر له الله أربعين مرة»(١).

الثاني: أن يبتغى بذلك وجه الله، لا يريد به جزاءً ولا شُكوراً، ولا شيئًا من أمور الدنيا.

* ويُستحب لمن غسَّله أن يغتسل، لقوله ﷺ: «من غسل ميتًا فليغتسل، ومن حمله فليتوضأ»(٢).

* ولا يُشرع غسل الشهيد قتيل المعركة، ولو اتفق أنه كان جنبًا.

قال ﷺ: «ادفنوهم فى دمائهم - يعنى يوم أُحد - ولم يغسلهم»(٣).

تكفين الميت

وبعد الفراغ من غسل الميت، يجب تكفينه، لأمر النبى ﷺ بذلك فى حديث المحرم الذى وقصته الناقة: «..وكفنوه..»(٤).

والكفن أو ثمنه من مال الميت، ولو لم يخلف غيره، وينبغى أن يكون الكفن طائلاً سابغًا يستر جميع بدنه.

قال ﷺ: «إذا كفّن أحدكم أخاه فليحسّن كفنه إن استطاع»(٥).

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى، والحاكم، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٩٢).

(٢) صحيح: رواه أبو داود، والترمذى، وابن ماجه وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٠٢).

(٣) صحيح: رواه البخارى (١٣٤٦) كتاب الجنائز.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٦٥) كتاب الجنائز، ومسلم (١٢٠٦) كتاب الحج.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٩٤٣) كتاب الجنائز.

قال العلماء: «والمراد بإحسان الكفن نظافته وكثافته وستره، وتوسطه، وليس المراد به السرف فيه والمغالاة، ونفاسته».

فإن ضاق الكفن عن ذلك، ولم يتيسر السابغ، سُتر به رأسه وما طال من جسده، وما بقى منه مكشوفًا جُعل عليه شيء من الإذخر أو غيره من الحشيش.

وإذا قلَّت الأكفان، وكثرت الموتى، جاز تكفين الجماعة منهم فى الكفن الواحد، ويقدم أكثرهم قرآنًا إلى القبلة.

ولا يجوز نزع ثياب الشهيد الذى قُتل فيها، بل يُدفن وهى عليه.

لقوله ﷺ فى قتلى أُحُد: **«زمِّلوهم فى ثيابهم»**[1].

ويُستحب تكفينه بثوب واحد أو أكثر فوق ثيابه، كما فعل رسول الله ﷺ بمصعب بن عمير وحمزة بن عبد المطلب.

*** ويستحب فى الكفن أمور:**

الأول: البياض، لقوله ﷺ: **«البسوا من ثيابكم البياض، فإنها خير ثيابكم، وكفنوا فيها»**[2].

الثانى: كونه ثلاثة أثواب، لحديث عائشة رضي الله عنها الذى أخرجه الستة أنها قالت: «إن رسول الله ﷺ كُفّن فى ثلاثة أثواب يمانية بيض سحولية».

الثالث: أن يكون أحدها ثوب حبرة إذا تيسر، لقوله ﷺ: **«إذا توفى أحدكم فوجد شيئًا، فليكفن فى ثوب حبرة»**[3]. أى ما كان من البرود مخططًا.

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى أحكام الجنائز ص٦٠.

(٢) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى، وابن ماجه وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٣٦).

(٣) صحيح: رواه أبو داود، والبيهقى، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٥٥).

الرابع: تبخيره ثلاثًا، لقوله ﷺ : **«إذا جمرتم الميت، فأجمروه ثلاثًا»**(١).

ولا يجوز المغالاة فى الكفن، ولا الزيادة فيه على الثلاثة لأنه خلاف ما كُفِّن فيه رسول الله ﷺ ، وفيه إضاعة للمال، وهو منهى عنه.

والمرأة فى ذلك كالرجل، إذ لا دليل على التفريق.

حمل الجنازة واتباعها

ويجب حمل الجنازة واتباعها، وذلك من حق الميت المسلم على المسلمين.

قال ﷺ : «حق المسلم على المسلم خمس - ومنها - واتباع الجنائز»(٢).

*** واتباعها على مرتبتين:**

الأولى: اتباعها من عند أهلها حتى الصلاة عليها.

والأخرى: اتباعها من عند أهلها حتى يفرغ من دفنها.

ولا شك فى أن المرتبة الأخرى أفضل من الأولى لقوله ﷺ : «من شهد الجنازة [من بيتها]، **حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تُدفن فله قيراطان** [من الأجر] قيل: يا رسول الله وما القيراطان؟ **قال: مثل الجبلين العظيمين. (وفى الرواية الأخرى كل قيراط مثل أُحُد»)**(٣).

وهذا الفضل فى اتباع الجنائز، إنما هو للرجال دون النساء، لنهى النبى ﷺ لهن عن اتباعها، وهو نهى تنزيه، فقد قالت أم عطية رضي الله عنها: **«كنا نُنهى** (وفى رواية: نهانا رسول الله ﷺ » عن اتباع الجنائز، ولم يعزم علينا»(٤).

---

(١) **صحيح:** رواه أحمد، والبزار كما فى كشف الأستار، والبيهقى، وابن ماجه، والحاكم، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٧٨).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (١٢٤٠) كتاب الجنائز، ومسلم (٢١٦٢) كتاب السلام.

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (١٣٢٥) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٤٥) كتاب الجنائز.

(٤) **متفق عليه:** رواه البخارى (١٢٧٨) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٣٨) كتاب الجنائز.

* ولا يجوز أن تتبع الجنائز، بما يخالف الشريعة.

عن ابن عمر قال: «نهى رسول الله ﷺ أن تتبع جنازة معها رنة»[١].

* ويلحق بذلك رفع الصوت بالذكر أمام الجنازة؛ لأنه بدعة، ولقول قيس بن عباد: «كان أصحاب النبى ﷺ يكرهون رفع الصوت عند الجنائز»[٢].

* ويجب الإسراع فى السير بها، سيراً دون الرَّمَل، قال ﷺ: «أسرعوا بالجنازة فإن تكُ صالحة فخير تقدمونها عليه، وإن تكن غير ذلك فشرٌ تضعونه عن رقابكم»[٣].

* ويجوز المشى أمامها وخلفها، وعن يمينها ويسارها، على أن يكون قريبًا منها، إلا الراكب فيسير خلفها، لقوله ﷺ: «الراكب يسير خلف الجنازة، والماشى حيث شاء منها، خلفها وأمامها، وعن يمينها، وعن يسارها، قريبًا منها»[٤].

* وكل من المشى أمامها وخلفها، ثبت عن رسول الله ﷺ فعلاً، لكن الأفضل المشى خلفها؛ لأنه مقتضى قوله ﷺ: «واتبعوا الجنائز»[٥].

* ويجوز الركوب بشرط أن يسير وراءها لقوله ﷺ: «الراكب يسير خلف الجنازة...»[٦].

* وأما الركوب بعد الانصراف عنها فجائز، بدون كراهة.

* وأما حمل الجنازة على عربة أو سيارة مخصصة للجنائز، وتشييع

---

(١) حسن: رواه ابن ماجه، وأحمد، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٨١٠).

(٢) صحيح: رواه البيهقى، وقال الألبانى فى أحكام الجنائز (٤٨): رواه البيهقى بسند رجاله ثقات.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٣١٥) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٤٤) كتاب الجنائز.

(٤) صحيح: رواه الترمذى، والنسائى، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى فى المشكاة (١٦٦٧).

(٥) حسن: رواه ابن حبان، وحسنه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٩٨١).

(٦) صحيح: رواه الترمذى، والنسائى، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى فى المشكاة (١٦٦٧).

المشيعين لها وهم فى السيارات، فهذه الصورة لا تشرع البتة، وذلك لأمور:

الأول: أنها من عادات الكفار، وقد تقرر فى الشريعة أنه لا يجوز تقليدهم فيها.

الثانى: أنها بدعة فى عبادة، مع معارضتها للسنة العملية فى حمل الجنازة.

الثالث: أنها تفوت الغاية من حملها وتشييعها، وهى تذكُّر الآخرة.

الرابع: أنها سبب قوى لتقليل المشيعين لها والراغبين فى الحصول على الأجر.

الخامس: أن هذه الصورة لا تتفق من قريب ولا من بعيد مع ما عُرف عن الشريعة المطهرة السمحة من البعد عن الشكليات والرسميات.

* **والقيام لها منسوخ، وهو على نوعين:**

* قيام الجالس إذا مرت به.

* وقيام المشيع لها عند انتهائها إلى القبر حتى توضع على الأرض والدليل على ذلك حديث على ﷺ قال: «قام رسول الله ﷺ للجنازة فقمنا، ثم جلس فجلسنا»(١).

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٦٢) كتاب الجنائز.

الصلاة على الجنازة

والصلاة على الميت المسلم فرض كفاية، ويُستثنى من ذلك شخصان فلا تجب الصلاة عليهما:

الأول:الطفل الذى لم يبلغ؛ لأن النبى ﷺ لم يُصلِّ على ابنه إبراهيم عليه السلام.

الثاني: الشهيد... ولكن ذلك لا ينفى مشروعية الصلاة عليهما بدون وجوب كما يأتى.

* **وتُشرع الصلاة على من يأتى ذكرهم:**

الأول: الطفل، ولو كان سقطًا.

قال ﷺ: «... **والطفل (وفى رواية: السقط) يُصلَّى عليه، ويُدعى لوالديه بالمغفرة والرحمة**»(١).

قال الشيخ الألبانى: والظاهر أن السقط إنما يُصلَّى عليه إذا كان قد نُفخت فيه الروح، وذلك إذا استكمل أربعة أشهر، ثم مات، فأما إذا سقط قبل ذلك فلا؛ لأنه ليس بميت كما لا يخفى.

الثاني: الشهيد... عن أنس «أن النبى ﷺ مر بحمزة وقد مُثل به ولم يُصلِّ على أحد من الشهداء غيره. يعنى شهداء أُحُد»(٢).

وروى البخارى ومسلم عن عقبة بن عامر «أن النبى ﷺ خرج يومًا فصلى على أهل أُحُد صلاته على الميت بعد ثمان سنين».

الثالث: من قُتل فى حَدٍّ من حدود الله، ففى حديث المرأة التى زنت «أن النبى أمر بها فرُجمت، ثم صلى عليها».

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى، وصححه العلامة الألبانى فى المشكاة (١٦٦٧).

(٢) حسن: رواه أبو داود، وحسنه الألبانى فى أحكام الجنائز (٣).

الرابع: الفاجر المنبعث فى المعاصى والمحارم، مثل تارك الصلاة والزكاة مع اعترافه بوجوبهما، والزانى ومدمن الخمر، ونحوهم من الفساق فإنه يصلى عليهم، إلا أنه ينبغى لأهل العلم والدين أن يدعوا الصلاة عليهم، عقوبة وتأديبًا لأمثالهم، كما فعل النبى ﷺ .

عن أبى قتادة قال: «كان رسول الله ﷺ إذا دُعى لجنازة سأل عنها، فإن أُثنى عليها خير قام فصلى عليها، وإن أُثنى عليها غير ذلك قال لأهلها شأنكم بها، ولم يُصلِّ عليها»[(١)] .

الخامس: المدين الذى لم يترك من المال ما يقضى به دينه فإنه يُصلَّى عليه، وإنما ترك رسول الله ﷺ الصلاة عليه فى أول الأمر. فلما فتح الله على رسوله ﷺ قال: «**أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، فمن ترك دَيْنًا فعلىَّ قضاؤه، ومن ترك مالاً فلورثته**»[(٢)] .

السادس: من دُفن قبل أن يُصلَّى عليه، أو صلى عليه بعضهم دون بعض، فيصلون عليه فى قبره. . روى البخارى عن ابن عباس قال: «**مات رجل** - وكان رسول الله ﷺ يعوده - **فدفنوه بالليل، فلما أصبح أعلموه، فقال: ما منعكم أن تُعلمونى؟ قالوا: كان الليل، وكانت الظلمة، فكرهنا أن نشق عليك، فأتى قبره فصلى عليه**»[(٣)].

السابع: من مات فى بلد ليس فيها من يصلى عليه، صلاة الحاضر، فهذا يصلى عليه طائفة من المسلمين صلاة الغائب، لصلاة النبى ﷺ على النجاشى.

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٢٠٤٩)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٥١٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والنسائى، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٤٥٦).

(٣) صحيح: رواه البخارى (١٢٤٧) كتاب الجنائز.

قال الإمـام ابن القيم: «ولم يكن من هديه ﷺ وسنتـه الصلاة على كل ميت غائب، فقد مات خلق كثير من المسلمين وهم غُيَّب، فلم يُصلِّ عليهم.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الصواب أن الغائب إن مات ببلد لم يُصلَّ عليه فيه، صُلِّى عليه صلاة الغائب، كما صلى النبى ﷺ على النجاشى؛ لأنه مات بين الكفار، ولم يُصَلِّ عليه وإن صُلِّى عليـه حيث مات لم يصلّ عليه صلاة الغائب.

ومما يؤيد عـدم مشـروعيـة الصلاة على كل غـائب أنه لما مات الخلـفاء الراشدون وغـيرهم لم يُصلِّ أحد من المسـلمين عليهم صـلاة الغائب، ولو فعلوا لتواتر النقل بذلك عنهم.

* وتحرم الصلاة والاستغفـار والترحم على الكفار والمنافقين، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [١].

* وتجب الجماعة فى صلاة الجنازة، كما تجب فى الصلوات المكتوبة. . . وأقل ما ورد فى انعـقاد الجماعـة فيها ثلاثة. وكلمـا كثر الجمع كـان أفضل للميت وأنفع، لقوله ﷺ: **«ما من ميت تصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له، إلا شفعوا فيه»**.

وفى حديث آخر: **«غفر له»**[٢].

* وقد يُغفـر للميت ولو كان العدد أقل من مائة إذا كـانوا مسلمين لم يخالط توحيدهم شىء من الشرك، لقوله ﷺ: **«ما من رجل مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربـعون رجلاً لا يشركون بالله شيئًـا إلا شفعهم الله فيه»**[٣].

---

(١) سورة التوبة: الآية: (٨٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٩٤٧) كتاب الجنائز.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٩٤٨) كتاب الجنائز.

* ويُستحب أن يصفوا وراء الإمام ثلاثة صفوف فصاعداً.

* وإذا لم يوجد مع الإمام غير رجل واحد، فإنه لا يقف حذاءه كما هو السنة فى سائر الصلوات بل يقف خلف الإمام.

* والوالى أو نائبه أحق بالإمامة فيها من الولى، لحديث أبى حازم قال: «إنى لشاهد يوم مات الحسن بن على، فرأيت الحسين بن على يقول لسعيد ابن العاص - ويطعن فى عنقه ويقول: - تقدم فلولا أنها سنة ما قدمتك، (وسعيد أمير على المدينة يومئذ) وكان بينهم شىء» (١).

* فإن لم يحضر الوالى أو نائبه، فالأحق بالإمامة أقرؤهم لكتاب الله. وإذا اجتمعت جنائز عديدة من الرجال والنساء، صلى عليها صلاة واحدة، وجعلت الذكور - ولو كانوا صغاراً - مما يلى الإمام وجنائز الإناث مما يلى القبلة.

* ويجوز أن يصلى على كل واحدة من الجنائز صلاة؛ لأنه الأصل، ولأن النبى ﷺ فعل ذلك فى شهداء أُحُد.

عن ابن عباس قال: «لما وقف رسول الله ﷺ على حمزة.. أمر به فهيئ إلى القبلة، ثم كبر عليه تسعًا، ثم جمع إليه الشهداء، كلما أتى بشهيد وضع إلى حمزة، فصلى عليه، وعلى الشهداء معه حتى صلى عليه، وعلى الشهداء اثنين وسبعين صلاة» (٢).

* وتجوز الصلاة على الجنازة فى المسجد، لكن الأفضل الصلاة عليها خارج المسجد فى مكان مُعدّ للصلاة على الجنائز، كما كان الأمر على عهد النبى ﷺ.

* ففى الصحيحين عن أبى هريرة: «أن رسول الله ﷺ نعى النجاشى فى اليوم الذى مات فيه، خرج إلى المصلى فصفَّ بهم وكبر أربعًا» (٣).

(١) صحيح: رواه الحاكم، والبيهقى، وصححه الألبانى فى أحكام الجنائز (٦٦).
(٢) صحيح: رواه الطبرانى، وصححه الألبانى فى أحكام الجنائز (٦٩).
(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٤٥) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٥١) كتاب الجنائز.

* ولا تجوز الصلاة عليها بين القبور، لحديث أنس «أن النبى ﷺ نهى أن يصلى على الجنائز بين القبور»(١).

* ويقف الإمام وراء رأس الرجل، ووسط المرأة.

عن أبى غالب الخياط قال: «شهدت أنس بن مالك صلى على جنازة رجل، فقام عند رأسه»(٢).

وعن سمرة بن جندب قال: «صليت خلف النبى ﷺ، وصلى على أم كعب ماتت وهى نفساء، فقام رسول الله ﷺ للصلاة عليها وسطها»(٣).

* ويكبر عليها أربعًا أو خمسًا، إلى تسع تكبيرات، كل ذلك ثبت عن النبى ﷺ فأيها فعل أجزأه... والأولى التنويع، فيفعل هذا تارة، كما هو الشأن فى أمثاله مثل أدعية الاستفتاح، وصيغ التشهد والصلوات الإبراهيمية ونحوها، وإن كان لابد من التزام نوع واحد منها فهو الأربع؛ لأن الأحاديث فيها أكثر.

* ويُشرع له أن يرفع يديه فى التكبيرة الأولى.

قال الشيخ الألبانى: «ولم نجد فى السنة ما يدل على مشروعية الرفع فى غير التكبيرة الأولى، فلا نرى مشروعية ذلك».

* ثم يضع يده اليمنى على ظهر كفه اليسرى والرسغ والساعد، ثم يشد بينهما على صدره.

* ثم يقرأ عقب التكبيرة الأولى فاتحة الكتاب وسورة.

لحديث طلحة بن عبد الله بن عوف الذى رواه البخارى أنه قال: «صليت خلف ابن عباس رضي الله عنه على جنازة، فقرأ بفاتحة الكتاب [وسورة، وجهر حتى

(١) قال الألبانى فى أحكام الجنائز: رواه الطبرانى بسند حسن.

(٢) قال الألبانى فى أحكام الجنائز: رواه الترمذى، وحسنه.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٣٢) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٦٤) كتاب الجنائز.

أسمعنا، فلما فرغ أخذت بيده، فسألته؟} فقال: {إنما جهرت} لتعلموا أنها سُنة {وحق}».

* ويقرأ سرًا، ثم يكبر التكبيرة الثانية، ويصلى على النبى ﷺ، ثم يأتى ببقية التكبيرات، ويخلص الدعاء فيها للميت، قال ﷺ: «إذا صليتم على الميت، فأخلصوا له الدعاء»[(١)].

* ويدعوا فيها بما ثبت عنه ﷺ من الأدعية، وقد وقفت منها على أربعة:

* الأول: عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: «صلى رسول الله ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه، وهو يقول: «اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعفُ عنه، وأكرم نُزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقِّه من الخطايا كما نقِّيت (وفى رواية: كما ينقّى الثوب الأبيض من الدنس)، وأبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلاً خيرًا من أهله، وزوجًا (وفى رواية: زوجة) خيرًا من زوجه، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر، ومن عذاب النار. قال: فتمنيت أن أكون أنا ذلك الميت»[(٢)].

الثانى: عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «كان إذا صلى على جنازة يقول: اللهم اغفر لحيِّنا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأُنثانا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تضلنا بعده»[(٣)].

الثالث: عن واثلة بن الأسقع قال: «صلى رسول الله ﷺ على رجل من المسلمين، فأسمعه يقول: اللهم إن فلان ابن فلان فى ذمتك وحبل جوارك، فقِهِ فتنة القبر، وعذاب النار، وأنت أهل الوفاء والحق، فاغفر له

---

(١) حسن: رواه أبو داود، وابن ماجه، وابن حبان، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٩٦٣) كتاب الجنائز.

(٣) صحيح: رواه أحمد، والبيهقى، وصححه العلامة الألبانى فى المشكاة (١٦٧٥).

وارحمه، إنك أنت الغفور الرحيم»[١].

الرابع: عن يزيد بن ركانة بن المطلب قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قام للجنازة ليصلى عليها قال: «**اللهم عبدك وابن أمتك احتاج إلى رحمتك، وأنت غنى عن عذابه، إن كان محسنًا فزد فى حسناته، وإن كان مسيئًا فتجاوز عنه**». [ثم يدعو ما شاء الله أن يدعو] [٢].

* والدعاء بين التكبيرة الأخيرة والتسليم مشروع، ثم يسلم تسليمتين مثل تسليمه فى الصلاة المكتوبة إحداهما عن يمينه، والأخرى عن يساره.

* ويجوز الاقتصار على التسليمة الأولى فقط، لحديث أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه -: «أن رسول الله ﷺ صلى على جنازة، فكبر عليها أربعًا، وسلم تسليمة واحدة»[٣].

* والسُّنَّة أن يسلم على الجنازة سراً، الإمام ومن وراءه فى ذلك سواء.

فهذا ابن عباس «كان يسلم فى الجنازة تسليمة خفية»[٤].

وهذا ابن عمر «كان إذا صلى على الجنائز يسلم حتى يُسمع من يليه» وإسناده صحيح.

* ولا تجوز الصلاة على الجنازة فى الأوقات الثلاثة التى تحرم الصلاة فيها إلا لضرورة.

* * *

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، وابن ماجه، وابن حبان، وأحمد، وصححه الألبانى فى المشكاة (١٦٧٥).

(٢) صحيح: رواه الحاكم، وصححه العلامة الألبانى فى أحكام الجنائز (ص١٢٥).

(٣) قال الألبانى فى أحكام الجنائز: أخرجه الدارقطنى والحاكم، وإسناده حسن.

(٤) قال الألبانى فى أحكام الجنائز: إسناده حسن.

الدفن وتوابعه

* ويجب دفن الميت ولو كان كافرًا.

ولا يُدفن مسلم مع كافر، ولا كافر مع مسلم، بل يدفن المسلم في مقابر المسلمين، والكافر في مقابر المشركين.

* والسُّنَّة الدفن في المقبرة؛ لأن النبي ﷺ كان يدفن الموتى في مقبرة البقيع، ولم يُنقل عن أحد من السلف أنه دُفن في غير المقبرة، إلا ما تواتر أيضًا أن النبي ﷺ دُفن في حجرته، وذلك من خصوصياته عليه الصلاة والسلام.

* ويُستثنى مما سبق الشهداء في المعركة، فإنهم يُدفنون في مواطن استشهادهم ولا يُنقلون إلى المقابر.

* **ولا يجوز الدفن في الأحوال الآتية إلا لضرورة:**

* الدفن في الأوقات الثلاثة - أوقات النهي.

* **في الليل... لحديث جابر** رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ ذكر رجلاً من أصحابه قُبض فكُفِّن في كفن غير طائل وقُبر ليلاً، فزجر النبي ﷺ أن يُقبر الرجل بالليل حتى يُصلَّى عليه، إلا أن يضطر إنسان إلى ذلك»(١).

* فإن اضطروا لدفنه ليلاً، جاز ولو مع استعمال المصباح والنزول به في القبر، لتسهيل عملية الدفن، والدليل حديث ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ أدخل رجلاً قبره ليلاً، وأسرج في قبره»(٢).

* ويجب إعماق القبر، وتوسيعه وتحسينه... عن رجل من الأنصار قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، وأنا غلام مع أبي، فجلس رسول الله ﷺ على حفيرة القبر، فجعل يوصي [وفي رواية: يومئ إلى] الحافر ويقول: أوسع من قِبل الرأس، وأوسع من قِبل

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٤٣) كتاب الجنائز.

(٢) حسن: رواه ابن ماجه، وحسنه العلامة الألباني في أحكام الجنائز (١٤١).

الرجلين، لرب عذقٍ له فى الجنة»(١) .

* ويجوز فى القبر اللحد والشق لجريان العمل عليهما فى عهد النبى ﷺ ، لكن الأول أفضل (اللحد).

فعن سعد أنه قال: «ألحِدوا لى لحدًا، وانصبوا علىَّ اللَّبِن نصبًا كما صُنع برسول الله ﷺ » .

* ولا بأس من أن يدفن فيه اثنان أو أكثر عند الضرورة، ويُقدَّم أفضلهم.

* عن جابر بن عبد الله قال: «كان النبى ﷺ يجمع بين الرجلين [والثلاثة] من قتلى أُحُد فى ثوب واحد، ثم يقول: أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟ فإذا أُشير إلى أحدهما قدَّمه فى اللحد قبل صاحبه»(٢) .

* ويتولى إنزال الميت ولو كان أنثى - الرجال دون النساء، وأولياء الميت أحق بإنزاله . . لعموم قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ اللَّهِ﴾ (٣) .

* ويجوز للزوج أن يتولى بنفسه دفن زوجته، لكن ذلك مشروط بما إذا كان لم يطأ تلك الليلة، وإلا لم يشرع له دفنها، وكان غيره هو الأولى بدفنها ولو أجنبيًا بالشرط المذكور. . . لحديث أنس بن مالك ؓ قال: «شهدنا ابنة لرسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ جالس على القبر، فرأيت عينيه تدمعان، ثم قال: هل منكم من رجل لم يقارف - أى يجامع - الليلة [أهله]؟ فقال أبو طلحة: [نعم] أنا يا رسول الله! قال: فانزل، قال: فنزل فى قبرها [فقبرها]» .

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، وقال العلامة الألبانى فى أحكام الجنائز (١٤٤) إسناده صحيح.

(٢) صحيح: رواه البخارى (١٣٤٨) كتاب الجنائز.

(٣) سورة الأنفال: الآية: (٧٥).

وفى رواية عنه: «أن رقية رضي الله عنها لما ماتت قال رسول الله ﷺ ، لا يدخل القبر رجل قارف [الليلة] أهله، فلم يدخل عثمان بن عفان رضي الله عنه القبر» وهو زوجها [(١)].

* والسُنَّة إدخال الميت من مؤخر القبر.

عن ابن سيرين قال: «كنت مع أنس فى جنازة فأمر بالميت فسُلَّ من قِبل رجل القبر»[(٢)].

* ويُجعل الميت فى قبره على جنبه اليمين، ووجهه قبالة القبلة، ورأسه ورجلاه إلى يمين القبلة ويسارها.

* ويقول الذى يضعه فى لحده: «بسم الله، وعلى سُنة رسول الله، أو: ملة رسول الله ﷺ ».

فعن ابن عمر: «أن النبى ﷺ كان إذا وضع الميت فى القبر قال: «بسم الله، وعلى سُنة (وفى رواية: ملة) رسول الله»[(٣)].

* ويستحب لمن عند القبر أن يحثو من التراب ثلاث حثوات بيديه جميعًا بعد الفراغ من سد اللحد... لحديث أبى هريرة: «أن رسول الله ﷺ صلى على جنازة، ثم أتى الميت فحثى عليه من قِبل رأسه ثلاثًا»[(٤)].

* ويُسن بعد الفراغ من دفنه أمور:

الأول: أن يرفع القبر عن الأرض قليلاً نحو شبر، ولا يسوى بالأرض، وذلك ليتميز فيُصان ولا يُهان.

الثانى: أن يُجعل مُسنمًا... لحديث سفيان التمار الذى رواه البخارى أنه

---

(١) صحيح: رواه البخارى (١٣٤٢) كتاب الجنائز، وأحمد (١٢٩٨٥).

(٢) قال الألبانى فى أحكام الجنائز: رواه أحمد، وسنده صحيح.

(٣) صحيح: رواه أبو داود، وابن ماجه، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى فى المشكاة (١٧٠٧).

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه، وصححه العلامة الألبانى فى الإرواء (٧٥١).

قال: «رأيت قبر النبى ﷺ وقبر أبى بكر وعمر مسنمًا».

الثالث: أن يُعلّمه بحجر أو نحوه ليدفن إليه من يموت من أهله.

الرابع: أن لا يلقن الميت التلقين المعروف اليوم، بل يقف على القبر يدعو له بالتثبيت، ويستغفر له، ويأمر الحاضرين بذلك... «كان النبى ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «**استغفروا لأخيكم، وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يُسأل**»(١).

* ويجوز الجلوس عنده أثناء الدفن بقصد تذكير الحاضرين بالموت وما بعده.

* ويجوز إخراج الميت من القبر لغرض صحيح، كما لو دُفن قبل غسله وتكفينه ونحو ذلك.

* ولا يستحب للرجل أن يحفر قبره قبل أن يموت، فإن النبى ﷺ لم يفعل ذلك هو ولا أصحابه، والعبد لا يدرى أين يموت، وإذا كان مقصود الرجل الاستعداد للموت، فهذا يكون بالعمل الصالح.

التعزية

وتُشرع تعزية أهل الميت... ويعزيهم بما يظن أنه يسليهم، ويكف من حزنهم، ويحملهم على الرضا والصبر، مما يثبت عنه ﷺ، إن كان يعلمه ويستحضره، وإلا فبما تيسَّر له من الكلام الحسن الذى يحقق الغرض ولا يخالف الشرع.

عن أسامة بن زيد قال: «أرسلت إلى رسول الله ﷺ بعض بناته: أن صبيًا لها، ابنًا أو ابنة قد احتضرت، فاشهدنا، قال: فأرسل إليها يقرأها

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، والحاكم، وصححه العلامة فى السلسلة الصحيحة (٣٥١١).

السلام ويقول: «**إن لله ما أخذ، ولله ما أعطى، وكل شيء عنده إلى أجل مُسمًّى فلتصبر، ولتحتسب**»(١).

قال النووى فى «الأذكار» وغيره: «وهذا الحديث أحسن ما يُعزَّى به».

* ولا تُحد التعزية بثلاثة أيام لا يتجاوزها، بل متى رأى الفائدة فى التعزية أتى بها، فقد ثبت عنه ﷺ أنه عزى بعد الثلاثة فى حديث عبد الله بن جعفر - رضى الله تعالى عنهما -.

* وينبغى اجتناب أمرين وإن تتابع الناس عليهما:

أ - الاجتماع للتعزية فى مكان خاص كالدار أو المقبرة أو المسجد.

ب - إتخاذ أهل الميت الطعام لضيافة الواردين للعزاء.

وإنما السُّنَّة أن يصنع أقرباء الميت وجيرانه لأهل الميت طعامًا يُشبعهم، لحديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: «لما جاء نعى جعفر حين قُتل قال النبى ﷺ: «**اصنعوا لآل جعفر طعامًا، فقد أتاهم أمرٌ يشغلهم، أو أتاهم ما يشغلهم**»(٢).

* ويُستحب مسح رأس اليتيم وإكرامه.

* **ما ينتفع به الميت:**

وينتفع الميت من عمل غيره بأمور:

أولاً: دعاء المسلم له، إذا توفرت فيه شروط القبول.

ثانيًا: قضاء ولى الميت صوم النذر عنه... قال ﷺ: «**من مات وعليه صيام، صام عنه وليه**»(٣).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٨٤) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٢٣) كتاب الجنائز.

(٢) حسن: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى، وابن ماجه، والطبرانى، والحاكم، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٠١٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٥٢) كتاب الصوم، ومسلم (١١٤٧) كتاب الصيام.

ثالثًا: قضاء الدَّين عنه من أي شخص وليًّا كان أو غيره.

رابعًا: ما يفعله الولد الصالح من الأعمال الصالحة، فإن لوالديه مثل أجره، دون أن ينقص من أجره شيء؛ لأن الولد من سعيهما وكسبهما.

خامسًا: ما خلَّفه من بعده من آثار صالحة وصدقات جارية، لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (١).

قال ﷺ: **«إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة أشياء، إلا من صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له»**(٢).

*** زيارة القبور:**

وتشرع زيارة القبور للاتعاظ بها وتذكر الآخرة شريطة أن لا يقول عندها ما يغضب الرب سبحانه وتعالى كدعاء المقبور والاستغاثة به من دون الله تعالى، أو تزكيته والقطع له بالجنة، ونحو ذلك.

قال ﷺ: **«إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإنها تذكركم الآخرة، ولتزدكم زيارتها خيرًا، فمن أراد أن يزور فليزر، ولا تقولوا هُجرًا»**(٣).

* والنساء كالرجال في استحباب زيارة القبور، لوجوه:

الأول: عموم قوله ﷺ: **«.. فزوروا القبور»** فيدخل فيه النساء.

الثاني: مشاركتهن الرجال في العلة التي من أجلها شُرعت زيارة القبور: «فإنها تُرق القلب وتدمع العين، وتذكر الآخرة».

الثالث: أن النبي ﷺ قد رخص لهن في زيارة القبور.

الرابع: إقرار النبي ﷺ المرأة التي رآها عند القبر في حديث أنس رضي الله عنه

---

(١) سورة يس: الآية: (١٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٨٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٩٧٧) كتاب الجنائز، والنسائي (٢٠٣٣) كتاب الجنائز، وأحمد (١٣٢٠٣).

الذى رواه البخارى: «مرَّ رسول الله ﷺ بامرأة عند قبر وهى تبكى، فقال لها: اتقى الله واصبرى..»(١).

* ولكن لا يجوز لهن الإكثار من زيارة القبور والتردد عليها؛ لأن ذلك قد يُفضى بهن إلى مخالفة الشريعة، من مثل الصياح والتبرج واتخاذ القبور مجالس للنزهة، وتضييع الوقت فى الكلام الفارغ كما هو مشاهد اليوم فى بعض البلاد الإسلامية.

* ويجوز زيارة قبر من مات على غير الإسلام للعبرة فقط.

* والمقصود من زيارة القبور شيئان:

١ - انتفاع الزائر بذكر الموت والموتى، وأن مآلهم إما إلى جنة وإما إلى نار، وهو الغرض الأول من الزيارة.

٢- نفع الميت والإحسان إليه بالسلام عليه، والدعاء والاستغفار له، وهذا خاص بالمسلم.

وأما قراءة القرآن عند زيارتها، فمما لا أصل له فى السُّنَّة، بل الأحاديث المذكورة فى المسألة السابقة تُشعر بعدم مشروعيتها.

ومما يقوى عدم المشروعية قوله ﷺ: **«لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن الشيطان يفر من البيت الذى يُقرأ فيه سورة البقرة»**(٢).

فقد أشار ﷺ إلى أن القبور ليست موضعًا للقراءة شرعًا، فلذلك حض على قراءة القرآن فى البيوت ونهى عن جعلها كالمقابر التى لا يُقرأ فيها.

* ويجوز رفع اليدين فى الدعاء لها، ولكنه لا يستقبل القبور حين الدعاء لها، بل الكعبة، لنهيه ﷺ عن الصلاة إلى القبور، والدعاء مخ

---

(١) صحيح: رواه البخارى (١٢٥٢) كتاب الجنائز.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧٨٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

الصلاة ولُبها كما هو معروف فله حكمها.

* وإذا زار قبر الكافر فلا يسلم عليه، ولا يدعو له، بل يبشره بالنار. قال ﷺ: «**حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار**»(١).

* ولا يمشى بين قبور المسلمين فى نعليه، ولا يُشرع وضع الآس ونحوها من الرياحين والورود على القبور؛ لأنه لم يكن من فعل السلف ولو كان خيراً لسبقونا إليه.

*** ما يحرم عند القبور:**

١- الذبح لوجه الله، لقوله ﷺ: «**لا عقر فى الإسلام**»(٢).

قال عبد الرزاق بن همام: «كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة»(٣).

٢- رفعها زيادة على التراب الخارج منها.

٣- طليها بالكلس ونحوه.

٤- الكتابة عليها.

٥- البناء عليها.

٦- القعود عليها.

* عن جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يُجصص القبر، وأن يُقعد عليه، وأن يُبنى عليه، أو يزاد عليه، أو يُكتب عليه»(٤).

٧- الصلاة إلى القبور، لقوله ﷺ: «**لا تصلوا إلى قبر ولا تصلوا على قبر..**»(٥).

٨- الصلاة عندها ولو بدون استقبال... قال ﷺ: «**الأرض كلها**

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى، والبزار، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣١٦٥).

(٢) صحيح: رواه أبو داود، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٥٣٥).

(٣) قال الألبانى فى أحكام الجنائز: رواه أبو داود، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٩٧٠) كتاب الجنائز.

(٥) صحيح: رواه الطبرانى، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٣٤٨).

مسجد إلا المقبرة والحمام»(١).

٩- بناء المساجد عليـها. . . قال ﷺ : «قاتل الله اليـهود (وفى رواية: لعن الله اليهود والنصارى) اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(٢).

١٠- اتخاذها عيدًا، تُقصد فى أوقات معينة، ومواسم معروفة، للتعبد عندها، أو لغيـرها، . . . قال ﷺ : «لا تتـخذوا قبـرى عيـدًا، ولا تجعلوا بيوتكم قبورًا»(٣).

١١- السفر إليها. . . قال ﷺ : «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى»(٤).

١٢- إيقاد السُّرج عندها، والدليل على ذلك عدة أمور:

أولاً: كونه بدعة مُحدَثة لا يعرفها السلف الصالح.

ثانيًا: أن فيه إضاعة للمال وهو منهى عنه.

ثالثًا: أن فيه تشبهًا بالمجوس عُبّاد النار.

١٣- كسـر عظامـها، . . . والدليل عليـه قوله ﷺ : «إن كسـر عظم المؤمن ميتًا، مثل كسره حيًا»(٥).

* * *

(١) صحيح: رواه أحمد، والشافعى، والدارمى، والترمذى، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٧٦٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٣٧) كتاب الصلاة، ومسلم (٥٣٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) صحيح: رواه أبو داود، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٢٢٦).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١١٨٩) كتاب الجمعة، ومسلم (١٣٩٧) كتاب الحج.

(٥) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٤٧٨).

وقفة قبل الندم

أخي الكريم: تذكر يوم أن دعانا الله إلى التوبة فقال: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (١) .

بل تذكر يوم أن طمأن قلوبنا بقرب رحمته ومغفرته حتى لا نقنط فقال: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) .

ثم تذكر مرة أخرى يوم أن ابتعد الكثير من المسلمين والمسلمات عن طاعة الله وعن التوبة، فقال تعالى مصوراً حال أهل الغفلة الذين صرفهم الله عن آياته وصرف آياته عنهم، فقال عن حالهم في الدنيا: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ (٣) .

ثم عقَّب بعد ذلك بوصفهم، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة آل عمران: الآيات: (١٣٣ : ١٣٦).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (١٤٦).

(٤) سورة الأعراف: الآية: (١٧٩).

ثم أنذر الله عباده قبل يوم الحسرة، فقال: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

ثم تذكر حالهم فى الآخرة، فقد قال تعالى عنهم: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢) وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾ (٥).

---

(١) سورة مريم: الآية: (٣٩).

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان: (٩٩: ١٠٠).

(٣) سورة السجدة: الآيات: (١٢: ١٤).

(٤) سورة ق: الآيات: (١٦- ٢٢).

(٥) سورة الفجر: الآيات: (٢١- ٢٦).

فما أحوجنا والله إلى التوبة قبل الندم والحسرة فى يومٍ لا ينفع فيه ندم ولا تُجدى فيه حسرة.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

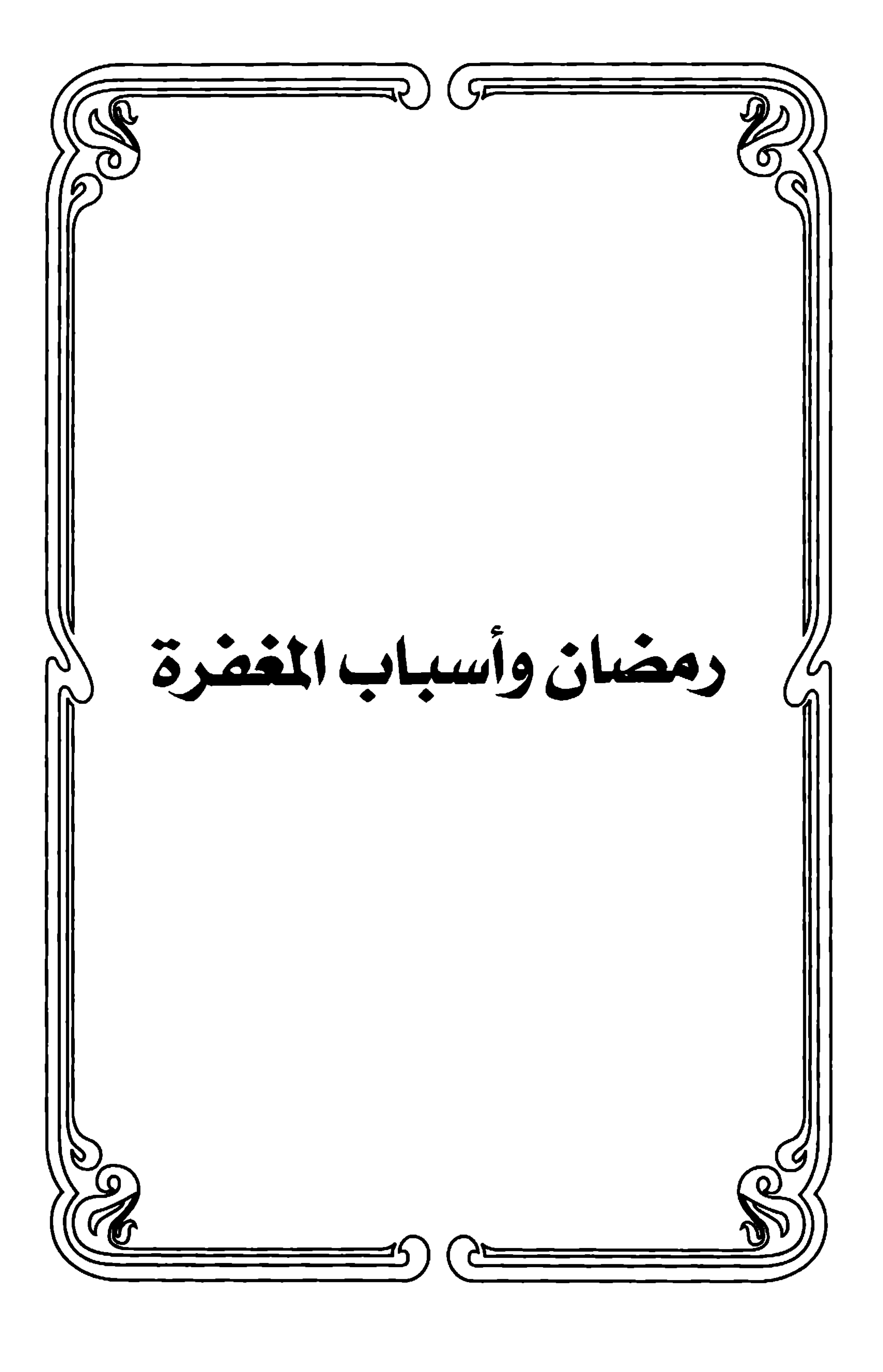
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)



رمضان وأسباب المغفرة

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٣).

أما بعد:

فإن العبد المؤمن إذا عصى ربه ضاقت عليه الدنيا بما رحُبت وضاقت عليه نفسه ولكن سرعان ما يجد شعاعًا من فيض رحمة الله ينير له الطريق إلى التوبة والعودة إلى طاعته ليلبس ثوب الطائعين ويعيش فى رحاب المخبتين.

وبينما يسير العبد تائهًا حائرًا لا يدرى كيف يلقى ربه بهذه الذنوب التى

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

تنوء الجبال بحملهـا. . . وإذا به يرى شمسًا تضىء سماء المغفـرة لتُسقط ماء التوبة على قلبه فيشفى من مرضه ويحيا بعد موته.

وها نحن على أبواب إشراقة جديدة لتلك الشمس التى لا تُشرق إلا مرة واحدة فى كل عام مع قدوم شهر التوبة والرحمة والمغفرة - شهر رمضان - فـهل سنكون ممن فازوا بالمـغفـرة والرضوان والعـتق من النيـران فى شهـر رمضان؟

نسأل الله أن يرزقنا توبة نصوحًا تُرضيه عنا.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع مشاهد المغفرة فى شهر رمضان من خلال تلك السطور عـسى الله أن يجمـعنا فى الجنة كـما جـمعنا فى الدنيـا على طاعته.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه
الفقير إلى عفو الرحيم الغفار
محمود المصرى
(أبو عمار)

يا باغي الخير

* عن أبي هريرة أن رسـول الله ﷺ قـال : «إذا جـاء رمضـان، فُتّحت أبواب الجنة، وغُلّقت أبواب النار وصُفدت الشياطين»(١).

وفي رواية لمسلم: «فُتحت أبواب الرحمة، وغلقت أبواب جهنم، وسُلسلت الشياطين»(٢).

* وقال ﷺ : «إذا كـان أول ليلة من شهـر رمضـان صُفّـدت الشيـاطين، ومردة الجن، وغُلقت أبواب النار، فلم يُفتح منها باب، وفتّحت أبواب الجنة فلم يُغلق منها باب، وينادِ منادٍ: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة»(٣).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «أتاكم شهر رمضان، شهر مبارك، فرض الله عليكم صيامه، تُفتح فيه أبواب السماء، وتُغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغلُّ فيـه مردة الشـياطين، لله فيـه ليلة خير من ألف شـهر، من حُرم خيرها فقد حُرم»(٤).

فيـا من امتن الله عليك وأدركت شهـر رمضـان لا تضيع هذه الفـرصة العظيمة فـقد يكون آخر رمضان في عمـرك فاجتهد فيـه لتدخل الجنة حيث النعيم المقيم والخلود في جوار الرحمن الرحيم.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٨٩٨) كتاب الصوم، ومسلم (١٠٧٩) كتاب الصيام.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٠٧٩) كتاب الصيام.

(٣) حسن: رواه الترمذي، وابن مـاجه، وابن حبان، والحاكم، وقـال: صحيح على شرط الشـيخين، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٧٥٩).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والنسائي، والبيهقي في شعب الإيمـان، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٥٥).

قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا

أخى الحبيب.... أختى الفاضلة:

يا من تهربون من النار وترغبون فى الجنة ورضـوان العزيز الغفار. ها هو شهر رمضان جاء لتحيا القلوب ولتدمع العيون ولتخشع الجوارح... جاء ليقول للعيون: صومى عن النظر إلى الحرام... جاء ليقول للألسن: صومى عن الغيبة والنميمة والكذب والبهتان... جاء ليقول للبطون: صومى عن أكل الحرام. جاء ليقول للأيدى صومى عن سفك الدماء وظُلم العباد وأخذ الرشوة... جاء يدعوكم جميعًا لجنة عرضها السماوات والأرض.

ومن هنا كانت فرحة القلوب بقدوم هذا الضيف العزيز الذى جاء ليأخذ بأيدينا إلى جنة الرحمن (جل وعلا).. قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (١).

إن الحسنات يُذهبن السيئات

«قال الله تعالى: وعزتى وجلالى لا أجمع لعبدى أمنين ولا خوفين إن هو أمننى فى الدنيا أخفتُه يوم أجمع عبادى، وإن هو خافنى فى الدنيا أمَّنتُه يوم أجمع عبادى»(٢).

* وعن أبى ذرٍّ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إنِّى أرى ما لا ترون، أطَّت السَّماءُ وحُقَّ لها أن تئطَّ، ما فيها موضعُ أربع أصابع إلاَّ وملكٌ واضع جبهتهُ ساجدًا لله تعالى، والله لو تعلمُون ما أعلمُ، لضحكتم قليلاً،**

(١) سورة يونس: الآية: (٥٨).

(٢) حسن: رواه أبو نعيم (١/ ٢٧٠)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٣٢).

ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفُرُش، ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله تعالى»(١).

* وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل ألا إنَّ سلعة الله غالية، ألا إنَّ سلعة الله الجنَّةُ»(٢).

* وعن ابن عمر ﷺ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يُدنَى المُؤمنُ يوم القيامة من ربِّه حتَّى يضع كنفهُ عليه، فيُقرِّرُهُ بذُنُوبه، فيقولُ: أتعرفُ ذنب كذا؟ أتعرفُ ذنب كذا؟ فيقول: ربِّ أعرفُ، قال: فإنِّى قد سترتُها عليك فى الدُّنيا، وأنا أغفرُها لك اليوم، فيُعطَى صحيفة حسناته»(٣).

* عن ابن مسعود ﷺ، أنَّ رجُلاً أصاب من امرأة قُبلة، فأتى النبى ﷺ فأخبره، فأنزل اللهُ تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ (٤) فقال الرجل: ألِىَ هذا يا رسول الله؟ قال: «لجميع أُمَّتى كُلهم»(٥).

فيا من أسأت وأذنبت طوال العام استمع لهذا النداء الإلهى ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ فتُب إلى الله واجتهد فى طاعته وستعلم حين يبدل الله سيئاتك إلى حسنات: أن الله أرحم بك من رحمة الأم بطفلها الرضيع.

* وعن عمر بن الخطاب ﷺ، قال: قَدِم رسُولُ الله ﷺ بسبى فإذا امرأةٌ من السَّبى تسعى، إذ وجدت صبيًا فى السبى أخذتهُ فألزقتهُ ببطنها،

---

(١) حسن: رواه أحمد، والترمذى، والحاكم، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٤٤٩).

(٢) صحيح: رواه الترمذى، والحاكم، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٢٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٦٨٥) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٧٦٨) كتاب التوبة.

(٤) سورة هود: الآية: (١١٤).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢٦) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٢٧٦٣) كتاب التوبة.

فأرضعته، فقال رسولُ الله ﷺ : «أتُرون هذه المرأة طارحة ولدها فى النَّار؟» قُلنا: لا والله. فقال: «للهُ أرحمُ بعباده من هذه بولدها» (١).

الله يفرح بتوبتك

* عن أبى هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنَّهُ قال: «قال الله عز وجلَّ: أنا عند ظنِّ عبدى بى، وأنا معهُ حيث يذكُرُنى، والله للهُ أفرحُ بتوبة عبده من أحدكُم يجدُ ضالَّتهُ بالفلاة، ومن تقرَّب إلىّ شبرًا، تقرَّبتُ إليه ذراعًا، ومن تقرب إلىَّ ذراعًا، تقرَّبت إليه باعًا، وإذا أقبل إلىَّ يمشى، أقبلتُ إليه أُهرولُ» متفقٌ عليه، وهذا لفظ إحدى روايات مسلم (٢).

* وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم إنَّك ما دعوتنى ورجوتنى غفرتُ لك على ما كان منك ولا أُبالى، يا ابن آدم، لو بلغت ذُنُوبُك عنان السماء، ثم استغفرتنى غفرتُ لك ولا أُبالى، يا ابن آدم، إنك لو أتيتنى بقُراب الأرض خطايا، ثُمَّ لقيتنى لا تُشركُ بى شيئًا، لأتيتُك بقُرابها مغفرةً» (٣).

* فيا من أعرضت عن الله: اعلم بأن الله (جل وعلا) الذى لا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك - يفرح بتوبتك - وها نحن الآن فى شهر التوبة فمتى تتوب؟!.

نعم يا إخوانى: متى يتوب من لا يتوب فى رمضان.. ومتى يعود إلى الرحمن من لا يعود فى رمضان... ومتى يسعى العبد فى فكاك رقبته من النار إذا لم يفعل ذلك فى رمضان... أليس من الحسرة والندامة أن يعفو

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٩٩) كتاب الأدب، ومسلم (٢٧٥٤) كتاب التوبة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٤٠٥) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٦٧٥) كتاب التوبة.

(٣) حسن: رواه الترمذى، والضياء ، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٣٨).

الله عن مئات الألوف من التائبين ولا يعفو عنك أنت؟.

أخي الحبيب: إنك لا تدرى متى يأتيك ملك الموت فاغتنم هذا الشهر فلعله يكون آخر عمرك فتموت لتدخل الجنة... أما تاقت نفسك إلى الجنة ونعيمها وأشجارها وأنهارها وقصورها والنظر إلى وجه ربها (جل جلاله)؟.

الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله

* أيها الأخ الحبيب.... أيتها الأخت الفاضلة.

أما سمعتم من قبل قول النبي ﷺ: «**الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك**»(١).

فها هى أيام معدودات مَن أخلص العبادة فيها لله (جل وعلا) دخل الجنة ونجا من عذاب النار.

خاب وخسر من علم أن الله فتح له أبواب الجنة فى شهر رمضان ثم هو يعصى ربه ليكون من أهل النار!!!

إن الدنيا قصيرة بل وحقيرة فلا تستحق أن نُفنى أعمارنا فى جمع حُطامها الزائل ونعيمها الذى يفنى مع أول غمسة فى النار.

* قال رسول الله ﷺ: «**يُؤتَى بأنعم أهل الدُّنيا من أهل النَّار يوم القيامة، فيُصبغُ فى النَّار صبغةً ثُمَّ يُقالُ: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قطُّ؟ هل مرَّ بك نعيمٌ قطُّ؟ فيقول: لا والله يا ربِّ. ويُؤتَى بأشدِّ النَّاس بُؤسًا فى الدُّنيا من أهل الجنَّة فيُصبغُ صبغةً فى الجنَّة، فيُقالُ لهُ: يا ابن آدم هل رأيت بُؤسًا قطُّ؟ هل مرَّ بك شدَّةٌ قطُّ؟ فيقولُ: لا والله، ما مرَّ بى بُؤسٌ قطُّ، ولا رأيتُ شدَّةً قطُّ**»(٢).

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٤٨٨) كتاب الرقاق.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

صُم عن الدنيا... وأفطر فى الجنة

يا من ضاقت عليه الدنيا بهمومها وغمومها وأحزانها... صُم عن الدنيا وأفطر هناك فى الجنة واعلم أن ترك الدنيا - سحابٌ يحمل الحكمة - فإذا خرجت الدنيا من القلب أفرغت السحابة ما فيها من الحكمة فى قلب العبد المؤمن... أما علمت يا أخى أن أكثر الناس شبعًا فى الدنيا أكثرهم جوعًا فى الآخرة.

فمن ترك لله فى الدنيا طعامًا وشرابًا وشهوة مدة يسيرة، عوضه الله عنده طعامًا وشرابًا لا ينفد، وأزواجًا لا يَمُتن أبدًا، فشهر رمضان فيه يُزوَّج الصائمون.

قال الحسن: تقول الحوراء لولى الله وهو يتكىء معها على نهر العسل تعاطيه الكأس: إن الله نظر إليك فى يوم صائف بعيد ما بين الطرفين، وأنت فى ظمأ هاجرة من جهد العطش فباهى بك الملائكة، وقال: انظروا إلى عبدى ترك زوجته، وشهوته، ولذته، وطعامه، وشرابه من أجلى رغبة فيما عندى، اشهدوا أنى قد غفرت له، فغفر لك يومئذ وزوجنيك»(١).

فى رحاب ثمرات الصيام

أخى الصائم.. أختى الصائمة: تعالوا بنا لنتعرف على بعض ثمرات الصيام فى هذا الشهر المبارك.

*** إن الصيام كفارة للذنوب والخطايا:**

قال ﷺ: **«فتنة الرجل فى أهله وماله ونفسه وولده وجاره، يكفرها الصيام، والصلاة، والصدقة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر»**(٢).

---

(١) لطائف المعارف (ص: ١٦٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٨٦) كتاب المناقب، ومسلم (١٤٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

* **والصيام شعار الأبرار:**

قال ﷺ :«جعل الله عليكم صلاة قوم أبرار، يقومون الليل ويصومون النهار، ليسوا بأثمة ولا فُجار» (١).

* **الصائمون هم السائحون:**

قال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

قالت عائشة رضي الله عنها: سياحة هذه الأمة: الصيام.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كل ما ذُكر فى القرآن السياحة: هم الصائمون.

* **الصيام هو أقرب طريق إلى تقوى الله:**

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٣)والتقوى هى طريق المغفرة والجنة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٤). وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ (٥).

* **وهو وقاية من عذاب الله:**

قال ﷺ : «الصوم جُنة يستجن بها العبد من النار» (٦).

* قال ﷺ : «إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين» (٧).

---

(١) صحيح:رواه عبد بن حميد، والضياء، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٩٧).

(٢)سورة التوبة: الآية: (١١٢).

(٣)سورة البقرة: الآية: (١٨٣).

(٤)سورة الأنفال: الآية: (٢٩).

(٥)سورة محمد: الآية: (١٥).

(٦) حسن:رواه الطبرانى فى الكبير وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٨٦٧).

(٧) حسن:رواه ابن حبان، والطبرانى فى الأوسط وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٨٤٤).

فإن كان الله وملائكته يصلون على المتسحرين.. والسحور عونٌ على الصيام فما ظنك بالصائمين.

الصوم لى وأنا أجزى به

قال ﷺ: «كل عمل ابن آدم يُضاعَف، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم؛ فإنه لى وأنا أجزى به، يدع شهوته وطعامه من أجلى، وللصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك»(١).

فأى تشريف أعظم من إضافته لله تعالى؟!.

* وهنا لطيفة أود أن أقف معها قليلاً وهى قوله تعالى: «إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به» فإن كان الصوم له فلمن الصلاة والزكاة والحج وسائر الأعمال؟ أليست لله جل وعلا؟ إذن فما معنى «فإنه لى».

والجواب عن ذلك: أن الصيام فى رمضان لا يتطرق الرياء إليه أبدًا... كما قال الإمام أحمد: لا رياء فى الصوم... فكل عبادة قد يدخلها الرياء وإرادة وجه المخلوقين حتى الصلاة وهى خير الأعمال قد يدخلها الرياء - إلا الصيام -.

أنواع الجزاء

* وأما قوله: «وأنا أجزى به» فإنه (جل وعلا) لم يحدد الجزاء على الصيام وذلك لأن الصيام من الصبر ولقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٢).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٢٧) كتاب اللباس، ومسلم (١١٥١) كتاب الصيام.

(٢) سورة الزمر: الآية: (١٠).

* **والجزاء ينقسم إلى ثلاثة أقسام:**

(١) إن كان الجزاء من الأشياء التى تتشابه أسماؤها مع بعض أنواع النعيم فى الجنة فإن الله يذكرها صراحة.

فعلى سبيل المثال: الدنيا فيها فاكهة ونخل ورمان... وكذلك الجنة ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ (١) .. وشتَّان شتان ما بين فاكهة الدنيا وفاكهة الجنة ولكن لما تشابهت الأسماء ذكرها الله باسمها.

(٢) إذا كان الجزاء لا يقع تحت سمع وبصر الناس لكنهم يستطيعون أن يُطلقوا العنان لعقولهم لتتخيل هذا النعيم... فإن الله (جل وعلا) يضرب المثل بهذا النوع... قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (٢) .

فالناس لا يرون أنهار اللبن أو العسل أو الخمر أو الماء الغير آسن ولكنهم قد يتخيلوا هذا المشهد المهيب - على قدر عقولهم وملكاتهم المحدودة - وإن كانوا لا يستطيعون أن يدركوا حقيقة هذا الشيء.

(٣) إذا كان الجزاء لا يقع تحت سمع وبصر الناس ولا يستطيعون أن يتخيلوا هذا الجزاء لأنه أعظم من أن تدركه عقولهم... فهذا النوع من الجزاء يسكت الشارع عن ذكره لأن العقول قاصرة عن إدراكه.

فعلى سبيل المثال: عندما ذكر الله (جل وعلا) شيئًا من نعيم أهل الجنة قال: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ (٣) .

أى مضطجعين فى جنان الخلد على فرشٍ وثيرة بطائنها من ديباج - وهو

(١) سورة الرحمن: الآية: (٦٨).

(٢) سورة محمد: الآية: (١٥).

(٣) سورة الرحمن: الآية: (٥٤).

الحرير السميك - المزين بالذهب، وهذا يدل على نهاية شرفها لأن البطانة إذا كانت بهذا الوصف فما بالك بالظهارة؟ قال ابن مسعود: هذه البطائن فكيف لو رأيتم الظواهر؟ وقال ابن عباس: لما سُئل عن الآية: ذلك مما قال الله تعالى: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [١].

فلما كانت بطانة الفُرش التى يجلس عليها أهل الجنة - من أرقى أنواع الحرير - ولن يستطيع عقل بشر أن يتخيل الظهارة لم يذكرها الحق (جل وعلا).

ولذلك كان أجر الصيام من هذا النوع فلم يذكر الله (جل وعلا) ثوابه لأن عقول البشر لن تستطيع أن تدركه فقال تعالى: (وأنا أجزى به)... وحسبُك أن تعلم أن الذى يجزى به هو الله».

الصيام يشفع لك يوم القيامة

من صام عن شهوته فى الدنيا، أدركها غدًا فى الجنة، ومن صام عما سوى الله، فعيده يوم لقائه.. ﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ﴾ [٢].

وقد صُمتُ عن لذات دهرى كلها

ويوم لقاكم ذاك فطر صيامى

بالله، انظر كيف يكون الجزاء من جنس العمل.. صورة حسية تُشاهد وتُعاين: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أى رب إنى منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفعنى فيه، يقول القرآن: رب منعته النوم بالليل، فشفعنى فيه فيشفعان**»[٣].

فطوبى.. لمن جوّع نفسه ليوم الشبع الأكبر..

---

(١) سورة السجدة: الآية: (١٧).

(٢) سورة العنكبوت: الآية: (٥).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والطبرانى فى الكبير، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٨٨٢).

طوبى.. لمن أظمأ نفسه، ليوم الرى الكامل..

طوبى لمن ترك شهوات حياة عاجلة لموعد غيب لم يره..

متى اشتد عطشك إلى ما تهوى، فابسط أنامل الرجاء إلى من عنده الرى الكامل.

شفاعة القرآن

قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ (١).

فشهر رمضان هو شهر القرآن فينبغى أن نُكثر فيه من تلاوة القرآن.

* كان سفيان الثورى إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة، وأقبل على قراءة القرآن.... وقال الزهرى: «إذا دخل رمضان فإنما هو قراءة القرآن وإطعام الطعام».

وستجنى الثمار فى جنة الرحمن يوم أن يشفع لك القرآن يوم القيامة.

قال ﷺ: «يجىء القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب، حلِّه. فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب، زده. فيُلبس حُلة الكرامة، ثم يقول: يا رب، ارضَ عنه. فيرضى عنه، فيقول: اقرأ وارق. ويُزاد بكل آية حسنة»(٢).

رائحة أفواه الصائمين... أطيب ريح فى الجنة

قال ﷺ: «.... والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»(٣).

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٨٥).

(٢) حسن: رواه الترمذى، والحاكم، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٣٠).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١١٥١) كتاب الصيام.

قال مكحول: يروح أهل الجنة برائحة فيقولون: ربنا، ما وجدنا ريحًا منذ دخلنا أطيب من هذه الريح، فيقال: هذه رائحة أفواه الصائمين.

عافهم النتن فى الدنيا لتغير ونتن أفواههم، فيطيب طيب الجنة من رائحة أفواههم.

فكل شيء ناقص فى عُرف الناس فى الدنيا، إذا انتسب إلى طاعة الله ورضاه فهو الكامل فى الحقيقة.

فخلوف أفواه الصائمين لهو أطيب من ريح المسك، وعرى المُحرمين لزيارة بيته أجمل من لباس الحلل، ونوح المذنبين على أنفسهم من خشيته، أفضل من تسبيح المدلين، وانكسار المخبتين لعظمته هو الجبر، وذل الخائفين من سطوته هو العز، و تهتك المحبين فى محبته أحسن من الستر، وبذل النفوس للقتل فى سبيله هو الحياة، وجوع الصائمين لأجله هو الشبع، وعطشهم فى طلب مرضاته هو الرى، ونَصَب المجتهدين فى خدمته هو الراحة.

ذل الفتى فى الحب مكرمةٌ

وخضوعه لحبيبه شرف

وقد تفوح رائحة الصيام فى الدنيا، وتستنشق قبل الآخرة، وهما نوعان:

أحدهما: ما يُدرك بالحواس الظاهرة.. فهذا عبد الله بن غالب الحدانى، أبوقريش العابد، وكان من العباد المجتهدين فى الصيام والقيام، لما دُفن كان يفوح من تراب قبره رائحة المسك، فرُئى فى المنام، فسُئل عن تلك الرائحة التى توجد من قبره.

فقال: تلك رائحة الظمأ والسهر.

والنوع الثانى: ما تستنشقه الأرواح والقلوب، فيوجب ذلك للصائمين المخلصين المودة والمحبة فى قلوب المؤمنين.

لما كانت معاملة المخلصين بصيامهم لمولاهم سرًا بينه وبينهم، أظهر الله سرهم لعباده فصار علانية، فصار هذا التجلى والإظهار جزاء ذلك الصوم

والإسرار، فما أسرَّ أحدٌ سريرة، إلا ألبسه الله رداءها علانية. .

تذلُّل أرباب الهوى في الهوى عز
وفقرهُم نحو الحبيب هو الكنزُ
وسترهم فيه السرائر شهرة
وغير تلاف النفس فيه هو العجزُ

باب الريان للصائمين

قال ﷺ: **«إن في الجنة بابًا يقال له (الريان)، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أُغلق، فلم يدخل منه أحد»** (١).

وزاد الترمذي: «ومن دخله لم يظمأ أبدًا» (٢).

فتدبر يا أخي:

مُسمى الباب: «الريان» من الري، والري ضد الظمأ، مسمى الباب يبعث على الري، وأول الغيث قطرة، إن ذكر الماء في الصحراء يقلل من شدة العطش، فما ظنك بالداخل. . ؟!.

وفي حديث عبد الرحمن بن سمُرة، عن النبي ﷺ في منامه الطويل قال: **«ورأيت رجلاً من أمتي يلهث عطشًا، كلما ورد حوضًا مُنع منه، فجاءه صيامُ رمضان فسقاه وأرواه»** (٣).

ري الدنيا عطش، والري ري الآخرة، والجزاء من جنس العمل.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٨٩٦) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥٢) كتاب الصيام.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٧٦٥) كتاب الصوم، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٧٩).

(٣) ضعيف: ذكره الحكيم والطبراني، وضعفه العلامة الألباني في ضعيف الجامع (٢٠٨٦).

كلوا واشربوا هنيئًا
بما أسلفتم فى الأيام الخالية

هؤلاء الذين تشققت أشداقهم جوعًا فى الدنيا، كيف يكون جزاؤهم من جنس عملهم، وقد قلصت شفاههم عن الأشربة، وضمرت بطونهم؟!.

قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (١).

قال مجاهد وغيره: نزلت فى الصائمين.

قال يعقوب بن يوسف الحنفى: بلغنا أن الله تعالى يقول لأوليائه يوم القيامة: يا أوليائى طالما نظرت إليكم فى الدنيا، وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة، وغارت أعينكم، وجفت بطونكم، كونوا اليوم فى نعيمكم، وتعاطوا الكأس فيما بينكم.

وعن أنس موقوفًا: وإن لله مائدة لم تر مثلها عين، ولم تسمع أذن، ولا خطر على قلب بشر لا يقعد عليها إلا الصائمون.

وعن بعض السلف قال: بلغنا أنهَ يوضع للصائمين مائدة يأكلون عليها، والناس فى الحساب... فيقولون: يا رب نُحاسب وهم يأكلون، فيقال: إنهم طالما صاموا وأفطرتم، وقاموا ونمتم.

*** للصائم دعوة لا ترد:**

*** قال ﷺ: «ثلاث دعوات مُستجابات: دعوة الصائم ودعوة المظلوم ودعوة المسافر»** (٢).

*** وقال ﷺ: «إن الله قضى على نفسه أن من عطش نفسه لله فى يوم حار كان حقًا على الله أن يُرويه يوم القيامة».**

---

(١) سورة الحاقة: الآية: (٢٤).

(٢) رواه البيهقى فى الشعب، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٣٠).

قال: فكان أبو موسى يتوخى اليوم الشديد الحر الذى يكاد الإنسان ينسلخ فيه حرًّا فيصومه[١].

وقال ﷺ: «من خُتم له بصيام يومٍ دخل الجنة»[٢].

فأسأل الله (جل وعلا) أن يختم لنا بخاتمة أهل السعادة.

يا من تبحث عن طوق النجاة

فيا من تبحث عن طوق النجاة... ها هو أمامك فلا تتركه حتى تدخل الجنة.

قُم لتستقبل هذا الضيف الكريم بالتوبة الصادقة ولا تجعل اليأس يتسرب إلى قلبك... وتذكَّر قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٣].. وعليك أن تتحلل من مظالم العباد وتنسى الخصومات وتبر والديك وتصل رحمك وتُكثر من الأعمال الصالحة فى شهر شعبان لتكون عونًا على إتقان العبادة فى رمضان ولأن أعمال السنة كلها تُرفع إلى الله فى شهر شعبان... وعليك أن تعقد النية الصادقة على الاجتهاد فى طاعة الله فى شهر رمضان - وبخاصة فى العشر الأواخر التماسًا لليلة القدر التى هى خيرٌ من ألف شهر - وإن استطعت أن تعتكف كما كان يفعل النبى ﷺ فهذا خيرٌ عظيم.

* * *

---

(١) حسن: رواه ابن أبى الدنيا، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٩٧٥).

(٢) صحيح: رواه البزار، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٢٤).

(٣) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعفُ عنا

قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (١) .

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»(٢) .

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يجاور فى العشر الأواخر من رمضان، ويقول: «تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان»(٣) .

* وعنها رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجدَّ وشد المئزر(٤) .

* وعنها قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن علمت أى ليلةٍ ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: قولى: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عنى»(٥) .

جبال العصيان... وسحائب الغفران

وها هى سحائب الغفران تُمطر ماءها على جبال العصيان لتغسل ما عليها من الذنوب والآثام.

ها هى صور مضيئة من أسباب المغفرة التى تجتمع فى شهر رمضان. ليفوز الناس بالمغفرة والرضوان والنجاة من النيران إذا تعايشوا مع تلك الأسباب وتابوا إلى الرحيم الرحمن.

---

(١) سورة القدر: الآية: (٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٠١) كتاب الصوم، ومسلم (٧٦٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٢٠) كتاب صلاة التراويح، ومسلم (١١٦٩) كتاب الصيام.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٢٤) كتاب صلاة التراويح، ومسلم (١١٧٤) كتاب الاعتكاف.

(٥) صحيح: رواه الترمذى، وابن ماجه، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٤٢٣).

* **صيام شهر رمضان:**

قال ﷺ : «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»(١).

* **قيام شهر رمضان:**

قال ﷺ : «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»(٢).

* **قيام ليلة القدر:**

قال ﷺ : «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»(٣).

* **البكاء من خشية الله تعالى:**

قال ﷺ : «عينان لا تمسهما النار أبدًا. عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله»(٤).

وهذا البكاء يكثر فى قيام شهر رمضان وبخاصة فى العشر الأواخر.

* **صلاة أربعين يومًا فى جماعة:**

قال ﷺ : «من صلى لله أربعين يومًا فى جماعة يُدرك التكبيرة الأولى كُتب له براءتان: براءةٌ من النار وبراءةٌ من النفاق»(٥).

فاجتهد أخى الحبيب لتفوز بهذا الأجر العظيم.

وقال ﷺ : «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتُنبت الكبائر»(٦).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨) كتاب الإيمان، ومسلم (٧٦٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧) كتاب الإيمان، ومسلم (٧٥٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٠١) كتاب الصوم، ومسلم (٧٦٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) صحيح: رواه أبو يعلى، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤١١٣).

(٥) حسن: رواه الترمذى، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٦٥).

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٣٣) كتاب الطهارة.

*** المحافظة على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها**

قال ﷺ: «من حافظ على أربع ركعاتٍ قبل الظهر وأربع بعدها حُرم على النار»(١).

*** صلاة الفجر في جماعة والذكر بعدها حتى تشرق الشمس وصلاة ركعتين:**

قال رسول الله ﷺ: «من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكرُ الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجةٍ، وعُمرة تامة، تامة، تامة»(٢).

*** إطعام الطعام:**

قال ﷺ: «أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصِلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»(٣).

*** حجة مع النبي ﷺ:**

قال ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارةٌ لما بينهما»(٤).

وقال ﷺ: «عُمرة في رمضان كحجةٍ معي»(٥). أي كحجةٍ نافلة مع النبي ﷺ.

فاحرص أخي الكريم.. واحرصي أيتها الأخت الفاضلة على هذا الخير الذي لا يجتمع أبدًا إلا في هذا الشهر الكريم المبارك.

*** الطواف بالبيت:**

قال رسول الله ﷺ: «من طاف بهذا البيت أسبوعًا - أي سبع مرات -

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، والترمذي، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦١٩٥).

(٢) صحيح: رواه الترمذي، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٣٤٦).

(٣) صحيح: رواه الترمذي، وابن ماجه، وابن سعد، والحاكم، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٧٨٦٥).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٧٧٣) كتاب الحج، ومسلم (١٣٤٩) كتاب الحج.

(٥) صحيح: رواه سمويه، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٤٠٩٨)، وأصله في الصحيحين.

فأحصاه، كان كعتق رقبة، لا يضع قدمًا ولا يرفع أخرى، إلا حطَّ الله عنه بها خطيئة، وكتب له بها حسنة» (١).

* شرب ماء زمزم بنية المغفرة:

قال ﷺ: «ماءُ زمزم لما شُرب له» (٢).

* صحبة الذاكرين:

* عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ لله تعالى ملائكة يطُوفُون في الطُّرُق يلتمسُون أهل الذِّكر، فإذا وجدُوا قومًا يذكُرُون الله عزَّ وجل، تنادوا: هلمُّوا إلى حاجتكُم، فيحُفُّونهم بأجنحتهم إلى السَّماء الدُّنيا، فيسألهُم ربُّهُم - وهُو أعلم -: ما يقولُ عبادي؟ قال: يقُولُون: يُسبِّحُونك ويُكبِّرونك، ويحمدُونك، ويُمجِّدُونك، فيقولُ: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك، فيقُولُ: كيف لو رأوني؟ قال: يقُولُون لو رأوك كانُوا أشدَّ لك عبادةً، وأشدَّ لك تمجيدًا، وأكثر لك تسبيحًا. فيقُولُ: فماذا يسألُون؟ قال: يقُولون: يسألُونك الجنة. قال: يقولُ: وهل رأوها؟ قال: يقُولُون لا والله ما رأوها. قال: يقُولُ: فكيف لو رأوها؟ قال: يقُولُون: لو أنَّهُم رأوها كانُوا أشدَّ عليها حرصًا، وأشدَّ لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة. قال: فممَّ يتعوَّذُون؟ قال: يقولُون: يتعوَّذُون من النَّار، قال: فيقُولُ: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله ما رأوها. فيقُولُ: كيف لو رأوها؟ قال: يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة قال: فيقول: أُشهدكم أني قد غفرت لهم قال: يقُولُ ملكٌ من الملائكة: فيهم فُلانٌ ليس منهم، إنَّما جاء لحاجة، قال: هُمُ الجُلساءُ لا يشقى بهم جليسهُم» (٣).

---

(١) صحيح: رواه الترمذي والحاكم، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٣٨٠).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وابن ماجه، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٠٨) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٨٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

*** كفالة الأيتام:**

قال ﷺ : **«أنا وكافل اليتيم له أو لغيره فى الجنة والساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله»**(١).

وما أجمل أن يشعر اليتيم فى هذا الشهر الكريم بالرحمة والحنان من كل من حوله من المسلمين.

*** قيام الليل:**

قال ﷺ : **«عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقُربة إلى الله تعالى ومَنهاةٌ عن الإثم وتكفيرٌ للسيئات»**(٢).

*** الموت بعد المواظبة على صيام رمضان وقيامه:**

جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأديتُ الزكاة، وصُمت رمضان وقُمتُه، فممن أنا؟ قال: **«من الصدِّيقين والشهداء»**(٣).

قال ابن خزيمة: «استحقاق قائمة اسم الصديقين والشهداء، إذا جمع مع قيامه رمضان، وصيام نهاره، وكان مُقيمًا للصلوات الخمس، مؤديًا للزكاة، شاهدًا لله بالوحدانية، مُقرًّا للنبى ﷺ بالرسالة».

*** تفضل الله بالعتق للصائم عند فطره:**

قال ﷺ : **«إن لله تعالى عند كل فطرٍ عتقاء من النار وذلك فى كل ليلة»**(٤).

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى «المعجم الأوسط»، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٤٧٦) - وأصله عند مسلم.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٥٤٩) كتاب الدعوات، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٠٧٩).

(٣) صحيح: رواه ابن حبان، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٦١).

(٤) حسن: رواه ابن ماجه، وأحمد، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢١٧٠).

لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك

وما أجمل أن يتذكر المذنب ذنبه بين الحين والحين فيستغفر الله (جل وعلا) فتُكتب له توبة بعد توبة. وليعرف فضل ربه عليه إذ أنه ألهمه أن يتوب وغفر ذنوبه بالتوبة وأبدلها إلى حسنات ورزقه نعمة الاستقامة على طاعته.

فلله ما أحلى قوله فى هذه الحال: «أسألك بعزك وذلى إلا رحمتنى. أسألك بقوتك وضعفى، وبغناك عنى وفقرى إليك، هذه ناصيتى الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سواى كثير، وليس لى سيد سواك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال مَن خضعت لك رقبته، ورَغِم لك أنفه، وفاضت لك عيناه، وذَلَّ لك قلبه».

يا من ألوذُ به فيما أؤملهُ
ومن أعوذُ به مما أحاذرهُ
لا يَجبرُ الناس عظمًا أنت كاسره
ولا يهيضون عظمًا أنت جابرهُ[1]

* * *

(١) مدارج السالكين (١/ ١٨٧).

الاستغفار بعد الطاعة... شعار الصالحين

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وأرباب العزائم والبصائر أشد ما يكونون استغفاراً عقيب الطاعات لشهودهم تقصيرهم فيها، وترك القيام لله بها كما يليق بجلاله وكبريائه، وأنه لولا الأمر، لما أقدم أحدُهم على مثل هذه العبودية، ولا رضيها لسيده.

وقد أمر الله تعالى وفده وحُجاج بيته، بأن يستغفروا عقيب إفاضتهم من عرفات، وهو أجلُّ المواقف وأفضلها، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] .

وقال تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾[2] .

قال الحسن: مدُّوا الصلاة إلى السَّحَر، ثم جلسوا يستغفرون الله عز وجل.

وفى الصحيح أن النبى ﷺ كان إذا سلَّم من الصلاة استغفر ثلاثًا، ثم قال: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت ياذا الجلال والإكرام»[3] .

وأمره الله تعالى بالاستغفار بعد أداء الرسالة والقيام بما عليه من أعبائها وقضاء فرض الحج، واقتراب أجله، فقال فى آخر سورة أُنزلت عليه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[4] .

ومن ها هنا فهم عمر وابن عباس رضي الله عنهم أن هذا أجل رسول الله ﷺ

---

(١) سورة البقرة: الآيتان: (١٩٨ - ١٩٩).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٥٩١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٤) سورة النصر: الآيات: (١ - ٣).

أعلمه به، فأمره أن يستغفـره عقيب أداء ما كان عليه، فكأنه إعلام بأنك قد أديت ما عليك، ولم يبق عليك شيء، فاجعل خاتمتـه الاستغفار، كما كان خاتمة الصلاة والحج وقيام الليل.

وخاتمة الوضوء أيضًا أن يقول بعد فراغه: «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستـغفرك وأتوب إليك. اللـهم اجعلنى من التوابـين واجعلنى من المتطهرين»[١].

فهـذا شأن من عـرف ما ينبـغى لله ويليق بجلاله من حـقوق العـبودية وشرائطها، لا جهل أصحاب الدعاوى وشطحاتهم[٢].

الدين النصيحة

ومن منطلق النُّصح لإخوانى وأخـواتى فإنى أختم تلك الرسـالة ببعض النصائح الغالية التى أسأل الله (جل وعلا) أن يرزقنا نعمة العمل بما فيها.

* قف مع نفسك فى أول الشهـر وفى آخره وقفة للمحاسبـة لتعلم ماذا قدمت لنفسك فى هذا الشهر الكريم.

* احرص على تجديد التـوبة كل يومٍ عند النوم لتنام على توبة فإذا مت فإنك تُبعث فى زمرة التائبين.

* اجعل لسانك لا يفتر أبدًا عن ذكر الله (جل وعلا).

* احرص على أن تُفطر صائمًا كل يومٍ ليكون لك مثل أجره.

* لا تنسَ اليتامى والفقراء والمساكين فى هذا الشهر الكريم.

* احرص على كثرة قراءة القرآن فى شهر القرآن.

* اعلم أن هذا الشهر الكريم ضيف راحل فأحسِن ضيافته.

---

(١) صحيح: رواه الحاكم، والطبرانى فى الأوسط، وصـحـحـه العلامـة الألبانى فى صـحيح الجـامع (٦١٧٠).

(٢) مدارج السالكين (١/ ١٧٥).

* احـذر من التـبذير فى الطـعام والشـراب وانشـغل بطاعـة الله (جل وعلا).

* احرص كـل الحرص على العـشر الأواخـر من رمضـان لتفـوز بليلة القدر.

* ابتعد عن جلساء السوء واحرص على مصاحبة الأخيار.

* لا تتأخر عن صلاة الجماعة فى المسجد.

* اعقد العزم على أن تستمر على الطاعة بعد شهر رمضان.

* احرص على قيام الليل فى رمضان وبعد رمضان.

* احذر كل الحذر من مظالم العباد.

* اعلم أن العيد لمن أطاع الله.

* وفى ختام هذه الرسالة القصيرة فإننى أسأل الله (جل وعلا) أن يتقبل منا صيامنا وقيامنا وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

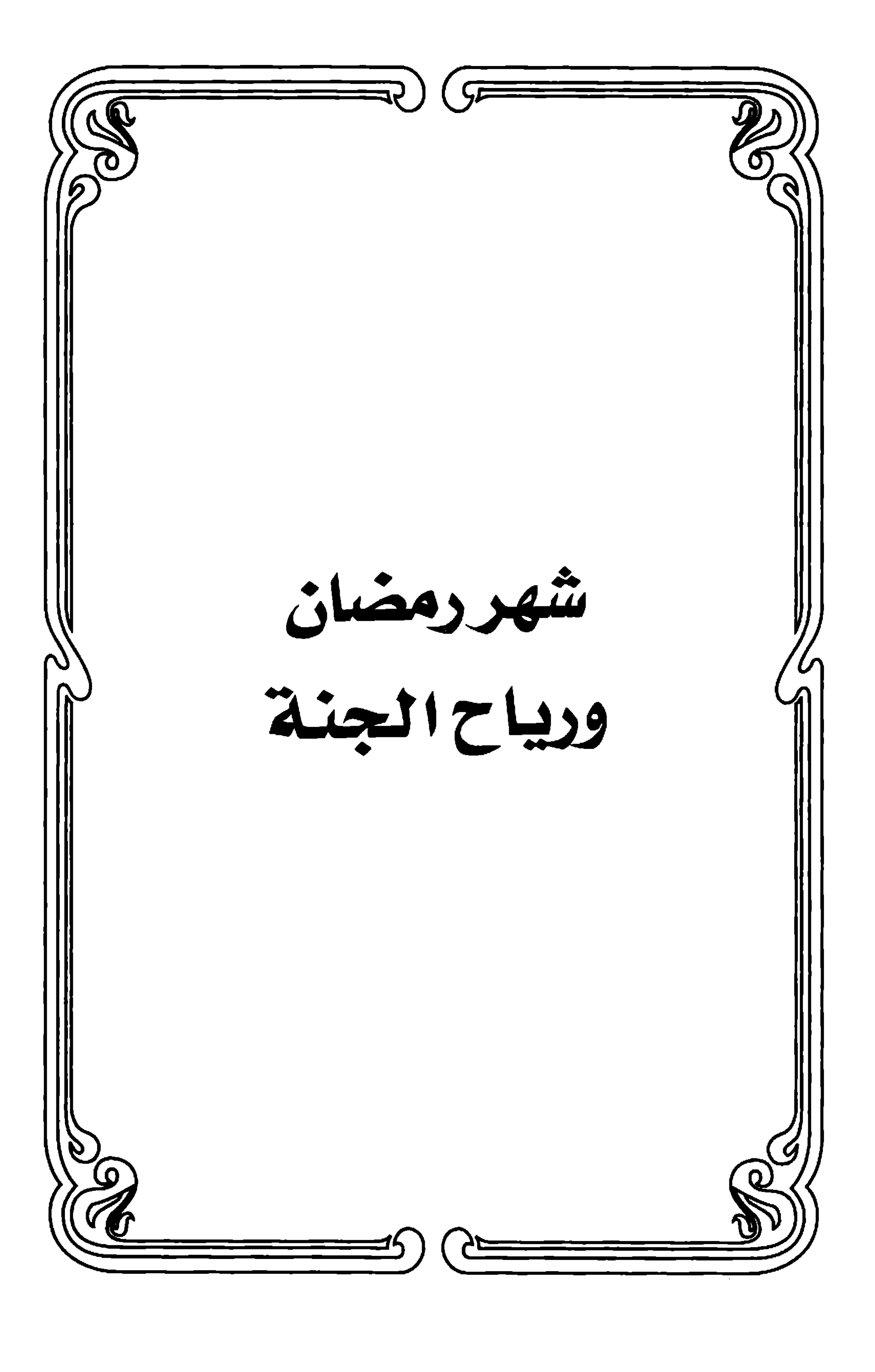
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)



شهر رمضان
ورياح الجنة

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[١].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[٣].

أما بعد:

فها هى رياح الجنة تهبّ علينا بعد غياب طويل... ها هو شهر النفحات والرحمات والبركات... ها هو شهر الصيام والقرآن والقيام... ها هو شهر الجود والكرم يأتينا مُحمَّلاً برياح الجنة لنستنشق عبيرها ولتستيقظ قلوبنا وجوارحنا من غفلتها ولسان حال كل واحدٍ منا ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾[٤].

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

(٤) سورة طه: الآية: (٨٤).

والله إننى لا أجد كلامًا أعبر به عن فـرحة المسلمين بقدوم هذا الضيف الكريم فقد كان أصحاب النبى ﷺ يسألون الله (جل وعلا) ستة أشهرٍ أن يبلِّغهم شهر رمضان فإذا صاموا الشهر وقاموه سألوا الله ستة أشهرٍ أن يتقبل منهم شهر رمضان... فكان العام كله يدور حول رمضان.

كيف نستقبل شهر رمضان

(١) بالتوبة النصوح:

إنه لا بد من التخلية قبل التحلية... فإذا كانت التوبة واجبة فى كل وقت فإنه يزداد وجوبها فى هذا الشهر الكريم.

قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١).

يا ذا الذى ما كفاه الذنب فى رجب
حتى عصى ربه فى شهر شعبانِ
لقد أظلك شهر الصوم بعدهما
فلا تُصيره أيضًا شهر عصيانِ
واتلُ القرآن وسبِّح فيه مجتهدًا
فإنه شهر تسبيح وقرآنِ
كم كنت تعرف ممن صام فى سلف
من بينَ أهل وجيران وإخوانِ
أفناهم الموت واستبقاك بعدهمُ
حيًّا فما أقرب القاصى من الدانى

(٢) مصالحة الجميع ونسيان الخصومات:

وينبغى أيضًا عند قدوم هذا الشهر المبارك أن نتصالح جميعًا وأن نتسامح

(١) سورة النور: الآية: (٣١).

ونحرص كل الحـرص على أن نتحلل من المظالم بدلاً مـن أن نصلى ونصوم ونزكى وتذهب كل الحسنات لأصحاب المظالـم.

(٣) التوبة من عقوق الوالدين:

فعقوق الوالدين من أكبر الكبـائر حتى إننى لا أكون مبالغًا إذا قلت: إن الله لا يقبل عبادة ممن عقَّ والديه، بل ولا يُدخله الجنة.

قـال ﷺ: **«ثلاثة لا يـدخلون الجنة: الـعـاق والديه، والديوث، ورَجلة النساء»**(١).

وقال ﷺ: **«ثلاثة لا يقـبل الله منهم يوم القـيامـة صرفًـا ولا عدلاً: عـاقٌ ومنانٌ ومكذِّب بالقدر»**(٢).

(٤) تعلُّم فقه الصيام:

ينبغـى على المسلم قبل دخـول رمضان أن يتـعلم أحكام الصـيام وآدابه والعبادات المرتبطة به من اعتكاف وعمرة وزكاة فطرٍ وغيرها.

(٥) الاستكثار من الأعمال الصالحة فى رجب وشعبان:

وذلك ليعتاد القلب ولتعتاد الجوارح على طاعة الله قبل دخول رمضان، فإذا جاء الشهر المبارك كان القلب والجـسد فى حالة إيمانية عالية تليق بمكانة هذا الشهر المبارك.

(٦) العزم الصادق على تعمير رمضان بالأعمال الصالحة:

من صيـامٍ وقيام وتلاوة للقرآن وذكـرٍ للرحمن وعُمـرة واعتكافٍ وإفطارٍ للصائمين ومساعدةٍ للفقراء والمساكين والبُعد عن ظُلم الضعفاء ودعوة الناس إلى عبادة رب العالمين.

---

(١) صحيح: رواه الحاكم والبيهقى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٦٣).

(٢) حسن: رواه الطبرانى فى الكبـير، وحسنه الألبـانى فى صحيح الجـامـع (٣٠٦٥) والصحيـحة (١٧٨٥).

(٧) تلاوة القرآن الكريم:

فرمضان هو شهر القرآن فينبغى أن يُكثر المسلم من تلاوة القرآن فى هذا الشهر الكريم.

كان سفيان الثورى إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة، وأقبل على قراءة القرآن.

قال الزهرى: «إذا دخل رمضان فإنما هو قراءة القرآن وإطعام الطعام».

وكان جبريل يدارس النبى ﷺ القرآن فى رمضان... وعارضه فى عام وفاته مرتين وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يختم القرآن كل يوم مرة، وكان بعض السلف يختم فى قيام رمضان فى كل ثلاث ليال.

(٨) المحافظة على صلاة الجماعة:

قال ﷺ : **«من صلى لله أربعين يومًا فى جماعة يُدرك التكبيرة الأولى كُتب له براءتان: براءةٌ من النار وبراءةٌ من النفاق»**(١) .

فاجتهد أخى الحبيب لتفوز بهذا الأجر العظيم بالمحافظة على الصلاة فى المسجد.

(٩) الإكثار من النوافل:

لتفوز بمحبة الله (جل وعلا) فقد قال تعالى - كما فى الحديث القدسى الذى رواه البخارى -: **«... وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أُحبه».**

(١٠) العُمرة:

قال ﷺ - كما فى الصحيحين - : «العمرة إلى العمرة كفارةٌ لما بينهما».

وقال ﷺ - كما فى الصحيحين -: «عمرة فى رمضان تعدل عمرة أو حجة معى».

أى كحجةٍ نافلة مع النبى ﷺ .

(١) حسن: رواه الترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٦٥).

(١١) الاعتكاف:

وهو سُنة عن النبى ﷺ فقد كان يعتكف فى كل رمضان عشرة أيام فلما كان العام الذى قُبض فيه اعتكف عشرين يومًا.

(١٢) تأمين على العبادات:

فكما أن أهل الدنيا يحرصون على التأمين على حياتهم وسياراتهم - وهو محرم - فمن باب أولى أن يحرص المؤمنون على التأمين على عباداتهم... فعلى سبيل المثال: إذا فطَّرت صائمًا كل يوم كان لك أجر صيامك وصيامه فإن كان صيامك ناقصًا فإنه يكتمل بإطعامك لهذا الصائم.. وكذلك تحرص على أن تدعو الناس للصلاة فى المسجد وتحرص على أن تأتى بالمصاحف وتهديها لمن يقرأ فيها. وكل ذلك فى ميزان حسناتك.

(١٣) التخلُّص من آفات اللسان:

من الغيبة والنميمة والكذب والبهتان وقذف المحصنات وشهادة الزور... وغيرها فقد قال ﷺ: «**من لم يَدعْ قول الزور والعمل به فليس لله حاجةٌ فى أن يدع طعامه وشرابه**» (١).

وقال ﷺ: «**رُبَّ قائمٍ حظه من قيامه السهر، ورُب صائمٍ حظه من صيامه الجوع والعطش**» (٢).

على من يجب (الصيام)

يجب الصيام على المسلم العاقل البالغ الصحيح المقيم.

* * *

(١) صحيح: رواه البخارى (١٩٠٣) كتاب الصوم.

(٢) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٩٠).

ما يُقال عند رؤية الهلال

عن طلحة بن عُبيد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم : «كان إذا رأى الهلال قال: اللهم أهلَّهُ علينا باليُمن والإيمان والسلامة والإسلام ربى وربك الله»(١).

ماذا يحدث فى أول ليلة من رمضان

* عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا جاء رمضان، فُتِّحت أبواب الجنة، وغُلِّقت أبواب النار وصُفدت الشياطين».

وفى رواية لمسلم: «فُتحت أبواب الرحمة، وغُلقت أبواب جهنم، وسُلسلت الشياطين»(٢).

* وقال صلى الله عليه وسلم : «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفِّدت الشياطين، ومردة الجن، وغُلقت أبواب النار، فلم يُفتح منها باب، وفتِّحت أبواب الجنة فلم يُغلق منها باب، وينادِ منادٍ: يا باغى الخير أقبل، ويا باغى الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلةً»(٣).

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أتاكم شهر رمضان، شهرٌ مبارك، فرض الله عليكم صيامه، تُفتح فيه أبواب السماء، وتُغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغلُّ فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرم خيرها فقد حُرم»(٤).

* * *

(١) حسن: رواه أحمد والترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٧٢٦).
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٩٩) كتاب الصوم، ومسلم (١٠٧٩) كتاب الصيام.
(٣) حسن: رواه الترمذى وابن ماجة، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٥٩).
(٤) صحيح: رواه أحمد والنسائى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٥).

فضائل الصيام

(١) الارتقاء إلى درجة المتقين:

قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**(١).

فالتقوى هى حكمة الصوم العُليا. فالتقوى هى الغاية التى تتطلع إليها أرواح المؤمنين، ولذلك جعل اللهُ الصيام وسيلة جليلة لإعداد القلوب للتقوى التى هى جماع كل خير.

(٢) الصيام شعار الأبرار:

قال ﷺ: **«جعل الله عليكم صلاة قوم أبرار، يقومون الليل ويصومون النهار، ليسوا بأثمة ولا فجار»**(٢).

فتدبر معى كيف جعل النبى ﷺ الصيام شعارًا للأبرار، والأبرار هم سادات المتقين.

(٣) الصوم لا مثل له:

* وعن أبى أمامة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله مُرنى بعمل. قال: **«عليك بالصوم؛ فإنه لا عدل له»**(٣).

وفى رواية قال ﷺ: **«عليك بالصيام فإنه لا مثل له»**.

(٤) خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك:

قال ﷺ: **«...ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»**(٤).

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٨٣).

(٢) صحيح: أخرجه عبد بن حميد (ص ٤٠٢، رقم ١٣٦٠)، والضياء (٥/ ٧٥، رقم ١٧٠٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٩٧).

(٣) صحيح: رواه النسائى (٢٢٢٢) كتاب الصيام، وأحمد (٢١٦٣٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٩٨٦).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٩٤) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥١) كتاب الصيام.

قال أبو حاتم: شعار المؤمنين فى القيامة التحجيل بوضوئهم فى الدنيا فرقًا بينهم وبين سائر الأمم، وشعارهم فى القيامة بصومهم طيبُ خلوفهم أطيب من ريح المسك ليُعرفوا بين ذلك الجمع بذلك العمل، نسأل الله بركة ذلك اليوم... قال مكحول: يُروَّح على أهل الجنة برائحة فيقولون: ربنا ما وجدنا ريحًا منذ دخلنا الجنة أطيب من هذا الريح فيقال: هذه رائحة أفواه الصائمين.

(٥) الصائمون هم السائحون:

قال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

قالت عائشة: سياحة هذه الأمة: الصيام.

وقال ابن عباس: كل ما ذكر الله فى القرآن السياحة: هم الصائمون.

(٦) إضافته لله تعالى تشريفًا لقدره:

«كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: **إلا الصوم، فإنه لى وأنا أجزى به، يدع شهوته وطعامه من أجلى، وللصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك**»(٢).

قال القرطبى: «لما كانت الأعمال يدخلها الرياء، والصوم لا يَطّلع عليه بمجرد فعله إلا الله، فأضافه الله إلى نفسه، ولهذا قال فى الحديث: «**يدع شهوته من أجلى**».

(٧) الله وملائكته يصلون عليك:

قال ﷺ: «إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين»(٣).

وعن عبد الله بن عمرو موقوفًا: «الصائم إذا أُكل عنده صلت عليه الملائكة».

---

(١) سورة التوبة: الآية: (١١٢).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (١٩٠٤) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥١) كتاب الصيام.

(٣) **حسن:** رواه ابن حبان (٨/ ٢٤٥، رقم ٣٤٦٧)، والطبرانى فى الأوسط (٦/ ٢٨٧، رقم ٦٤٣٤)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٦٥٤).

فإن كان الله وملائكته يصلون على المتسحرين، والسحور عون على الصيام فما ظنك بالصيام؟

يا هذا: تبيع صلاة الله والملائكة بشبع وتخمة، ولا تصوم عن لقمة!!.

«إنما يريد العاقل أن يأكل ليحيا لا أن يحيا ليأكل».

(٨) الصيام كفارة للخطيئات:

قال ﷺ: «فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره، يكفرها الصيام، والصلاة، والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[١].

(٩) الصيام رفعة للدرجات:

قال الحافظ ابن حجر في قوله تعالى: «إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به...» المراد بقوله: «**وأنا أجزي به**» أني أتفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته، وأما غيره من العبادات فقد اطلع عليها بعض الناس.

قال ابن رجب الحنبلي: «يكون استثناء الصوم من الأعمال المضاعفة فتكون الأعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد، بل يضاعفه الله عز وجل أضعافًا كثيرة بغير حصر عدد، فإن الصيام من الصبر، وقد قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[٢]».

(١٠) دعوة الصائم لا تُرد:

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا تُرد دعوتهم: الصائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم**»[٣].

فأعظِم به من دعاء تنطق به شفاه ذابلة من الصيام يصعد إلى السماوات فما يرده - بكرمه - الرحمن جل وعلا.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٢٥) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (١٤٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٢) سورة الزمر: الآية: (١٠).

(٣) رواه ابن حبان وحسنه الحافظ ابن حجر في أمالي الأذكار.

(١١) الصوم فى الشتاء الغنيمة الباردة:

قال رسول الله ﷺ : **«الصوم فى الشتاء الغنيمة الباردة»**[١].

وقال قتادة: إن الملائكة تفرح بالشتاء للمؤمن يقصر النهار فيصومه، ويطول الليل فيقومه.

(١٢) الصوم فى الصيف يورث السُقيا يوم العطش:

قال ﷺ : **«إن الله قضى على نفسه أن من عطَّش نفسه لله فى يومٍ حار كان حقًّا على الله أن يُرويه يوم القيامة»**[٢].

قال: فكان أبو موسى يتوخى اليوم الشديد الحر الذى يكاد الإنسان ينسلخ فيه حرًّا فيصومه».

قال ابن رجب: عن بعض السلف قال: بلغنا أنه يوضع للصوَّام مائدة يأكلون عليها والناس فى الحساب فيقولون: يا رب نحن نُحاسَب وهم يأكلون، فيقال: إنهم طالما صاموا وأفطرتم وقاموا ونمتم».

(١٣) للصائم فرحتان:

قال ﷺ : **«للصائم فرحتان، فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه»**[٣]، وفى الحديث: **«وللصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقى ربه فرح بصومه»**.

قال العلامة ابن رجب: أما فرحة الصائم عند فطره، فإن النفوس مجبولة على الميل إلى ما يلائمها من مطعم ومشرب ومنكح، فإذا مُنعت من ذلك فى وقت من الأوقات ثم أُبيح لها فى وقت آخر فرحت بإباحة ما مُنعت منه خصوصًا عند اشتداد الحاجة إليه.

---

(١) حسن: رواه الترمذى (٧٩٧) كتاب الصوم، وأحمد (١٨٤٨٠)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٩٢٢).

(٢) رواه ابن أبى الدنيا وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٩٧٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٠٤) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥١) كتاب الصيام.

قال أبو العالية: الصائم فى عبادة، وإن كان نائمًا على فراشه فكانت حفصة تقول: يا حبذا عبادة وأنا نائمة على فراشى، فالصائم فى ليله ونهاره فى عبادة، ويستجاب دعاؤه فى صيامه وعند فطره، فهو فى نهاره صائم وصابر وفى ليله طاعم شاكر.

وأما فرحه عند لقاء ربه: فبما يجده عند الله من ثواب الصيام مدخرًا فيجده أحوج ما كان إليه كما قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[1].

(١٤) الصيام جُنة من النار:

قال رسول الله ﷺ: «**الصوم جنة من عذاب الله**»[2]. - أى وقاية-.

وقال ﷺ: «**الصوم جُنَّة يستجن بها العبد من النار**»[3].

قال المناوى: «وقاية فى الدنيا من المعاصى بكسر الشهوة وحفظ الجوارح وفى الآخرة من النار».

(١٥) الصيام يشفع لصاحبه يوم القيامة:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أى رب إنى منعته الطعام والشهوة، فشفعنى فيه، ويقول القرآن: رب منعته النوم بالليل، فشفعنى فيه، قال: فيُشفَّعان**»[4].

(١٦) باب الريان للصائمين:

قال ﷺ: «**إن فى الجنة بابًا يقال له: (الريان)، يدخل منه الصائمون يوم**

---

(١) سورة المزمل: الآية: (٢٠).

(٢) صحيح: رواه النسائى (٢٢٣٠) كتاب الصيام، وأحمد (١٧٤٥١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٨٦٦).

(٣) صحيح: رواه الطبرانى (٩/ ٥٨ ، رقم ٨٣٨٦) . وأخرجه أيضًا : البزار (٦/ ٣٠٩ ، رقم ٢٣٢١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٨٦٧).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٦٥٨٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٨٨٢).

القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أُغلق، فلم يدخل منه أحد» (١).

وزاد الترمذى: «ومن دخله لم يظمأ أبداً».

(١٧) من خُتم له بصيام يوم دخل الجنة:

قال ﷺ: «من خُتم له بصيام يوم دخل الجنة» (٢).

قال المناوى: أى من ختم عمره بصيام يوم بأن مات وهو صائم أو بعد فطره من صومه دخل الجنة مع السابقين الأولين، أو من غير سبق عذاب».

وقال ﷺ: «إن فى الجنة غُرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن أطعم الطعام، وألان الكلام وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام» (٣).

*أخى أتطلب الحور العين، وتنام!

أتطلب مثلى وعنى تنام ... ونوم المحبين عنا حرام

لأنا خُلقنا لكل امرئ ... كثير الصلاة براه الصيام (٤)

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٩٦) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥٢) كتاب الصيام.

(٢) صحيح: رواه البزار، وعزاه المتقى الهندى فى كنز العمال (٢٣٥٩٩) للبزار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٢٤).

(٣) حسن: رواه أحمد (٦٥٧٨)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١٢٣).

(٤) شهر رمضان ورياح الجنة / للمصنف (ص: ٩ -١٥).

أركان الصوم

(١) النية:

لقول الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾(١).

ولقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»(٢)، وقيل: إن النية شرط وليس بركن، ولا بدَّ أن تكون قبل الفجر من كل ليلة من ليالى شهر رمضان، لقول النبى ﷺ: «**من لم يُجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له**»(٣).

ولا يشترط التلفظ بالنية؛ لأن النية محلها القلب، أما بالنسبة لصيام التطوع فالنية فيه تُجزئ من النهار إن لم يكن قد طعم.

(٢) الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس:

لقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(٤).

(٣) الزمان:

وهو ينقسم إلى قسمين: زمن الوجوب وهو شهر رمضان، وزمن الإمساك وهو أيام رمضان دون لياليه.

(١) سورة البينة: الآية: (٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١) كتاب بدء الوحى، ومسلم (١٩٠٧) كتاب الإمارة.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٧٣٠) كتاب الصوم، والنسائى (٢٣٣١) كتاب الصيام، وابن ماجه (١٧٠٠) كتاب الصيام، وأحمد (٢٥٩١٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥٣٨).

(٤) سورة البقرة: الآية: (١٨٧).

قال ﷺ : «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غَبِيَ عليكم - وفي رواية: فإن غُمَّ عليكم- فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا»(١) .

آداب الصيام

س: ما هي سنن الصوم وآدابه؟

ج: يستحب للصائم أن يراعي في صيامه الآداب الآتية:

(١) السحور:

وقد أجمعت الأمة على استحبابه، وأنه لا إثم على من تركه .

قال ﷺ : **«تسحروا فإن السحور بركة»**(٢) .

وعن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ : **«فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور»**(٣) .

ويتحقق السحور ولو بجرعة ماء، . . . فعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: **«تسحروا ولو بجرعة ماء»**(٤) .

ولو جعل في السحور تمرًا فهو أفضل؛ لحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **«نعْمَ سحور المؤمن التمر»**(٥) .

(٢) تعجيل الفطر:

ويستحب للصائم أن يعجل الفطر، متى تحقق غروب الشمس.

قال ﷺ : **«لا يزال الناس بخير، ما عجلوا الفطر»**(٦) .

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٠٩) كتاب الصوم، ومسلم (١٠٨١) كتاب الصيام.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٢٣) كتاب الصوم، ومسلم (١٠٩٥) كتاب الصيام.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٠٩٦) كتاب الصيام.

(٤) حسن: رواه ابن حبان (٣٤٧٦) وله شاهد عند أحمد (٣/ ١٢)، وأبو يعلى (٣٣٤٠) عن أنس.

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٢٣٤٥) كتاب الصوم، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٥٦٢).

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٥٧) كتاب الصوم، ومسلم (١٠٩٨) كتاب الصيام.

ويستحب أن يكون الفطر على رطبات وترًا، فإن لم يجد فعلى الماء.

فعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يُصلى، فإن لم تكن فعلى تمرات، فإن لم تكن، حسا حسوات من ماء.

وفى الحديث دليل على أنه يستحب الفطر قبل صلاة المغرب بهذه الكيفية، فإذا صلى تناول حاجته من الطعام بعد ذلك.

(٣) تأخير السحور:

لحديث أنس عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «تسحرنا مع النبى ﷺ ثم قام إلى الصلاة، قلت: كم بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية»[١].

وعن أُنيسة بنت حبيب قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أذن ابن أم مكتوم، فكلوا واشربوا، وإذا أذَّن بلال فلا تأكلوا ولا تشربوا»** فإن كانت الواحدة منا ليبقى عليها الشيء من سحورها، فتقول لبلال: أمهل حتى أفرغ من سحورى[٢].

إذا سمع أذان الفجر وطعامه أو شرابه فى فمه: فله أن يتم أكلته أو شربته، لحديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا سمع أحدُكم النداء، والإناء على يده، فلا يضعه حتى يقضى حاجته منه»**[٣]. - إذا كان على فمه-.

(٤) أن يفطر على الرطب أو التمر - إن تيسَّر - أو الماء:

فعن أنس قال: «كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلى، فإن لم تكن رطبات فعلى تمرات، فإن لم تكن حسا حسوات من الماء»[٤].

---

(١) صحيح: رواه البخارى (١٩٢١) كتاب الصوم.

(٢) صحيح: رواه النسائى (٦٤٠) كتاب الأذان، وأحمد (٢٦٨٩٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٩٦).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٢٣٥٠) كتاب الصوم، وأحمد (٢٧٢٤٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٣٩٤).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٢٣٥٦) كتاب الصوم، والترمذى (٦٩٤) كتاب الصوم، وأحمد (١٢٢٦٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٨٤٠).

«فإن إعطاء الطبيعة الشيء الحلو مع خُلُوِّ المعدة أدعى إلى قبوله، وانتفاع القُوى به، ولا سيما القوى الباصرة، فإنها تقوى به، . . . وأما الماء فإن الكبد يحصل لها بالصوم نوع يبُس، فإذا رطبت بالماء، كمل انتفاعها بالغذاء بعده، ولهذا كان الأولى بالظمآن الجائع، أن يبدأ قبل الأكل بشرب قليل من الماء، ثم يأكل بعده، هذا مع ما فى التمر والماء من الخاصية التى لها تأثير فى صلاح القلب لا يعلمها إلا أطباء القلوب»[1] . اهـ.

(٥) الدعاء عند الفطر وأثناء الصيام:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن النبى قال: «إن للصائم عند فطره دعوة ما تُرد»، وكان عبد الله إذا أفطر يقول: **«اللهم إنى أسألك برحمتك التى وسعت كل شيء أن تغفر لى»**[2] .

(٦) الدعاء عند الفطر بما يأتى:

عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ إذا أفطر قال: **«ذهب الظمأ وابتلَّت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله»**[3] .

(٧) الكف عما يتنافى مع الصيام:

لقوله ﷺ : «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه»[4] .

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، ولا يجهل، فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل: إنى صائم»[5] .

ويستفاد من الحديثين: أن هذه المعاصى يزيد قبحها فى الصيام على

(١) زاد المعاد (٢/ ٥٠، ٥١).

(٢) ضعيف: رواه ابن ماجه (١٧٥٣) كتاب الصيام، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الترغيب والترهيب (٥٨٢).

(٣) حسن: رواه أبو داود (٢٣٥٧) كتاب الصوم، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٦٧٨).

(٤) صحيح: رواه البخارى (١٩٠٣) كتاب الصوم.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٩٤) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥١) كتاب الصيام.

غيرها، وأنها تخدش فى سلامة الصيام بل ربما اقتضت عدم الثواب عليه(١).

(٨) أن يقول إذا شُتم: إنى صائم:

لحديث أبى هريرة السابق، فيستحب لمن شُتم أن يقول لشاتمه فى الصوم: «إنى صائم» ويستحب أن يجهر بها سواء كان صوم فريضة أو نفل - على المختار(٢) - وفى هذا فائدتان:

الأولى: علم الشاتم بأن المشتوم لم يترك مقابلته إلا لكونه صائمًا لا لعجزه.

الثانية: تذكير الشاتم بأن الصائم لا يشاتم أحدًا، فيكون متضمنًا نهيه عن الشتم.

(٩) السواك:

ويستحب للصائم أن يتسوَّك أثناء الصيام، ولا فرق بين أول النهار وآخره.

قال الترمذى: «ولم ير الشافعى بالسواك، أول النهار وآخره بأسًا».

(١٠) الجود ومدارسة القرآن:

الجود ومدارسة القرآن مستحبان فى كل وقت، إلا أنهما آكد فى رمضان.

عن ابن عباس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة(٣).

(١١) الاجتهاد فى العبادة فى العشر الأواخر من رمضان:

عن عائشة ﷺ: أن النبى ﷺ : «كان إذا دخل العشر الأواخر أحيا

(١) انظر فتح البارى (٤/ ١٤٠، ١٤١ - سلفية).
(٢) وهو اختيار شيخ الإسلام كما فى الاختيارات (ص: ١٠٨).
(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦) كتاب بدء الوحى، ومسلم (٢٣٠٨) كتاب الفضائل.

الليل، وأيقظ أهله، وشدَّ المئزر»[١].

وفى رواية لمسلم: «كان يجتهد فى العشر الأواخر ما لا يجتهده فى غيره».

ما يُباح للصائم فعله

(١) الصائم يصبح جُنبًا:

من أدركه الفجر وهو جُنب من أهله، فيغتسل بعد الفجر ويصوم.

وكذلك الحائض والنفساء إذا انقطع الدم من الليل جاز لهما تأخير الغسل إلى الصبح وأصبحتا صائمتين.

ففى الصحيحين عن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما «أن النبى ﷺ كان يدركه الفجر وهو جُنب من أهله ثم يغتسل ويصوم».

(٢) السواك للصائم:

قال ﷺ: «**لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**»[٢].

(٣) المضمضة والاستنشاق:

إلا أنه تُكره المبالغة فيهما.

عن لقيط بن صبرة أن النبى ﷺ قال: «... **وبالغ فى الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا**»[٣].

قال ابن قدامة: «وإن تمضمض أو استنشق فى الطهارة فسبق الماء إلى حلقه من غير قصد ولا إسراف فلا شىء عليه».

(٤) المباشرة والقبلة للصائم:

ففى الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يُقبل

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٢٤) كتاب صلاة التراويح، ومسلم (١١٧٤) كتاب الاعتكاف.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٨٨٧) كتاب الجمعة، ومسلم (٢٥٢) كتاب الطهارة.

(٣) صحيح: رواه أبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٢٧).

وهو صائم ويباشر وهو صائم، ولكنه كان أملككم لإربه»(١).

(٥) تحليل الدم وضرب الإبر والحقن التى فى العضل أو الوريد:

ليست من المفطرات «لأنها ليست منصوصًا عليها ولا بمعنى المنصوص، ولكن الاحتياط أن الإنسان لا يستعمل مثل هذه الإبرة وهو صائم إلا فى حال مرض يبيح له الفطر وحينئذٍ يفطر ويستعملها»، كما قال الشيخ ابن عثيمين.

(٦) الحجامة:

لكن الحجامة تُكره فى الصيام من أجل ما تسببه من ضعف.

وأما حديث: «**أفطر الحاجم والمحجوم**» فقد ذهب جمهور العلماء إلى القول بنسخه.

(٧) الكحل والقطرة (فى العين):

هذه الأمور لا تفطر سواء وجد طعمه فى حلقه أم لم يجده؛ لأن العين ليست بمنفذ للجوف وهذا ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية كما فى «مجموع الفتاوى».

(٨) صَبُّ الماء البارد على الرأس والاغتسال:

ويباح للصائم الاغتسال والانغماس فى الماء للتبرد... ففى الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ كان يصبح جُنُبًا وهو صائم، ثم يغتسل ويصوم.

قال الحسن: «لا بأس بالمضمضة والتبرد للصائم».

(٩) ذوق الطعام:

وهذا مقيد بعدم دخوله الحلق.

عن عطاء عن ابن عباس قال: «لا بأس أن يذوق الخل والشىء يريد شراءه».

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٢٧) كتاب الصوم، ومسلم (١١٠٦) كتاب الصيام.

(١٠) استحب السلف للصائم الترفُّه والتجمُّل بالترجُّل والادّهان:

كما قال ابن حجر. وأيضًا التطيب.

(١١) ما لا يمكن الاحتراز منه:

كبلع الريق وغبار الطريق وغربلة الدقيق والنخامة ونحو ذلك(١).

مبطلات الصيام

* وهو ينقسم إلى قسمين:

أ - ما يُبطل الصوم ويوجب القضاء والكفارة.

ب - ما يُبطل الصوم ويوجب القضاء دون الكفارة.

* **أولاً: ما يُبطل الصوم ويوجب القضاء والكفارة:**

وذلك لا يكون إلا «بالجماع»، فمتى جامع الصائم عالمًا عامداً فى نهار رمضان فى قُبل أو دُبر، أنزل أو لم يُنزل، أَثِم بذلك، وفسد صومه، ووجب عليه القضاء والكفارة.

أما القضاء فلأنه أفسد صومه الواجب فوجب عليه قضاؤه.

وأما الكفارة، فلحديث أبى هريرة ﵁ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: هلكت يا رسول الله، قال: **«وما أهلكك؟»** قال: وقعت على امرأتى فى رمضان، فقال: **«هل تجد ما تعتق رقبة؟»** قال: لا، قال: **«فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟»** قال: لا، قال: **«فهل تجد ما تطعم ستين مسكينًا؟»** قال: لا، ثم جلس، فأُتى النبى ﷺ بعرَق فيه تمر، فقال: **«تصدق بهذا»**، قال: فهل على أفقر منى؟ فما بين لابتيها أهل بيت أحوج إليه منى، فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: **«اذهب فأطعمه أهلك»**(٢).

---

(١) باختصار من فقه السنة للشيخ / السيد سابق.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٣٧) كتاب الصوم، ومسلم (١١١١) كتاب الجمعة.

فى هذا الحديث بيَّن النبى ﷺ الكفارة وهى: عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا، . . . هكذا على هذا الترتيب الوارد فى الحديث، فلا يطعم إلا إذا لم يقوَ على الصيام، ولا يصم إلا إذا لم يجد الرقبة، وهذا ما ذهب إليه الجمهور.

*** مسائل وملاحظات:**

* يشترط فى صوم الكفارة أن يكون شهرين متتابعين كما نصَّ عليه الحديث، والمقصود به الشهر الهجرى لا الميلادى.

* إذا كان على المرأة صيام شهرين متتابعين فإن الحيض لا يمنع التتابع من غير خلاف، قال مالك: فتحيض ثم تطهر فتبنى على ما مضى من صيامها ولا تؤخر ذلك[١].

* إذا جامع الرجل زوجته وقت طلوع الفجر، ثم تبين لهما أن الفجر قد طلع، فأصح الأقوال أنه لا قضاء عليهما ولا كفارة، فإن الله رفع المؤاخذة عن الناسى والمخطئ، . . . وهذا مخطئ، وقد أباح الله الأكل والوطء حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، واستحب تأخير السحور، ومن فعل ما نُدب إليه وأُبيح له لم يفرط فهو أولى بالعذر من الناسى، والله أعلم[٢].

* لو جامع فى صوم فرض غير رمضان، أو صوم نفل فسد صومه، ولا تلزمه الكفارة. وبهذا قطع الجمهور.

* إذا جامع من له رخصة بالفطر، كالمسافر، والمريض، فلا إثم عليه ولا كفارة؛ لأنه أبيح له الفطر، شريطة ألا يُفسد على الزوجة صيامها إن كانت صائمة، إنما يجوز له ذلك إلا إذا كانت هى الأخرى لها رخصة الفطر أو كانت قد طهرت من حيضها أثناء النهار.

---

(١) الموطأ (١/ ٣١٧).

(٢) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٥/ ٢٦٤).

* إذا جامع أكثر من مرة فهو على النحو الآتى:

أولاً:أن يكون ذلك فى يوم واحد، فالراجح أن عليه كفارة واحدة سواء كفَّر عن التى قبلها أم لا.

ثانيًا:أن يكون ذلك فى أيام متفرقة، فالراجح أن عليه كفارة لكل يوم جامع فيه؛ لأنه عبادة مستقلة.

* من جامع ناسيًا، أو جاهلاً حرمة ذلك - كمن نشأ ببادية بعيدة، ولم يعلم أن جماع الصائم حرام - فلا شىء عليه، وأما إن كان عالمًا بالتحريم، لكنه جاهل بالكفارة لزمته الكفارة.

* يجب على المرأة كفارة أيضًا إن طاوعت الرجل فى الجماع، وهذا رأى الجمهور، وهو الأرجح، لأن المرأة تشارك الرجل فى الأحكام إلا ما ورد ما يخص كل منهما، وذلك لما ثبت فى الحديث: **«النساء شقائق الرجال»** [١].

وأما كون النبى ﷺ لم يذكر الكفارة على المرأة فى الحديث، فلا حجة فى إسقاط الكفارة عنها [٢].

*** ثانيًا: ما يُبطل الصوم ويوجب القضاء دون الكفارة:**

(١) (٢) الحيض والنفاس:

ولو كان ذلك فى اللحظة الأخيرة قبل غروب الشمس فإن الصوم يبطل ويكون عليها قضاء ذلك اليوم.

*** وقفات هامة:**

- إذا طهرت الحائض قبل الفجر وتيقنت من الطهر فاستحضرت نية الصيام صحَّ صومها حتى وإن لم تغتسل إلا بعد طلوع الفجر ولكن عليها أن تراعى الصلاة فتبادر بالاغتسال لتصلى صلاة الفجر فى وقتها.

---

(١) حسن: رواه أبو داود ، والترمذى، وابن ماجة، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود (٩٥).

(٢) تمام المنة للعزازى (٢/ ١٣٣- ١٣٤) بتصرف.

- إذا كانت المرأة حائضًا فى رمضان ثم طهرت أثناء النهار فلا تمتنع عن الأكل والشرب... بل وفوق ذلك أنها إذا قَدِم زوجها من السفر وهو مفطر فله أن يجامعها ولا شيء عليهما.

- إذا كانت المرأة صائمة فحاضت أثناء النهار فقد بطل صومها وليس عليها أن تمتنع عن الطعام والشراب حتى أذان المغرب.

بل يُباح لها أن تُفطر.. لكن الأفضل أن تُخفى إفطارها عن الصائمين.

(٣)(٤) الأكل والشرب عمدًا فى نهار رمضان:

فمن أكلت أو شربت ناسية فلا شيء عليها وصيامها صحيح وليس عليها قضاء ولا كفارة.

فعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: **«من نسى وهو صائم فأكل أو شرب فليُتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه»**(١).

(٥) تعمُّد إنزال المنىّ:

سواء كان ذلك بسبب تقبيل الزوج أو مباشرته أو كان بالاستمناء فإن هذا كله يُبطل الصيام ويوجب قضاء هذا اليوم واستدل الشيخ ابن عثيمين(٢) لذلك بحديث النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه **«يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلى»**(٣).

* من أصبحت جُنبًا من جماعٍ قبل الفجر أو من احتلامٍ بالليل أو بالنهار وهى صائمة فصومها صحيح لا يفسد بذلك لما ثبت فى «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ كان يصبح جُنبًا وهو صائم، ثم يغتسل ويصوم(٤)، هذا عن الجنابة، وأما عن احتلام النائم فلأن القلم مرفوع عنه كما تقدم فى الحديث(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٢٣) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥٥) كتاب الصيام، واللفظ له.

(٢) الشرح الممتع (٦/ ٣٨١).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٩٤) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥١) كتاب الصيام.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٢٥) كتاب الصوم، ومسلم (١١٠٩) كتاب الصيام.

(٥) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى «صحيح الجامع» (٣٥١٤).

(٦) تعمُّد القيء:

وسواء كان القيء قليــلاً أو كثيرًا . . أما إن غلبها القيء فــلا شيء عليها وذلك لما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**من ذرعه القيء وهو صائم فليس عليه قضاء، ومن استقاء فليقضِ**»[١].

قال ابن المنذر: أجمع أهل العلم على أن من تقايأ عمدًا أفطر.

وقال الحافظ ابن حجر: (وأما القيء فذهب الجمهـور إلى التفرقة بين من سبقه فلا يفطر، وبين من تعمده فيفطر)[٢].

(٧) نية الإفطار:

فإن نوت الصائمة إبطال صومها وعزمت على الإفطار متعمدة ذاكرة أنها فى صوم، بطل صــومها وإن لم تأكــل أو تشرب لأن «**لكل امـرئ ما نوى**» وبهذا قال الجمهور.

(٨) الردة عن الإسلام:

فمن ارتدَّت عن الإســلام - والعيــاذ بالله - أثناء الصوم فــسد صومــها وعليــها القضــاء إذا عادت إلى الإســلام. . . . لقوله تعــالى ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾[٣] ولا خلاف فى هذا بين أهل العلم[٤].

* * *

(١) صحيح : رواه أبو داود، والترمذى، وابن مــاجه، والنسائى، والحاكم، وصحـحه الألبانى فى إرواء الغليل (٩٣٠).

(٢) فتح البارى (٤/٢٠٦).

(٣) سورة الزمر: الآية: (٦٥).

(٤) فقه السنة للنساء (ص٢٧٨).

عقوبة من أفطر متعمدًا بغير عذر

عن أبى أُمامة الباهلى ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما أنا نائم أتانى رجلان، فأخذا بضبعى - عضدى - فأتيا بى جبلاً وعرًا، فقالا: «اصعد»، فقلت: «إنى لا أطيقه»، فقالا: «سنُسهّله لك»، فصعدت، حتى إذا كنت فى سواد الجبل إذا بأصوات شديدة، قلت: «ما هذه الأصوات؟» قالوا: «هذا عواء أهل النار»، ثم انطُلق بى، فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم، مشققة أشداقهم، تسيل أشداقهم دمًا، قال: قلت: «من هؤلاء؟» قال: «الذين يفطرون قبل تَحلة صومهم»(١).

فإذا كان هذا وعيد من يفطرون قبل غروب الشمس ولو بدقائق معدودات، فكيف بمن يفطر اليوم كله؟! وقد قال ﷺ : «ثلاث أحلف عليهن: لا يجعل الله من له سهم فى الإسلام كمن لا سهم له، وأسهم الإسلام ثلاثة: الصلاة والصوم والزكاة»(٢).

وقال الحافظ الذهبى رحمه الله: «وعند المؤمنين مقرر: أنّ من ترك صوم رمضان بلا عذر أنه شر من الزانى ومدمن الخمر، بل يشكون فى إسلامه ويظنون به الزندقة والإخلال».

الاعتكاف

والاعتكاف لغة: لزوم الشيء وحبس النفس عليه.. وشرعًا: المقام فى المسجد من شخصٍ مخصوص على صفة مخصوصة... وهو ليس بواجب إلا على مَن نذره.

عن عائشة ﷺ: أن النبى ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من

(١) صحيح: رواه ابن حبان، والحاكم، والطبرانى، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٣٩٥١).
(٢) صحيح: رواه أحمد، والنسائى فى الكبرى، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٢١).

رمضان، حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده[١].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: كان النبى ﷺ يعتكف فى كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذى قُبض فيه اعتكف عشرين يومًا[٢].

ويُستحب للمعتكف أن يكثر من نوافل العبادات، ويشغل نفسه بالصلاة وتلاوة القرآن والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والاستغفار والصلاة والسلام على النبى صلوات الله وسلامه عليه والدعاء، ونحو ذلك من الطاعات التى تقرب إلى الله تعالى وتصل المرء بخالقه جَلَّ ذِكرُه.

ويُكره له أن يشغل نفسه بما لا ينفعه فى دينه ودنياه من قولٍ أو عملٍ. ويبطل الاعتكاف بالخروج من المسجد لغير الحاجة عمدًا ويبطل أيضًا بالردة وذهاب العقل بجنونٍ أو سُكرٍ وبالوطء فى الفرج ولو ناسيًا.

ليلة خير من ألف شهر

قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٣].

عن أبى هريرة رضي الله عنه، عن النبى ﷺ قال: **«من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»**[٤].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يجاور فى العشر الأواخر من رمضان، ويقول: **«تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان»**[٥].

وعنها رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجدَّ وشدَّ المئزر.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٢٦) كتاب الاعتكاف، ومسلم (١١٧٢) كتاب الاعتكاف.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٠٤٤) كتاب الاعتكاف.

(٣) سورة القدر: الآية: (٣).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥) كتاب الإيمان، ومسلم (٧٦٠) كتاب صلاة المسافرين.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠١٧) كتاب صلاة التراويح، ومسلم (١١٦٩) كتاب الصيام.

وعنها قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن علمتُ أىَّ ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «قولى: **اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عنى**»[(١)].

رمضان شهر الجود والإحسان والعتق من النيران

* فشهر رمضان هو شهر الجود والإحسان والعتق من النيران.

قال ﷺ: «**... وينادى مناد: يا باغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر ولله عتقاء من النار، وذلك فى كل ليلةً**» [(٢)].

* وهو شهر الجود والإحسان.. وكان رسول الله ﷺ أجود الناس. وفى الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبى ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة» وزاد أحمد فى آخره «لا يُسأل عن شىء إلا أعطاه».

* ولذا نراه ﷺ يحث المسلمين على الإنفاق فى هذا الشهر فيقول: «**من فطَّر صائمًا كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئًا**»[(٣)].

* **قال بعض السلف**: الصلاة توصل صاحبها إلى نصف الطريق والصيام يوصله إلى باب الملك والصدقة تأخذ بيده فتُدخله على الملك.

* وكان الحسن يُطعم إخوانه وهو صائم تطوعًا ويجلس يروّحهم وهم يأكلون.

وكان ابن المبارك يُطعم إخوانه فى السفر الألوان من الحلوى وغيرهما وهو صائم.

---

(١) صحيح: رواه الترمذى والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٤٢٣).

(٢) حسن: رواه الترمذى وابن ماجة، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٥٩).

(٣) صحيح: رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤١٥).

أخي الكريم.. أختي الفاضلة: إن الصدقة والإطعام باب لرفعة الدرجات، بل وسبب من أسباب الشفاء من الأمراض.

قال ﷺ: «.... وأما الدرجات: فإطعام الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام» وكلها في رمضان.

وأما عن الشفاء فقد قال ﷺ: «داووا مرضاكم بالصدقة»[1].

وعن عليّ بن الحسن بن شقيق قال: سمعت ابن المبارك وسأله رجل: يا أبا عبد الرحمن! قرحة خرجت من ركبتي منذ سبع سنين، وقد عالجت بأنواع العلاج، وسألت الأطباء، فلم أنتفع به؟ قال: اذهب فانظر موضعًا يحتاج الناس للماء فاحفر هناك بئرًا فإنني أرجو أن ينبع هناك عين، ويمسك عنك الدم، ففعل الرجل فبرئ».

زكاة الفطر (صدقة الفطر)

وهي واجبة لحديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي رواه البخاري ومسلم أنه قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعًا من تمر، أو صاعًا من شعير، على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تُؤدَّى قبل خروج الناس إلى الصلاة.

والصاع المعتبر هو صاع أهل المدينة لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: «الوزن وزن أهل مكة، والمكيال مكيال أهل المدينة»[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طُهرة للصائم من اللغو والرَّفث، وطُعمة للمساكين، فمن أدَّاها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أدَّاها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات»[3].

(١) حسن: رواه أبو الشيخ في الثواب، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٥٨).
(٢) صحيح: رواه أبو داود والنسائي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧١٥٠).
(٣) صحيح: رواه أبو داود وابن ماجه، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٠٧٨).

* **وأما عن وقت إخراجها:**

قال العبدرى: أجمعوا على أن الأفضل أن يُخرجها يوم الفطر قبل صلاة العيد، وجوَّز مالك وأحمد والكرخى الحنفى أن يُخرجها قبل الفطر بيوم أو يومين. وجوز الشافعية تقديمها فى جميع رمضان لا قبله.

والأرجح أنه يجوز تقديمها بيوم أو يومين لما ورد من فعل ابن عمر، . . . وراوى الحديث أدرى بمعنى روايته.

هل تُجزئ القيمة فى الزكاة؟

إخراج القيمة فى الزكاة والكفارة ونحو ذلك: المعروف من مذهب مالك والشافعى أنه لا يجوز، وعند أبى حنيفة يجوز، وأحمد رحمه الله قد منع القيمة فى مواضع وجوَّزها فى مواضع. فمن أصحابه من أقر النَّص، ومنهم من جعلها على روايتين. والأظهر فى هذا أن إخراج القيمة لغير حاجة ولا مصلحة راجحة ممنوع منه. . . وأما إخراج القيمة للحاجة أو المصلحة العدل فلا بأس به. . . ومثل أن يكون المستحقون للزكاة طلبوا منه إعطاء القيمة لكونها أنفع فيعطيهم إياها، أو يرى الساعى أن أخذها أنفع للفقراء[1].

وقفات هامة للصائمين

وها هى باقة عطرة نهديها للصائمين من فتاوى «اللجنة الدائمة»:

* لا بأس باستعمال العطور واستنشاقها، وأما البخور فقد اختلفوا فيه، والراجح أنه لا يفطر.

* وأما من أخَّر قضاء الأيام التى أفطر فيها لعذر من مرض ونحوه، فليس عليه إلا القضاء عند القدرة، وأما إن أخر القضاء لغير عذر فمنهم من

(١) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٨٣).

ذهب إلى أنه عليه القضاء والإطعام، ومنهم من قال: بل عليه القضاء فقط مع الاستغفار عن تأخير القضاء (هذا هو الراجح).

*سحب الدم للتحليل لا يفسد الصوم، بل يُعفى عنه.

*وأما الإبر العلاجية التى يُقصد بها التغذية، فالراجح أنها لا تفطر (وهذا ما رجحه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله).

*من قطر فى عينيه أو أذنيه للتداوى لا يفسد صومه بذلك.

*لا يجوز الإفطار من أجل الامتحانات، ولا ضرورة فيه؛ لأنه يمكنه المراجعة بالليل، ومن فعل ذلك فعليه الرجوع والتوبة إلى الله تعالى.

*يجوز أن تستعمل المرأة أدوية فى رمضان لمنع الحيض إذا قرر أهل الخبرة الأمناء من الأطباء ومن فى حكمهم أن ذلك لا يضرها ولا يؤثر على جهاز حملها، وخير لها أن تكف عن ذلك.

*دواء الربو الذى يستعمله المريض استنشاقًا يصل إلى الرئتين عن طريق القصبة الهوائية لا إلى المعدة. ومثل هذا فيه خلاف بين العلماء، والذى يظهر عدم الفطر بهذا.

يوم فى حياة صائم

الصائم يبدأ يومه قبل صلاة الصبح باستحضار نية الصيام، ثم يتناول طعام السحور فإنه بركة، ثم يصلى الصبح فى جماعة ويجلس فى المسجد حتى تطلع الشمس فيقول أذكار الصباح ويقرأ القرآن.

قال ﷺ: **«من صلى الفجر فى جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة»** (١).

ثم يذهب إلى عمله ومعه المصحف فيدعو إخوانه فى العمل إلى

(١) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٤٦).

الإخلاص فى العمل واستثمار وقت الفراغ فى طاعة الله وقراءة القرآن. فإذا عاد من عمله نام قليلاً ليكون ذلك عونًا له على قيام الليل، ثم يذهب ليصلى صلاة العصر فى جماعة ويُلقى كلمة على أسماع الناس يحضهم على طاعة الله والبعد عن المعاصى حتى يشغلهم عن مشاهدة الأفلام التى تأتى كل يومٍ بعد صلاة العصر. وقبل أذان المغرب يأخذ معه شيئًا من التمر ليوزعه على الناس قبل الإفطار ليفوز بهذا الأجر العظيم، ثم يُفطر على رُطب أو تمر أو ماء ويصلى المغرب، ويعود ليتناول إفطاره ويقول دعاء الحبيب ﷺ فقد «كان إذا أفطر قال: **ذهب الظمأ وابتلَّت العروق وثبت الأجر إن شاء الله**»[1].

ولا ينسى أن دعوة الصائم مستجابة فيدعو لنفسه ولإخوانه من المستضعفين فى مشارق الأرض ومغاربها. ثم يتجهز لصلاة العشاء والتراويح، فقد قال ﷺ - كما فى الصحيحين -: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه**»، ثم يرجع بعدها لينام وليستيقظ فى الثلث الأخير من الليل ليصلى ما شاء الله له أن يصلى وليستغفر بالأسحار ويتناول سحوره وينوى صيام يومٍ جديد ليخرج من هذا الشهر وقد غفر الله ذنبه وأعتق رقبته من النار، بل وأوجب له الجنة... نسأل الله من فضله ورحمته.

إنما العيد لمن أطاع الله

أخى الحبيب.. أختى الفاضلة: اعلموا أنه لا يشعر بفرحة العيد إلا من أطاع العزيز الحميد.. فليس العيد لمن لبس الجديد، وإنما العيد لمن طاعاته تزيد، ولذلك كان أصحاب النبى ﷺ إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعضٍ: «تقبَّل الله منا ومنك».

فاحرصوا على أن تجعلوا أيامكم أعيادًا بطاعة الله والبُعد عن معاصيه.

---

(١) حسن: رواه أبو داود والحاكم، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٦٧٨).

وماذا بعد رمضان؟!!!!

وها هو السؤال الذى يطرح نفسه فى كل عام: وماذا بعد رمضان؟!!! إننا نرى المساجد فى أول أيام رمضان عامرة بالمصلين والذاكرين، وما إن ينتصف الشهر أو يمضى أكثره حتى نجد المساجد خاوية على عروشها!!!.

أخى الحبيب: إن من ذاق حلاوة الطاعة لا يتركها أبداً، وإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ... فداوم على قيام الليل ولو بركعتين وداوم على قراءة القرآن وعلى ذكر الله واحرص على أن تملأ أيامك كلها بطاعة الله فإنك (أيام) فإذا ذهب يومُك ذهب بعضُك وستمر الأيام وستجد نفسك واقفًا بين يدى العزيز الحكيم ليسألك عن كل شىء «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمسٍ: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وماذا عملٍ فيما علم؟»(١).

فاستمع لنداء الله ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٢)، وليكن لسان حالك ومقالك: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ (٣).

فيا من صُمت وقُمت رمضان احذر من فتور الهمة.. ويا من امتن الله عليكِ بالحجاب احذرى من الانتكاس ويا من عشتم فى جنة الطاعة احذروا من نار المعصية.

أسأل الله أن يتقبل منى ومنكم وسائر المسلمين.. سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

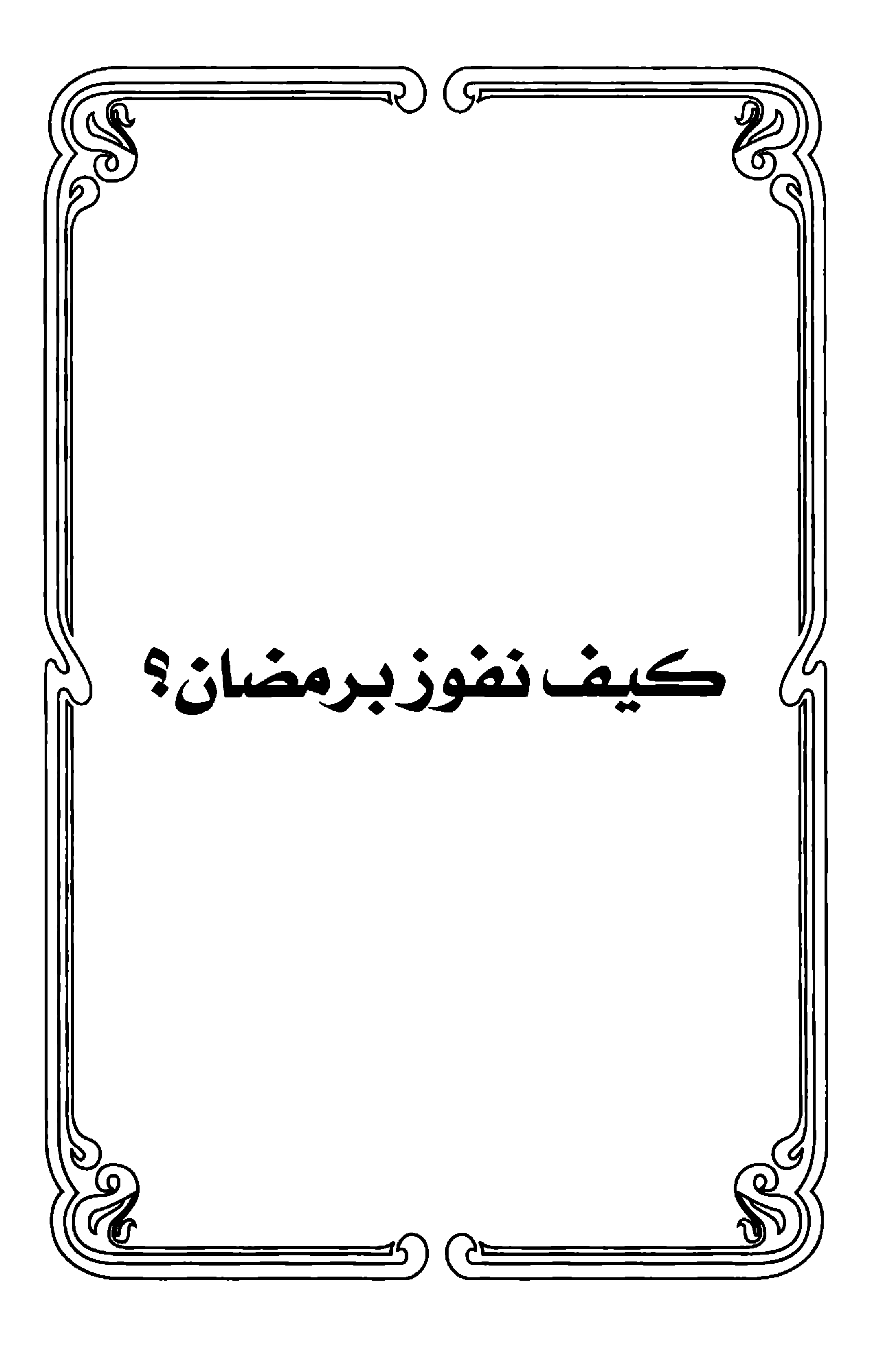
(أبو عمار)

---

(١) حسن: رواه الترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٢٩٩).

(٢) سورة الحجر: الآية: (٩٩).

(٣) سورة طه: الآية: (٨٤).



كيف نفوز برمضان؟

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٣).

أما بعد:

* ففى هذا الزمان الذى انتشرت فيه الشبهات والشهوات وانصرف فيه كثير من الناس عن طاعة رب الأرض والسماوات اختلفت بعض المفاهيم فى أذهان الناس.

فظن بعضهم أن الفوز الحقيقى هو أن يفوز الإنسان بمال أو بمنصب أو أن يصبح مشهوراً... إلى غير ذلك من ألوان المتاع الزائل.

- ولو دققنا النظر جيداً لوجدنا أن الدنيا بكل ما فيها لا تساوى عند الله

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).
(٢) سورة النساء: الآية: (١).
(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

جناح بعوضة وأنها كما وصفها النبى ﷺ . فقال: «ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بِمَ يرجع»(١).

وقال ﷺ : «ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا ومتعلمًا»(٢).

*** إذن فما هو الفوز الحقيقى؟**

قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (٣).

*** وقد يسأل سائل ويقول:** وكيف نصل إلى الجنة وننجو من النار؟.

والجواب: بأن نمتثل أمر الله وأمر رسول الله ﷺ وأن نخلص النية لله... ثم إن الله (جل وعلا) من كمال رحمته جعل لنا مواسم يكثر فيها الأجر والثواب لنقترب من الجنة أكثر وأكثر... وكان من تلك المواسم شهر رمضان فكان ينبغى على كل عاقل ألا تفوته تلك الفرصة دون أن يغتنمها.. ولذلك جاءت هذه الرسالة لنعرف من خلالها كيف نفوز بشهر رمضان.

فأسأل الله (جل وعلا) أن ينفع بها إخوانى وأخواتى وأن يجمعنى وإياهم مع النبى ﷺ فى الجنة... إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار
محمود المصرى
(أبو عمار)

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٥٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) رواه الترمذى، وابن ماجه، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤١٤).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٨٥).

جاء رمضان

يا من تريد النعيم الكامل فى جنة الرحمن... لقد جاء شهر رمضان... يا من تريد الفوز بالرضوان... لقد جاء رمضان.

* انظر وتأمل معى كيف أن الله قد اصطفاك من بين الخلق بأن أطال فى عمرك حتى أدركت شهر رمضان وأنت على الإيمان والتوحيد... وإن كنت مذنبًا فها هى ذى الفرصة تتجدد مرة بعد مرة عسى أن تدركك رحمته فيغفر لك ذنوبك كلها هذه المرة ويعتق رقبتك من النار ويُدخلك الجنة فتسعد سعادة لا تشقى بعدها أبدًا.

* ولذلك أريدك هذا العام وكل عام أن تصوم صوم المحب لله (جل وعلا)... وأن تصلى صلاة المحب.. وأن تقرأ القرآن قراءة المحب لكلام ربه وحبيبه (جل وعلا).

* فأقبل بقلبك وجوارحك على الطاعة ولسان حالك ومقالك: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (١).

النبى ﷺ يبشر أصحابه بقدوم رمضان

* لقد كان النبى ﷺ يبشر أصحابه بقدوم شهر رمضان المبارك.

* عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أتاكم شهر رمضان، شهرٌ مبارك، فرض الله عليكم صيامه، تُفتح فيه أبواب السماء، وتُغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغلُّ فيه مَردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرِم خيرها فقد حُرِم»**(٢).

* قال ابن رجب: «هذا الحديث أصل فى تهنئة الناس بعضهم بعضًا

---

(١) سورة طه: الآية: (٨٤).

(٢) حسن: رواه النسائى وأحمد، والبيهقى، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٩٨٩).

بشهر رمضان كيف لا يُبشَّر المؤمن بفتح أبواب الجنان، كيف لا يُبشَّر المذنب بغلق أبواب النيران، كيف لا يبشر العاقل بوقت يُغلُّ فيه الشيطان.

قال مُعلى بن الفضل: كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يُبلغهم رمضان ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم.

وقال يحيى بن أبى كثير: «كان من دعائهم: اللهم سلِّمنى إلى رمضان وسلِّم لى رمضان وتسلمه منى مُتقبَّلاً».

رمضان فى الشهور كمثل يوسف فى أولاد يعقوب

قيل: الشهور الاثنا عشر كمثل أولاد يعقوب (عليه السلام).

وشهر رمضان بين الشهور كيوسف (عليه السلام) بين إخوته.. فكما أن يوسف أحب الأولاد إلى يعقوب (ولله المثل الأعلى) فكذلك رمضان أحب الشهور إلى علام الغيوب.

* إن كان فى يوسف من الحلم والعفو ما غمر جفاهم حين قال: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾(١). فذلك شهر رمضان فيه من الرأفة والبركات والنعمة والخيرات، والعتق من النار، والغفران من الملك القهار ما يغلب جميع الشهور.

الصوم يصنع الإنسان صناعة جديدة

أيها الأخ الحبيب... أيتها الأخت الفاضلة:

إننا على يقين من أن نقل الجبال وتحويل مياه البحار والمحيطات أيسر بكثير من صناعة الإنسان العابد الذى يعرف حق الله وحق رسول الله ﷺ ويملأ الكون بالطاعة والدعوة إلى الله (جل وعلا).

---

(١) سورة يوسف: الآية: (٩٢)

* ولقد يسَّر الله لـنا أسبابًا تعين على صناعـة هذا الإنسان. . . كان من بينها الصيام. . . كما قال واحد من أهل العلم:

«الصوم يُعـد نفس الصائم لتـقوى الله بتـرك شهـواته الطبيعـية المبـاحة الميسورة امتثالاً لأمـره واحتسابًا للأجر عنده، فتتربى بذلك إرادته على مَلَكة ترك الشهوات المحرمة والصبر عنهـا فيكون اجتنابها أيسر عليه، وتقوى على النهوض بالطاعـات والمصالح والاصطبـار عليها فـيكون الثبات عليـها أهون عليه».

* وقال آخـر: «إن الوثنيـين كانوا يصـومون لتسكـين غضب آلهـتهم إذا عملوا ما يغضبهم، أو لإرضائها واستمالتـها فى بعض الشئون والأغراض، وكانوا يعتقدون أن إرضاء الآلهة أو التزلُّف إليها يكون بتعذيب النفس وإماتة حظوظ الجسد، وانتشـر هذا الاعتقـاد فى أهل الكتاب حتى جـاء الإسلام يعلمنا أن الصوم إنما فُـرض لأنه يُعدنا للسعادة بالـتقوى، وأن الله غنى عنا وعن عملنا وما كتب علينا الصيام إلا لمنفعتنا».

* فالصوم يصنع الإنسـان صناعة جديدة تخرجه من ذات نفـسه وتكسر القالب الأرضى الذى صُبَّ فيه، فإذا هو غير هذا الإنسـان الضيق المنحصر فى جسمه ودواعـى جسمه، فلا تغره الدنيا ولا يمسـكه الزمان ولا تخضعه المادة.

الأعمال عند الله سبع

* قال أحد السلف: «الأعمال عند الله سبع: عـملان موجبان، وعملان بأمثالهما، وعمل بعشر أمثاله، وعمل بسبعمائة، وعمل لا يعلم ثوابه إلا الله عز وجل، فأما الموجـبان: فمن لقى الله يعبـده مخلصًا لا يشرك به شـيئًا وجبت له الجنة ومن لقى الله قـد أشرك وجبت له النار، ومن عمل بالسيئة

جُزى بها، من أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها جزى مثلها، ومن عمل حسنة جُزى عشرًا، ومن أنفق ماله فى سبيل الله ضُعِّفت له نفقته: الدرهم بسبعمائة والدينار بسبعمائة، والصيام لله عز وجل لا يعلم ثواب عامله إلا الله عز وجل».

* **ففى الحديث الذى رواه مسلم أن النبى ﷺ قال: «كل عمل ابن آدم يُضاعَف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم؛ فإنه لى وأنا أجزى به، يَدَعُ شهوته وطعامه من أجلى، وللصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخُلُوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك»[١].**

* **قال ابن عبد البر:** كفى بقوله: «الصوم لى» فضلاً للصيام على سائر العبادات وقد اختلف العلماء فى المراد بقوله تعالى: «الصيام لى وأنا أجزى به» مع أن الأعمال كلها لله وهو الذى يجزى بها على أقوال:

أحدها: أن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع فى غيره.

* **قال أبو عبيد فى غريبه:** قد علمنا أن أعمال البر كلها لله وهو الذى يجزى بها، فنرى - والله أعلم - أنه إنما خص الصيام لأنه ليس يظهر من ابن آدم بفعله وإنما هو شيء فى القلب وذلك لأن الأعمال لا تكون إلا بالحركات إلا الصوم فإنما هو بالنية التى تخفى على الناس، وهذا وجه الحديث عندى».

* **قال القرطبى:** «لما كانت الأعمال يدخلها الرياء، والصوم لا يطلع عليه بمجرد فعله إلا الله فأضافه الله إلى نفسه ولهذا قال فى الحديث: «يدع شهوته من أجلى».

وعند مالك: «يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى، فالصيام لى» بزيادة الفاء وهى للسببية، أى سبب كونه لى أنه يترك شهوته لأجلى.

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (١١٥١) كتاب الصيام.

* **وقال ابن الجوزى:** جميع العبادات تظهر بفعلها، وقَلَّ أن يَسلم ما يظهر من شوب، بخلاف الصوم.

وارتضى هذا الجواب المازرى وقرره القرطبى بأن أعمال بنى آدم لما كانت يمكن دخول الرياء فيها أُضيفت إليهم بخلاف الصوم، فإن حال الممسك شبعًا مثل حال الممسك تقربًا، يعنى فى الصوم الظاهر.

ومعنى: «لا رياء فى الصوم» أنه لا يدخله الرياء بفعله، وإن كان قد يدخله الرياء بالقول كمن يصوم ثم يخبر بأنه صائم، فقد يدخله الرياء من هذه الحيثية، فدخول الرياء فى الصوم إنما يقع فى جهة الإخبار، بخلاف بقية الأعمال، فإن الرياء قد يدخلها بمجرد فعلها.

وقد حاول بعض الأئمة إلحاق شيء من العبادات البدنية بالصوم فقال: إن الذكر بلا إله إلا الله يمكن أن لا يدخله الرياء؛ لأنه بحركة اللسان خاصة دون غيره من أعضاء الفم، فيمكن للذاكر أن يقولها بحضرة الناس ولا يشعرون بذلك»[١] .

* **قال الحافظ ابن حجر:** «المراد بقوله: «وأنا أجزى به» أنى أنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته، وأما غيره من العبادات فقد اطلع عليها بعض الناس.

* **قال القرطبى:** معناه أن الأعمال قد كشفت مقادير ثوابها للناس وأنها تضاعف من عشرة إلى سبعمائة إلى ما شاء الله، إلا الصيام فإن الله يثيب عليه بغير تقدير.

* **قال المناوى:** «وأنا أجزى به» إشارة إلى عظم الجزاء عليه وكثرة الثواب لأن الكريم إذا أخبر بأنه يعطى العطاء بلا واسطة اقتضى سرعة العطاء وشرفه»[٢] .

* **وقال ابن رجب الحنبلى:** «يكون استثناء الصوم من الأعمال المضاعفة فتكون الأعمال كلها تُضاعَف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام

(١) فتح البارى (٤/ ١٢٩، ١٣٠).

(٢) فيض القدير للمناوى (٤/ ٢٥١).

فإنه لا ينحصر تضعيفه فى هذا العدد بل يضاعفه الله عز وجل أضعافًا كثيرة بغير حصر عدد.

فإن الصيام من الصبر وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الآية [1] ولهذا ورد عن النبى ﷺ أنه سمى رمضان شهر الصبر.

أنواع الصبر

* الصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر على محارم الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة.

وتجتمع الثلاثة فى الصوم فإن فيه صبرًا على طاعة الله، وصبرًا عما حرم الله على الصائم من الشهوات، وصبرًا على ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش وضعف النفس والبدن، وهذا الألم الناشئ من أعمال الطاعات يثاب عليه صاحبه، كما قال الله تعالى فى المجاهدين: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [2][3].

هذا هو الصيام الحقيقى

أيها الأخ الحبيب... أيتها الأخت الفاضلة.

إننا نحتاج أن نصوم صيامًا حقيقيًا لكى نصل إلى درجة المتقين فليس الصوم هو الصوم عن الجماع والطعام إنما صوم الجوارح عن الآثام، وصمت اللسان عن فضول الكلام، وغض العين عن النظر إلى الحرام، وكفُّ الكفِّ عن أخذ الحطام، ومنع الأقدام عن قبيح الإقدام..

---

(١) سورة الزمر: الآية: (١٠).

(٢) سورة التوبة: الآية: (١٢٠).

(٣) لطائف المعارف (٣١٨، ٣١٩).

لا يستويان

* يا إخوتاه ليس مَن رَغِب إلى الله كمن رغب عن الله، ليس من بقى مع الله كمن بقى عن الله، ليس من عُمره كله رمضان كمن عُمره كله للجشاء والطعام.. فمن الناس قوم قبل رمضان يأخذون بحظ أنفسهم من الشهوات والأكل ويقولون: هى أيام توديع للأكل والطعام.

وربما لم يقتصر كثير منهم على اغتنام الشهوات المباحة بل يتعدى إلى المحرمات وهذا هو الخسران المبين، وأنشد لبعضهم:

إذا العشرون من شعبان ولَّت

فواصل شرب ليلك بالنهارِ

ولا تشرب بأقداحٍ صغارٍ

فإن الوقت ضاق على الصغارِ

ونرد عليه:

إذا العشرون من شعبان ولَّت

فواصل ذكر ليلك بالنهار(١)

* يا من طالت غيبته عن مولاه، قد قربت أيام المصالحة، يا من دامت خسارته قد أقبلت أيام التجارة الرابحة، كم ينادى حى على الفلاح وأنت خاسر، وكم تُدعى إلى الصلاح وأنت على الفساد مثابر.

ومن لم يربح فى رمضان ففى أى وقت يربح، ومن لم يقرب فيه من مولاه فهو عل بُعده لا يبرح.

يتلذذون بذكره فى ليلهم

ويكابدون لدى النهار صياما

---

(١) رى الظمآن فى فضل الصوم وفضل رمضان / د. سيد حسين (ص:١٣٥).

فـسـيـغـنمـون عـرائسًا بعـرائس
ويُبـوَّءون من الجنان خـيـامـا
وتقـر أعـيـنهم بما أُخـفى لـهم
وسـيسـمعون من الجليل سلامـا(١)

الكمال كله فى طاعة الله

* قال أحد السلف: «كل شىء ناقص فى عُرف الناس فى الدنيا حتى إذا انتسب إلى طاعته ورضاه فهو الكامل فى الحقيقة».

خُلوف أفواه الصائمين أطيب من ريح المسك.

عُرى المُحرمين لزيارة بيته أجمل من لباس الُحلل.

نوح المذنبين على أنفسهم من خشيته أفضل من التسبيح.

انكسار المخبتين لعظمته هو الجبر.

ذل الخائفين من سطوته هو العز.

بذل النفوس للقتل فى سبيله هو الحياة.

جوع الصائمين لأجله هو الشِّبعُ.

عطشهم فى طلب مرضاته هو الرِّى.

نَصَبُ المجتهدين فى خدمته هو الراحة.

اشكر الله على نعمة الهداية

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٢).

---

(١) «عقود اللؤلؤ والمرجان فى وظائف شهر رمضان» للشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن.

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٨٥).

* يقول صاحب الظلال (رحمه الله):

«هذه غاية الفريضة: أن يشعر الذين آمنوا بقيمة الهدى الذى يسَّره الله لهم، وهم يجدون هذا فى أنفسهم، فى فترة الصيام أكثر من كل فترة، وهم مكففوفو القلب عن التفكير فى المعصية، ومكفوفو الجوارح عن إتيانها.. وهم شاعرون بالهدى ملموسًا محسوسًا، ليكبروا الله على هذه الهداية، وليشكروه على هذه النعمة، ولتفىء قلوبهم إليه بهذه الطاعة، كما قال لهم فى مطلع الحديث عن الصيام «لعلكم تتقون» وهكذا تبدو منة الله فى هذا التكليف الذى يبدو شاقًّا على الأبدان والنفوس، وتتجلى الغاية التربوية منه، والإعداد من ورائه للدور العظيم الذى أُخرجت هذه الأمة لتؤديه أداءً تحرسه التقوى ورقابة الله وحساسية الضمير»(١) .

أين نحن من هؤلاء؟

أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الفاضلة:

أين نحن من قوم كان دهرهم كله رمضان ليلهم قيام ونهارهم صيام؟!.

باع قوم من السلف جارية فلما قرب شهر رمضان رأتهم يتأهبون له ويستعدون بالأطعمة وغيرها، فسألتهم فقالوا: نتهيأ لصيام رمضان فقالت: وأنتم لا تصومون إلا رمضان؟! لقد كنت عند قوم كل زمانهم رمضان ردُّونى عليهم.

باع الحسن بن صالح جارية له فلما انتصف الليل قامت فنادتهم: يا أهل الدار، الصلاة الصلاة، قالوا: طلع الفجر؟ قالت: وأنتم لا تصلون إلا المكتوبة؟! ثم جاءت الحسن فقالت: بعتنى إلى قوم لا يصلون إلا المكتوبة رُدنى رُدنى.

---

(١) الظلال (١/ ١٧٢).

* قيل لبشر: إن قومًا يتعبدون ويجتهدون فى رمضان فقط، فقال: بئس القوم لا يعرفون لله حقًّا إلا فى رمضان، إن الصالح الذى يتعبد ويجتهد السنة كلها.

* وقيل لأحد الصالحين: أيهما أفضل رجب أو شعبان؟ فقال: كن ربانيًا ولا تكن شعبانيًا.

* قال بعض السلف: صُم عن الدنيا، واجعل فطرك الموت، الدنيا كلها شهر رمضان، المتقون يصومون فيه عن الشهوات والمحرمات فإذا جاءهم الموت فقد انقضى شهر صيامهم واستهلوا عيد فطرهم.

وقد صمت عن لذَّات دهرى كلها

ويوم لقاكم ذاك فطر صيامى

من صام اليوم عن شهواته أفطر عليها بعد مماته، ومن تعجل ما حُرم قبل وفاته عوقب بحرمانه فى الآخرة وفواته، شاهد ذلك قوله: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ (١) (٢).

تعرَّضوا لنفحات رحمة الله

أيها الأخ الحبيب... أما علمت أن لله نفحات من رحمته؟ فلماذا لا تتعرض لتلك النفحات؟ أما سمعت قول النبى ﷺ : **«افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإنه لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده»**(٣).

* فمرحبًا بشهر طيبٍ كريم مبارك.

---

(١) سورة الأحقاف: الآية: (٢٠).

(٢) لطائف المعارف (ص: ١٥٤، ١٥٥).

(٣) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير، وحسنه الألبانى فى الصحيحة (١٨٩٠).

* شهر نزول القرآن والكتب السماوية، شهر الشفاعة بالصيام والقرآن.
* شهر التراويح والتهجد.
* شهر التوبة وتكفير الذنوب.
* شهر تصفيد الشياطين.
* شهر غلق أبواب الجحيم.
* شهر فتح أبواب الجنان.
* شهر الجود والإحسان.
* شهر العتق من النيران.
* شهر ليلة القدر.
* شهر الدعاء.
* شهر الجهاد.
* شهر مضاعفة الحسنات.
* شهر الصبر والشكر.

بين الجوانح فى الأعماق سكناهُ
فكيف أنسى ومن فى الناس ينساهُ
وكيف أنسى حبيبًا كنت من صغرى
أسير حسن له جلَّت مزاياهُ
ولم أزل فى هواه ما نقضتُ له
عهدًا ولا محت الأيام ذكراهُ
قد شاخ جسمى ولكن فى محبته
ما زال قلبى فتىً فى عشق معناهُ
فى كل عامٍ لنا لُقيا مُحببة
يهتز كل كيانى حين ألقاهُ

بالعـــين والقـلب بالآذان أرقُـبُـه
وكـيف لا وأنـا بالروح أحـيـاهُ
والليل تحلو به اللقيا وإن قصرت
ساعـاتها مـا أُحيلاها وأحلاهُ
فنوره يجعل الليل البهيم ضحى
فـمـا أجلَّ ومـا أجلى مُحيَّاهُ
ألقـاه شـهـرًا ولكن فى نهـايتـه
يمـضى كطيف خـيالٍ قـد لمحناهُ
فى موسم الطهر فى رمضان الخير تجمعنا
محـبة الله لا مـالٌ ولا جـاهُ
من كل ذى خشـيـة لله ذى ولعٍ
بالخـيـر تعـرفـه دومًا بسـيـماهُ
قد قـدروا موسم الخيرات فاستبقوا
والاسـتـبـاق هنا المحمود عُقباهُ
صامـوه قاموه إيمانًا ومحتسبًا
أحـيـوه طوعًا وما فى الخير إكراهُ
وكلـهم بات القـرآن مندمـجًا
كـأنه الدم يـسـرى فى خـلاياهُ
فالأذن سـامعـة والعين دامـعة
والروح خـاشـعـة والقلب أوّاهُ

* * *

حدد هدفك من الآن

أخي الحبيب... أختي الفاضلة: من المؤكد أن كل إنسان يعيش فى هذه الدنيا له هدف يسعى لتحقيقه... وقد تختلف الأهداف من إنسان لإنسان آخر وذلك بحسب اختلاف درجات الإيمان فى قلوبهم.

فمنهم من جعل الدنيا هدفًا له وغاية يسعى للوصول إليه... فتجد رجلاً حريصًا كل الحرص على جمع المال... وتجد آخر يحرص كل الحرص على الوصول لأعلى المناصب.. وهكذا.

أما المؤمن الذى لامس الإيمان شغاف قلبه فليس له هدف سوى الجنة والفوز برضوان الله (جل وعلا).

* ومع أن الوصول للجنة سهلٌ ميسور إلا أن مهرها غالٍ وتحتاج إلى صبرٍ طويل للوصول إليها.

- ومع أن الجنة قريبة إلا أنها تقترب أكثر وأكثر فى مواسم الخير كشهر رمضان فإن الجنة تفتح أبوابها الثمانية من أول ليلة إلى آخر ليلة بل وتتزين للمؤمنين الصادقين.

* ومن المعلوم أن الدنيا مزرعة للآخرة فما تزرعه هنا من الخير والعمل الصالح ستجنى ثمرته فى الآخرة... إلا أن التنافس الحقيقى يكون أكثر وأكثر فى شهر رمضان المبارك.

ولذلك تجد أن المؤمن يفرح بقدوم هذا الشهر المبارك ويعقد العزم من أول لحظة على أن يعمره بالطاعة.. وذلك لأن الأعمال الصالحة فرعٌ عن محبة العبد لله (جل وعلا).

* فيا ليتك تحدد هدفك من الآن... اجعل الجنة هدفك.. اجعل الفوز برضوان الله أعظم أهدافك.

- واحذر أن تكون ضعيف الهمة. . . وإياك أن تحتقر نفسك وتقول: هل من المعقول أن أدخل الجنة؟!!. . . بل اجتهد فى الطاعة واسأل الله أن يجعلك من أهل الفردوس الأعلى وقل بلسان اليقين والثقة فى الله:

اللهم إنك قد قلت: «**أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء**»(١).

وأنا أحسن الظن بك أنك ستجعلنى من أهل الفردوس. . . وأنا على يقين من أنك لن تخيِّب رجائى فيك يا أرحم الراحمين.

* يقول الإمام ابن القيم (رحمه الله):

«ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نوراً وإشراقًا، وانتفى عنه كل ريب وسخط، وهمٍّ وغمٍّ. فامتلأ محبة لله، وخوفًا منه، ورضا به، وشكرًا له، وتوكلاً عليه، وإنابة إليه. فهو مادة جميع المقامات والحامل لها»(٢).

خطة لدخول الجنة

* قال الإمام ابن القيم (رحمه الله):

«هَلُمَّ إلى الدخول على الله ومجاورته فى دار السلام لا نَصَب ولا تعب ولا عناء، بل من أقرب الطرق وأسهلها؛ وذلك أنك فى وقت بين وقتين وهو فى الحقيقة عمرك، وهو وقتك الحاضر بين ما مضى وما يُستقبل؛ فالذى مضى تُصلحه بالتوبة والندم والاستغفار، وذلك شىء لا تعب عليك فيه ولا نَصَب ولا معاناة عمل شاق؛ وإنما هو عمل القلب، وتمتنع فيما يُستقبل من الذنوب، وامتناعك ترك وراحة، ليس هو عملاً بالجوارح يشق عليك معاناته، وإنما هو عزم ونية جازمة تريح بدنك وقلبك وسرك، فما مضى تُصلحه بالتوبة، وما يُستقبل تصلحه بالامتناع والعزم والنية، وليس

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والدارمى، وابن حبان، والطبرانى، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣١٦).

(٢) تهذيب مدارج السالكين (٢/ ٧٢٧).

للجوارح فى هـذين نَصَب ولا تعب؛ ولكن الشأن فى عـمرك، وهو وقتك الذى بين الوقتـين؛ فإن أضعـته أضعت سعـادتك ونجاتك، وإن حفظته مع إصلاح الوقـتين الذى قبله وبعـده بما ذكرت، نجوت وفُـزت بالراحة واللذة والنعيم»(١).

* أيهـا الأخ الحـبيب: هل فكرت مـرة فى أن تجلس مع نفـسك جلسـة صادقة لتضع فيها خطة لدخول الجنة.

- وليس معنى كلامى هذا أنك ستدخل الجنة بعملك. . كلا.

فنحن جميعًا لن ندخل الجنة إلا برحمة الله (جل وعلا).

ففى الصحيـحين أن النبى ﷺ قال: «**لن يُدخل أحدًا عملُه الجنة**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتـغمدنى الـله برحمـته**»(٢). . . وليس معنى ذلك أن نترك العمل فلقد أمرنا الله أن نأخذ بالأسباب.

* وإذا كان أهل الدنيا يستعدون دائمًـا لأعيادهم قبلها بزمانٍ طويل. . . فكيف لا يستعد المسلمون لأعظم عيدٍ فى الدنيا والآخرة حينما يدخلون جنة الرحمن ويجتمعون فى يوم المزيد؟

استعدادات فى السماء لشهر رمضان

إن من بهجة هذا الشهر الكريم أنه تحـدث استعدادات عظيمة وجليلة فى السماوات السبع وفى الأرض لقدوم هذا الشهر الكريم.

* تأمل معى ماذا يحدث فى السماوات السبع.

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا جاء رمـضان، فُتّحت أبواب الجنة، وغُلِّقت أبواب النار، وصُفِّدت الشياطين**»(٣).

---

(١) الفوائد (١٥١، ١٥٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٧٣) كتاب المرضى، ومسلم (٢٨١٦) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٩٩) كتاب الصوم، ومسلم (١٠٧٩) كتاب الصيام.

وفى رواية لمسلم: «فُتحت أبواب الرحمة، وغُلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين»(١).

* وقال ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفدت الشياطين، ومردة الجن، وغُلقت أبواب النار، فلم يُفتح منها باب، وفُتحت أبواب الجنة فلم يُغلق منها باب، وينادِ منادٍ: يا باغى الخير أقبل، ويا باغى الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة»(٢).

* وفوق كل هذا فالملائكة يتأهبون للاستغفار لك طوال الشهر أيها الأخ الحبيب.

فقد قال ﷺ: «إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين»(٣).

- فإذا كان هذا هو الحال مع المتسحرين فكيف بالصائمين؟... فمن المعلوم أن السحور عونٌ على الصيام.

* وليس ذلك فحسب بل لقد جعل الله لك بابًا مخصوصًا من أبواب الجنة اسمه باب الريان.

ففى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «إن فى الجنة بابًا يقال له: الريَّانُ، يدخلُ منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون، فيدخلون منه، فإذا دخلوا، أُغلق؛ فلم يدخل منه أحد»(٤).

زاد الترمذى: «ومن دخله لم يظمأ أبدًا»(٥).

فكيف بعد كل هذه الاستعدادات التى تحدث فى السماوات السبع.. كيف بعد كل هذا لا تستعد أنت بالتوبة الصادقة والتحلل من المظالم

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠٧٩) كتاب الصيام.

(٢) حسن: رواه الترمذى وابن ماجة، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٥٩).

(٣) حسن: رواه ابن حبان والطبرانى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٨٤٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٩٦) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥٢) كتاب الصيام.

(٥) صحيح: رواه الترمذى، والنسائى، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٩٧٩).

والاجتهاد فى الطاعة، وتطهير البيت من المحرمات، وإخلاص النية لله بأن تُعمر الشهر كله، بل العمر كله بطاعته ومرضاته (سبحانه وتعالى)؟.

كيف نفوز برمضان؟ [١]

والآن قد وصلنا إلى بيت القصيد.. نريد أن نعرف كيف نفوز بهذا الشهر الكريم؟.

فبعد تحديد الهدف.. وهو الفوز بشهر رمضان، ومن ثم الفوز بجنة الرحمن (جل وعلا).. كان لابد من وضع خُطة مُحكمة.. وهذه الخطة تحتاج إلى علو همة لتنفيذها.

وإذا كانت بعض الفرق الرياضية عندما تلعب مع فرقة منافسة لها، فإنها تلعب بطريقة ٤/ ٢/ ٤ .. فنحن لن نلعب، ولكن سنعمل بطريقة ٤/ ٤/ ٢.

سنفعل أربعة أشياء قبل رمضان، وأربعة أشياء فى رمضان، وشيئين بعد رمضان.

أربعة أشياء قبل رمضان

أما عن الأربعة التى سنفعلها قبل رمضان فهى:

١- التعرف على ثمرات الصيام:

إننا نريد أن نعرف ثمرات الصيام وفضائله لتعلو الهمة، وتنشط الجوارح فى طاعة الله.

ونظرًا لأننى لا أريد التكرار فسوف أذكر ثمرات الصيام على صورة عناوين، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتابى «شهر رمضان ورياح الجنة».

---

(١) هناك شريط بصوتى اسمه (كيف نفوز برمضان؟)، وشريط آخر (كيف نفوز بليلة القدر؟)، وشريط ثالث اسمه (يوم فى حياة صائم).. استمع إليها من على (الموقع الرسمى للشيخ محمود المصرى) لعلك تصل إلى المقصود.

أما عن ثـمرات الصيـام؛ فهى: أن الصـيام كـفارة للخطيـئات ورفـعة للدرجات، وهو جُنة من النار.. والصـيام فـى الصيف يورث السُّـقيـا يوم العطش.. والصيام فى الشتاء الغنيمة الباردة.. والصائمون هم السائحون.. والصوم لا مـثل له.. أُضيف لله تعالى تشريفًـا لقدره... والصيـام شعار الأبرار.. ودعوة الـصائم لا تُرد.. وللصـائم فرحـتان؛ فرحـة عند فطره، وفرحة عند لقـاء ربه.. والصيام شكرٌ لله.. والصيام يجلب للعـبد رقة فى القلب ويصـون جوارحـه.. والصيـام فدية لبـعض الأعمـال.. خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.. تشريف اللـه وملائكته له بالصلاة عليه.. الصيـام يشفع لصاحبه يـوم القيامة.. الصيـام سبيل إلى الجنات.. الصائم يدخل الجنة من باب مخصوص، وهو باب الريان.

بالله عليك.. ألا يحـدوك كل هذا لأن تنشط فى عبـادة الله فى شـهر رمضان؟.

٢- التوبة:

وأنا دائمًا أكرر وأقول: متى يتوب من لا يتوب فى رمضان؟

أليس من الحسـرة أن يعفـو الله عن مئات الآلاف من الـبشر ولا يعـفو عنك؟.

- خاب وخسـر مَن عَلِم أن الله فتح له أبواب الجنة، ثم هو يعصى الله ليكون من أهل النار.

- انظر أيها الأخ الحبيب: كم مرة قد جاء شهـر رمضان ومضى دون أن تتوب... بل إن بعض الناس لا ينشطون فى المعاصى إلا فى شهر رمضان.

- أمـا آن الأوان لأن تتوب وأن تبـدأ صفـحـة جديدة مع الخـالق (جل وعلا) تملؤها طاعة وذلاً وانكسارًا بين يديه، فهو الذى دعـاك للتوبة، فقال (جل وعلا): ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ

اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾[1]، بل وفتح لك باب الأمل أكثر، فقال (جل وعلا): ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾[2].

- فقم الآن وأعلنها توبة بين يديه، واعلم أنه مهما بلغت ذنوبك فإن رحمة الله وسعت كل شيء.. وذنبك مهما عَظُم فهو شيء.. ورحمة الله ستسعه لا محالة.

يقول الله (جل وعلا): **«يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى يا ابن آدم لو أنك أتيتنى بقُراب الأرض خطايا** - أى بقرب ما يملأ الأرض من الخطايا - **ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة»**[3].

بل إنه لو لم يكن هناك أى ثمرة للتوبة سوى أن الله يفرح بتوبتك لكان ذلك كافيًا، بل وحاديًا لك لأن تتوب.

ففى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: **«لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها فأتى شجرةً فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك، إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها، ثم قال - من شدة الفرح - اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح»**[4].

---

(١) سورة الزمر: الآيتان: (٥٣، ٥٤).

(٢) سورة الفرقان: الآيتان: (٧٠، ٧١).

(٣) حسن: رواه الترمذى، والضياء، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٣٨)، والصحيحة (١٢٧).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٠٩) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧٤٧) كتاب التوبة.

فأعلنها توبة لله (جل وعلا) وقل بلسان الحال والمقال:

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا
وقمت أشكو إلى مولاى ما أجدُ
فقلت يا أملى فى كل نائبة
ومن علَيه لكشف الضُّر أعتمدُ
أشكو إليك ذنوبًا أنت تعلمها
ما لى على حملها صبرٌ ولا جَلدُ
وقد مددت يدى بالذل مبتهلاً
إليك يا خير من مُدت إليه يدُ
فلا تردنَّها يارب خائبةً
فبحر جودك يروى كل من يردُ

هيا إلى طاعة الله

عن يوسف بن الحسين يقول: كنت مع ذى النون المصرى على شاطئ غدير فنظرتُ إلى عقرب أعظم ما يكون على شط الغدير واقفة، فإذا بضفدع قد خرجت من الغدير، فركبتها العقرب، فجعلت الضفدع تَسْبَح حتى عبرت، فقال ذو النون: إن لهذه العقرب لشأنًا فامضِ بنا، فجعلنا نقفو أثرها، فإذا رجل نائم سكران، وإذا حيةٌ قد جاءت فصعدت من ناحية سُرَّته إلى صدره وهى تطلب أُذُنه، فاستحكمت العقربُ من الحية فضربتها: فانقلبت وانفسخت، ورجعت العقربُ إلى الغدير، فجاءت الضفدع فركبتها فعبرت، فحرَّك ذو النون الرجل النائم، ففتح عينيه، فقال: يا فتى، انظر كيف نّجاك الله! هذه العقرب جاءت فقتلت هذه الحية التى أرادتك، ثم أنشأ ذو النون يقول:

يا غـــافـــلاً والجليلُ يحـــرسُـــهُ
مـن كل ســـوءٍ يـدبُّ فى الـظُّلَـمِ
كـــيف تـنامُ العـــيـــونُ عن مـلك
تـأتيــــــه منهُ فـــــوائـدُ النِّعمِ

فنهض الشابُّ وقال: إلهى، هذا فعلك بمن عصاك! فكيف رفقك بمن يطيعك؟! ، ثم ولَّى، فقلت: إلى أين؟؛ قال: إلى طاعة الله.

٣- التحلل من المظالم ومصالحة كل من حولك:

لأننى أخشى أن تصوم وتصلى وتحج وتزكى لغيرك... فتتعب أنت وغيرك يحصد حسناتك حصداً.

ولذلك حضَّنا النبى ﷺ على التحلل من المظالم على وجه السرعة، ففى الحديث الذى رواه البخارى أن النبى ﷺ قال: «**من كانت لأخيه عنده مظلمةٌ من عرض أو مال، فليتحلله اليوم، قبل أن يُؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح، أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له عمل، أخذ من سيئات صاحبه فجُعلت عليه**»(١).

وقد وضح النبى ﷺ ذلك من خلال ذلك المشهد المهيب من مشاهد الآخرة... ففى الحديث الذى رواه مسلم أن النبى ﷺ سأل أصحابه فقال: «**أتدرون من المفلس؟**». قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار. فقال ﷺ: «**إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيامٍ وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيُعطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه، أُخذ من خطاياهم، فطُرحت عليه، ثم طُرح فى النار**»(٢).

وأما بالنسبة لمصالحة الناس من حولك... فلابد أن تحرص أولاً على

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٤٤٩) كتاب المظالم.
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨١) كتاب البر والصلة.

مصالحة الوالدين، فقد قال ﷺ : **«ثلاثة لا يقبل الله منهم يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً: عاقٌ ومنانٌ ومكذبٌ بالقدر»**(١).

وأما مصالحة الناس من حولك؛ فهذا أمرٌ ضروري لتفوز بمغفرة الله (جل وعلا).

ففي الحديث الذي رواه مسلم أن النبي ﷺ قال: **«تُعرض أعمالُ الناس في كلِّ جمعة مرتين: يوم الاثنين، ويوم الخميس، فيُغفرُ لكل عبدٍ مؤمنٍ، إلا عبداً بينهُ وبين أخيه شحناءُ، فيقالُ: اتركوا هذين حتى يفيآ»**(٢).

* أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الفاضلة:

إن الأمة حُرمت من معرفة ليلة القدر بسبب التشاحن والتخاصم؛ فلقد بوَّب الإمام البخاري لذلك فقال: باب رفع معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس، وأورد حديثًا عن عُبادة بن الصامت أنه قال: خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين، فقال ﷺ : **«خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرُفعت وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة»**(٣).

فيا ليتنا ننسى الخصومات ونتصالح فتتصافح القلوب قبل الأيدى، ويعود الحب والوئام إلى المجتمع المسلم مرة أخرى، كما كان في عهد النبي ﷺ .

٤- الإكثار من الطاعات قبل دخول رمضان:

سمع المؤمنون قول رسول الله ﷺ : **«كل عمل ابن آدم يُضاعَف، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبع مائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم، فإنه لى**

---

(١) حسن: رواه ابن أبي عاصم، والطبراني، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٦٥)، والصحيحة (١٧٨٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٥) كتاب البر والصلة.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٢٠٢٣) كتاب التراويح.

وأنا أجزى به، يدع شهوته وطعامه من أجلى»[١] ، فعلموا أن الامتناع عن الشهوات لله (عز وجل) فى هذه الدنيا سبب لنيلها فى الآخرة، كما أشار إلى ذلك مفهوم قول رسول الله ﷺ : **«من شرب الخمر فى الدنيا، ثم لم يتب منها، حُرِمها فى الآخرة»**[٢]، وقوله ﷺ : **«من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة»**[٣].

فأكثر من الطاعات قبل رمضان حتى يتهيأ قلبك وبدنك لطاعة الله فى شهر رمضان.

فإذا كان لاعب الكرة يحافظ على لياقته البدنية قبل المباريات ليكون فى أحسن حالة وحتى لا يصاب بشد عضلى.. فمن باب أولى أن تحافظ أنت على لياقة قلبك وبدنك قبل شهر رمضان حتى لا تصاب بشدٍّ قلبى فتجد نفسك لا تستطيع أن تكمل الشهر كله صيامًا وقيامًا فتخسر خسارة لا يمكن أن تعوضها.

أربعة أشياء فى رمضان

أما عن الأربعة أشياء التى تفعلها فى رمضان فهى:

١- الاستعانة بالله:

وإن كان العبد يحتاج إلى أن يستعين بالله فى كل لحظة، إلا أننى تعمدت أن أذكر هذا العنصر هنا لتعلم أنك لن توفَّق للفوز بشهر رمضان، إلا إذا استعنت بالله (جل وعلا).

ولذا قال ﷺ : «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»[٤].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١١٥١) كتاب الصيام.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٥٧٥) كتاب الأشربة، ومسلم (٢٠٠٣) كتاب الأشربة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٨٣٢) كتاب اللباس، ومسلم (٢٠٧٣) كتاب اللباس والزينة.

(٤) صحيح: رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

فاستعن بالله وأخلص النية لله فى أنك تريد أن تُعمر شهر رمضان بالطاعة ابتغاء مرضاة الله.. وليس طلبًا للشهرة والصيت.

قال الإمام ابن القيم (رحمه الله): «ليس للعبد شىء أنفع من صدقه ربه فى جميع أموره، مع صدق العزيمة... فصدقه فى عزمه وفى فعله، قال - تعالى -: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [(١)]؛ فسعادته فى صدق العزيمة وصدق الفعل؛ فصدقُ العزيمة جمعُها وجزمُها وعدم التردد فيها، بل تكون عزيمة لا يشوبها تردُّد ولا تلوُّم.

فإذا صدقت عزيمته بقى عليه صدق الفعل، وهو استفراغ الوسع وبذل الجهد فيه، وأن لا يتخلف عنه بشىء من ظاهره وباطنه، فعزيمة القصد تمنعه من ضعف الإرادة والهمة، وصدق الفعل يمنعه من الكسل والفتور. ومن صدق الله فى جميع أموره صنع الله له فوق ما يصنع لغيره. وهذا الصدق معنى يلتئم من صحة الإخلاص وصدق التوكل، فأصدق الناس من صحَّ إخلاصهُ وتوكله»[(٢)].

٢- استثمار كل لحظة فى طاعة الله:

فالعمر هو الكنز الحقيقى الذى لا ينبغى أن يفرط العبد فى أى لحظة من لحظاته.

فكل ساعة ستمضى فى غير طاعة الله ستندم عليها.. وكل ساعة غفلت فيها عن طاعته ستندم عليها.

ولذا قال ﷺ: **«نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»**[(٣)].

وقال ﷺ: **«اغتنم خمسًا قبل خمسٍ: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل**

---

(١) سورة محمد: الآية: (٢١).

(٢) الفوائد (٤٣٨).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٢) كتاب الرقاق.

سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك»[1].

وأنت تعلم أن شهر رمضان ضيف عزيز يمر بسرعة لا تخطر على قلب بشر.. فإن لم تغتنم كل لحظة فيه سيمر الشهر وستندم حين لا ينفع الندم... فاحرص على وقتك قبل أن تندم.

الدقيقة غالية فلا تضيعها

وجدت أن الدقيقة من الزمن يمكن أن يُفعل فيها خير كثير، إما قراءة آيات، كل آية فيها عشرات الحروف، كل حرف بعشر حسنات، فتصبح مئات الحسنات.

أخي المسلم: اعلم أن معظم هذه المشاريع لا تكلف شيئًا أو تعب أو بذل جهد، بل قد تقوم بها وأنت تسير على قدميك أو راكبًا أو واقفًا أو جالسًا، وهذه المشاريع كالآتي:

١- في دقيقة واحدة: تستطيع أن تقرأ سورة الفاتحة (٥) مرات فتحصل على أكثر من (٧٠٠٠) حسنة.

٢- في دقيقة واحدة: تستطيع أن تقرأ سورة الإخلاص (١٥) مرة فإنها تعدل قراءة القرآن (٥) مرات.

٣- في دقيقة واحدة: تستطيع أن تقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير (٢٠) مرة وأجرها كعتق (٨) رقاب في سبيل الله من ولد إسماعيل.

٤- في دقيقة واحدة: تستطيع أن تقول سبحان الله وبحمده (١٠٠) مرة، ومن قال ذلك في يوم غُفرت ذنوبه وإن كانت مثل زَبَد البحر.

٥- في دقيقة واحدة: تستطيع أن تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله أكثر

---

(١) صحيح: رواه الحاكم والبيهقي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧٧).

من (٤٠) مرة، وهى كنز من كنوز الجنة.

٦- **فى دقيقة واحدة:** تستطيع أن تقول: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته أكثر من (١٠) مرات، وهى كلمات تعادل أضعافًا مضاعفة من أجور التسبيح والذكر.

٧- **فى دقيقة واحدة:** تستطيع أن تستغفر الله أكثر من (١٠٠) مرة، فالاستغفار سبب للمغفرة، ودخول الجنة، وللمتاع الحسن وزيادة القوة، ودفع البلايا، وتيسير الأمور، ونزول المطر، والإمداد بالأموال والبنين.

٨- **فى دقيقة واحدة:** تستطيع أن تصلى على النبى ﷺ (٢٠) مرة فيصلى الله عليك مقابلها (٢٠٠) مرة.

٩- **فى دقيقة واحدة:** تستطيع أن تقول: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم (٥٠) مرة، وهى كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرحمن.

١٠- **فى دقيقة واحدة:** تستطيع أن تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر (٢٥) مرة، وهذه الكلمات أحب الكلام إلى الله.

١١- **فى دقيقة واحدة:** تستطيع أن تقول: لا إله إلا الله (٥٠) مرة تقريبًا.

١٢- **فى دقيقة واحدة:** تستطيع أن ترفع يديك وتدعو بما شئت من جوامع الكلم.

١٣- **فى دقيقة واحدة:** تستطيع أن تنهى عن منكر أو تأمر بمعروف أوتقدم نصيحة لأخ أو تشفع شفاعة حسنة، أو تواسى مهمومًا أو تميط الأذى عن الطريق أو تصافح عددًا من الأشخاص.

* دقيقة واحدة فقط يمكن أن تزيد فى عمرك، فى عطائك، فى فكرك، فى فهمك، فى حفظك، فى حسناتك.

دقيقة واحدة تُكتب فى صحيفة أعمالك إذا عرفت كيف تستثمرها،

وتحافظ عليها، فانظر كم من دقيقة؛ بل من ساعة؛ بل من يوم؛ بل من شهر؛ بل من سنة ذهب منا هدرًا، وضاع منا لغوًا وعبثًا، وطار هباءً منثورًا؟! وليت من ضيعها ينجو رأسًا لا له ولا عليه، بل تجد خلاف ذلك من ذنوب وخطايا وسيئات، والله المستعان.

ويستطيع من صلى ركعتين خفيفتين يقتصر فيهما على الواجبات فقط كقراءة الفاتحة، وثلاث تسبيحات فى الركوع والسجود. أقول: يستطيع أن يصليهما فيما يقارب الدقيقة، فمن صلى كل يوم ركعتين ضحى نافلة صلى فى السنة أكثر من سبعمائة ركعة، وكل ركعة فيها سجدتان، أى: يسجد فى السنة فى صلاة الضحى أكثر من ألف وأربعمائة سجدة.

وفى الحديث الصحيح: **«إنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك بها درجة، وحط عنك بها خطيئة»**[١].

فى الدقيقة الواحدة تستطيع أن ترضى الرب، وتمحو الذنب، وأن تكتب لك عند الله بها أجرًا، وتمحو بها وزرًا، وتجعلها لك عنده ذخرًا، وتستطيع فى الدقيقة مع الدقيقة أن تؤلف، وأن تكتب، وأن تحفظ، وأن تنمى موهبتك وأن تجود ذاكرتك، وأن تزيد من علمك، وأن تحافظ على وردك وأن تعمق ثقافتك، وتوسع معارفك، وتنوع مواهبك، لكن الأمر يحتاج يا أخى إلى همة، أعوذ بالله من موت الهمم، وبرود العزائم وخسة الطبع[٢].

٣- التأمين على العبادة بالدعوة إلى الله:

وذلك بأن تجتهد فى الدعوة إلى الله... فإذا جعلك الله سببًا لهداية مسلم؛ فإن عمله كله سيكون فى ميزان حسناتك، وبذلك تكون قد أمَّنت على عبادتك.

---

(١) رواه أحمد (٢١٦٣٦).

(٢) حدائق ذات بهجة (ص: ٧).

ففى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: **«ولأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمر النعم»**(١).

وروى مسلم أن النبى ﷺ قال: **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا يُنقص ذلك من أجورهم شيئًا..»**(٢).

لو هدى الله على يديك عشرة فصلُّوا وصاموا رمضان، فكأنك صُمت رمضان إحدى عشر مرة؛ لأن هؤلاء العشرة سيكونون فى ميزان حسناتك.

فاجتهد أيها الأخ الحبيب؛ فلقد بشَّرك النبى ﷺ بأعظم بشرى إذا اجتهدت فى الدعوة إلى الله (جل وعلا).

قال ﷺ: **«إن الله وملائكته وأهل السماوات وأهل الأرض حتى النملة فى جُحرها وحتى الحوت فى البحر ليُصلون على مُعلم الناس الخير»**(٣).

٤- حسن الظن بالله:

فإذا اجتهدت فى العبادة، وفى الدعوة إلى الله، وعشت طوال شهر رمضان على الصيام والقيام وقراءة القرآن وصلة الأرحام، والدعوة إلى الله، فلابد مع كل هذا أن تُحسن الظن بالله أنه سيتقبل منك كل هذا الخير، فقد أمرك النبى ﷺ بذلك، فقال ﷺ: **«لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بالله»**(٤).

وقد قال تعالى، كما فى الحديث القدسى: **«أنا عند ظن عبدى بى، إن ظن خيراً فله، وإن ظن شراً فله»**(٥).

* * *

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٤٢) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٤) كتاب العلم.

(٣) صحيح: رواه الترمذى والطبرانى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٨٣٨).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٥) صحيح: رواه أحمد وابن حبان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣١٥).

اثنتان بعد رمضان

وبعد تلك الأشياء التى ستفعلها قبل رمضان وفى رمضان، فعليك أن تحرص كل الحرص على أمرين بعد رمضان لتكتمل الخيرات ولتفوز برضوان رب الأرض والسماوات.

١- الثبات على الطاعة:

فإن من علامات القبول: الحسنة بعد الحسنة.

واعلم أن من ذاق عرف، ومن عرف اغترف.. فإن من ذاق حلاوة الطاعة ولذة الصيام والقيام وقراءة القرآن لا يمكن أن يفرط فيها بسهولة.

فاحرص أيها الأخ الحبيب أن تحافظ بعد رمضان على تلك الطاعة، ولو أن تحافظ على الحد الأدنى.. كأن تحافظ على صلاة ركعتين طويلتين قبل الصبح بساعة، وأن تحافظ على قراءة جزء من القرآن، وأن تصوم يوم الاثنين والخميس، وثلاثة أيام من الشهر العربى (الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر).

وكذلك صيام ست أيام من شوال.

قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان، ثم أتبعه ستًّا من شوال كان كصيام الدهر»(١).

* **وأنا أريد أن أسأل سؤالاً واحداً:** يا تُرى ما هو السبب الذى يجعل كثيرًا من الناس ينتكسون بعد شهر رمضان؟

أنا أظن أن ذلك يرجع إلى أمرين:

الأول: أنه لم يسأل الله الثبات:

مع أن الله علمنا ذلك فى كتابه بأن نقول: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ (٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١١٦٤) كتاب الصيام.

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٨).

والنبى ﷺ علمنا ذلك، فكان أكثر دعائه: «**يا مقلب القلوب ثبِّت قلبى على دينك**»(١).

إذن فالذى ينتكس بعد رمضان هو إنسان وثق فى نفسه، ووثق فى قدرته على الثبات، ولم يستعن بالله، فوكله الله إلى نفسه فضاع.

الأمر الثانى: أن الإسلام هو قضيته الأولى:

لأن الذى يشغل حياته كلها بالإسلام وبالدعوة إلى الله من الصعب أن ينتكس؛ لأن الإسلام هو قضيته الأولى.. أما الذى يعيش لشهواته وحظوظ نفسه؛ فسرعان ما يضحى بكل شىء من أجل لا شىء.

احذر من الشيطان

واعلم أيها الأخ الحبيب أن الشيطان الذى كان طوال الشهر مربوطًا فإنه سينطلق بعد انقضاء الشهر بكل ضراوة يريد أن يفتك بك، وأن يُضيع كل حسناتك التى تعبت طوال الشهر فى جمعها.

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (٢).

فيا تُرى ما هو ظن إبليس ﴿**ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾ (٣).

فالشيطان يريدك أن تتعب فى جمع الحسنات طوال الشهر، ثم يجعلك تفقد كل ذلك فى لحظة واحدة.

يا تُرى: هل صدق فيك ظن إبليس؟

احذر أيها الأخ الكريم.. واحذرى أيتها الأخت الفاضلة.

احذروا من مكائد الشيطان، واثبتوا على الطاعة؛ فإن من علامات قبول

---

(١) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٨٠١).

(٢) سورة سبأ: الآية: (٢٠).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (١٧).

شهر رمضان أن يستقيم حال العبد بعد الشهر، فإن من علامات قبول الحسنة: الحسنة بعد الحسنة.

٢- أن تشكر الله على أن وفقك لطاعته:

فالشكر يجلب لك المزيد.. فلئن شكرت الله على أن وفقك لطاعته فى شهر رمضان، فسوف يوفقك لطاعته طوال العام.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[١].. فأهل الشكر فى مزيد.

ولابد أن تعلم أنك لا حول لك ولا قوة إلا بالله.

فالله هو الذى خلقك ورزقك وأمهلك حتى بلَّغك شهر رمضان.. ثم وفقك فيه للصيام والقيام.. فالفضل كله لله؛ فاحرص على أن تشكر الله بقلبك ولسانك وجوارحك.

وأخيرًا

كانت هذه بعض العلامات التى وضعتها على طريق الفوز بشهر رمضان.. أسأل الله (جل وعلا) أن ينفع إخوانى وأخواتى بتلك الكلمات، وأن يجعلها حاديًا لهم للفوز بشهر رمضان، وأن يعتق رقابهم من النيران، وأن يجمعنى وإياهم مع النبى العدنان ﷺ فى أعالى الجنان، حيث النعيم والرضوان.. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٧).



يوم فى حياة صائم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[3].

أما بعد:

فها هى ذى الأيام تجرى ومواسم الخير تقترب.

وها هى ذى رياح الجنة تهب فى سماء الإيمان؛ لتُسقط علينا عبير الرحمة والمغفرة؛ لتحيا القلوب مرة أخرى مع قدوم شهر رمضان المبارك.

* وحتى لا يمر الشهر سريعًا دون أن نغتنم كل لحظة فيه، كان لابد أن نرسم لأنفسنا خطة محكمة نستطيع من خلالها أن نغتنم كل لحظة فى هذا

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

الشهر المبارك، وذلك من خلال رسم صورة حية ليوم فى حياة صائم.

- ومن هنا جاءت هذه الرسالة التى أهديها لكل إخوانى وأخواتى، والتى هى بعنوان «يوم فى حياة صائم». . فأسأل الله أن يتقبل منى ومنكم صالح الأعمال.

وهذه الرسالة كانت محاضرة ألقيتها فى العام الماضى، فاستحسنها بعض الإخوة الأفاضل (حفظهم الله)، ورأوا أن تُعاد صياغتها ونشرها فى صورة رسالة ليعم النفع بها.

فأسأل الله (جل وعلا) أن ينفع بها إخوانى وأخواتى، وأن يجعلها حاديًا لهم لاغتنام كل لحظة من شهر رمضان. . . ومن ثم للفوز بجنة الرحمن التى فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

الكنز الحقيقى

* أيها الأخ الحبيب... أيتها الأخت الفاضلة:

إننا جميعًا نعلم أن رأس مال العبد المؤمن هو عمره... وأن أيامه وساعاته هى الكنز الحقيقى الذى لا ينبغى أن يفرط فيه أبدًا.

* ولذلك حَضَّنا النبى ﷺ على اغتنام كل لحظة من لحظات العمر، فقال ﷺ: **«نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»**[1].

* **بل قال** ﷺ: **«اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك»**[2].

* فلنحذر جميعًا أن تمضى من أعمارنا ساعة بدون أن نُعمرها بعمل صالحٍ يعود علينا بالنفع فى دنيانا وآخرتنا.

ولذا لما جاء رجل إلى سفيان الثورى؛ فقال له: لقد ابتُليت بمرض البُعد عن الله، وأريد أن أتقرب إلى الله، وأغتنم عمرى فى طاعة الله؛ فقال له سفيان: يا هذا، عليك بعروق الإخلاص، وورق الصبر، وعصير التواضع، ثم ضع هذا كله فى إناء التقوى، وصُبَّ عليه ماء الخشية، وأوقد عليه نار الحزن، وصفِّه بمصفاة المراقبة، وتناوله بكف الصدق، واشربه من كأس الاستغفار، وتمضمض بالورع، وابعد عن الحرص والطمع. تُشفَى من مرضك بإذن الله.

- فاحرص على طاعة الله يا أخى، واعلم أنك لو عشت آلاف القرون؛ فلابد لك من لقاء الله والوقوف بين يديه.

لو عاش الفتى فى دهره

ألفًا من الأعوام ما لك أمره

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٢) كتاب الرقاق.

(٢) صحيح: رواه الحاكم، والبيهقى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٠٧٧).

مـتنعـمًـا فـيـه بكل نفـيـسـة
مـتلـذذًا فـيـه بنُعـمـى عـصـره
لا يعـتـريه السـقم فـيهـا مـرةً
كـلا ولا ترِد الـهـمـوم ببـاله
مـا كـان هـذا كله فى أن يـفى
بمبـيـت أول ليلة فـى قـبـره

وها هو الحسن البصرى وجـد رجلاً لا يصلى ولا يصوم، بل إنه عاكفٌ على فعل الموبقات، فأراد الحـسن أن يُذكرُه بالله - جل وعلا - فـأخذ هذا الرجل وسـار معـه فى الطريق، فـمرت جنازة فنظر الحـسن إليـها. وقـال للرجل: أيها الرجل، أرأيت لو أن الله أحيا هذا الميت؛ فعاد إلى الدنيا، فيا تُرى ماذا سيصنع؟ قال له الرجل: سيكون أفضل الناس صلاة وزكاة وصيامًا وبرًا للوالدين وأحسنهم خلقًا... فقال الحسن: فليكن هو أنت، وقد أحياك الله الآن فاصنع ما قلت!![1].

مواسم الطاعة

ومن المعلوم أن هناك مواسم جليلة ينبغى على الـعبد أن يغتنم كل لحظة فيها وأن يضاعف فيها الجهد ليفوز فيها مع الفائزين.

* ومما لا شك فيـه أن من أعظم تلك المواسم - شهـر رمضان - فـهو ضيف عـزيز ينبغى أن نُحـسن استقـباله، وأن نستـعد له قبل دخـوله علينا بزمان؛ حتى لا نندم حين لا ينفع الندم.

* قال أحد السلف: «السنة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، وأنفاس العباد ثمرتها، فشهر رجب أيام توريقها، وشعبان

(١) رحلة مع الصادقين/ للمصنف (ص: ١٢١، ١٢٢).

أيام تفريعها، ورمضان أيام قطفها، والمؤمنون قُطَّافها».

* وسبحان الله: متى يتوب من لم يتب فى رمضان؟! ومتى يفوز بالمغفرة والرحمة من فاتته المغفرة والرحمة فى رمضان؟!

ومتى يُعتَق من النار من لم يَعتق الله رقبته من النار فى شهر رمضان؟!.

* أليس من الحسرة أن يفوز بالمغفرة والرحمة والعتق من النار أُناسٌ.. وتبقى أنت مع الخاسرين!!

* من أجل ذلك أُريدك أن تحرص كل الحرص على الفوز بشهر رمضان فى هذا العام.. وكأن تلك الفرصة هى آخر فرصة فى عمرك؛ فاغتنمها قبل أن تندم.

ضيف عزيز

وكما قلت من قبل: لو تخيلت أن أغلى وأحب الناس إلى قلبك كان غائبًا عنك لمدة سنة تقريبًا... ثم جاءك من يُبشِّرك بقدومه؛ فيا تُرى كيف يكون حالك؟ وكيف تكون سعادتك؟

- أظن أن قلبك فى تلك اللحظة يكاد أن يطير فرحًا بقدوم هذا الحبيب الغائب.. أليس كذلك؟

- فما ظنك إذا كان هذا الغائب الذى نُبشِّرك بقدومه هو شهر رمضان الذى جعله الله (عز وجل) من أعظم أسباب المغفرة والرحمة والعتق من النيران، والفوز بالنعيم المقيم فى الجنان؟

* * *

فبذلك فليفرحوا

وقد أمرنا الله (جل وعلا) أن نفـرح بكل ما يقربنا منه. . . . وأن نفرح إذا وفقنا لطاعته (جل وعلا). . فقال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(١).

وذلك لأن محبـة الأعمال الصالحة والاستـبشار بها فرع عن مـحبة الله (عز وجل). . قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾(٢) فترى المؤمنين متلهفين مشـتاقين إلى رمـضان، تحن قلوبهم إلى صوم نهاره، ومكابدة ليله بالقيام والتهجد بين يدى مولاهم، وتراهم يُمهدون لاستقباله.

* وليكن أول شيء نستقبل به هـذا الشهر الكريم هو التوبة، وذلك لأن الله (عز وجل) يفرح بتوبتنا. . وهو الغنى الذى لا تنفعه طاعتنا، ولا تضره معصيتنا.

* قال ﷺ: **«لله أشد فرحًـا بتوبة عبده حين يتوب إليـه من أحدكم؛ كان على راحلتـه بأرض فلاة فانفلتـت منه وعليها طعـامه وشـرابه؛ فأيس منهـا فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك؛ إذ هو بها قائمة عنده فأخـذ بخطامها ثم قـال - من شدة الفرح - اللهم أنت عـبدى، وأنا ربك.. أخطأ من شدة الفرح»**(٣).

* * *

(١) سورة يونس: الآية: (٥٨).

(٢) سورة التوبة: الآية: (١٢٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٠٩) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧٤٧) كتاب التوبة.

كم ندمت على فوات رمضان؟

بالله عليك أيها الأخ الحبيب...

كم مرة ندمت فيها على فوات شهر رمضان، وأنت لم تقدم فيه شيئًا، ولم تعمل فيه أى طاعة تقربك من الله.

* هل سألت نفسك هذا السؤال... هل حاسبت نفسك على ضياع تلك الأيام الغالية؟

* أقولها بكل حزنٍ وأسى: كم فرطنا فى رمضان.. وكم فاتنا من الحسنات التى نرتقى بها فى نعيم الجنات برحمة رب الأرض والسماوات (جل وعلا).

* وصدق من قال:

قد مضى فى اللهو عمرى
وتناهى فيه أمرى
شمَّر الأكياس وأنا
واقفٌ قد شِيب أمرى
بان ربحُ الناس دونى
ولحينى بان خُسرى
ليتنى أقبل وعظى
ليتنى أسمع زجرى
كل يوم أنا رهنٌ
بين آثامى ووزرى
ليت شعرى هل أرى لى
همةً فى فك أسرى

أو أرى فـى تـوبـة صـــــــدق
قـــبـل أن أنزل قـــبـــــرى
ويـح قلـبى مِـن تَـنـاســـيـــه
مـــقـــامى يـوم حـــشـــرى
واشـــتـــغـــالى عـن خطـايا
أثـقـلـت والـلـه ظـهــــــرى

فرصة العمر

* أيها الأخ الحبيب... أيتها الأخت الفاضلة:

* ها هى فرصة العمر التى لا تُعوَّض.. ونحن لا ندرى هل نعيش إلى أن ندرك شهر رمضان أم أننا سنكون تحت التراب.

* ها هى أبواب النار قد أُغلقت.. وها هى أبواب الجنان قد فُتِّحت.. وها هو منادٍ من قِبَل الله ينادى عليك: يا باغى الخير أقبِل، ويا باغى الشر أقصِر.

* كفانا غفلة.. أما آن الأوان لكى نرجع ونتوب ونتقرب إلى علام الغيوب (جل وعلا).

- أما سمعنا قول الله (جل وعلا): ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾ (١).

* أقبل على ربك فليس لك سواه.. إنه الله الغفور الرحيم الودود الذى يقول فى الحديث القدسى: «**أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حين يذكرنى، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرَّب**

(١) سورة الحديد: الآية: (١٦).

إلىَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرَّب إلىَّ ذراعًا تقرَّبت إليه باعًا، وإذا أقبل إلىَّ يمشى أقبلت إليه أهرول»(١).

إياك والتسويف

قال ﷺ : «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفِّدت الشياطين، ومردة الجن، وغُلِّقت أبواب النار، فلم يُفتح منها باب، وفُتِّحت أبواب الجنة فلم يُغلق منها باب، ويُنادِ منادٍ: يا باغى الخير أقبل، ويا باغى الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلةٍ»(٢).

* فيا من تريد أن تتوب أقبل ولا تُسوِّف وستسعد فى الدنيا والآخرة عندما يتوب الله عليك ويتقبل توبتك.

* أتخشى أن لا يغفر الله لك؟!

أحسن الظن بالله؛ فإن الله غنى عن عذابك.. وهو الذى يفتح لك دائمًا باب الأمل والرجاء... قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٤).

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٥) كتاب التوبة.

(٢) حسن: رواه الترمذى، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٥٩).

(٣) سورة الزمر: الآية (٥٣).

(٤) سورة الفرقان: الآية: (٧٠).

لا يُرفع البلاء إلا بالتوبة

ونحن نعلم جميعًا أنه لا ينزل بلاءٌ إلا بذنب، ولا يُرفع إلا بتوبة.

* فهيا بنا نتوب؛ عسى الله أن يرفع البلاء عن أمة الإسلام.

* وتعالوا بنا لنتأمل سويًا تلك القصة المؤثرة.

* روى أنه لحق بنى إسرائيل قحط على عهد موسى عليه السلام فاجتمع الناس إليه، فقالوا: يا كليم الله! ادع لنا ربك أن يسقينا الغيث؛ فقام معهم وخرجوا إلى الصحراء، وهم سبعون ألفًا أو يزيدون، فقال موسى عليه السلام: إلهى.. اسقنا غيثك، وانشر علينا رحمتك، وارحمنا بالأطفال الرُّضَّع، والبهائم الرُّتَّع، والمشايخ الرُّكَّع، فما زادت السماء إلا تقشُّعًا، والشمس إلا حرارة! فتعجب نبى الله موسى، فأوحى الله إليه، وقال: يا موسى فيكم عبدٌ يبارزنى بالمعاصى منذ أربعين سنة، فنادِ فى الناس حتى يخرج من بين أظهركم فبه منعتكم[١].

فقال موسى: إلهى وسيدى أنا عبد ضعيف، وصوتى ضعيف، فأين يبلغ وهم سبعون ألفًا أو يزيدون؟ فأوحى الله إليه: منك النداء ومنى البلاغ.. فقام مناديًا، وقال: يا أيها العبد العاصى الذى يبارز الله بالذنوب والمعاصى منذ أربعين سنة اخرج من بين أظهرنا، فبِك مُنعنا المطر.. فقام العبد العاصى فنظر ذات اليمين وذات الشمال، فلم يرَ أحدًا خرج؛ فعلم أنه المطلوب. وقال فى نفسه: إن أنا خرجت من بين هذا الخلق افتضحت على رؤوس بنى إسرائيل، وإن قعدت معهم مُنعوا لأجلى.. فأدخل رأسه فى ثيابه نادمًا على فعاله، وقال: إلهى وسيدى عصيتك أربعين سنة وأمهلتنى، وقد أتيتك طائعًا فاقبلنى... فلم يستتم الكلام حتى ارتفعت سحابة بيضاء

(١) أى: بسببه منعت عنكم الخير؛ لأنكم لم تأمروه بالمعروف ولم تنهوه عن المنكر.

فأمطرت كأفواه القِرَب. فقال موسى: إلهى وسيدى، بماذا سقيتنا، وما خرج من بين أظهرنا أحد؟ فقال: يا موسى سقيتكم بالذى منعتكم. فقد تاب العبد وعاد إلىَّ، فقال موسى: إلهى أرنى هذا العبد الطائع التائب.

فقال: يا موسى إنى لم أفضحه وهو يعصينى أأفضحه وهو يطيعنى[١].

وصدق من قال:

يا من يرى ما فى الضمير ويسمعُ
أنت المُعدُّ لكل ما يُتوقعُ

يا من يُرجَّى للشدائد كلها
يا من إليه المُشتكى والمفزعُ

ما من خزائن رزقه فى قوله كُن
أمنن فإن الخير عندك أجمعُ

ما لى سوى فقرى إليك وسيلةٌ
فبالافتقار إليك فقرى أدفعُ

ما لى سوى قَرعى لبابك حيلةٌ
فلئن رُددت فأىَّ بابٍ أقرعُ

ومن الذى أدعو وأهتف باسمه
إن كان فضلك عن فقيرِك يُمنعُ

حاشا لجودك أن تُقنّط عاصيًا
الفضل أجزلُ والمواهبُ أوسعُ

ثم الصلاةُ على النبى وآله
من جاء بالقرآن نورًا يسطعُ

* * *

(١) مختصر كتاب التوابين؛ لابن قدامة (ص: ٨٦، ٨٧).

يا باغي الخير، أقبل

استمع أيها الأخ الحبيب لهذا النداء بقلبك، وأقبل بقلبك وجوارحك... يا باغى الخير أقبل...

يا من لم تسجد لله (جل وعلا) سجدة واحدة فى حياتك الطويلة؛ هيا لتسجد بين يديه؛ لعلها تكون آخر سجدة، فتُحشر يوم القيامة ساجداً لله.

وبالمثال يتضح المقال

عاش هذا الشاب على المعصية زمانًا طويلاً... كان مُدمنًا لشرب الخمر... لا يصلى... كان عاقًّا لوالديه.. مؤذيًا لجيرانه...

وفجأة كان على موعدٍ مع سعادة الدنيا والآخرة... فبينما هو يسير ذات يوم، وإذا ببعض الشباب الصالحين أمامه يتبسمون فى وجهه ويدعونه إلى الله - بكل رحمة - فبدأوا يكلمونه عن الجنة والنار؛ فتأثر هذا الشاب، وانفتح قلبه ليستقبل هذا النور.

وإذا به يسألهم: ماذا أصنع؟ قالوا له: اذهب وتوضأ وتعالَ إلى بيت الله لتسجد بين يديه، وسوف يبدل الله سيئاتك كلها إلى حسنات.

نعم والله... أليس الله هو القائل: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (١).

فذهب هذا الشاب التائب إلى بيته؛ فتوضأ وذهب إلى المسجد، وإذا بصلاة المغرب قد أُقيمت فدخل يصلى، وما إن سجد بين يدى الله (جل وعلا) حتى فاضت روحه إلى بارئها، ومات هذا الشاب وهو ساجد.

وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «.... وإن الرجل ليعمل الزمن

---

(١) سورة الفرقان: الآية (٧٠).

الطويل بعمل أهل النار، ثم يُختم له عمله بعمل أهل الجنة»[١].

فمنذ ساعة كان مدمنًا لشرب الخمور، وإذا به يموت ساجدًا بين يدى الرحيم الغفور... فنسأل الله حسن الخاتمة.

براءة من النفاق وبراءة من النار

* يا من تريد أن تفوز ببراءة من النفاق وبراءة من النار؛ هيا لتسجد بين يدى العزيز الغفار (جل وعلا)، فقد قال سيد الأبرار ﷺ: **«من صلى لله أربعين يومًا فى جماعة، يدرك التكبيرة الأولى، كُتب له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق»**[٢].

مع النبى ﷺ فى الجنة

* ويا من تريد أن تفوز يوم القيامة بصحبة النبى ﷺ فى الجنة؛ هيا لتسجد بين يدى الله (جل وعلا).

* **عن ربيعة بن كعب الأسلمى أنه قال: «كنت أبيت عند النبى ﷺ** فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لى: **«سَلْ»** فقلت: يا رسول الله! أسألك مرافقتك فى الجنة، فقال: **«أوَ غير ذلك»؟** قلت: هو ذاك، قال: **«فأعنِّى على نفسك بكثرة السجود»**[٣].

* وروى مسلم أن النبى ﷺ قال لثوبان: **«عليك بكثرة السجود؛ فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحطَّ بها عنك خطيئة»**[٤].

* * *

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥١) كتاب القدر.

(٢) حسن: رواه الترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٦٥)

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤٨٩) كتاب الصلاة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٤٨٨) كتاب الصلاة.

الفوز بشفاعة القرآن.. والارتقاء فى درجات الجنان

* ويا من هجرت القرآن طوال العام.. هيا إلى واحة القرآن لتسعد فى الدنيا والآخرة.

- فالقرآن منهج حياة يكفل الله به للبشرية السعادة فى الدنيا والآخرة.

- فمن خلال هذا النبع الصافى استطاع النبى أن يربى أصحابه، وأن يصنع رجالا لا تجد.. بل ولن تجد لهم مثيلاً عبر العصور والأزمان.

* هيا إلى القرآن.. فشهر رمضان هو شهر القرآن.

قال الزهرى: إذا جاء شهر رمضان؛ فإنما هو قراءة القرآن، وإطعام الطعام... وكان كثير من أهل العلم إذا جاء رمضان تركوا سائر العلوم وعكفوا على مدارسة القرآن.

* قال ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن: ألفٌ حرف، ولامٌ حرف، وميمٌ حرف»[١].

* يا من تريد أن تكون خير الناس عليك بالقرآن.

قال ﷺ: «خيركم مَن تعلَّم القرآن وعلَّمه»[٢].

* يا من تريد أن تنجو من عذاب القبر عليك بالقرآن.

قال ﷺ: «سورة تبارك هى المانعة من عذاب القبر»[٣].

وقال ﷺ: «سورة من القرآن ما هى إلا ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة، وهى تبارك»[٤].

* ويا من تريد أن تفوز بشفاعة القرآن.. عليك بالقرآن.

---

(١) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٦٩).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٠٢٧) كتاب فضائل القرآن.

(٣) صحيح: رواه الحاكم وابن مردويه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٤٣).

(٤) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط ، والضياء، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٤٤).

روى مسلم أن النبى ﷺ قال: «اقرأوا القرآن؛ فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»(١).

- وقال ﷺ : «القرآن شافع مُشفَّع، وماحلٌ مُصدَّق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار»(٢).

* ويا من تريد أن ترتقى فى درجات الجنان. . . عليك بالقرآن.

قال ﷺ : «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتقِ ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»(٣).

كان النبى ﷺ أجود من الريح المُرسَلة

* ويا من تريد أن تنجو من عذاب النيران عليك بكثرة الإنفاق فى شهر رمضان: ولا تخشَ على مالك من الفناء فإن الإنفاق لا يُنقص من المال شيئًا، بل يجعل البركة تحل فيه بإذن الله.

فقد قال ﷺ : «ثلاثٌ أقسم عليهن: ما نقص مال عبد من صدقة»(٤).

وقال ﷺ : «من تصدَّق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها، كما يربى أحدكم فَلُوَّه حتى تكون مثل الجبل»(٥). . . والفلو: هو المُهر الصغير.

* وقال ﷺ : «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»(٦).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨٠٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) صحيح: رواه الطبرانى، وابن حبان ، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٤٤٣).

(٣) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود ، والترمذى، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٢٤٠).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٢٤).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١٠) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٤) كتاب الزكاة.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٤٢) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٠) كتاب الزكاة.

* وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان؛ حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان؛ فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المُرسَلة.

* ولذا نراه ﷺ يحث المسلمين على الإنفاق في هذا الشهر؛ فيقول: «من فطَّر صائمًا كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئًا»(١).

* قال بعض السلف: الصلاة توصل صاحبها إلى نصف الطريق، والصيام يوصله إلى باب الملك، والصدقة تأخذ بيده فتُدخله على الملك.

* وكان الحسن يُطعم إخوانه وهو صائم تطوعًا، ويجلس يروِّحهم وهم يأكلون.

حجة مع النبي ﷺ

* بالله عليك... نفسك تحج مع النبي؟ ... طبعًا أكيد.

إذن فتأمل معي إلى ما قاله النبي ﷺ:

- **ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «عمرة في رمضان كحجة معي».**

وصية إلى ورثة الأنبياء

* وهنا أتوجه بتلك الوصية الغالية إلى ورثة الأنبياء من الدعاة والعلماء المخلصين، فأقول لهم: ها هي الفرصة أمامكم لتغرسوا الخير في قلوب الناس، فإن قلوب الناس في هذا الشهر الكريم تكون مُهيئة لاستقبال الخير فاغتنموا تلك الفرصة الغالية، فإن من ذكاء الداعية أن يَطْرُق على الحديد وهو ساخن... كما فعل النبي ﷺ عندما أرسل مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والدارمي، والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤١٥).

المدينة المنورة بعد بيعة العقبة الأولى؛ ليغتنم إقبال الناس على الإسلام فى أن يُسلم على يديه عدد كبير ليُقيم النبى ﷺ بهم للإسلام دولة فى المدينة المنورة.

- قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[1]... فإن كنت من أتباع النبى ﷺ فلابد أن تدعو إلى ما دعا إليه النبى ﷺ.

* وأسوق إليك تلك البشرى الغالية التى خرجت من فم الصادق ﷺ، حيث قال: **«إن الله وملائكته وأهل السماوات وأهل الأرض؛ حتى النملة فى جُحرها، وحتى الحوت فى البحر، ليُصلُّون على مُعلِّم الناس الخير»**[2].

يا باغى الشر أقصِر

* ويا من أثقلت ظهرك بالذنوب والأوزار بالليل والنهار.. أقصِر يا أخى الحبيب، وتُب إلى الله عسى أن تكون من المقبولين ومن الفائزين.

* كفانا غفلة وبُعداً عن الله... هيا لنستنشق نسيم الطاعة، ولنسعد فى رحاب الذِّكر والقرآن والصيام والقيام.

* فإن من أعظم الشرور التى يرتكبها أهل الغفلة أنهم يستثقلون شهر رمضان ويعدون أيامه ولياليه... بل ويتمنى الواحد منهم أن لو مضى الشهر فى غمضة عين؛ ليرتع فى أوحال المعاصى دون أن يلومه أحد... فهو يشعر أن هذا الشهر ما جاء إلا ليكبت شهواته وليحرمه من ملذاته... ولم يعلم هذا المسكين أن من أعظم الفوائد التى نجنيها من وراء هذا الشهر الكريم أن نُروِّض النفس لتعلم أنها أَمة لله (جل وعلا) يجب أن تسمع وتطيع لأمر الله (جل وعلا).

(١) سورة يوسف: الآية: (١٠٨).

(٢) صحيح: رواه الترمذى والطبرانى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٨٣٨).

يا من تفطر فى رمضان.. أقصر

* ويا من تفطر فى شهر رمضان بغير عذرٍ شرعى. . أقصِر فإنك لا تدرى ما الوعيد الذى أخبرنا به النبى ﷺ عن الذى يُفطر فى رمضان بغير عذرٍ.

* عن أبى أُمامة الباهلى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينا أنا نائم أتانى رجلان، فأخذا بضَبْعَيَّ فأتيا بى جبلاً وعراً، فقالا: اصعد. فقلت: إنى لا أُطيقه. فقالا: إنا سنُسهله لك. فصعدت، حتى إذا كنت فى سواء الجبل إذا بأصوات شديدة. قلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل النار، ثم انطلقا، فإذا أنا بقوم معلَّقين بعراقيبهم، مشققة أشداقهم، تسيل أشداقهم دمًا. قال: قلت: من هؤلاء؟ قال: الذين يفطرون قبل تَحِلة صومهم**»[1] الحديث.

يا من تركت الصلاة أقصِر

* ويا من تركت الصلاة طوال العام. . أقصِر وأقبل إلى بيت الله (جل وعلا) لتسجد بين يديه، فتقترب أكثر وأكثر، فقد قال (جل وعلا): ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾[2].

* فإنك لا تسجد سجدة لله إلا رفعك الله بها درجة فى الجنة.

يا من تركتِ الحجاب، أقصرى

ويا من حرمتِ نفسك من لذة الخضوع والإذعان لأمر الله ولأمر رسول الله ﷺ ولم تلبسى الحجاب حتى الآن. . . أقصرى واحفظى نفسك أيتها الجوهرة المصونة فى جلباب الحياء.

---

(١) صحيح: رواه ابن خزيمة، وابن حبان ، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٣٩٥١)، وصحيح الترغيب (١٠٠٥).

(٢) سورة العلق: الآية: (١٩).

- يا حفيدة أسماء وخديجة وعائشة لا تُشمتى بنا الأعداء.

- يا من رضيتِ بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً احذرى أن تكونى ممن قال فيهن النبى ﷺ : **«صنفان من أهل النار لم أرهما** - وذكر منهما - **ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات؛ رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»**[1].

- فيا ليتك تستقبلين هذا الشهر المبارك بتوبة صادقة بأن ترتدى الحجاب، وبأن تسجدى للعزيز الوهاب (جل وعلا) عسى أن يرضى عنك فيُدخلك الجنة بغير حساب.

يا من تعكف على الدش والتلفاز أقصر

* ويا من تعكف فى شهر رمضان على الدش والتلفاز؛ لتشاهد الأغانى والأفلام والمسلسلات التى تُفسد القلوب، أقصر، ولا تعصِ الله بنعم الله.

فإن الله لم يخلق لك عينًا لتستعين بها على الحرام، ولكن لتُبصر بها الحلال وتستعين بها على الذهاب إلى العمل وإلى المسجد... إلخ.

وإن الله لم يخلق لك أذنًا لتستعين بها على سماع الغناء المحرم، ولكن لتستمع بها إلى القرآن ودروس العلم، وإلى الكلام المباح.

* فاحذر أن يسلب الله منك تلك النعم؛ فتشقى فى الدنيا والآخرة.

* واعلم أيها الأخ الحبيب أن العبد إذا عاش فى شهر رمضان على معصية الله، فقد يخرج من الشهر ولا نصيب له إلا الجوع والعطش، كما أخبر النبى ﷺ ، حيث قال: **«رُبَّ قائم حظه من قيامه السهر، ورُبَّ صائم حظه من صيامه الجوع والعطش»**[2].

(١) صحيح: رواه مسلم (٢١٢٨) كتاب اللباس والزينة.

(٢) صحيح: رواه أحمد، والحاكم، والطبرانى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٩٠).

* لقد بيَّن الله سبحانه وتعالى الحكمة من تشريع الصيام فى قوله جل وعلا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1]. ولقد سأل أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أبى بن كعب رضي الله عنه: «ما هى التقوى؟» فقال أُبى: «يا أمير المؤمنين أما سلكت طريقًا ذات شوك؟» قال: «بلى»، قال: «فماذا صنعت؟» قال: «شمرت واجتهدت»، قال: «فذلك التقوى» وسُئل أمير المؤمنين على رضي الله عنه عن معنى التقوى، فقال: «هى الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل».

خَلِّ الذنوب صغيرها
وكبيرها ذاك التُّقَى
واصنع كماشٍ فوق أر
ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرنَّ صغيرة
إن الجبال من الحصى

يا من تخوض فى أعراض المسلمين أقصِر

ويا من تخوض فى أعراض المسلمين، أقصِر.

فإن الذى يُطلق لسانه فى أعراض المسلمين - وبخاصة علماء الأمة - فلابد أن يُبتلى قبل موته بموت القلب... بل إنه بذلك يوزع حسناته على كل من وقع فيهم بلسانه؛ فيخرج من صيامه صفر اليدين.

- روى البخارى أن النبى ﷺ قال: **«من لم يدع قول الزور والعمل به؛ فليس لله حاجة فى أن يَدَع طعامه وشرابه»**[2].

(١) سورة البقرة: الآية: (١٨٣).

(٢) صحيح: رواه البخارى (١٩٠٣) كتاب الصوم.

وقد قال ﷺ: «**الربا اثنان وسبعون بابًا أدناها مثل إتيان الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة الرجل فى عِرض أخيه**»(١).

* وأما عن حسرته في الآخرة؛ يقول النبى ﷺ واصفًا تلك الحسرة: «لما عرج بى ربى (عز وجل) مررت بقوم لهم أظفار من نُحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: «**من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم**»(٢).

* بل إنه قد يفقد كل حسناته يوم القيامة بسبب تلك المظالم.

- روى مسلم أن النبى ﷺ **قال لأصحابه: «أتدرون من المفلس؟»**.

قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار.

فقال ﷺ: «إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته؛ فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أُخذ من خطاياهم، فطُرحت عليه، ثم طُرح فى النار»(٣).

أنا العبد الذى كسب الذنوبا

* **أيها الأخ الحبيب:** تُب إلى الله (عز وجل) من كل الذنوب، وقل بلسان الحال والمقال:

أنا العبد الذى كسب الذنوبا
وصدَّته الأمانى أن يتوبا

---

(١) صحيح لغيره: رواه الطبرانى فى الأوسط، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٥٣٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢١٣)، والسلسلة الصحيحة (٥٣٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب.

أنا العبد الذى أضحى حزينًا
على زلاته قَلِقًا كئيبا
أنا العبد الذى سُطِّرت عليه
صحائف لم يخف فيها الرقيبا
أنا العبد المسىء عصيت سرًّا
فما لى الآن لا أُبدى النحيبا
أنا العبد المفرط ضاع عمرى
فلم أرعَ الشبيبة والمشيبا
أنا العبد الغريق بلُجٍّ بحر
أصيِّح لرُبما ألقى مُجيبا
أنا العبد السقيم من الخطايا
وقد أقبلتُ ألتمس الطبيبا
أنا العبد المُخلَّفُ عن أناس
حَوَوا من كل معروف نصيبا
أنا العبد الفقير مددت كفى
إليكم فارفعوا عنى الخطوبا
أنا الغدار كم عاهدت عهدًا
وكنت على الوفاء به كذوبا
أنا المقطوع فارحمنى وصِلنى
ويَسِّر منك لى فرجًا قريبًا
أنا المضطر أرجو منك عفواً
ومن يرجو رضاك فلن يخيبا
فيا أسفى على عمرٍ تقضَّى
ولم أكسب به إلا الذنوبا

وأحـــــذر أن يعـــاجلنى مماتٌ
يُحـيـر هولُ مـصرعـه اللبيبا
ويا حـزناه من حـشرى ونشـرى
بيـوم يجـعل الـولدان شِـيـبا
تفطَّرت السـمـــاء به ومـارت
وأصبـحت الجـبال به كـثيبا
إذا مـا قـمت حـيرانًا ظـميئـا
حـسـيـر الطرف عُـريانًا سليبا
ويا خـجلاه من قـبح اكتـسابى
إذا مـا أبدت الصـحفُ العيـوبا
وذلةُ مـوقفٍ وحـسـابُ عـدل
أكـونُ به على نفـسى حـسيبا
ويـا حـــــذراه من نـارٍ تـلظَّى
إذا زفـــرت وأقـلقـت القـلوبا
تـكاد إذا بـدت تـنشـق غـــيظا
على من كـان ظـلاَّمـا مُـريبا
فـيـا من مَـدَّ فى كـسب الخطايا
خُـطاه أمـا آن الأوان لأن تتـوبا

يوم فى حياة صائم

* لابد أن نعلم أولاً أن أصحاب النبى ﷺ كانوا يسألون الله ستة أشهر أن يُبلغهم شهر رمضان.. فإذا جاء رمضان فصاموه وقاموه.. سألوا الله ستة أشهر أخرى أن يتقبل منهم شهر رمضان.

* ولذلك فالمؤمن يفرح بكل لحظة من هذا الشهر الكريم المبارك.

* فإذا علم أن غداً رمضان فإنه يبدأ ليلته بقيام الليل، ويواظب على ذلك طوال الشهر[(١)] فقد قال ﷺ: **«من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»**[(٢)].

- بل وأخبر النبى ﷺ أن الله (عز وجل) ينزل كل ليلة نزولاً يليق بجلاله وكماله، فقال ﷺ: **«ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضى ثُلثُ الليل الأول؛ فيقول: أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذى يدعونى فأستجيب له؟ من ذا الذى يسألنى فأُعطيه؟ من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يُضيء الفجر»**[(٣)].

أيقظ أهل بيتك لتفوزوا بدعاء النبى ﷺ

* فإذا صليت قيام الليل فلا تنسَ زوجتك وأولادك من هذا الخير.

أيقظ زوجتك وأولادك لتفوزوا بدعاء النبى ﷺ لكم بالرحمة.

فقد قال ﷺ: **«رَحِم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلَّت؛ فإن أبت نضح فى وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلَّت وأيقظت زوجها فصلَّى؛ فإن أبى نضحت فى وجهه الماء»**[(٤)].

وقال ﷺ: **«من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصلَّيا ركعتين جميعًا كُتبا ليلتئذ من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات»**[(٥)].

---

(١) والأفضل أن يواظب على قيام الليل طوال العام، فقد قال جبريل (عليه السلام) للنبى ﷺ: **«واعلم يا محمد أن شرف المؤمن قيامه بالليل»**.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧) كتاب الإيمان، ومسلم (٧٥٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والنسائى، وابن ماجه، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٩٤).

(٥) صحيح: رواه أبو داود، وابن ماجه، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٠٣٠).

جلسة للاستغفار

* ثم بعد أن تصلوا قيام الليل فاجلسوا جلسة يسيرة، وليستغفر كل واحدٍ منكم من ذنوبه وتقصيره فى حق الله.. وليكن الاستغفار فرديًّا. بحيث يستغفر كل واحدٍ فى سره.

* ونعمة الاستغفار نعمة جليلة، فلقد وصف الله عباده المتقين الذين يدخلون الجنة بصفات جميلة، فقال (جل وعلا): ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [١].

* ووضَّح النبى ﷺ فضل الاستغفار، فقال: «**طوبى لمن وجد فى صحيفته استغفارًا كثيرًا**»[٢].

وقال ﷺ: «**من أحب أن تسره صحيفته؛ فليكثر فيها من الاستغفار**»[٣].

وقال ﷺ: «**إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوى عبادك ما دامت أرواحهم فى أجسادهم، فقال الرب: وعزتى وجلالى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى**»[٤].

السَّحور

* ثم تتسحر أنت وأسرتك وتجتمعوا على مائدة واحدة لتحل البركة.

قال ﷺ: «**تسحروا؛ فإن فى السحور بركة**»[٥].

---

(١) سورة الذاريات: الآيات: (١٥- ١٨).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه، والبيهقى فى شعب الإيمان، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٦١٨) وصحيح الجامع (٣٩٣٠).

(٣) حسن: رواه البيهقى فى شعب الإيمان ، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٩٥٥).

(٤) حسن: رواه أحمد، وأبو يعلى، والحاكم، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٥٠).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٢٣) كتاب الصوم، ومسلم (١٠٩٥) كتاب الصيام.

وقال ﷺ: «تسحروا ولو بجرعة من ماء»[(١)].

* ولا تنشغلوا بكثرة أنواع الطعام؛ حتى لا تنشغلوا عن قيام الليل والاستغفار وصلاة الصبح.. فأقل شيء يكفي.. والبركة من عند الله (جل وعلا).

صلاة الصبح فى جماعة

ثم تذهب إلى بيت الله لتصلى الصبح فى جماعة، فقد قال ﷺ: «من صلَّى البردين دخل الجنة»[(٢)].. يعنى: صلاة الصبح والعصر.

* وقال ﷺ: «من صلَّى الصبح فهو فى ذمة الله...»[(٣)].

تجلس فى المسجد تذكر الله حتى تطلع الشمس

* ثم تجلس فى المسجد وتقرأ أذكار الصباح.. وتظل فى المسجد تذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم تصلى ركعتين لتفوز بأجر حجة وعمرة نافلة.

قال ﷺ: «من صلَّى الفجر فى جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلَّى ركعتين، كان له كأجر حجة، وعمرة، تامة، تامة، تامة»[(٤)].

تصلى على النبى ﷺ لتفوز بشفاعته

لابد أن تعلم أننا نصلِّى على النبى ﷺ؛ لأن الله أمرنا بذلك؛ فقال (جل وعلا).

---

(١) صحيح: رواه أبو يعلى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٩٤٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧٤) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦٣٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٦٥٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٤) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٤٦).

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[١] .... ونصلِّى على النبى ﷺ ؛ لأننا نحبه ونتقرَّب إلى الله (جل وعلا) بحب النبى ﷺ .

* فإذا صلينا على النبى ﷺ فسوف نجنى الخير كله فى الدنيا والآخرة.

قال ﷺ : «من صلَّى علىَّ صلاة صلَّى الله عليه بها عشراً»[٢].

وقال ﷺ : «من صلَّى علىَّ حين يصبح عشراً، وحين يُمسى عشراً أدركته شفاعتى يوم القيامة»[٣].

صلاة الضحى.. وبيت فى الجنة

* وبعد ما جلست فى مُصلاك، وذكرت الله (جل وعلا) وصليت على رسول الله ﷺ ؛ فعليك أن تصلِّى صلاة الضحى؛ لتفوز ببيت فى الجنة.

فقد قال ﷺ : «من صلَّى الضحى أربعًا وقبل الأولى أربعًا بُنى له بيت فى الجنة»[٤].

استراحة قصيرة... الاستعداد للخروج إلى العمل

* ثم تعود إلى البيت وأنت تحمد الله على أن وفقّك لتلك الطاعة، فتستريح قليلاً فى البيت، ثم تتوكل على الله وتخرج إلى عملك، وأنت

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٥٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤) كتاب الصلاة.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٥٧).

(٤) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط، وحسنه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٣٤٩)، وصحيح الجامع (٦٣٤٠).

تحتسب كل خطوة من خطواتك وكل لحظة تقضيها فى عملك أنك تريد بذلك إعفاف زوجتك وأولادك من سؤال الناس، وذلك بأن تأتى إليهم باللقمة الحلال... وبذلك يصبح عملك طاعة لله (جل وعلا).

احمل هم الدعوة

* فإذا ذهبت إلى عملك، أو إلى المدرسة، أو الكلية؛ فاحمل همَّ الدعوة؛ فقد قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [1].. فإن كنت من أتباع النبى ﷺ فلابد أن تدعو إلى ما دعا إليه النبى ﷺ.

* فإذا ذهبت إلى العمل أو المدرسة أو الكلية؛ فاحمل معك بعض الأشرطة والكتيبات النافعة لتوزعها على زملائك، أو حتى تجعلها فى مكتبة للاستعارة، عسى الله أن يهدى بك رجلاً واحداً، فقد قال ﷺ: **«لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمر النعم»**[2].

- وقال ﷺ: **«إن الله وملائكته، وأهل السماوات، وأهل الأرض؛ حتى النملة فى جُحرها، وحتى الحوت فى البحر ليُصلون على مُعلِّم الناس الخير»**[3].

وقال ﷺ: **«الدالُّ على الخير كفاعله»**[4].

* * *

(١) سورة يوسف: الآية: (١٠٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٠٩) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) صحيح: رواه الطبرانى والترمذى، والضياء، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٨٣٨).

(٤) صحيح: رواه البزار والترمذى من حديث أنس، والطبرانى من حديث سهل بن سعد، والطبرانى، والبيهقى، وغيره، من حديث ابن مسعود، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٦٦٠)، وصحيح الجامع (٣٣٩٩).

ادعُ إخوانك إلى صلاة الظهر

* فإذا كنت فى العمل، أو المدرسة، أو الكلية، وحان وقت صلاة الظهر؛ فاجمع إخوانك فى المسجد، واحرص على أن تصلوا الظهر فى جماعة.

* ثم اقرأ عليهم بعد الصلاة، ولو حديثًا واحدًا فى فضل شهر رمضان، أو فى فضائل الأعمال الصالحة.

كيف تحفزهم على صلاة الجماعة؟

* وإذا أردت أن تحفزهم على صلاة الجماعة؛ فعليك أن تسلك معهم مسلك الترغيب وتوضيح الثواب المترتب على الصلاة فى الجماعة.

* يعنى تبدأ معهم بتوضيح الخير الذى من الممكن أن يتحصلوا عليه من وراء كل صلاة... بدءًا من الأذان وانتهاءً بالأذكار التى تُقال بعد كل فريضة.

* **قل لهم مثلاً:** انظروا لهذا الخير الذى تحصلون عليه بعد كل أذان عندما تقولون تلك الكلمات والأدعية التى أخبر عنها النبى ﷺ، حيث قال: **«من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدًا ورسوله، رضيتُ بالله ربًّا، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام دينًا، غُفر الله ما تقدم من ذنبه»**[1].

* **وقال ﷺ : «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذى وعدته، حلَّت له شفاعتى يوم القيامة»**[2].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٨٦) كتاب الصلاة.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦١٤) كتاب الأذان.

* وقل لهم: انظروا إلى هذا الخير الذى تفوزون به عند الوضوء.

فقد قال ﷺ: «**من توضأ فأحسن الوضوء... فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ فُتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء**»[(١)].

* فإذا قمتم إلى الصلاة وبدأتم فى قراءة الفاتحة؛ فانظروا ماذا يقول الله (جل وعلا).

كما فى الحديث القدسى: «**قال الله تعالى: قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين، ولعبدى ما سأل؛ فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قال الله: حَمدنى عبدى؛ فإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، قال الله: أثنى علىَّ عبدى؛ فإذا قالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قال: مجَّدنى عبدى؛ فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قال: هذا بينى وبين عبدى، ولعبدى ما سأل.**

فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، قال: هذا لعبدى، ولعبدى ما سأل»[(٢)].

* ويا ليتك تشجعهم على المحافظة على سُنة الظهر القبلية والبعدية، وذلك من خلال توضيح أجرها وثواب المحافظة عليها.

فقد قال ﷺ: «**من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر، وأربع بعدها حُرِّم على النار**»[(٣)].

* وقال ﷺ: «**أربع قبل الظهر ليس فيهن تسليم تُفتح لهن أبواب السماء**»[(٤)].

---

(١) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٦٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٣٩٥) كتاب الصلاة.

(٣) صحيح: رواه أبو داود، والترمذى، والنسائى، والحاكم، والطبرانى، والبيهقى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٩٥).

(٤) حسن: رواه أبو داود، والترمذى فى الشمائل المحمدية، وابن ماجه، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٨٥).

* واحـرص على أن تعلمهم الأذكـار التى تُقـال بعد الفـريضة وأذكـار الصباح والمساء وأذكار النوم.

* واقرأ عـليهم من كـتاب رياض الصـالحين جـملة من السنن والآداب والأخلاق التى جاء بها النبى ﷺ .... وكل هذا فى ميزان حسناتك (إن شاء الله).

استكمال مسيرة العطاء

* ثم ترجع إلى المنزل بعـد العـمل.... وتسأل زوجـتك وأولادك عن صلاة الظهر... لتتأكد أنهم قد صلوا.

* تستريح بعض الوقت، ثم تقوم وتتوضأ وتجهز درسًا صغيرًا لتلقيه بعد صلاة العـصر.. فإذا سـمعت أذان العصـر فاذهب إلى المسجـد لتصلى فى جماعة، ثم تعقـد لهم حلقة علم من أى كـتاب فقـهى وتكلمهم عن فـقه الصيام... وكذلك تأتى إليهم بكتـاب عن وصف الجنة لتحدو النفوس إلى الاجتهاد فى طاعة الله (جل وعلا).

* ثم تعود بعدها إلى المنزل وتتعـايش مع أذكار المساء ثم تقرأ وِردك من القرآن الكريـم.. وتحاول أن تُكثر فى شـهر رمضـان من قراءة القـرآن قدر استطاعتك.

* وإن استطعت أن تساعـد زوجتك فى إعداد الطعام فجـزاك الله خيرًا فقد قال ﷺ : **«خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى»**[1].

* * *

(١) صحيح: رواه الترمذى ،وابن مـاجه، وصححه الألبـانى فى السلسلة الصحيحـة (٢٨٥)، وصحيح الجامع (٣٣١٤).

كُنْ سبَّاقًا إلى كل خير

* وقبل المغرب بنصف ساعة يا ليتك تأخذ معك كيسًا مملوءًا بالتمر، وتوزع التمر على الناس من حولك فى الشوارع والميادين العامة؛ لتنال أجر إفطار الصائم.. أو تشارك فى إعداد المائدة الرمضانية التى تكون فى الشوارع لإطعام الصائمين، فقد قال ﷺ: **«من فطَّر صائمًا كان له مثل أجره، غير أنه لا يُنقص من أجر الصائم شيئًا»**(١).

* فإذا سمعت أذان المغرب؛ فعليك أن تُعجِّل الإفطار ولو على بعض التمرات؛ فإن لم تجد فعلى شربة ماء، فقد قال ﷺ: **«لا تزال أمتى بخير ما عجَّلوا الإفطار..»**(٢).

* ثم تصلى المغرب فى المسجد فى جماعة، ثم تعود إلى البيت لتُفطر مع زوجتك وأولادك.. أو مع والديك.

* ولا تنسَ أبدًا أن للصائم دعوة مستجابة؛ فادعُ لنفسك ولإخوانك المسلمين، وللأمة كلها بالنصر والتمكين.

* **قال ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر»**(٣).

* **فإذا أفطرت فاحمد الله (جل وعلا).**

* **وابدأ فى تجهيز نفسك لصلاة العشاء والتراويح فى بيت الله (جل وعلا).**

فقد قال ﷺ: «من صلَّى العشاء فى جماعة، فكأنما قام نصف الليل، ومن صلَّى الصبح فى جماعة؛ فكأنما صلى الليل كله»(٤).

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤١٥).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٢٨٤).

(٣) صحيح: رواه البيهقى، والضياء، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٣٠).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٦٥٦) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

* ثم تعود إلى البيت لتنام مبكرًا حتى تستطيع أن تقوم فى الثلث الأخير من الليل لتصلى قيام الليل... ولكن لا تنسَ أذكار النوم، واحرص على أن تبيت طاهرًا، وعلى ذكر الله (جل وعلا).

* **قال ﷺ: «طهروا هذه الأجساد طهركم الله؛ فإنه ليس عبدٌ يبيت طاهرًا إلا بات معه مَلَك فى شعاره لا ينقلب ساعة من الليل إلا قال: «اللهم اغفر لعبدك، فإنه بات طاهرًا»(١).**

* وتقرأ بعدها سورة الكافرون، فمن قرأها عند نومه فقد برئ من الشرك.

قال ﷺ: «إذا أخذت مضجعك من الليل، فاقرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، ثم نَمْ على خاتمتها؛ فإنها براءة من الشرك»(٢).

* بعدها تقرأ سورة (الملك)، وتحرص عليها كل الحرص، فهى من أسباب المغفرة والنجاة من عذاب القبر، بل ومن أسباب دخول الجنة».

قال ﷺ: «سورة تبارك هى المانعة من عذاب القبر»(٣).

وقال ﷺ: «إن سورة من القرآن ثلاثون آية؛ شفعت لرجل حتى غُفر له، وهى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾»(٤).

وقال ﷺ: «سورة من القرآن ما هى إلا ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها؛ حتى أدخلته الجنة وهى تبارك»(٥).

* وتقرأ سورة الإخلاص والمعوذتين لإبطال الحسد - بإذن الله.

---

(١) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٩٣٦).

(٢) حسن: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى، والحاكم، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٩٢).

(٣) صحيح: رواه الحاكم، وابن مردويه، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١١٤٠)، وصحيح الجامع (٣٦٤٣).

(٤) حسن: رواه أحمد، والترمذى، والنسائى فى الكبرى، وابن ماجه، وابن حبان، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٠٩١).

(٥) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط، والضياء، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٤٤).

* ففى الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ: «كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفَّيه، ثم نفث فيهما وقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾. ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات»(١).

* وتقرأ آية الكرسى ليحفظك الله من الشيطان؛ فقد قال الشيطان لأبى هريرة رضي الله عنه: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، حتى تختمها فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فقال النبى ﷺ: «صَدَقك وهو كَذوب ذاك شيطان»(٢).

* وتقرأ آخر آيتين من سورة البقرة.

* ففى الصحيحين: عن أبى مسعود الأنصارى رضي الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه»(٣).

وأخيرًا

* فإذا كان العشر الأواخر من رمضان؛ فقد سنَّ لنا النبى ﷺ سُنة الاعتكاف فى المسجد.

ففى الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان(٤).

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٥٠١٨) كتاب فضائل القرآن.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٢٧٥) كتاب بدء الخلق.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠١٠) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (٨٠٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٢٦) كتاب الاعتكاف، ومسلم (١١٧٢) كتاب الاعتكاف.

– وفى رواية البخارى عن أبى هريـرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ كان يعتكف فى كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذى قُبض فـيه اعتكف عشرين يومًا (١) .

– وذلك من أجل أن تتحـرى ليلة القدر التى قـال الله عنها: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ② لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ③ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ④ سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (٢) .

وقال ﷺ عنها: «من قام ليلة القـدر إيمانًا واحتـسابًا؛ غُفر له مـا تقدم من ذنبه» (٣) .

* واحرص على إدخـال البسمـة والسعادة والـسرور على فقـراء ويتامى المسلمين، وذلك بأن تجمع المـال من أهل الخير وتشـترى الطعـام والكساء، وتذهب به إلى الفقـراء واليتامى لتُـدخل عليهم السعـادة؛ فتفـوز فى دنياك وآخرتك؛ فقد قال ﷺ : «أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تُدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضى عنه دَيْنًا، أو تطرد عنه جـوعًـا، ولأن أمـشى مع أخى المسلـم فى حـاجـة أحب إلىَّ من أن أعتكف فى المسجـد شهرًا، ومن كَفَّ غضبه، ستر الله عورته، ومن كظم غيظًا، ولو شاء أن يُمضـيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضى يوم القـيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم فى حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخُلق ليفسد العمل، كما يفسد الخلُّ العسلَ» (٤) .

* * *

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٠٤٤) كتاب الاعتكاف.

(٢) سورة القدر.

(٣) صحيح: رواه البخارى (١٩٠١) كتاب الصوم.

(٤) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير وابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٦).

حسن الظن بالله (جل وعلا)

* فإذا انتهى شهر رمضان وبذلت ما فى وسعك فى الصيام والقيام وقراءة القرآن والإحسان إلى الفقراء؛ فأحسِن الظن بالله أن يتقبل منك كل هذا، وأن يُعتق رقبتك من النار.

فقد قال الله تعالى: «أنا عند ظن عبدى بى، إن ظن خيراً فله، وإن ظن شراً فله» (١).

إنما العيد لمن أطاع الله

* فإذا دخل عليك العيد فاحذر من الوقوع فى المعاصى... لأن الشياطين التى كانت مُسلسلة طوال الشهر سوف تنطلق بكل ضراوة لتوقع الطائعين فى أية معصية.. فاحذر من المعاصى واعلم أن علامة قبول الشهر أن تستقيم بعد الشهر على طاعة الله، كما كنت مستقيمًا فى ذلك الشهر.

* واعلم أن العيد لمن أطاع الله... فكل لحظة تمر عليك وأنت فى طاعة فأنت فى عيد... لأن تلك الطاعة ستكون سببًا - بإذن الله - لأن تعيش فى كل أعياد الآخرة بدءاً من بشارة الملائكة لك بالجنة عند خروج الروح.. وانتهاءً بالعيد الأكبر فى يوم المزيد عندما تنظر إلى وجه الله (جل وعلا) فتستمتع بأعظم لذة يتمتع بها أهل الجنة فى الجنة، وهى النظر إلى وجه الله (جل وعلا)... **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾** (٢).

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وابن حبان، والطبرانى فى الأوسط، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣١٥).

(٢) سورة القيامة: الآيتان: (٢٢، ٢٣).

* وفى ختام تلك الرسالة فإنى أسأل الله (جل وعلا) أن يجمعنى وإياكم عند باب الريان الذى جعله الله للصائمين المخلصين ثم يجمعنا بعد ذلك مع النبى ﷺ فى الجنة.. ثم يجمعنا فى يوم المزيد.. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

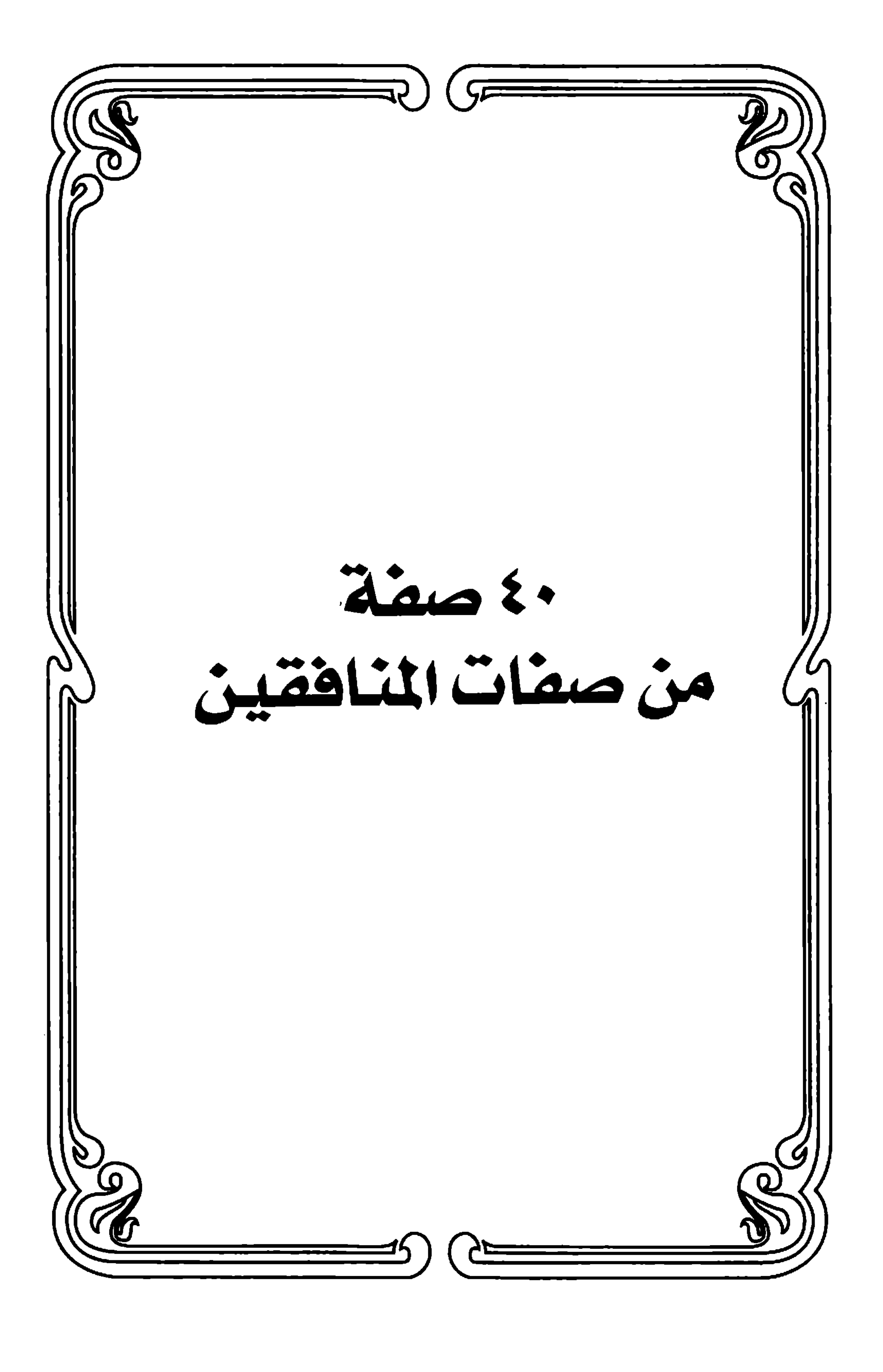
وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)



٤٠ صفة
من صفات المنافقين

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٣).

أما بعد:

فإن النفاق هو الداء العُضال الباطن الذى يكون الرجل ممتلئًا منه، وهو لا يشعر. فإنه أمر خفى على الناس.

وكثيراً ما يخفى على من تلبَّس به فيزعم أنه مصلح وهو مفسد. وهو نوعان: أكبر، وأصغر. فالأكبر: يوجب الخلود فى النار فى دركها الأسفل. وهو أن يُظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

وهو فى الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به.

فالنفاق هو ذلكم السوس الذى ينخر فى جسد الأمة المسلمة منذ عهد النبوة إلى اليوم، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾[1] فهم فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً.

إن المنافقين جراثيم تسمم وبكتريا عفونة، يتربصون بالمؤمنين الدوائر... خذلوا المؤمنين فى أُحُد وتبوك، ولا زالوا يخذلونهم إلى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها... لسان حالهم: لن تستريح قلوبنا إلا إذا لم يبقَ فى الأرض الفسيحة مسلم... يريدون غير ما يُظهرون، ويُسرون غير ما يبدون، قائدهم وكبيرهم الذى علمهم الخبث ابن سبأ الذى ظهر فى عهد عثمان - رضى الله عنه وأرضاه - واندسَّ فى الصفوف على أنه مسلم وكم من مُندسٍّ فى الصفوف على أنه مسلم.

ولو كان سهمًا واحدًا لاتقيتُهُ
ولكنه سهم وثانٍ وثالثُ

يُدير رحاها ألفُ كسرى وقيصر
وألفُ مُدير للمدير مديرُ[2]

فتعالوا بنا لنعرف شيئًا عن صفات المنافقين، عسى الله أن يعصمنا منها وأن يطهر الأمة المسلمة من المنافقين فى كل زمان ومكان.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٦١).

(٢) هكذا علمتنى الحياة / الشيخ: على القرنى (ص:٤٨).

طوائف العالم ثلاثة

لقد هتك الله سبحانه أستار المنافقين، وكشف أسرارهم فى القرآن، وجلَّى لعباده أمورهم ليكونوا منها ومن أهلها على حذر، وذكر طوائف العالم الثلاثة فى أول سورة البقرة: المؤمنين، والكفار، والمنافقين. فذكر فى المؤمنين أربع آيات، وفى الكفار آيتين، وفى المنافقين ثلاث عشرة آية. لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم، وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله، فإن بلية الإسلام بهم شديدة جدًا؛ لأنهم منسوبون إليه، وإلى نصرته وموالاته، وهم أعداؤه فى الحقيقة، يخرجون عداوته فى كل قالب، يظن الجاهل أنه علم وإصلاح وهو غاية الجهل والإفساد. فلله كم من معقل للإسلام قد هدموه؟! وكم حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه؟! وكم من علم له قد طمسوه؟! وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه؟! وكم ضربوا بمعاول الشُّبَه فى أصول غراسه ليقلعوها؟! وكم عموا عيون موارده ليدفنوه ويقطعوها؟!»[1] .

أصحاب الرسول ﷺ يخافون النفاق على أنفسهم!!!

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: تالله لقد قطع خوف النفاق قلوب السابقين الأولين. لعلمهم بدقِّه وجلِّه، وتفاصيله وجُمله. ساءت ظنونهم بنفوسهم، حتى خشوا أن يكونوا من جملة المنافقين. . . قال عمر بن الخطاب لحذيفة رضي الله عنه: «يا حذيفة، نشدتك بالله، هل سمَّانى لك رسول الله ﷺ منهم؟ قال: لا. ولا أزكى بعدك أحدًا» وقال ابن أبى مليكة: «أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: «إن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل» ذكره البخارى.

(١) صفات المنافقين / الشيخ: عصام مرعى (ص: ٤).

وذكر عن الحسن البصرى أنه قال: «ما أمنه إلا منافق، وما خافه إلا مؤمن»، ولقد ذكر عن بعض الصحابة: إنه كان يقول فى دعائه: «اللهم إنى أعوذ بك من خشوع النفاق. قيل: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يرى البدن خاشعًا والقلب ليس بخاشع».

تالله لقد مُلئت قلوب القوم إيمانًا ويقينًا، وخوفهم من النفاق الشديد وهمهم لذلك ثقيل، وسواهم كثير منهم لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، وهم يدَّعون أن إيمانهم كإيمان جبريل وميكائيل.

المنافق أشد خطرًا من الكافر

عن حبيب بن أبى فضالة قال: كان بعض المهاجرين يقول: والله، ما أخاف المسلم ولا أخاف الكافر، أما المسلم فيحجزه إسلامه، وأما الكافر فقد أذله الله عز وجل، ولكن كيف لى بالمنافق. إن المنافق أخطر من الكافر، ولهذا كان عذابه أشد ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ [(١)] وقد شرط تعالى للتوبة على الكافر الانتهاء عن الكفر فقط ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [(٢)]، وأما المنافق فشرط عليه أربعًا: التوبة، والإصلاح، والاعتصام، وإخلاص الدين له، فقال: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ فدل على أن المنافقين شرٌ ممن كفر به وأولاهم بمقته، وأبعدهم من الإنابة إليه، ثم قال: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ولم يقل: فأولئك هم المؤمنون، ثم قال ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ [(٣)] ولم يقل: «وسوف يؤتيهم» بغضًا لهم وإعراضًا عنهم وتفظيعًا لما كانوا عليه من عظم كفر النفاق[(٤)].

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٤٥).

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٣٨).

(٣) سورة النساء: الآية: (١٤٦).

(٤) صفوة التفاسير/ للصابونى (١/ ٣١٤).

فكيف بأهل زماننا؟!!

عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: المنافقون الذين فيكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ قال: فقلنا: يا أبا عبد الله! وكيف ذاك؟ قال: إن أولئك كانوا يُسرون نفاقهم، وإن هؤلاء يعلنون.

قلت: فكيف بأهل زماننا الذى لا يعلنون نفاقهم فحسب، بل يعتبرون نفاقهم قُربة يتقربون بها إلى الله!!!.

ونحن الآن نعيش زمانًا قد اختلَّت فيه الموازين وأصبح الحق فيه باطلاً والباطل حقًّا، كما أخبر بذلك الصادق الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ، حيث قال: **«سيأتى على الناس سنوات خدَّاعات، يُصدَّق فيها الكاذب، ويُكذَّب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويُخوَّن فيها الأمينُ، وينطقُ فيها الرويبضة. قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجلُ التافهُ يتكلمُ فى أمر العامة»**[1].

صفات المنافقين

وها أنا أسوق لحضراتكم بعض صفات المنافقين... التى نسأل الله (عز وجل) أن لا يجعل لنا فيها حظًّا ولا نصيبًا.

(١) التخلف عن الصلاة:

فالمنافق لا يُقبل بقلبه على طاعة الله (جل وعلا)، ولذلك تجده لا يحب رؤية الطائعين فى بيوت الله (المساجد)... وإذا ذهب تجده متكاسلاً، كما وصف الله المنافقين فقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى** ﴾[2].

بل أخبر النبى ﷺ أن صلاة الفجر والعشاء لا يحرص عليهما منافق

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٢٩١، رقم ٧٨٩٩)، وابن ماجه (٢/ ١٣٣٩، رقم ٤٠٣٦)، والحاكم (٤/ ٥١٢، رقم ٨٤٣٩) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٥٠).

(٢) سورة النساء: الآية: (١٤٢).

أبدًا فقال ﷺ : **«أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً...»**(١).

(٢) نقر الصلاة وتأخيرها عن وقتها:

قال الإمام ابن القيم: فهم يؤخرون الصلاة عن وقتها الأول إلى شَرَق الموتى، فالصبح عند طلوع الشمس، والعصر عند الغروب، وينقرونها نقر الغراب. إذ هى صلاة الأبدان لا صلاة القلوب، ويلتفتون فيها التفاتة الثعلب، إذ يتيقن أنه مطرود مطلوب. ولا يشهدون الجماعة، بل إن صلى أحدهم ففى البيت أو الدكان.

(٣) الرياء فى العبادة:

وعلى الرغم من تخلف المنافقين عن الصلاة، إلا أنهم إذا ذهبوا إلى بيت الله وقاموا إلى الصلاة كسالى، فإنهم لا يفعلون ذلك من أجل مجاهدة النفس لكى يصلح الله قلوبهم، وإنما يفعلون ذلك رياءً لكى يراهم الناس وهم يصلون مع المؤمنين.

قال تعالى: **﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً﴾** (٢).

(٤) مذبذبين بين الكفر والإيمان:

قال تعالى فى وصفهم: **﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾** (٣).

أى أنهم مترددون بين الكفر والإيمان فهم فى حيرة شديدة فلا ينتسبون إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين فهم واقفون بين الجمعين ينظرون أيهم أقوى وأعز قبيلاً **﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾**.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٧) كتاب الأذان، ومسلم (٦٥١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) سورة النساء: الآية: (١٤٢).

(٣) سورة النساء: الآية: (١٤٣).

قال ﷺ : «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة»[(١)].

وقال الحسن: إنما الناس بين ثلاثة نفر: مؤمن ومنافق وكافر. فأما المؤمن فعاملٌ بطاعة الله عز وجل، وأما الكافر فقد أذله الله تعالى كما رأيتم، وأما المنافق فههنا وههنا فى الحجر والبيوت والطرق، نعوذ بالله... والله ما عرفوا ربهم، بل عرفوا إنكارهم لربهم بأعمالهم الخبيثة، ظهر الجفا، وقَلَّ العلم، وتُركت السُّنة. إنا لله وإنا إليه راجعون. حيارى سُكارى، ليسوا بيهود ولا نصارى ولا مجوس فيُعذروا.

(٥) يرفضون التحاكم إلى شرع الله وسنة رسول الله ﷺ :

قال تعالى فى وصفهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا﴾ [(٢)].

فهم يدَّعون الإيمان، وعلى الرغم من ذلك فهم يرفضون التحاكم إلى شرع الحبيب ﷺ فإذا عاقبهم الله بذنوبهم يحلفون بالله أنهم ما فعلوا أى ذنب وأنهم ما أرادوا إلا إحسانًا وتوفيقًا.

ولذلك أمر الله رسوله ﷺ أن يُعرض عن معاقبتهم وأن يُذكرهم بالله من خلال المواعظ المؤثرة التى تصل إلى القلب ليكون رادعًا لهم ليرجعوا عن هذا النفاق الذى رسخ فى قلوبهم.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٨٤) كتاب صفة المنافقين وأحكامهم.

(٢) سورة النساء: الآيات: (٦٠ - ٦٣).

(٦) معرضون عن التوبة إلى الله تعالى:

وعلى الرغم من قبائحهم وجرائمهم إلا أنهم لا يتوبون إلى الله ليغفر لهم ذنوبهم ويهدى قلوبهم... قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (١).

(٧) الإفساد فى الأرض:

قال تعالى في وصف المنافق: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ (٢).

ومع ذلك فالمنافق يعتقد أن إفساده فى الأرض هو عين الإصلاح، ولذلك قال تعالى فى حق المنافقين: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ (٣).

أى: وإذا قيل لهم: لا تسعوا فى الأرض بالفساد بإثارة الفتن وموالاة الكافرين والصد عن سبيل الله قالوا: إنما نحن مصلحون.

قال ابن مسعود: الفساد فى الأرض هو الكفر والعمل بالمعصية فمن عصى الله فقد أفسد فى الأرض.

ولذلك رَدَّ الله عليهم فقال: ﴿ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾ (٤).

(٨) عدم الاستجابة لأمر الله (عز وجل):

قال الله تعالى فى حقهم: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) وَإِذًا لآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ (٥).

---

(١) سورة النساء: الآية: (٦٤).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٠٥).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١١).

(٤) سورة البقرة: الآية: (١٢).

(٥) سورة النساء: الآيات: (٦٦- ٦٨).

أى لو فرض الله على المنافقين بعض التكاليف الشاقة فلن يستجيب إلا قليل منهم، وذلك لضعف إيمانهم.. مع أنهم لو أطاعوا الله (عز وجل) لكان خيرًا لهم فى عاجلهم وآجلهم وأشد تثبيتًا لإيمانهم، ولكن النفاق الذى رسخ فى قلوبهم حال بينهم وبين الاستجابة لأمر رسول الله ﷺ.

وعن حميد وحبيب بن الشهيد أن الحسن قال فى هذه الآية: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [(١)].

قال: إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإن المنافق أساء الظن بربه فأساء العمل.

(٩) يتربصون الدوائر بالمؤمنين:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ أى ليتثاقلن ويتخلفن عن الجهاد، (والمراد بهم المنافقون) وجُعلوا من المؤمنين باعتبار الظاهر (فإن أصابتكم مصيبة) أى قتل وهزيمة ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾، أى قال ذلك المنافق: قد تفضل الله علىَّ إذ لم أشهد الحرب معهم فأُقتل ضمن من قُتلوا ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾، أى: ولئن أصابكم أيها المؤمنون نصر وظفر وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [(٢)] أى: ليقولن هذا المنافق قول نادم متحسر كأن لم يكن بينكم وبينه معرفة وصداقة، يا ليتنى كنت معهم فى الغزو لأنال حظًا وافرًا من الغنيمة[(٣)].

وقال تعالى فى وصفهم أيضًا: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ

---

(١) سورة الحاقة: الآيتان: (١٩ - ٢٠).

(٢) سورة النساء: الآيتان: (٧٢، ٧٣).

(٣) صفوة التفاسير (١/ ٢٨٩).

الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ (١).

(١٠) يخدعون المؤمنين بكلامهم اللين:

قال تعالى فى وصفهم: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ (٢).

وقال تعالى فى وصفهم: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (٣).

فهم يخدعون من يسمعهم بحلاوة الكلام الذى يزينون به الباطل ويشوهون به الحق وأهله، ولذلك قال تعالى: ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾.

(١١) يخشون الناس أكثر من خشيتهم من الله (عز وجل):

قال الله تعالى فى حقهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ (٤).

قال فى التسهيل: إن الآية فى قوم من الصحابة كانوا قد أُمروا بالكف عن القتال فتمنَّوا أن يؤمروا به، فلما أُمروا به كرهوه لا شكًا فى دينهم، ولكن خوفًا من الموت..

وقيل: هى فى المنافقين - وهو أليق فى سياق الكلام - واختار هذا

(١) سورة النساء: الآية: (١٤١).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٠٤).

(٣) سورة المنافقون: الآية: (٤).

(٤) سورة النساء: الآية: (٧٧).

القرطبي وأبو حيان، فقال في البحر: الظاهر أن القائلين هذا هم منافقون؛ لأن الله تعالى إذا أمر بشيء لا يسأل عن علته مَن هو خالص الإيمان، ولهذا جاء السياق بعده ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾ [(١)] وهذا لا يصدر إلا من منافق. اهـ.

(١٢) لهم وجهان:

قال ﷺ: «من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار»[(٢)].

وقال تعالى في وصف المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ۝١٤ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [(٤)].

فكانوا يقولون للنبي ﷺ سمعًا وطاعة، فإذا خرجوا من عنده عصوا أمره ﷺ ودبروا له المكائد والمؤامرات.

(١٣) معرضون عن تدبر القرآن:

قال الله تعالى في حقهم: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [(٥)].

---

(١) سورة النساء: الآية: (٧٨).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤/٢٦٨، رقم ٤٨٧٣)، وابن أبي الدنيا في الصمت (ص ١٦٢، رقم ٢٧٤)، والبيهقي (١٠/٢٤٦، رقم ٢٠٩٤٦)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٤٩٦).

(٣) سورة البقرة: الآيات: (١٤ - ١٦).

(٤) سورة النساء: الآية: (٨١).

(٥) سورة النساء: الآية: (٨٢).

وقال ﷺ: «مثل المؤمن الذى يقرأ ويعمل به كمثل الأترجة، طيبة الطعم طيبة الريح، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، طيبة الطعم لا ريح لها، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة طيبة الريح وطعمها مر، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة مرة الطعم ولا ريح لها»[(١)].

(١٤) ينشرون الأسرار ولا يتثبتون منها:

قال تعالى فى حقهم: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [(٢)].

أى إذا جاءهم خبر من الأخبار عن المؤمنين بالظفر والغنيمة أو النكبة والهزيمة أذعوا به، أى أفشوه وأظهروه وتحدثوا به قبل أن يقفوا على حقيقته، وكان فى إذاعتهم له مفسدة على المسلمين... فهذا هو دأب المنافقين.

(١٥) ودُّوا لو تكفرون كما كفروا:

فالمنافق يتمنى من أعماق قلبه أن لو كفر الناس جميعًا، ولذا قال تعالى فى وصف المنافقين: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ۝٨٨ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [(٣)].

(١٦) يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله:

وقال تعالى فى حقهم: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [(٤)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٤٢٧) كتاب الأطعمة، ومسلم (٧٩٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) سورة النساء: الآية: (٨٣).

(٣) سورة النساء: الآيتان: (٨٨ - ٨٩).

(٤) سورة النساء: الآية: (١٠٨).

فهم يستترون من الناس خوفًا وحياء ولا يستحيون من الله وهو أحق أن يُستحيا منه... فهم أمام الناس يُظهرون الصلاح والتُّقى وإذا خلوا بأنفسهم يبارزون الله بالذنوب والمعاصي.

قال بلال بن سعد: لا تكن وليًا لله (عز وجل) في العلانية، وعدوه في السر.

(١٧) موالاة الكافرين:

قال تعالى في وصفهم: ﴿ **بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩) وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا** ﴾ (١).

فهم الذين يوالون الكافرين ويتخذونهم أعوانًا وأنصارًا ظنًا أنهم يملكون القوة والغلبة والعزة... ولذلك وبخهم الله بقوله: ﴿ **أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** ﴾ فالعزة لا تكون إلا لله ولرسوله وللمؤمنين.

(١٨) التخوف من حوادث الدهر:

وهم دائمًا يخافون حوادث الدهر، ولذلك يوالون الكافرين ظنًا منهم أن ذلك سيمنعهم من قضاء الله (عز و جل)... قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ** ﴾ (٢).

---

(١) سورة النساء: الآيات: (١٣٨ - ١٤٠).

(٢) سورة المائدة: الآيتان: (٥١ - ٥٢).

(١٩) لا يذكرون الله إلا قليلا:

وذلك لأن قلوبهم متعلقة بالدنيا وحطامها الزائل، ولذلك قال تعالى فى وصفهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (١).

(٢٠) لا يجاهدون إلا طمعًا فى الغنيمة:

قال الله تعالى في وصفهم: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤١ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٢).

فهم لا يجاهدون طلبًا لمرضاة الله ولا رغبة فى نصرة دينه، وإنما يجاهدون طلبًا للغنيمة. فإن كان الجهاد شاقًا فإنهم سرعان ما يعتذرون بأعذار كاذبة ويحلفون بالله أنهم لو استطاعوا لخرجوا للجهاد... فيوقعون أنفسهم فى الهلاك بأيمانهم الكاذبة ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

(٢١) أحسن الناس أجسامًا وأخبثهم قلوبًا:

قال تعالى في وصفهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (٣).

إنهم أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أحلام. فهم أحسن الناس أجسامًا وأفصحهم لسانًا وألطفهم بيانًا وأخبثهم قلوبًا، فهم كالخُشُب المُسنَّدة التى ليس لها ثمر كأنما قُلعت من جذورها فتساندت إلى حائط يقيمها لئلا يطأها السالكون... ولذلك سرعان ما ينخدع الناس بكلامهم.

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٤٢).

(٢) سورة التوبة: الآيتان: (٤١ - ٤٢).

(٣) سورة المنافقون: الآية: (٤).

عن أبى عثمان النهدى قال: كنت عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسمعته يقول فى خطبته: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان»(١).

وعن زياد بن حدير قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «يهدم الإسلام ثلاثة: ذلة عالم، وجدال المنافق بالقرآن، وأئمة مضلون».

(٢٢) يشعلون نار الفتن ويمشون بالنميمة:

قال تعالى فى حقهم: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦) لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٢).

فالمنافقون إذا خرجوا للجهاد فلن يكونوا إلا مصدراً للشر والفساد فهم يُسرعون بين المؤمنين بالنميمة لإلقاء العداوة بينهم طلبًا للفتنة، ولذلك قال تعالى: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ﴾، أى دبروا لك المكايد والحيل ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (٣).

(٢٣) الفرح عند حلول المصائب بالمؤمنين والحزن عند نزول النعم:

قال تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ (٥٠) قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ (٤).

---

(١) صحيح: رواه ابن عدى (٣/ ١٠٤، ترجمة ٦٤٠ ديلم بن غزوان أبو غالب)، والفريابى فى صفة المنافق (ص ٥٢، رقم ٢٤)، والبزار كما فى كشف الأستار (١/ ٩٧، رقم ١٦٨)، والضياء (١/ ٣٤٣، رقم ٢٣٥). قال الهيثمى (١/ ١٨٧): رواه الطبرانى فى الكبير، والبزار، ورجاله رجال الصحيح، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٣٩).

(٢) سورة التوبة: الآيتان: (٤٦ - ٤٧).

(٣) سورة التوبة: الآية: (٤٨).

(٤) سورة التوبة: الآيات: (٥٠ - ٥٢).

فهم إن أصاب المؤمنين عافية ونصر وظهور، ساءهم ذلك وغمهم، وإن أصابهم ابتلاء من الله وامتحان يمحص به ذنوبهم ويكفر به عنهم سيئاتهم أفرحهم ذلك.

(٢٤) لا ينفقون إلا وهم كارهون:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (١).

فذكر الله تعالى السبب المانع من قبول نفقاتهم: وهو الكفر وأتبعه بما هو مستلزم له وهو إتيانهم الصلاة كسالى وإيتاء النفقة وهم كارهون؛ لأنهم لا يرجون بذلك ثوابًا ولا يخافون عقابًا.

(٢٥) يحرصون على إرضاء الناس ولا يحرصون على إرضاء الله (عز وجل):

قال تعالى في حقهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ (٢).

(٢٦) الاستهزاء بالمؤمنين:

قال تعالى في حقهم: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (٣).

---

(١) سورة التوبة: الآيتان: (٥٣ - ٥٤).

(٢) سورة التوبة: الآيتان: (٦٢ - ٦٣).

(٣) سورة التوبة: الآيات: (٦٤ - ٦٦).

(٢٧) يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف:

قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾(١) .

فهم يأمرون بالمنكر بعد أن يفعلوه، وينهون عن المعروف بعد أن يتركوه، ويبخلون بالمال أن ينفقوه وكم ذكَّرهم الله بنعمه وأمرهم بطاعته فأعرضوا عنه ونسوه.

(٢٨) يسبق يمين أحدهم كلامه:

فالمنافق يسبق يمينه كلامه لعلمه أن قلوب أهل الإيمان لا تطمئن إليه، فلا يجد لنفسه مخرجًا إلا بكثرة الحلف ليظن الناس أنه صادق فيما يقول.

قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢) .

وقال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾(٣) .

(٢٩) يُخلفون الوعود:

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا

---

(١) سورة التوبة: الآيتان: (٦٧ - ٦٨).

(٢) سورة المنافقون: الآية: (٢).

(٣) سورة التوبة: الآية: (٧٤).

فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (١).

(٣٠) مخالفة الظاهر للباطن:

عن الحسن قال: كان يقال: «النفاق اختلاف السر والعلانية، والقول والعمل، والمدخل والمخرج».

فالأصل أن المؤمن يكون باطنه أفضل من ظاهره - فهذا هو الفضل - وإن استوى ظاهره مع باطنه فهذا هو العدل... أما المنافق هو الذى فسد باطنه وصلح ظاهره.

ولذلك جاءت وصية الحبيب ﷺ بإخفاء العمل الصالح لئلا يتسرب إليه الرياء فيحبطه... قال ﷺ: «**من استطاع منكم أن يكون له خِبءٌ من عملٍ صالح فليفعل**»(٢).

(٣١) يلمزون المطوعين ويسخرون منهم:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٣).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب إلى النبى ﷺ، وجاء رجل من الأنصار بصاع من تمر، فقال بعض المنافقين: والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به إلا رياءً، وإن كان الله ورسوله لغنيين عن هذا الصاع فنزلت **﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**.

---

(١) سورة التوبة: الآيات: (٧٥ - ٧٨).

(٢) رواه الضياء، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٠١٨).

(٣) سورة التوبة: الآيتان: (٧٩ - ٨٠).

(٣٢) التكذيب بوعد الله (عزوجل):

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾ (١).

فإنه إذا مرت بالمسلمين محنة فإن المنافقين يسيئون الظن بالله (جل وعلا)... كما حدث في غزوة الأحزاب عندما اجتمعت كتائب الكفر، فقال المنافقون: **﴿ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾**. أي: ما وعدنا الله ورسوله إلا باطلاً وخداعًا.

(٣٣) الفرار من أرض الجهاد:

فالمنافق لا يثبت أبدًا في الجهاد؛ لأن قلبه فارغ من الإيمان واليقين.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيرًا (١٤) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً (١٥) قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٦) قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴾ (٢).

(٣٤) يثبطون المؤمنين عن الجهاد:

قال تعالى: **﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾** (٣).

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (١٢).

(٢) سورة الأحزاب: الآيات: (١٣ - ١٧).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (١٨ - ١٩).

(٣٥) هم أصحاب القلوب المريضة:

هلكت قلوبهم من الشبهات والشهـوات ففسدت عندهم الإرادة والنيات حتى عجز الأطبـاء عن التشخيص، فضلاً عن العلاجات ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (١).

(٣٦) يحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا:

* روى مسلم عن أبـى سعيـد الخدرى ﷺ، أن رجالاً من المنافـقين، فى عهـد رسول اللـه ﷺ كانوا إذا خـرج النبى ﷺ إلى الغزو تخلفـوا عنه. وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ. فإذا قدم النبى ﷺ اعتذروا إليه. وحلفوا. وأحبوا أن يُحـمَدوا بما لم يفعلوا. فنزلت: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾(٢).

(٣٧: ٤٠) أربع صفات للمنافقين:

قال ﷺ: «أربعٌ مَن كُن فـيه كان منافـقًا خـالصًا. ومن كـانت فيه خـصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتُمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»(٣).

وعن معاوية الـهذلى أنه قال: «إن المنافق ليصلى فـيُكذبه الله عز وجل، ويصوم فيكذبه الله عز وجل، ويتصدق فيكذبه الله، ويجاهد فيكذبه الله، ويقاتل فيُقتل، فيُجعل فى النار».

أخى.. لا تأمن على نفسك من النفاق

عن المعلى بن زياد قال: سمعت الحسن يحلف فى هذا المسجد بالله الذى لا إله إلا هو: ما مـضى مؤمن قط ولا بقى إلا هو من النفاق مـشفق، ولا

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٠).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٨٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤) كتاب الإيمان، ومسلم (٥٨) كتاب الإيمان.

مضى منافق قط ولا بقى إلا هو من النفاق آمن.

وعن أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه أنه قال: إنه ليأتى علىَّ الرجل أحيانًا وما فى جلده موضع إبرة من النفاق، وإنه ليأتى عليه أحيان وما فى جلده موضع إبرة من إيمان.

فلا تأمن على نفسك من النفاق، بل كن على حذر لكى تنجو فى هذا الزمان الذى استشرت فيه الفتن والبلايا.

وصية وتحذير

أخى الحبيب... أختى الفاضلة:

كانت هذه بعض صفات المنافقين فلنحرص جميعًا على أن نطهر قلوبنا وأعمالنا من أى صفة من تلك الصفات.. ولا ينبغى أبدًا أن نزكى أنفسنا ونعتقد أننا أبعد ما نكون عن النفاق، فلقد كان أصحاب الحبيب ﷺ - وهم خير الناس بعد الأنبياء والمرسلين - يتهمون أنفسهم بالنفاق ويخشون كل الخشية من الوقوع فى أى صفة من صفات المنافقين.

أسأل الله أن يطهر قلوبنا وأعمالنا وأقوالنا من النفاق، وأن يرزقنا الصدق والإخلاص، وأن يتوفانا على الإيمان والتوحيد.. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

دعوة مستجابة

أخي الحبيب .. أختي الفاضلة:

أضع بين أيديكم هذا الكتيب المتواضع سائلاً ربي - عز وجل - أن ينفع به المسلمين في كل زمان ومكان، وأن يجعله في ميزان حسنات أبي وأمي.

فما كان في هذا الكتيب من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من سهوٍ أو خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان .. والله ورسوله ﷺ منه براء... وأعوذ بالله أن أُذكّركم به وأنساه.

فمن استفاد فائدة من هذا الكتيب فلا يبخل عليّ بدعوة لعل الله أن يتجاوز عني وعنكم، وأن يجمعنا جميعًا في جنته إخوانًا على سُررٍ متقابلين.

* **روى مسلم أن النبي ﷺ قال: «من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكَّل به: آمين ولك بمثله»**[1].

* جزى الله خيراً كل من قرأ هذا الكتاب وتعلم منه شيئًا وعلَّمه لمن حوله.

* كما أنصح إخواني وأخواتي بقراءة هذا الكتاب على المسلمين في المساجد والبيوت ومجالس العلم لتعم الفائدة وتموت البدع وتحيا السنن وتعود الأمة مرة أخرى خير أمة أُخرجت للناس.

* سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .... وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصري

(أبو عمار)

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.